

قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

المُسَمَّى عَرَائِيسَ الْمَجَالِسِ

تأليف -

أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري
المعروف بالتعليقي.

المتوفى سنة ٤٢٧ هـ

دار المعرفة

بيروت - لبنان

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئْتُ بِهِ فُوَادُكَ
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على حمدكم والصلاة على محمد وآله .

قال الأستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم التلمی رحمه الله تعالى : هذا كتاب يشتمل على قصص الأنبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان .

باب فيه ذكر بعض وجوه الحكمة في تجميعه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين

قال الله تعالى وكلا قص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك . قالت الحكماء : ان الله تعالى قص على الصطفى ﷺ أخبار السابقين من الأنبياء والأمم الحالية لحاجة أمور أي حكم :

الحكمة الأولى منها : أنه اظهر لنبوته ﷺ ودلالة على رسالته وذلك أن النبي ﷺ كان أنبيا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يارق وطنه بمدة يمكنه فيه الاقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الأخبار ولم يعرف له مطلب شيء من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فزل عليه جبريل عليه السلام وقتنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار ماضى من القرون وسير الأنبياء السابقين والملوك المتقدمين لمن كان من قومه ما قلا موقعا صدق بما يوحى الله اليه واخباره إياه بذلك فأمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحدته وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى - وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا - . قال الله تعالى تكذبا لم تصديقا للنبي عليه السلام - قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض - .

والحكمة الثانية : أنه انما قص عليه القصص ليكون له اسوة وقودة بمكارم أخلاق الرسل والأنبياء المتقدمين والأولياء والصالحين فبا أخبر الله تعالى عنهم وأنشئ عليهم ولتنتهي أمته عن أمور غويت أمم الأنبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتم الله بذلك معالي الأخلاق فلما امثل أمم الله تعالى واستعمل أدب الأنبياء أنشئ الله عليه فقال تعالى - وإنك للى خلق عظيم - ولذلك قال عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ كان خلقه القرآن .

والحكمة الثالثة : أنه انما قص عليه القصص حينئذ له وإعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله علم أنه غوى هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الأنبياء والأولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفح عنهم الأحوال والأغلال التي كانت على الأمم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى - يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - وقال تعالى - وما جعل عليكم في الدين من حرج - وقال تعالى - يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا - فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الأنبياء والأمم فوصل قيام ليلة بنهاره وصيامه بقيامه لا يفر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماء قليل يارسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بشت بالحقيقة السمحة .

والحكمة الرابعة : أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لأمنته وذلك أنه ذكر الأنبياء ونوابهم والأعداء وعقابهم ثم ذكر في غير موضع تحذيره بإمام عن صنع الأعداء وحشم على صنع الأولياء فقال تعالى - لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين - وقال - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - وقال - وهدى وموعظة للمتقين - ونحوها من الآيات ، وكان الشبل رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص .

والحكمة الخامسة : أنه قص عليه أخبار الأنبياء والأولياء للناظرين إحياء كرمهم وأقدارهم ليكون المحسن منهم في إجماع كرمه مثبتا له تسجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكر كرمه وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغب خليل الله إبراهيم عليه السلام في إجماع الأئمة الحسن قال - واجعل لي لسان صدق في الآخرين - والناس أحاديث يقال ما مات ميت والد كرمه وقال ما أنفق للولوك والأغنياء الأموال على الصانع والحصون والقصور إلا لبقاء كرمه . وأنشدنا ناصر بن محمد اللوزي قال أنشدني الفريدي :

وأنما المرء حديث بسمة فكن حديثا حسنا من وعي

مجلس في صفة خلق الأرض

قال الله تعالى - الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء - الآية ونظائرها كثيرة في القرآن . واعلم أن الكلام في نعت خلق الأرض على سبعة أبواب

الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها

روى الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره خضراء أضفاف طباق السموات والأرض ثم نظر البانظر هية فصار تماء ، ثم نظر إلى الماء ففلا وارفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فن ذلك اليوم يعد إلى يوم القيامة وخلق

الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - أى قصد وعمد إلى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الأرض فأول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكة فدحا الله الأرض من تحتها فذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهي قوله تعالى - والأرض بعد ذلك دحاها - ولما خلق الله الأرض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سباعا وذلك قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه، إحدى يديه في المشرق والأخرى في المغرب، باسطين قابضتين على قرار الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس نورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحذر الله بقوته خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض وهي كالسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فافتتفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء عكظها كغلف سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه - يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتدكن في صخرة أوقى السموات أو قى الأرض يأت بها الله - الآية . روى أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انعطرت من هيبتها مراحه ومات وكانت آخر مواعظته ، فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم واسمه لوتيا وكنيته بلهوت وقبه هموت فوضع الصخرة على ظهره وسأرجسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها خرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجباركون فكانت فذلك قوله عز وجل - إنما أمرنا أن إذا أردناه أن نقول له كن فيكون - ولذلك قال بعض حكماء الشعراء :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك تمس منك في الدين

واستزق الله مما في خزائنه فإن رزقك بين الكاف والنون

واحتجنت بالله عن دنيا اللولك كما استغنى اللولك بدنيام عن الدين

وقال كعب الأحبار : إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه وقال له أنت ترى ما على ظهرك بالوتيا من الأمم والدواب والتجرب والجبال وغيرها لو قضتها أو ألقيتها عن ظهرك أجمع لكان ذلك أرجح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى إليه دابة فدخلت في منخره فوصلت إلى جماعه فنجح الحوت إلى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت . قال كعب الأحبار فوالذي نفسي بيده أنه لينظر إليها وتتظار إليه إنهم جميع من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به قتال - ن - والقلم وما يسطرون - ثم قالوا إن الأرض كانت تتكأ على الماء كما تتكأ السفينة على الماء فأرسلها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى - والجبال أرساها - وقوله تعالى - والجبال أوتادا - وقوله

تعالى - وألقى في الأرض رواسب أن تميدبكم - يعني لكيلا تتحرك بكم . قال علي بن أبي طالب رضي الله
تعالى عنه : أول ما خلق الله الأرض عجت وقالت يارب تجعل عليّ بني آدم يسلمون على الخطايا ويلتقون
على الحباث فاضطربت وأرسلها الله تعالى بالجبال فأقرها ، وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زرجة
خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف ، فأحاط بها كلها وهو الذي أقسم الله به فقال - ق - والقرآن
الحديد - وقال وهب إن في القرنين آية على جبل قاف فرأى حوله جبلا صفرا فقال له من أنت ؟ قال أنا
قاف قال فأخبرني ما هذه الجبال التي حولك ، فقال هي عروقي فإذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرني فحركت
عروقا من عروقي فتزلزل الأرض للتصلبة ، فقال يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى ، فقال إن
شأن ربنا لعظيم فتصرعته الصفات وتنقض دونه الأوهام . قال فأخبرني بأدنى ما يوصف منها قال إن
وراء أرضا لمسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بضأ ، ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها
لولا ذلك الثلج والبرد لاحتزعت الدنيا من حر جهنم . قال زدني ، فقال إن جبريل عليه السلام واقف
بين يدي الله تعالى ترعد فرائضه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى
منكسرو رؤوسهم لا يؤذّن لهم في الكلام إلى يوم القيامة ، فإذا أذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا إله إلا الله
وهو قوله تعالى - يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا - يعني
لا إله إلا الله . وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال : لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال وأقامها عليها فاستقامت ،
فجبت للملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ، قال نعم الحديد ،
فقلت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم النار ، فقلت يارب هل من خلقك شيء
أشد من النار ؟ قال نعم الماء ، فقلت يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال نعم الريح ، فقلت يارب
هل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال نعم الإنسان يتصدق بيمينه فيخضعها عن شماله .

الباب الثاني في حدود الأرض ومساقها وأطباقها وسكانها

روى عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة
عام ، وهي سبعة أطباق : الأرض الأولى هذه فيها سكانها . والأرض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج
الرياح المختلفة كما قال تعالى - وتصريف الرياح - وفي الأرض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم
وأقنوعهم مثل أقنوع الكلاب ، وأيديهم كأيد الإنسان ، وأرجلهم كأرجل البقر ، وأذانهم كأذان
الغز ، وأعمارهم كأصواف الغن لا يصفون الله طرفة عين ليس لهم أبواب ليلتناهدم ونهارهم ليلتنا .
والأرض الرابعة فيها حجارة الكبريت التي أعمدها الله لأهل النار تسجر بها جهنم . قال النبي ﷺ :
والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت . قال وهب بن
منبه هي مثل الكبريت الأحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم ، وهي التي قال الله تعالى فيها - وقودها

الناس والحجارة - . أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس القرني قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو خصص عمر بن خصص القشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينا أنا أردت الحج إذ دفعت إلى الكوفة ليلا ، وكانت ليلة مدحمة فانفردت من أصحابي ثم دفوت إلى زقاق باب دار ، فسمعت بكاء رجل وهو يقول في بكائه ، : إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمصبي محالفتك ولكني عصيتك إذ عصيتك بجهلي ، وخالفتك إذ خالفتك لشقوتي فالآن من عذابك من يتقذني ويحبل من أتصل إذا انقطع حبلك عني واذنوبه واغوثاه يا الله . قال منصور فأبكاني والله ، فوضعت فمي على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم - بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية - قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت ، فوضعت حجرا على الباب لأعرف للوضع فلما أصبحت غدوت إليه فاذا بكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية ، فقلت لها يا هذه ما هذا البيت لك ، فقالت إليك عني يا عبد الله لا تجدد علي أحزاني فقلت إنني أريد هذا لوجه الله الكريم لعلك تستودعني دعوة فاني منصور بن عمار واعظ أهل العراق ، قالت يا منصور هذا ولدي قلت لما كانت صفته ؟ قالت كان من آل رسول الله ﷺ يكتب ما يكتب فيجعله أثلاثا ثلاثي وثلاثا للمساكين وثلاثا يغفر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى إذا كان آخر ليلة أخذني بكائه وتضرعه فمررت في هذه الليلة وتلاية من كتاب الله تعالى ، فلم يزل جيبني بضرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى . وقال منصور بن عمار : دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلي صلاة الخاضعين فقلت لنفسي إن لهذا القتي لشأنا عظيما لعلم من أولياء الله تعالى ، فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلت عليه فرد علي ، فقنت له ألم تعلم أن في جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى ، فعميق شقة وخرمغشيا عليه فلما أفاق قال زدني فقلت - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة - الآية غفر ميتا ، فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة - فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية - فلما كانت الليلة الثانية نمت ففرايته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج ، فقلت له ما فعل الله بك فقال آتاني ثواب أهل بدر وزادني ، فقلت له لم ؟ قال لأنهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار . والأرض الخامسة فيها عقارب أهل النار كأمثال البغال لها أذنان كأمثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون قنارا في كل قنار ثلثمائة وستون فرقا من السم في كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم في وسط الأرض لمات جميع أهل الدنيا من قته وفسد منه كل شيء ، وفيها أيضا حيايات أهل النار كأمثال الأودية لكل جيعتها ثمانية عشر ألف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة في أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو أصرافه حية منها أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جيل في الأرض لهدته حتى يموت ربما ، وأنها لتلقى الكافر فتقطعه مفاصله . والأرض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم وأرواحهم

الحديثة واسمها سجين قال الله تعالى - كلا إن كتاب الفجار لفي سجين - . والأرض السابعة جعلها الله مسكناً لإبليس وجنوده ، وفيها عشه في أحد جانبيه موم وفي الآخر زمهرير وقد احتوشته جنوده من اللردة وعتاة الجن ومنهايت سراياه وجنوده ، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم قنّة لبي آدم . وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال : الجنة اليوم في السماء السابعة فإذا كان غد جعلها الله حيث يشاء ، والنار اليوم في الأرض السفلى فإذا كان غد جعلها الله حيث يشاء . وأما بعد قمر الأرض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به الأرض وبداره وبأمواله ، ففي الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قمرها الى يوم القيامة ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : " بينا رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفه وقد أعجبه نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

الباب الثالث في ذكر الأيام التي خلق الله تعالى فيها الأرض

قال الله تعالى - قل أنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين الآية - قال أبو اسحق قال شبك يدي أبو بكر محمد بن أحمد القطان قال شبك يدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبك يدي إبراهيم بن يحيى قال شبك يدي صفوان بن سليم قال شبك يدي أيوب بن خالد الأنصاري قال شبك يدي عبد الله بن أبي رافع قال شبك يدي أبو هريرة قال شبك يدي أبو القاسم محمد بن عيسى قال : خلق الله الأرض يوم السبت والجمعة والأحد والأشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة :

الباب الرابع في ذكر أسماؤها وألقابها

قال وهب بن منبه : الأولى من الأرض تسمى أديما ، والثانية بسيطا ، والثالثة هيبلا ، والرابعة بطيحا ، والخامسة متشاقة ، والسادسة ماسكة ، والسابعة نرى . (وأما أسماؤها للذكورة في القرآن) فهي سبعة أيضا : سماها الله فراشا ، فقال - الذي جعل لكم الأرض فراشا - ، وسماها قرارا ، فقال - أمهن جعل الأرض قرارا - وسماها رتقا فقال - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا - وسماها بساطا فقال - واقه جعل لكم الأرض بساطا - وسماها مهدا فقال - ألم يجعل الأرض مهدا - وسماها ذات الصنع فقال - والأرض ذات الصنع - بمعنى بالنبات وسماها كفاتا فقال - ألم يجعل الأرض كفاتا - قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر إلى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الأحياء ، ثم نظر إلى المقبرة فقال هذه كفات الأموات .

وروي عن أبي عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صعب من أولاد الجوس شاب متطيب يدعى تخفيق السلام وأظهر مسنة تحريق الأنفس بالنار ، وكان يزعم أن الجسد كثيف متنن في حال الحياة ، فإذا مات فلاحكة في دفته والتسبب إلى زيادة تننه وأن الواجب إحراقه وإذراء رماده ، فقبل لبعض الفقهاء أن الناس قد افتتنوا بمثل هذا الجوسى ، فكتب الفقيه إلى عبد الله بن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا الجوسى

لنسمع منه فاجتمعوا عند عبدالله ، فلما تكلم الجوسى بمقاتلته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن من تدعيه أمه وحاضنته أيهما أولى به ، فقال له الأم ، فقال إن هذه الأرض هي الأم منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا إليها ، فأخجم الجوسى وأنشد في معناه لأمية بن أبي الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نول

وسئل يحيى بن معاذ الرازى أن ابن آدم يدرى أن الدنيا ليست بدار قرار فليطمئن إليها . قال لأنه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه وإليها يعود فهي كفاته وهي محرر الصالحين إلى الجنة

الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الأرض

وهي سبعة أشياء : الأزمنة توزين الأزمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى - إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، فالأربعة الأشهر الحرم منها ثلاث تسرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذوالقعدة وذوالحجة والمهرم والقرد رجب ، والأمكنة وزينها بأربعة أشياء : مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشاء ، وزينها أيضا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وزين الأنبياء بأربعة إبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين ، وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولو العزم ، وزينها أيضا بآل محمد عليه السلام ، وزينهم أيضا بأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم .

وروى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة القبر فلما اقتتل من الصلاة أقبل علينا بوجه الكريم فقال يا معاشرة المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين قيل يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان ؟ فقال أنا الشمس وعلي القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفتقدان حتى يردا على الخوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بأربعة أمي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والأئمة الرضويون رضي الله عنهم أجمعين .

وروى عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله ، وزينها أيضا بالمؤمنين ، وزينهم بأربعة العلماء والقراء والفزاة والعباد ، وزينها أيضا بآلوان الحيوانات والنباتات والمعادن .

الباب السادس في عاقبتها ومآلها وآخر حالها

اعلم أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء : أحدها التبديل وهو قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض - وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبر النقي الجوارى لم يمس الله عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوى كالصلب الهند . والثاني الزلزلة قال الله تعالى - إذا زلزلت الأرض

زلازلها - الآية وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج ، قيل وما الهرج يا رسول الله ؟ قال القتل ، فإذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة ، وإذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو ، وإذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت ، وإذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهايم لم يعطروا وفي الحديث أن الأرض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه ، فأخذ بضادتي منبر رسول الله ﷺ وقال : يا أهل المدينة إنكم رجفتم ، وإن الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وإنكم أحدثتم أشياء حتى أعجزتكم فهل أنتم منتهون أو يفر عمر من بين أظهركم . والثالث البروز قال الله تعالى - وترى الأرض بارزة - يعني لفصل القضاء . والرابع الرج قال الله تعالى - إذا رجفت الأرض رجاً - قال المفسرون كل أريج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها فراق من ربها ، والخامس الرجف قال تعالى - يوم ترجف الأرض والجبال - والسادس للدحى تتخلى وتلقى ما في بطنها قال تعالى - وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت - والسابع الدك قال تعالى - إذا دكت الأرض دكا دكا - وقال تعالى - فدكتنا دكة واحدة - ويعني أن الربيع بن خثيم كان إذا قرأ هذه الآية أخذ بجمل ذراعيه ويقول بالحمام ويادماه أين أتيا ؟ .

الباب السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن

وهي سبعة ألقاب مكة خاصة قال الله تعالى في الرعد والأنبياء - أولم يروا أنما أنشأت الأرض تنقصها من أطرافها - يعني أرض مكة . والوجه الثاني أرض للمدينة قال الله تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها - يعني أرض المدينة وقال تعالى - إن أرضي واسعة - وقال تعالى - وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها - . والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى - ادخلوا الأرض المقدسة - الآية يعني بلاد الشام وقال تعالى - ونجيناه لوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين - والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى - وكذلك بكننا ليوسف في الأرض - أي أرض مصر . وقوله تعالى - اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم - وقوله - فلن أبرح الأرض - أي أرض مصر وقوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - وقال تعالى - وبستخلفكم في الأرض - أي أرض مصر . والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى - إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض - والسادس الأرضون كلها وذلك قوله تعالى - وملئ دابة في الأرض إلا على الله إبطي الله رزقها - وقوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا لأمم أمثالكم - يعني بالأمم في التصاور أمثالكم في التسخير وقال تعالى - ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام - وقال تعالى - التي جعل لكم الأرض فراشا - والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون - وقوله تعالى - وأورثنا الأرض بني إسرائيل من الجنة حيث نشاء فنم أجرة العالمين .

مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به

وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب، نقول وهب بن منبه : كادت الأشياء أن تكون سبعة السموات سبع والأرضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والأيام سبع والكواكب سبع وعلى السيارة والطواف بالبيت . . . شواطئ والسعي بين الصفا والمروة سبع ورمى الجار سبعه وأبواب جهنم سبع ودركاها سبعه وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى - قلبت في السجن بضع سنين - وإيتاؤه ملك مصر سبع سنين - وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان - وكرامة الله تعالى للمصطفى ﷺ سبع قال الله تعالى - ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم - والقرآن سبعة أسباع ، وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقته من سبعة أشياء قال الله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله - فبَارِكْ أَفْضَلُ مَا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ - ورزق الإنسان وغذاؤه من سبعة أشياء . قال الله تعالى - فلينظر الإنسان إلى طعامه - إلى قوله - متاعاً لكم ولأنعامكم - وأمر بالسجود على سبعة أعضاء .

الباب الأول في بدء خلق السموات

يروي في الأخبار للشهيرة المأثورة أن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره مثل السموات السبع والأرضين السبع ثم نظر إليها نظره هية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فقلى وارتفع وعلامه بد ودخان فخلق من الزبد الأرض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - أي قصد ثم ففقهها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما -

الباب الثاني في جواهرها وأجناسها

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف . والثانية من صخرة . والثالثة من حديد . والرابعة من نحاس . والخامسة من فضة . والسادسة من ذهب . والسابعة من باقوتة بيضاء

الباب الثالث في هيئتها وحدودها

قال الله تعالى - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قدشدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك إلى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى - بغير عمد ترونها - وعمادها من فوقها . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكرون فقال لهم أتم تفكرون ؟ قالوا نتفكر في الخالق فقال لهم : تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا يحيط به الفكرة تفكروا في أن الله خلق السموات سبعا

والأرضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والأرض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء من خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه .

الباب الرابع في أسماؤها وألقابها

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا ديثاق والثانية ديثاق والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طغطاف والسادسة سساق والسابعة اسحاقائل . وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى - والسماء بناء - والسقف قال الله تعالى - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - والطرائق قال الله تعالى - وجعلنا فوقكم سبع طرائق - والطباق قال الله تعالى - الذي خلق سبع سموات طباقا - والشداد قال الله تعالى - وبيننا فوقكم سبع أشدادا - والرتق والفتق قال الله تعالى - كاتر اتقا فتقناهما - والدخان قال الله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - .

وروي أن الملائكة قالت يارب لو أن السماء والأرض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا لهما ؟ قال كنت أحمدا به من دواي فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة ؟ قال في مرج من مروحي قالت يارب فأين ذلك المرج قال في علم من علومي قالت الملائكة سبحان ذي البسط القوى . وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالي حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الأبواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهوما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر ، قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحاق بن بشر عن جوير عن الضحاك ومقاتله قالا : خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد الجلي واسمها برقيع وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والطر يقول سبحان ذي الملك والملكوت ، وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما اتقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها قيوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهم ارتق فلان النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ، ومنها إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعوول وفيها ملائكة ذوو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه مشرق رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحي الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم لما اتقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى ، وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء

الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون القضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يصفون على ملائكة السماء الثالثة . وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها إلى الضعف ، وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - قال يوم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي إلى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبح قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو ، قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها الاحقوق ومنها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يصفون على ملائكة الأربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفضوا أبصارهم ولا يرفضونها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نبذل حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جنود الله الأعظم الأكبر الكرويون لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وعليهم ملك جند سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في أموره إلى أهل الديار ارضون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حمراء ، ثم خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعين ألف ملك كل ملك منهم لخمسة الجنود مثل قطر النعام وتراب الترى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع أرضين وخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء ، ومن السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهوتا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء للملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحمة العرش للملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأوارق في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعون أصواتهم بالتهليل ينظرون إلى العرش لا يطفرون لو أن الملك منهم فصر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ، ومن السماء السابعة إليها كباين سبع سموات وسبع أرضين ، والعرش فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى .

الباب الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها

روى الرواة أن الله تعالى ابتداء خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعة الأولى الأوقات والآجال ، وفي الثانية الأرزاق ، وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل - قضاها من سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمراها - الآية .

الباب السادس في ذكر نمازين الله به السموات

وهي عشرة أشياء . الشمس : قال الله تعالى - وجعل الشمس سراجا - وقال تعالى - سراجا

وهاجا - . والقهر قال الله تعالى - وجعل القمر فيهن نورا - والكواكب قال الله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا زينة السكاكب - وهي على ضربين منها معلق كتعليق القناديل - جدد ومنها مركب كتركيب القمر في الحاق وهو مع كثرتها مختلفة الصور ماخلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب . وفي بعض الأخبار : ما يكون من حيوان في الارض ولا دابة تدب دون العرش إلا وفي خلقه السكاكب مثلها .

والعرش قال الله تعالى - رفيع الدرجات ذو العرش - . روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال : في العرش ثمانون ألف جبرئيل في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه - ، وإن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لحفان الطير للسرع ثمانين ألف عام ، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى ، والأشياء كلها في العرش كحلقه ملقاة في فلاة ، وإن فلكا يسمى حزقيا له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الأجنحة مثلها فكان لسته وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى إليه : أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الأجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى إليه أيها الملك لو طرت إلى أن ينفتح في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان ربّي الأعلى فأذن الله سبحانه وتعالى - سبح اسم ربك الأعلى - فقال النبي ﷺ اجعلوها في سجودكم . وقال كعب الأخبار : لما خلق الله تعالى العرش قال لمخلق الله تعالى شيئا أعظم مني فها هو فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف حبة في كل حبة سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والترى وعدد أيام الدنيا وللاشعة أجمع ، فالتفت الحية بالعرش فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية به .

والكرسي قال الله تعالى - وسع كرسيه السموات والارض - وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال : الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمها الملوك وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لأهل الإيمان من شر الشيطان .

وروى اسمعيل بن مسلم عن أبي التوكل الباجي عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فإذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال إذا فتحت الباب فقل سبحان من سخر لك محمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فإذا هو قائم بين يديه فقال له يا عذو الله أنت صاحب القمل قال

ثم قال لأعود ما كنت أخذت منه إلا لأهل بيت قراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فإذا فتحت الباب قفل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخر لك الحمد فإذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لأعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لأدعك لليوم حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ فقال لا تفعل فانك إن تدعني علمت لك إذا قلتها لم يترك أحد من الجن لاصير ولا كبير ولا ذكروا أني قال له لتفعلن إن تركت قال نعم قال فما هي قال الله لا إله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الحديث . واللوح والقلم قال الله تعالى - وكل شيء أحصيناه في إمام مبين - وقال تعالى - ن والقلم وما يسطرون - وقال ابن عباس : انما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفناه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويمحي ويميت ويضل ما يشاء فذلك قوله تعالى - كل يوم هو في شأن - . وروى أن أول ما خلق الله القلم فنظر إليه نظرة هبة وكان طوله كما بين السماء والأرض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة .

وعن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجدته منموما فقال له روح عنى يا ابن الزيات فأنشأ يقول :

المهم فضل والقضاء قالب وسكان ما خط في اللوح
فالتمس الروح وأسبابه أيأس ما كنت من الروح

والبيت العمور : وروى الزهري عن سعيد بن السيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن في السماء الدنيا بيتا يقال البيت للعمور بحال الكعبة ، وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فيتمس فيه انتماسة ثم يخرج فيتفرض استفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت للعمور فيصلون فيه فيأوتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه إلى يوم القيامة .

وسدرة المنتهى . قال الله تعالى - عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى - . قال كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش إليها ينتهي علم الخلق ، كل ورقة منها تظل أمة من الأمم يشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يملعون عذم إلا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم .

والجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هي ؟ قال : من

يدخل الجنة حتى لا يموت ومنهم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابيه . قيل يا رسول الله كيف بناؤها ؟ قال : لبنه من ذهب ولبنه من فضة ، ملاطها مسك أذفر ، وحشاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران .

وروى مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ ان السماء أملت وحق لها شط ليس منها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكرك الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا لو خرجتم إلى الصحراء تجأرون إلى الله تعالى .

الباب السابع في ذكر مآلها وآخر حالها

اعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء : أحدها المور . قال الله تعالى - يوم تمور السماء سورا - يعني تدور كدوران الرحي من هول يوم القيامة . والثاني أخبر أنها تصير كاللؤلؤ فقال تعالى يوم تكون السماء كاللؤلؤ - يعني يزدى الزيت . والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى - فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان - . والرابع الانشقاق قال الله تعالى - إذا السماء انشقت - والخامس الاقطار قال الله تعالى - إذا السماء انطارت ، والسماء منطربة - والاقطار أكثر من الانشقاق . والسادس الانخراج قال الله تعالى - وإذا السماء فرجت - . والسابع الكشط قال الله تعالى - وإذا السماء كشطت - أي نزع من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى - يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب - الآية وأحسن الشاعر حيث قال :

إذا قيل من رب هذى السماء فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا فقال العباد جميعا كذب

مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبده أمرهما ومعادهما

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الأمين بقراءتي عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة قال أخبرني أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلي قال حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبي سريم الخراساني قال أنبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . بينما هو جالس ذات يوم من الأيام إذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس اني سمعت العجب من كتب الأخبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس مبتكرا فاحتقر ثم قال : وماذا قال ؟ قال زعم كتب الأخبار أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقتدان في التل . قال بكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقت أخرى غضبا ثم قال كذب كتب الاخبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام والله تعالى أكرم وأجل من أن يندب أهل طاعته أم تر الى قوله تعالى - وسخر لكم الشمس والقمر دائبين - يعني دأبهما في طاعته فكيف يندب عبيدني أتى عليهما أنهما دائبان في طاعته قائل الله هذا الخبر وقبح حديثه ما أجزأني الله وأعظم فريته على هذين

العبدین الطیعیین لله تعالی ثم استرجع مررا ثم أخذ عودا من الأرض فجعل ینکت به فی الأرض وظل
 كذلك ماشاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثکم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول
 قال الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قلنا بلى یرحمک الله تعالی فقال إن رسول الله ﷺ سئل
 عن ذلك فقال إن الله تعالی لما أذن خلقه إحصاءا ولم یبق إلا آدم خلق شمسین من نور عرشه فأما ما کان
 من سابق علم الله تعالی أن یدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما کان من
 سابق علم الله أن یطمسها ویحوّلها فمرا فانه خلقها دون الشمس فی العظم ولكن إلیما یری صفرها من
 شدة ارتفاع السماء وبسدها عن الأرض فلوترک الله تعالی الشمس کما کان فی بدء الأمر لم یعرف اللیل من
 النهار ولا النهار من اللیل ولا یدری الأبحر متى یصل ولا متى یأخذ أجره ولا یدری الصائم إلى متى یصوم
 وإلى متى یفطر ولا یدری المرأة کیف تعد ولا یدری السلون متى یسکن ومتی یصلحهم ومتی یحجم ولا
 یدری اللدینون متى یحل دینهم ولا یدری الناس متى یزرعون ومتی یسکنون راحة لأبدانهم وکان الله
 أنظر لمبادئه وأرحم بهم فأرسل جبریل علیه السلام فأمر جناحه علی وجه القمر وهو یومئذ مثل الشمس
 ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فیہ النور فذلك قوله تعالی - وجعلنا اللیل والنهار آیتین فبحونا آية
 اللیل وجعلنا آية النهار مبصرة - فالسواد البهی فی جوف القمر مثل الخطوط فیہ إنما هو أثر المحو .
 ثم خلق الله تعالی الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالی للشمس محبة فیها ثلثمائة وستون عروة وروکل
 بالشمس ومحبتها ثلثمائة وستین سکا من اللاتسكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق کل منهم بعروة من تلك
 العری وخلق الله تعالی مشارق ومغارب فی أقطار الأرض وكنفی السماء ثمانین ومائتین فی الشرق من
 لجة سوداء وثمانین ومائة عین فی المغرب مثل ذلك من طينة سوداء یفور غلیانها کمثل القدر إذا
 ما اشتد غلیانها وذلك قوله تعالی - وجدها تقرب فی عین حمئة - ومعنی حمئة سوداء من طین فکل
 يوم ولیة لها مطلع جدید ومغرب جدید ما بین أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما یکون النهار فی
 الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا أقصر ما یکون النهار فی الشتاء فذلك قوله تعالی - رب الشرقتین
 ورب القمرین - یعنی آخرها ههنا وأولها ههنا وترك ما بین ذلك من للشارق والمغرب ثم جمعهما بعد
 ذلك فقال - رب المشرق والمغرب - فذلك عدة تلك العیون کلها ثم خلق الله تعالی بحرا دون سماء
 الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مکفوف قائم فی الهواء بإذن الله تعالی لا یقطر منه قطرة والتجوز
 کلها ساکنة فی ذلك البحر وهو جار فی سرعة السهم وانطلاقه فهو فی الهواء مستو كأنه جبل ممدود
 ما بین الشرق والمغرب وتجرى الشمس والقمر والحسن فی سرعة دوران الرحی من أهوال يوم القيامة
 وزلازلها فی ذلك البحر فذلك قوله تعالی - کل فی فلك یسبحون - والفلك فی دوران السجدة فی لجة حمرة
 ماء ذلك البحر ، والذى نفس محمد یدیه لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لأحرقت کل شیء علی وجه
 الأرض حتی الصخور والجبال ولو بدت القمر من دون ذلك البحر لآقتن به أهل الأرض حتی یبدونه
 من دون الله تعالی إلا ماشاء الله أن یمسحه من أولیائه وأهل طاعته . قال ابن عباس رضی الله عنه قال علی

ابن أبي طالب رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ذكرت مجرى الجنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالجنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الجنس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك . وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتطبيق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسييح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي ﷺ وإن أحييت أن تستينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وإن لم تستينوا الفلك فالهجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كاترون فذلك صلاحها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرجا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى - يوم تمور السماء مورا - يعني تدور دورانا - وتسير الجبال سيرا - فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشري أجنتهم يحرقونها في الفلك بالتسييح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار ، والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع ، فاذا أحب الله أن يتلى القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستبهم رجوعا عن معاصيه وإقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقال مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك ، فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى عند كسوفها ، فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعاب من الله تعالى ، فأى ذلك كان صارت اللائكة للوكة بسجلتها فرقتين : فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى قبل على العجلة فتجرها إلى الشمس ، وهم في ذلك يقودونها في الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل لئلا كان أونهارا لكيلا يزيد في طولها شيء ، وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فآلهى ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يملؤه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو خروجها من ذلك الماء ، فاذا أخرجوها كلها اجتمعت لللائكة كلها فاحملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنجلي للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما أقامهم لذلك ويتعلقون بعري العجلة حتى يجروها بأذن الله تعالى في لجة ذلك البحر حتى إذا بلغوا بها القرب أدخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أفق السماء في العين ، ثم قال ﷺ « عجبت من خلق الله ، وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه » . ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة - تسجين من أمر الله - وذلك أن الله تعالى خلق مدينتين إحداهما بالشرق والأخرى بالقرب على كل مدينة

منها عشرة آلاف بابها بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ ، فأهل المدينة التي بالشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية بريقشا وبالعبرانية جابلق ، واسم المدينة التي بالغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جايسانوت ، على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لاتوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفع في الصور ، والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تقرب ، ومن ورأهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله تعالى وهم منشك وتارس وتاويل ، ومن ورأهم يأجوج ومأجوج وان جيريل عليه السلام انطلق بي اليهم لئلا أسرى بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى وإلى دينه وعبادته فأبوا أن يحبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد إبليس ، ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم إلى الله تعالى وإلى دينه وعبادته فأجابوا وأبوا فهم إخواننا في الدين من أحسن منهم فهم ومع الحسنين ومن أساء فهم مع الشركين ، ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا على وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار ، فإذا ما غربت الشمس رفع بها إلى السماء السابعة في سرعة طيران اللائكة ، وتجلس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوءا ، وإن كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق بها إلى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران اللائكة فتتحد رحال الشرق من سماء إلى سماء فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر القجر عن الصبح ، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح ، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا إلى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك عام ستة أشهر ثم إذا رجعت كذلك من عين إلى عين في الطلوع والغروب إلى آخرها عينا فذلك تمام السنة ، فعدة أيامها وليالها ثلثمائة وستون ليلة ، وخلق الله تعالى عند الشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالي في الدنيا مذ خلقها الله تعالى إلى يوم تصرف ، فإذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من اللائكة الذين قد وكلوا بالليل ، فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب ، فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه قليلا قليلا وهو راعي الشفق ، فإذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ، ثم ينشر جناحه فيلغان أقطار الأرض وكنفي السماء ، ويجاوزان ما شاء الله خارجا في الهواء ، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسييح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل ، فإذا بلغ المغرب أسفر الصبح من الشرق فضم جناحه ثم يضم الظلمة كلها بعضها إلى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من الحجاب بالشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع ، فمن هناك ظلمة الليل إذا ما قل ذلك الحجاب إلى الشرق وإلى المغرب ، فإذا نفع في الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب ، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعها إلى مغربها إلى ارتفاعها إلى السماء السابعة

إلى عبيتهما تحت العرش ، حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد ، وتكثر العاصي في الأرض ويذهب المعروف ولا يأمربه أحد ، وغشوا المنكر فلا ينهى عنه أحد ، فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافق القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب ، حتى يحبس مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر ، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا الله سبحانه في الأرض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم ، فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح غوماً كان يصبح كل ليلة قبل ذلك ، فينكر ذلك ويخرج فينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل ، فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول : أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قتلت قبل حيني ؟ قال ثم يقوم فيعود إلى مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصباح ، فيخرج أيضاً فإذا هو بالليل مكانه فيزيد ذلك إنكاراً ومخالطة الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء . ثم يقول لعل قصرت صلاتي أو خففت قراءتي أو قتلت في أول الليل ، ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضاً مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ، ثم ينظر فلا يرى الصباح فيخرج الثالثة فينظر إلى السماء فإذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصار في أماكنها أول الليل ، فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحظه الخوف وتلدغه الندامة ، ثم ينادي بعضهم بضامهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع للتهجدون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجد يحارون إلى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، فإذا مات لهم مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إليهما فيقول لهما : إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فطلعا منه إنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور ، فيكيان عند ذلك وجلان الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها ، وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيكون جميعاً لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة ، فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما . قال فينبذا للتهجدون يكونون وتضرعون إلى الله تعالى والنافلون في غفلتهم إذا نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من مغربهما ، فينظر الناس فإذا هم أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثابهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى - وجمع الشمس والقمر - وقوله تعالى - إذا الشمس كورت - فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين يتنازع كل واحد منهما صاحبه استباقاً ، ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها والأجدة عن تمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت ، فأما الصالحون والأبرار فانه ينفعهم بكاءهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة ، وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حزمة ، فإذا ما بلغ الشمس والقمر سرية السماء وهي تنصفها جاءها جبريل عليه السلام فأخذ بقرونها ووردها إلى المغرب فلا يعرفها من مغربها من تلك العيون

ولكن يغريهما من باب التوبة ، فقال عمر بأبي أنت وأمي يا رسول الله : وما باب توبة ؟ فقال يا عمر : خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف القرب له مصراعان من ذهب مكلان بالدر والجوهر ما بين المصراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب السريع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (١) إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ، ولم ينب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله تعالى ، فقال معاذ بن جبل : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما التوبة النصوح ؟ قال أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع . قال يغريهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ، ثم يلتصق ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدق قط ، وإذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسنا ، فإنه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى - يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا - فقال أبي بن كعب : بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا ؟ فقال يا أبي : إن الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغريان كما كانا قبل ذلك ، وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآفة وعظمتها يلحون على الدنيا ويمجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار ويننون فيها البنيان ، وأما الدنيا فلوتج للرجل منهم فيها مهر لم يركه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى أن ينفخ في الصور ، فقال حذيفة جملنا الله فداءك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور ؟ قال يا حذيفة والذي نفسي بيده لينفخن في الصور ولتقوم الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ، ولتقوم الساعة وقد أخذ بن لقمته من تحتها فلا يشرع ، ولتقوم الساعة والتوب بين الرجلين فلا ينشرا ولا يطويانه ولا يبيعونه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطعمها ثم تلاه هذه الآية - وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون - فإذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة والنار ، وقبل أن يدخلوها يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاءهما أسودين لأنور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفرائسهما ترعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن عذابة الرحمن تعالى ، فإذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان : يا إلهنا قد علمت طاعتنا لك وداأنا في طاعتك وسرعتنا للمضى في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة الشركين إيانا قد علمت أننا لن ندعوك إلى عبادتنا ولم ننهك عن عبادتك ، فيقول الله تعالى صدقنا إني قد قضيت على نفسي أن أبدى وأعيد إني أعيدكما إلى ما بدأكما منه فأرجعا إلى ما خلقكما منه فيقولان ربنا ما خلقنا ؟ فيقول خلقكما من نور عرشي فأرجعا إليه ، فيلع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نورافي خلتان بنور العرش فذلك قوله تعالى -

(١) قوله منذ خلق الله تعالى الخ ، هكذا بالأصل ولعله الدنيا فليحرر اه مصححه .

يدى ويعد - قال عكرمة فقامت مع الغر الذين حدثوا عن كعب بما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناها فأخبرناه بفضب ابن عباس وما واجده من حديثه ، وبما حدثنا عن رسول الله ﷺ فهما مما بين مبدئهما إلى معادهما ، فقال كعب الأخبار : إني حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الأيدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الأنبياء والمرسلين خير البشر ، ثم قام فمشى إلى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ ألا وإنى أمتنغف الله من ذلك مع أنى لم أقوله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس ، فلا أرى ما كان فيه من تبديل التكفار واليهود ، وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين ، وأنا أحب أن نحدثي بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر ، فأحفظ عنك الحديث ، فإذا حدثت بشيء من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذي تحدثني به مكان حديثي الأول ، قال عكرمة : فو الله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وإنى لأستقرئه في قلبي بابا بابا فإزاد شيئا ولا نقص شيئا ولا قدم ولا أخر فزادني ذلك في ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم .

مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة

الباب الأول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام

قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولولم يخلق لماعرف أنه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المثمرة بالحكمة لأنها لا تأتي إلا من قادر حكيم وليبعد فانه يحب عبادة العابدين وينبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا تنقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وليظهر احسانه لأنه محسن فأوجد لهم ليحسن اليهم وليفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل ، وخلق للمؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل - وكان بالمؤمنين رحيما - وقال تعالى - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم - قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك ابن مزاحم أى للرحمة خلقهم وليحمدوه لأنه يحب الحمد .

وروى أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والأسود والأبيض فقال يارب هلا سويت بينهم ، فقال الله تعالى - إني أحب أن أشكر - .

قال أبو الحسن القتال : خلق الله تعالى للملائكة للقدرة وخلق الأشياء للعبارة وخلقك للمحنة قال تعالى - الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم - .
قال العلماء : خلقكم لآظهار القدرة ثم رزقكم لآظهار الكرم ثم يميتكم لآظهار القهر والجبروت

ثم يحكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ، ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لأجل محمد ﷺ
عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن
بمحمد وأمر أمك أن يؤمنوا به فلو لا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء
فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقتهم لأمر عظيم غيب عنهم لا يعلمه
حتى يحل بهم ما خلقتهم له قال الله تعالى - أحسبتم أنما خلقتناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون - . وقال على
ابن أبي طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو . وقال
الأوزاعي بلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم : ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا
له ، وقال بعضهم إذا ماتوا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فنذاكروا ماذا علموا . وكان
أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته : الهى غيبت عني أجلى وأحسيت على عملي ولا أدرى إلى أى
الدارين منقلبي لقد أوقعتني وقعة الميزونين أبداً ما أجيئني .

وقال أبو القاسم الحكيم : إن الله تعالى جعل ابن آدم بين البوى والبلى ، فإدام الروح في جسد
فهو في البوى ، فإذا فارق الروح الجسد فهو في البلى فآتاه السرور وهو بين البوى والبلى .

وقال بعض الحكماء : يا ابن آدم انظر إلى خطر مقامك في الدنيا إن ربك حلف فقال - لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين - وإن إبليس حلف فقال - فبعتك لأغوينهم أجمعين لإعبادك منهم
الخالصين - وأنت يأسكين بين الله تعالى وبين إبليس مطروح ساءلاً واقفاً علم .

الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة : إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام
أوحى الله إلى الأرض إنى خالق منك خلقاً منهم من طيعني ومنهم من عصاني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة
ومن عصاني أدخلته النار ، ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأتيه قبضة من ترابها فلما أتاه جبريل ليقبض
منها القبضة قالت له الأرض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تأخذ منى شيئاً يكون فيه غذا للنار نصيب
فرجع جبريل عليه السلام إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً وقال يارب استعازت بك فكرهت أن أقدم عليها ،
فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الأرض فاستعازت بالله أن يأخذ منها شيئاً فرجع إلى ربه ولم
يأخذ منها شيئاً ، فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الأرض فاستعازت بالله أن يأخذ منها شيئاً فقال ملك الموت
وانى أعوذ بالله أن أصعبه أمراً ، فقبض قبضة من زواياها الأربع من أدبعها الأعلى ومن سبختها وطبها
وأحرها وأسودها وأيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح
والطالح والجيل والقيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى - ومن آياته خلق السموات
والأرض واختلاف ألوانكم وألوانكم - ثم صعد بها ملك الموت إلى الله تعالى ، فأمره أن يجعلها طينا
وغيرها فضجها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وغيرها فذلك اختلفت أخلاقهم ، ثم أمر

جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا ﷺ
 فيبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس للقرين الكرويين وملائكة الصفح الأعلى قبض
 قبضة من موضع قبر النبي ﷺ وهي يومئذ بيضاء فعبث بماء التسليم ورعرت حتى صارت
 كالسرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة كلها فلما خرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك
 السرة الطاهرة فاستغفت من خشية الله تعالى قطرها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة
 فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا
 ﷺ ، ثم طيف بهافي السموات والأرض فعرفت للملائكة حيث ذ محمد ﷺ قبل أن تعرف آدم ثم
 عنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لنا ثم تركها أربعين
 عاما حتى صارت صلصلا كالقطار وهو الطين اليابس الذي إذا ضربته يديك صلصل أي صوت ليعلم أن
 أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا يتقاد ولا يتأني تصويره ، ثم جعله
 جسدا وأتاه على طريق للملائكة التي تهبط إلى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى - هل آتى
 على الإنسان حين من الدهر - الآية قال ابن عباس الإنسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى
 على باب الجنة ، وفي صحيح الترمذي بالإسناد عن رسول الله ﷺ في تفسير أول البقرة : ان الله خلق آدم
 بيده من قبضة قبضا من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض والأحمر فجاءت الأولاد على
 ألوان الأرض ، وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ كيف خلق الله آدم عليه السلام ؟ فقال خلق
 رأس آدم وجهته من تراب السكبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذه من أرض اليمن وساقيه من
 أرض مصر وقفيه من أرض الجباز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم
 أتاه على باب الجنة فكلمه عليه ملائكة من الملائكة محبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل
 وأواشيئا يشبه من الصور فمر به إبليس فرآه فقال لأمر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل في
 فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتأسك ثم قال لهم
 أرايتم ان فضل هذا عليكم لنا ؟ ثم فاعلون ؟ قالوا نطيع ربنا فقال إبليس في نفسه والله لن فضل هذا على
 لأصينم ولن فضل علي لأهلكه فذلك قوله تعالى - وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون - يعني ما أظهرت
 للملائكة من الطاعة وأسر إبليس من العصية وقوله تعالى - إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين -
 وفي الخبر أن جسدا آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يحط عليه مطر الخزن ثم أمطر عليه
 السرور سنة واحدة فذلك كثرت المموم في أولاده وتصير عاقبتها إلى الفرح والراحة ، وأنشدنا في هذا
 المعنى أبو عوانة المهرجاني :

يقولون ان الدهر يومان كله فيوم محبات ويوم مكروه

وما صدقوا فالدهر يوم حبة وأيام مكروه كثير البداة

وأنشدني ابن الأعرابي قال :

عن الزمان كثيرة لا تنقضي وسروره يأتيك بالقلبات
وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز :
أى شيء يكون أعجب من ذا لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا والبلايا تكال بالقفران

الباب الثالث في صفة نفخ الروح

قال العلماء : فلما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فيه فقالت الروح
مدخل بعيد الصعر مظلم المدخل ، فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة إلى أن قال في الرابعة
ادخلي كرها وأخرجي كرها ، فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت
بماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم زلت في عينيه . والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى آدم
بدء خلقه وأصله حتى إذا تابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ، ثم زلت في خياشيمه
فقطس حين فراغه من عطاسه زلت الروح إلى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين
فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجاب به عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال
تعالى « سبقت رحمي غضبي » ثم زلت الروح إلى صدره وشراسيفه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك
قوله تعالى - وكان الإنسان عجولا - وقوله تعالى - خلق الإنسان من عجل - ، فلما وصلت الروح إلى
جوفه اشتبه الطلع فهو أول حرم من دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام وفي بعض الأخبار أن آدم عليه
السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مديده ووضعها على رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال اني
أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لأن الرحمة للمذنبين ، فصارت تلك سنة في أولاده إذا أصاب
أحدهم مصيبة أو عنة وضع يده على رأسه وتأوه ، ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودماء وعظاما
وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا ، فلما قارب الذنوب بدل
بهذا الجلد وبقيت منه بقية في أنامله ليتذكربه أول حاله .

قال عبد الله بن الحارث : كانت الدواب تسلك قبل خلق آدم عليه السلام وكان النسر يأتي
الحوت في البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر ، فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر
إلى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيئا لنزلني من وكرى وليخرجنك من البحر ،
فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام وشغ فيه الروح قرطه وشقه وصوره وختمه ومتطقه وألبسه
من لباس الجنة وزينه بأشياء من ثيابه نور كشعاع الشمس ونور نينا محمد ﷺ في جبينه
كالنمرلية البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سماواتي ليري عجائبها
وما فيها فيزداد يقينا ، قالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة على أعناقها وطافت به
السماوات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شيء من آياتها وعجائبها ، ثم خلق الله فرسانا من السك الأذفر

يقال له اليمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل أخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم ياملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحتك وتحتك المؤمنين من ذريتك فهاينهم إلى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الأسماء كلها . واختلف العلماء في هذه الأسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصعة ، ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى - فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - وأكثر العلماء على أن الأمر بالسجود لآدم إنما توجه على الملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لاسجود صلاة وعادة ، فلما أمرهم بالسجود سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .

الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام

قال المفسرون : لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشياً لم يكن له من مجالسه ويؤانسه فأتى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألماً ، ولوأولم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ماهذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لأنها خلقت من شيء حي قالوا ولماذا خلقها الله تعالى ؟ قال لتسكن إلى وأسكن إليها ، وذلك قوله تعالى - هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها - قال النبي ﷺ « خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تركها تستمتع بها على عوجها » وقيل الحكمة في أن الرجال يزيدون على مرور الأيام والأعوام حسناً وجمالاً لأنهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حدة وجمالاً ، والنساء يزددن على مرور الأيام قبحاً لأنهن خلقن من اللحم ، واللحم يزداد على مرور الأيام فساداً . وفي بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مديده إليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها . قال ومامرها ؟ قالوا أن تصلى على محمد ﷺ ثلاث مرات قال ومن محمد ؟ قالوا آخر الأنبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت . وروى سعيد بن جبير عن سعيد عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله أن يخلق جارية بعث إليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر يده على رجلها ويقولان باسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها معان إلى يوم القيامة » .

الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه السلام وما كان منه في ذلك

قال أهل التاريخ : لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لها نعيم الجنة كلها إلا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى - وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة - إلى قوله فسكنوا من الظالمين - واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة الجنة كلها ؟ فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور ، وقال قتادة هي شجرة العنبر وفيها من كل شيء علامة ، وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة ، وقيل هي الخنطة ، وقيل هي الكرمة فوسوس لها الشيطان حتى زين لها الشجرة فأكل ما نهاها ربهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهم مصيبة الله تعالى في ذلك حتى أكل منها ، وكان وصول عدو الله إبليس اليهما وتزيينه ذلك لما على ما ذكره صاحب الأخبار أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء لنعمة الحزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم الجبر وكانت من خزائن الجنة وكانت لإبليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة فيها فأدخلته فيها ومرت به على الحزنة وهم لا يسمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة ولما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلداً لأفتم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد ، وقيل إن إبليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويله أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألقسنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال في إخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتبعد ثلاثة سنة هناك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خلق من الجنة يتوصل به إلى آدم لمسكت على باب الجنة ثلاثة سنة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك إذ خرج إليه الطائوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه إبليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك لما رأيت من خلق الله أحسن منك ؟ قال أنا طائر من طيور الجنة اسمي طائوس فيكي إبليس فقال له الطائوس من أنت ومم بكوك ؟ فقال له إبليس أنا ملك من الملائكة الكرويين وأنا بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكالخلقك ، فقال له الطائوس أي فوتيني ما أنا فيه قال لي ، وأنت تفتني وتبيد وكل الخلاق يبيدون إلا من تناول من شجرة الخلد فانهم الخلدون من تلك الخلاق . فقال الطائوس وأين تلك الشجرة قال إبليس هي في الجنة قال الطائوس ومن يدنا بمكانها ؟ قال إبليس أنا أدلك عليها إن أدخلتني الجنة . قال الطائوس كيف لي بدخول الجنة ولا سبيل إلى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد إلا بأذنه ، ولكني سأدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلونها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هودون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو ؟ قال الجنة . قال له إبليس فبادر إليها فإن لنافيه سعادة أبدي لها لم تنعم على ذلك ، فجاء الطائوس إلى الحية وأخبرها بمكان إبليس وما سمع منه وقال إن رأيت ياب الجنة ملكا من الكرويين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخله الجنة ليدنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها إبليس نحواً من مقالة الطائوس فقالت كيف لي بدخول الجنة ورضوان إذا رأيت لم يمكنك من دخولها فقال لها آخول ربحاً فتجعلنين بين أيديك

قالت نعم ، فتحول إبليس لعنه الله ريحا ودخل في فم الحية فأدخلته الجنة فلما دخل إبليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم ، وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يسلطان أنه إبليس ففاح عليهما نياحة أحزتهما فبكيا ، وكان أول من ناح فقال له ما يبكيك ؟ فقال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أتيا فيه من النعم والكرامة فوق ذلك في أنفسهما وإنما لذلك وبكى إبليس ومضى . ثم إن إبليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما . فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الخلد فقال نهان ربي عنها . فقال إبليس ماها كما ربكيا عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى أن يقبل منه فأقسم لهما بالله إنهما لمن الناسخين فاعتزأ بذلك وما كانا يظن أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها .

روى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول سمعت جدي يقول : سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستتي أن آدم ما أكل من الشجرة وهو سفل ، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادتة اليها فأكل ، ولذلك قال الرسول ﷺ « الخمر جمع الخبائث وأم الذنوب » ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالانم لا تقربها ولانأكل منها ولم يستتيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا للنهي عنها : وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الأشعث يقول سمعت ابراهيم بن آدم يقول لقد أورتنا تلك الأكلة حزنا طويلا . وقال الشبلي : أول الدن دردي هذا أبونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة انتهى عنها ابتلاء الله بشرة أشياء . الأولى معاتبته بإيهامه ذلك بقوله - ألم أنهمكا عن تلك الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدومين - . والثانية الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سواتهما وتباهت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتعير آدم وصار هاربا في الجنة فتلقت شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداهم به أفرارا مني يا آدم . قال بلى يارب ولكن حيا منكم ، ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة .

وروى أن آدم لما بدت سوائه وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة ينطى بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة فطفا بغير آدم وحواء يخفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة واللذعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام . والثالثة أوهن جلده وصير ممظلا بعد أن كان جلده كله كالظفر وأبقى عليه من ذلك قدر يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله : والرابعة أخرجه من جوارحه ونودى انه لا ينبغي أن يجاورني من عصائي فذلك قوله تعالى - اهبطوا بعضكم لبعض عدو - ولكم في الأرض مستقر - الآية يعني آدم وحواء وإبليس والحية والطاوس فهبط آدم بسر نديب من أرض الهند ، وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود

وقيل واسم وحواء بحمد بلدمن أرض الحجاز وإبليس الأبله من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية بأصهان والطاوس بأرض بابل .

ويقال إن الحكمة في إخراج آدم من الجنة أنه كان في صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فإذا أخرجهم من صلبه أعاده الله إليها خالد فيها ، وقال إن الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل أن يدخله فيها وذلك قوله تعالى - إني جاعل في الأرض خليفة - ولم يقل في الجنة أخبرني نافل بن أذفر بن أحمد بإسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر أن آدم قال كنا نسل من نسل الجنة فسبانا إبليس بالخطيئة إلى الأرض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ، ولكن الحزن والبكاء ما دمنا في دار السباء حتى نرد إلى الدار التي سمينا منها وقال الشاعر :

يا ناظر ابرنو بعني راقدا ومشاهد الأيام غير مشاهد
متك نفسك وصلة فأبعثها سبل الرجاء من غير قواصد
تصل الدنوب إلى الدنوب وترجي درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد

والخامسة الفرقة فرقي بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بحمد فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلقا فسميت للزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة في يوم عرفة فسمى للوضع عرفات واليوم عرفة . السادسة العداوة ألقى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى - بعضكم لبعض عدو - فالإنسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدو والحية عدوته تلدغه إذا أمكنها وإبليس عدوهم جميعا ، وفيه إشارة إلى أن الأحباب إذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا للفقين - . والسابعة : النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى - وعصى آدم ربه فغوى - .

وروي أن إبراهيم عليه السلام شكرك ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال يا رب خلقت آدم بيدك ونمخت فيه من روحك وأسجدته ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم زلته واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة ، فأوحى الله تعالى إليها إبراهيم أماعلت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد . والثامنة تسلط العدو على أولاده وهو قوله تعالى - وأجلب عليهم بخيلك وحصلك وشاربهم - الآية . والتاسعة جعل الدنيا سجناله ولأولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحرق فيها ولم يكن لهما عهد تعود هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى - لا يرون فيها ثمرا ولا زمهرا - قال رسول الله ﷺ « الجنة سجين لآخر فيها ولا قر » . العاشر التعب والشقاء وذلك قوله تعالى - إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى - فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب .

(فصل) : وابتليت حواء وبناتها بهذه الحاصل وبخمس عشرة خصله سواهن . الأولى الحيف ،

يروى أنها لما تناولت الشجرة دامت الشجرة قال الله تعالى إن لك على أن أدميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله ﷺ في الحيض : إن هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم . الثانية ثقل الحمل ، الثالثة الطلق وألم الوضع قال الله تعالى - حشنته أمة كرها ووضعته كرها - وفي الخبر : لو الازلة التي أصابت حواء كان النساء لمحضن ولكن حلمات وكن يحملن سرا ويضعن سرا . الرابعة نقصان دينها . الخامسة نقصان عقلها ، عن أبي سعيد في حديث ذكره قال : رسول الله ﷺ « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدا كن قفلن له وما نقصان عقلا وديننا يا رسول الله ؟ قال ليس شهادة للمرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها » . السادسة أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين . السابعة تخصيصهم بالعدة ، الثامنة جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى - الرجال قوامون على النساء - وقال عليه الصلاة والسلام : استوصوا بالنساء خيرا فانهن هوار عندكم . التاسعة ليس لهن من الطلاق شيء ولا يملكن ذلك وإنما هو للرجال . العاشرة حرمن الجهاد . الحادية عشرة ليس منهن نبي . الثانية عشرة ليس منهن سلطان ولا حاكم . الثالثة عشرة لا تسافر إحداهن إلا مع ذي رحم محرم . الرابعة عشرة لا تتعقد بهن الجمعة . الخامسة عشرة : لا ينلم عليهن . وعاقب إبليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء . أولها عزله من الولاية وكان له ملك الأرض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة . الثانية أخرجه من جواره وأهبطه الى الأرض . الثالثة مسح الله صورته قصيره شيطانا بعد ما كان ملكا . الرابعة غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه إبليس لأنه أبليس من رحمة الله تعالى . الخامسة جعله إمام الأشقياء . السادسة لعنه الله . السابعة نزع منه للعرفة . الثامنة أغلق عنه باب التوبة . التاسعة جعله مريدا : أي خاليا من الخير والرحمة . العاشرة جعله خطيب أهل النار .

وعاقب الحية بخمسة أشياء : قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسح صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حينما يرونها يقتلونها وأباح رسول الله ﷺ قتلها في الصلاة وفي حال الإحرام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ما سألناهن منذ حاربناهن من ترك شيئا منهن خيفة منه فليس مني يعني الحيات ، أخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الأعين البعدي عن أبي الأحوص الحنفي قال . بينا ابن مسعود يخطب ذات يوم فإذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قتل حية فكأنما قتل رجلا بشر كما قد حل دمه .

الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الأرض وما كان منه

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الأرض على جبل سرنديب وذكر أن ذروته أقرب من ذرى جبال الأرض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسييحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما قص من قامته ذلك قال رب كنت جارك في دارك ليس لي رب سواك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسلك حيث أحييت فأهبطتني الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بمرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطتني الى الأرض وحطتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فأجابه الله تعالى - بمصبتك يا آدم - فقال آدم ذلك بك يا رب . وقال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الأرض عطس عطسة فسأل أهله عما فلما رأى سيلان الدم من أهله ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تحرب الأرض الدم فأسود على وجهها كاللحم ففرع آدم من ذلك فزعاشديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعت الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على قوائده فذهب عنه الحزن والتضي فاستراح مما كان يصيبه من الغم . قال شهر بن حوشب بلغني أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : بكى آدم وحواء على ما فاتها من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى - فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه - الآية . واختلفوا في تلك الكلمات ماهي ؟ فقال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحي قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجني منها قال لشؤم مصبتك قال أي رب أرايت إن أنا تبت وأسلمت ترجني الى الجنة فهي الكلمات : وقال عبد الله بن عمر : إن آدم قال يارب أرايت ما أتيت به شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء قدرته على جعل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لي وقال محمد بن كعب القرظي هي قول لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فغفر لي أنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي أنك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمي أنك أنت خير الراحمين . وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى - ربنا ظننا أنك أنت خير الراحمين - الآية ثم أزل الله تعالى يا قوتة من يواقيت الجنة ووضع البيت على قدر السكفة لما بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم

إن لي حرما هيال عرشي فاته فطف به كما يطف حول عرشي وصلّ عنده كما يصلّي عند عرشي
فهناك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقبض الله له ملكا
برشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وماتعداه مغاوير وقفارا فلما وقف بمرقات وكانت
حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بمرقات يوم عرفة فسمى ذلك للموضع عرفات فلما انصرفا الى
منى قيل لآدم تمنّ فقال آتني النفرة والرحمة فسمى ذلك للموضع منى وغفر ذنبيهما وقبل توبتهما ثم
انصرفا الى أرض الهند . قال مجاهد حدثني ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على
رجليه فقيل للمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأى شيء كان يحمله فوالله إن خطوته لمسيرة
ثلاثة أيام وقال ابن عمر : لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى الناسك كلها تلقته الملائكة يهتفونه
بالحج وقبول التوبة فقالوا برحمتك يا آدم فداخلة من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا
يا آدم إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألني عام فتقاصرت الى آدم نفسه . وقال أبو العالية : خرج
آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الأرض يبس
ذلك الاكليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند . وقال ابن
عباس رضى الله عنهما زل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في أوديتها وكان أصله
من الجنة فامتلا ما هناك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ربح آدم عايه السلام وريحه
من ربح الجنة وأنزل الله معه الحجر الأسود وكان أشدّ بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام
وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان .

وروى سفيان عن منصور بن معمر عن رجب بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله
ﷺ يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس
وتطايّر بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا
يا رسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل إنما هي دابة تشبه الفزال رعت من ذلك
الشجر فصير الله المسك في سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا
يا رسول الله فأين يقع قال : قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الأرض إلا فيها أرض
الهند وأرض السجدي وأرض التبت قالوا يا رسول الله العنبر إنما هي دابة في البحر قال أجل كانت
هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وماعها فقتلها في
البحر وهي أعظم ما تكون من الدواب غلظها ألف فزاع وإنما ترمى به كما ترمى البقرة أخنأها فرما
يخرج من جوفها الصبرة وزنها ألف رطل وخمسة رطل ونحو ذلك ثم إن آدم وجد ضربانا في رأسه
وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزّل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويصمره
فقال إن في هذه الشجرة شفاء من كل داء إلا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج
الأبيض والأسود والأسفر فقال له إن ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوى

أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء إن بقي في جوفك لم تخف منه وإن خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ.

قال أهل الاخبار إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة جسمه وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك إلى جبريل ، فقال انك تشكو العري فأمر الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه حبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبسا وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت وآدم أول من نسج ولبس الصوف. عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي ؟ فقال رسول الله ﷺ وما حرفتك فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أينما آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم ، وكان جبريل يعلمه رآدم تلميذه ثلاثة أيام وإن الله عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج إليها الأحياء والأموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فإن حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم إلى الجنة . وعن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ عليكم بلباس الصوف يمدون قلة الأكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وإن النظر في الصوف ليورث القلب التفكير والتفكير يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طعمه وكل من قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار قالوا ثم إن آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذي أصابك فقال أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا أجد إلى العبادة منه سبيلا وإني أجد بين لحمي وجلدي ديبا كديب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع . قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك إلى ذلك فعاب عنه ثم جاء بشورين أحمرين والعلاء يعني السندان والمطرقة والنفخة والكلبتين ثم جاء بشر من جهنم فوقع في يد آدم فطارته شرارة فوقعت في البحر فدخل جبريل إليها وأتى بها فدفعا إلى آدم فطارته أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي ﷺ : إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم اني لأطيعك وإني منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انما لمن تطيعك ولكني أسجنها لك ولأولادك ليكون لك ولأولادك فيها النافع فسجنها في الحجر والحديد فذلك قوله تعالى - أفرأيتم النار التي تورون آتتكم - الآية ، وروى أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدي قال لأنك عصيت الله وإني لم أعصه ثم أمره جبريل بأنخاذ آلة الحرق فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فذلك صار للذكر مثل حظ

الأشيين وكان وزن الحبة مائة الفسدرم وثمانين الفسدرم فقال آدم ما أصنع بذلك كله فقال يا آدم خذها
فانه سبب سدجوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا وبها تلقى القتة أنت وأولادك الى أن
تقوم الساعة ثم أمرهم أن يشدوا الثورين ويكسروا الخشب ويضعه عليهما فقل ذلك وجعل يحرق الأرض
عليهما فهو أول من حرث الأرض وبكى الثوران على ما فاتهما من راحات الجنة قطرت دموعهما على
الأرض فنبت منها الجوارس وبلا فبت منه الحص ورثا فبت منه الدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب
حتى كثرت ثم بنرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آ كله فقال لا أصبر حتى يدرك ظمأ
سبيل وأمر فقال آ كله قال لا وعلمه الحصاد فلما صدق آ كله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آ كله
قال لا وعلمه التقي فلما قام قال آ كله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آ كله قال لا وعلمه
السجن وقال إن آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمره جبريل أن يثب الخالة في الأرض المستحدة
فبت فيها الشجر فلما نحن قال آ كله قال لا فأمره أن يحفر حفرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها ناراً فقل
ذلك ثم وضع عيته عليه فخبز حتى جعل خبزاً فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آ كله قال لا حتى يبرد فلما برد
آ كله فلما آ كله سمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا الصب والنصب قال هذا وعد الله الذي وعدك فذلك قوله
تعالى - إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجتك من الجنة فتشقى - أما أنك أن تأكل من كد يمينك وعرق
جبينك أنت وفريتك فلما استوفى آدم من الطعام شك من بطنه ولم يدرك ما هو فشكل ذلك الى جبريل عليه السلام
فقال ذلك العشى قال فبم أسكنه فتاب عنه ثم عاد اليه ومعه العول وقال له احرث الأرض فما زال يحفر حتى بلغ
المركبته فنبع الماس من تحت رجليه ماء زلالاً أبر من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه
شربة فحربها فاطمان ثم آه بذلك وجد تشكياً أشد من الأول والثاني قال لجبريل ما هذا الذي أجده قال لا
أدرى فبعت الله اليه ملكاً ففتق قلبه ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما أذاق ووجد ربحه
يكن على ذلك سبعين سنة قالوا لما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد ثابت على الجبل فقال
هذا من هذا فجعل يكسر بأشجار فدمعت ويد فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شيء ضرب
منه مديفة فكان يعمل بها ثم ضرب التور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي طار بالعباب
بالهند . قالوا لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فقلبك
يقى الذهب لا يبل بالرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الأرض ولا تأكله النار لأنه من الجنة حمل .
فيل إن الله تعالى زود آدم حين أهبطه إلى الأرض من الثمار ثلاثين نوعاً عشرة منها في القشور
وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى ، فأما التي هي في القشور فالجوز واللوز والتستق والبندق
والخشخاش والبلوط والشاء بلوط والتارنج والرمون واللوز ، وأما التي لها نوى فالخوخ والشمش
والإجاص والتاب والقرسك والرطب والتمر والنبق والزعزور والقل ، وأما التي لا حبر لها ولا
نوى فالنخاع والتمرجل والكشمري والنب والتوت والتين والأرج والحروب والخيار والبطيخ .

وقال ابن جريج : أعطى الله تعالى آدم عليه السلام ومنه آفة فيها بزر جرشة من لحمه وورعته
فخرج من آدم العرش ، فاستطاعت جاء إبليس فخرق فورها فقال له آدم وملك أخرجه من الجنة ولا تريد
أن تجعل رزقا قال له ان لي فيها حقا قال وملكك قال فشرها ولكم سائرها ،
وقال ابن عباس : جعل آدم من الجنة ثلاثا لحياء الآمة وهي سيدة ورضيع الدنيا وبالشبهة وهي
طعام أهل الدنيا والسجدة وهي سيدة عار الدنيا ،
وروى ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي ﷺ أن قال : ان السجدة من غراس الجنة
وقها عتقا ، وانها تروى أول الشجرة وعليكم بالقر البزري فكلوه فانه يسلخ في بطنه ويستغفر
لكم ،
وقال ابن عباس : لما بطن آدم إلى الأرض كان أول شيء أكله من الفواكه التين ، وقال كعب بن أول
من شرب الدنار والعرم آدم ، وقال لاصالح العيشة الا بها ، وقال وهب بن منبه ان آدم لما أعطى إلى
الأرض ورأى شجرها ولم يربها أحدا غيره ، قال يلرب أنا لأرضك حسنة من حمار يربها ويملكك
ويقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من وملك من تسلي و محمد بن وهب بن عيسى وسأجعل فيها رزقا
فرح بك ترى وتسبح فيها خلقي ويد كثر فيها اسمي وسأجعل من وملك من صدق بحق عبادي
وسأجل من تلك الميوت يتا الخصم بكراني وأورثه باسني وأعجبه بيني وأطلقه بمظني وعليه وضعت
جلالي وأجل ذلك اليك حرما أنا يحرم بحرمة ما حوله وما فوقه وما تحته من حرمة بحرمة استوجب
بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد خطر حقني وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي ،
وسأجل هذا اليك أول بيت وضع للناس يطين مكة مباركا بأوته فضا غبرا - وحلى كل صائم يأمن
من كل فح عيب - يرجون بالتيسر جيبا ويضجون بالبكاء ضجيجا وسجون بالتكبير عجبيا ، فمن أحمره
لا يرغمه لقدود إلى ووارثي واستغاثي غثي على الكريم أن يكرم وقد وأضيافه وأن يسهف فلا
يحاجته ، يا آدم تمره ماددت حياتك لتمره الأمن واقرون والأبناء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد
قرن ، ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة كالقمر بثمان
من عرة قرينة بجملة ثم أخذ عليهم اللثاق وكلهم - وكان السبت بركم قالوا بن فهدنا أن تحولوا يوم
القيامة انا كنا من هذا العالمين - وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن خلق الآية فقال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : ان الله خلق آدم ومسح ظهره فانه يخرج منه نسمة هو خالقها هؤلاء الجنة
وبمثل أهل الجنة يملكون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء النار وبمثل أهل النار
يملكون ، فقال رجل يا رسول الله فمخ الخلق ؟ قال : ان الله تعالى اذا خلق العبد الخبيث اختصه بمثل
أهل الجنة فيدخل الجنة ولما خلق العبد النال استعمله بمثل أهل النار حتى يقول على فذلك فهو
في أهل النار ،
وقالوا من منبه لرحمته الله : أوحى الله إلى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في

أربع لك واحدة في واحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فأما التي
لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه ، وأما التي بيني
وبينك فلك العناء ومنى الإحباط ، وأما التي بينك وبين الناس فإن رمي لهم عارض لشكك قال آدم
يا رب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف معاني التسبيح في أيام الغيبة ،
فأهبط الله تعالى إليه ليكفأه بعد أصوات اللائكة بالتسبيح فهو أول داعي أن يخطئ لكم من الخلق ،
فكان الديك إذا سمع التسبيح في السماء سبح في الأرض فيسبح لكم بتسبيحه ، وأما التي بيني وبينكم
وروي أن الله تعالى أوحى إلى آدم لما أراد أن يهبط إلى الأرض : يا آدم اني منزل إليك أنت وفرتك
دارا مبنية على أربع قواعد ، أما الأولى فاني أقطع ما صلون ، وأما الثانية فاني أفرق ما يجمعون . وأما
الثالثة فاني أحرب ما يبنون ، والرابعة أميت ما يملكون ولذلك قيل :
لما لموتوا بنوا الخراب وكلوا بغير إلى الخراب

الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله إلى الأرض وحاله فيها بعد اللعنة
قال الله تعالى : قال اهبطوا منهاكم لبعث عدوكم الآية ، وروى الشيخان
عن أبي بصير عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما نزل الله على
إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت مع إسماعيل وإسحاق عليهما السلام قال : يا إبراهيم انظر إلى
الذي أمرت الله أن يبعث لي من السماء جنيا فقال إبراهيم : يا رب اني أخشى أن يفتنني
والذي أمرت الله أن يبعث لي من السماء جنيا فقال إبراهيم : يا رب اني أخشى أن يفتنني
والذي أمرت الله أن يبعث لي من السماء جنيا فقال إبراهيم : يا رب اني أخشى أن يفتنني

وروي عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير : أن إبليس قال يا رب أخرجني من
الجنة من أجل آدم وإني لأستطيعه إلا بسطائك قال فإنيك منشط عليه قال يا رب زدني ، قال لا يؤدله
ولا يؤدله ولا يؤدله قال يا رب زدني . قال مددوهم من أكن لك وتجرى منهم مجرى الدم . قال يا رب
مادوني . قال - وأجلب عليهم عيك وزجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدم وما يندم الشيطان
في أعوروا - قال آدم يا رب قد سقطت علي وإني لأسمع منه إلا بك . قال لا يؤدلك وقد أوكلت به من
لحم حمة من كرماء السوء . قال يا رب زدني قال الجنة بشر أمعاء وأولادها ، والسنة بجلها واحدة
وأخوها . قال يا رب زدني قال - قل يا عبادي الذين أشركوا على أنفسهم لا تعصوا من رجم الله - الآية .
قال يا رب زدني قال التوبة لا ترفعها من وذلك ما كانت الروح فهم . قال يا رب زدني قال أخر
لها أباي قال حيي .

وروي أن إبليس قال يا رب لفتني وأخرجني من الجنة وعلقت عيظا ناريا مني وما
أستغفرك ولا أستغفرك في بي آدم الرسل وأوتيت عليهم الكتب فمارسني قال الكفة قال لا حكمي قال
فأمرهم قال لا حكمي قال لحديثك الكتاب قال فاقول لهم قال قرأتك الشعر قال فامودني قال فامودني

للزمار قال لها مسجدي قال مسجدك السوق قال فابقي قال بيتك الحمام قال فاطماني قال طمايك ما لم يذكر اسمي عليه قال فاشترابي قال شرا بك كل مسكر قال لها مصايدى قال مصايدك النساء .

وروى مقاتل وجوز عن الضحاك عن ابن عباس أن إبليس لما خرج من الجنة التي أنعم عليه الحرقة والطفة فنكح خمسة فإخرا أربع فضلت منها ذرية :

وروى اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق : بنى أن إبليس تزوج الحية التي دخل في قبا حين كأم آدم عليه السلام بعدما أخرج من الجنة فمما ذرته .

الباب الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراى له إبليس فرآه عيانا وكله شفاها

يروى أن آدم أتى إبليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملون أي شيء هذا الذي أحلت في غررتي وأخرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت . قال فبكى إبليس وقال يا آدم أتى فعلت بك ما تقول وأزلتلك ههنا للزفة فمن فعل بي ما أنا فيه وأحلني ههنا للزفة .

وروى : أن إبليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام ، فأنكره فرعون فقال له إبليس وعلم ما تعرفني ؟ قال لا قال : فكيف وأنت خففتي ألت القاتل أنا ربكم الأعلى .

وروى : أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأله إبليس فقال أتى الأعمال أحب إليك وأبض إلى الله تعالى فقال لو لا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك إنى لست أعلم شيئا أحب إلى وأبض إلى الله تعالى من استثناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة .

وروى عن النبي ﷺ أن قال : ملئن آدمى إلا وقد عمل خطيئة أو ملئ بها إبليس بن زكريا فإنه ما عمل خطيئة ولا ملئ بها ، وقد قال رب أرني إبليس كما هو وأعز عليه أن لا يكتمني شيئا سأله عنه فأوحى الله تعالى إلى إبليس أن أت عبدى عبي بن زكريا كما هبطت إلى الأرض ولا تسكته شيئا يسألك عنه ، فأناه وقال يا عبي أنا إبليس أمر فردي أن أت بك كما هبطت إلى الأرض ، فنظر إليه عبي فاذا طر رأسه خطاطيف تطير وحفواه محفوفتان بأ كوار كور ههنا وكور ههنا وفي رجله خلاخيل فقال ملئهم الخطاطيف التي تطير على رأسك قلبها أخطف عقول بني آدم ، قال ملئهم الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها لبني آدم حتى يرضى أو يرضيه قال فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر قال حين يتملئ شيا وربا قال فهل وجدت في شيء شيئا قال لا ولا طر حال قال نعم قدم إليك طمايك ذات لينة وكنت قد صنت نفسيه إليك حتى أكلت أكثر من مادتك فتأملت عن وردك وعادتك ، قال عبي لاجرم لا أصبح أبدا قال إبليس لاجرم لا أصبح آدميا أبدا .

وقيل لما مات رسول الله ﷺ وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا للوضع قال ابن عباس قال طر بن أنى طالب رضى الله عنه لما وشته ﷺ على التمسك إذا بهاتف بهاتف من زاوية البيت يابل لا يسموا محمدا فاستطاع مظهر قال فوقع في قلب من ذلك شيء وقت . وذلك من أنت فان النبي ﷺ

أمرنا بهذا وهذه سنته وإذا بها تف آخر يهتف بأعلى صوته غسلة ياعلى فان الماتف الأول كان الشيطان حسد محمدا ﷺ أن يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتني أن ذلك إبليس فمن أنت؟ قال أنا الحضر حضرت جنازة محمد ﷺ .

وعنكى : أن قوما من بني اسرائيل تراءى لهم إبليس فقالوا له قف موقفا كنت تنفقه بين يدي الله تعالى حسبا كنت تنف قبل أن عصيت ربك فقال إنكم لا تطيقون رؤية ذلك فألحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا إليه وإلى خشوعه وخضوعه ماتوا عن آخرهم .

ويروى : أن رجلا كان يلعب إبليس كل يوم ألف مرة فيبناه وذات يوم نام إذا ناه شخص فأيقظه وقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذى أشفت على هذه الشقة فقال له أنا إبليس فقال كيف لهذا وأنا أملك كل يوم ألف مرة فقال هذا لما علت من عمل الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون منهم فتال معهم ما يبالون .

الباب التاسع فى قصة قاييل وهابيل

قال الله تعالى - واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا - إلى آخر القصة . قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين إن حواء كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية إلا شيئا فاتها ولدت منفردا وكان جميع من ولدت حواء أربعين من ذكر وأثنى فى عشرين بطنا أولهم قاييل وتوأمته إقلا وأخرم عبد اللعيث وتوأمته أمه اللعيث ، ثم كثر الله فى نسل آدم كما قال - يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة - الآية .

قال ابن عباس : لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولده لولده أربعين ألفا ، ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والقساد . واختلف العلماء فى وقت مولد قاييل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قاييل وتوأمته إقلا فى بطن ، ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد .

وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : إن آدم كان ينشئ حواء فى الجنة قبل أن تهبط إلى الأرض فحملت له قاييل وتوأمته فلم تجد عليهما حاما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتها ولم تر معهما ابدا لطهارة لبنة ، فلما هبطا إلى الأرض واطمأننا بها تشابها فحملت - إيل توأمته لبودا فوجدت فيهما الرحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر ، وكان الرجل منهم يزوج أى أخواته إيل توأمته التى ولدت معه فاتها لا تحمل له وذلك أنهم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء . فلما ولد قاييل وتوأمته إقلا فى بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وكان بينهما سنتان فى قول الكلبي وأدركوا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قاييل وينكح هابيل إقلا أخت قاييل ، وكانت أخت قاييل

من أحسن النساء وأحسن خلقا ، فذكر آدم ذلك لولده هابيل فرضي وسخط قابيل وقال هي
أختي وليت معي في بطن وهي أحسن من أخت هابيل فأتا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وبها من
أولاد الأرض فأتا أحق بأختي ، فقال له أبوه إنها لأختك ، فأبى أن يقبل ذلك منه وقال إن الله تعالى
لم يأمره بذلك وإنما هو من رأيي ، فقال لهما آدم : قريا قربانا فأبى قبل قربانه فهو أحق بها .
وقال معاوية بن عمار : سألت جفرا الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنته ؟ فقال معاذ الله
فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله ﷺ ولا كان دين آدم إلا دين نبينا محمد ﷺ ، إن الله
تعالى أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما وولد له بنت فبناها عناق فبنت وهي أول من بنى
في الأرض ، فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل ، فلما أدرك قابيل
أظهر الله تعالى جنة من الجن قال لما عمالة في صورة إنسية وخلق لها رحما وأوحى الله إلى آدم
أن زوجها من قابيل فزوجها منه ، فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم وحواء في صورة إنسية وخلق
الله لها رحما وكان اسمها تركة ، فلما نظر إليها هابيل ورمقها أوحى الله إلى آدم أن زوجها من هابيل
ففعل ، قال قابيل يابئ أأنت أكبر من أختي وأخلق بما فعلت به منه ، قال يابئ إن الفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء ، فقال لا وليك أكرهه على بهواه فقال له إن كنت تريد أن تعلم ذلك قربا
قربانا فأبى قبل قربانه فهو أولى بها مني صاحبه ، قالوا وكانت القريتين حينئذ إذا قبلت نزلت
نار من السماء فأكلتها وإذا لم تحبل لم تنزل نار لأكلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل
صالحا وزرع قصب خبيرة من اللطام من أرض زرعها وأضمر في نفسه ما أبى أن يقبل من أم لا لا يتزوج
أختي أبدا ، وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فحسبها من خيار ماشيته ولينا وزيدا وأضمر
في نفسه الرضا بالله والتسليم لأمره ، وقال اسمعيل بن رافع إن هابيل سجع له كبش في غنمه فلما كبر لم
يمكن له مال أحب إليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقران قربه . قال فوضعا قربانهما على
الحبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لأنه لم يكن
بزاكي القلب ، وقبل قربان هابيل لأنه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فني به
ابن إبراهيم ففعل قوله تعالى : فقتل من أحدهما ولم يقتل من الآخر ، إلى قوله : من المؤمنين -
فقالوا عن الجبل وتمرثوا وقد غضب قابيل لما رآه قربانه ، وظهر فيه الحسد والبغى وكان يضمرها
قبل ذلك في نفسه إلى أن أتى آدم مكة ليؤمر البيت . فلما أراد أن يأتي مكة قال للنساء : احفظي
ولدي بالأمانة فأبى ، فقال ذلك للأرض والجبال فأبى ، فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك ، فرجع
آدم ووقف قتل قابيل هابيل ففعل قوله تعالى : إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال
فأبى أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - يعني قابيل حين حمل أمانة
أبيه ثم جاءه قالوا ، فلما ظهر آدم أتى قابيل إلى هابيل وهو في غنمه ، فقال لأختك قال ولم ؟ قال
لأن إقتلته قربانك ولم يقبل قرباني وتكبح أختي الحساء وأنكبح أختك الدميعة فتحدث الناس

أنك خير مني وأفضل ويفتقر ولدك علي ولدي ، فقال له هايل وماذا في انما يقول الله من التقيين
 لن بسطت الي يدي لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين .
 قال عباده بن عمر إن القتل كان أمداً ولكنه منعه الترحم أن يبسط إلى أخيه يده . قال
 الله تعالى - فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله - الآية أي طاوعت وساعدته فقتله . قال السدي لا قصد
 قاتيل قتل هايل زاح هايل في زرع الجبال ، ثم أتاه يومئذ الأيام وهو قائم فرفع صخرة فشدخ
 بها رأسه فمات . وقال ابن جرير - يتر قاتيل كيف يقتل أخاه - فقتل له إبليس وأخذ طيرا فوضع
 رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لمايل يوم قتل عشرون سنة . واختلفوا في مصرعه
 وموضع قتله فقال ابن عباس علي جبل ثور وقال بعضهم على عقبة جراء . وحكي محمد بن جرير
 الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الأعظم ، فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لأنه
 كان أول ميت على وجه لأرض من بني آدم ، فقصده السباع فحملته في جراب على ظهره سنة حتى تروح
 وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمى به فتأكله ، فبعت الله غرائقه فقتلوا قاتل أحدها
 صاحبه ، ثم حفر له حفرة ورجليه حتى تمكن له في الأرض ثم ألقاه في الحفرة وولاه وقايل ينظر
 اليه ، فلما رأى ذلك - قال يا ولي أنجزت أن أكون مثلك هذا للعراب فأوراني سواة حتى فأصبح
 من النادمين - يعني على جملة لا على قتله . وروى عن الأوزاعي قال حدثني اللطيف بن عبد الله الخزرجي
 قتل ابن آدم أخاه ورضخت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض جمعه كما تشرب الماء . فناداه
 الله أين أخوك هايل ؟ قال ما أدرى ما كنت عليه رقية ؟ فقال الله تعالى إن دم أخيك لينادي من
 الأرض فلم تلت أخاك قال فأي دم إن كنت قتله ؟ فعزوم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب
 دما بعده أبدا .

وعن السجستاني عن ابن عباس قال : لما قتل قاتيل هايل وآدم بحكمة اشتراك الشجر ، وتغيرت
 الأرض ، وتغيرت السموات ، وتغيرت الأرض ، فقال آدم قد حدثني الأرض حدث ، فأتاني
 المجد فأتاني قد قتل هايل فأتاني يقول وهو أول شجر قاتل . فوجه الأرض فغير قبيح .
 وروى عن ابن عباس أنه قال : من قال إن آدم قتل الشجر فقد كتب علي الله ورسوله وروى
 آدم بالناس ، وإن محمد بن علي والأغنياء كلهم في النبي عن منبر سواه قال الله تعالى - وما علمناه
 الشجر وما ينسب له - ولكن لما قتل قاتيل هايل وآدم وهو شجراني وإنما يقول الشجر من تكلم
 بالعربية . فلما قال آدم مراتبه في ابنه هايل وهو أول شهيد على وجه الأرض قال آدم لعنيت يا بني
 إنك ومسي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس ، فلم يزل يقول حتى وصل إلى يعرب بن قطن بن
 هو عليه السلام ، وكان يحكم بالشريفة والعربية وهو أول من ركب الحيل وعشكم بالعربية وقال

الشمر فنظر في الرثية فاذا هو سجع فقال إن هذا يقوم شعرا ، فردّ للقسم إلى المؤخر والمؤخر
إلى القسم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرقا من ذلك قال :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرّ قبيح
تغير كلّ ذى طم ولون وقل بشاشة الوجه الصيبح
وقايل أذاق الموت هابيل فواحرنا لقد قد للليح
ومالي لأجود يسكب دمع وهابيل قضمه الضريح
وجاءت شعة ولها رنين لهايلها وقابلها صيبح
قتل ابن النبي بغير جرم قلبي عند قتله جرم
وجاورنا لعين ليس يفي عدو لا يموت فنتريخ
وقالت حواء :

مع الشكوى قد هلكا جميعا بموت ليس بالثمن الريح
وما يفي البكاء عن البواكي إنا ما للرء غيب في الضريح
فأبك النفس وانزل عن هواها فلت غلدا بعد الديح
فأجابهما إبليس لعنه الله شامتا بهما :

تج عن البلاد وساكنها ففي الجنات ضاق بك القسيح
وكنيت بها وزوجك في دماء وقلبك من أذى الدنيا مريح
لما زالت مكابدي ومكرى إلى أن فاكك الثمن الريح
قلولا رحمة الجبل أضحى بكفك من جنان الخلد ريح

وقال سالم بن الجعد : لما قتل قاييل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ، ثم أتى قبيح لهياك
الله وأضحكك ولا أبكأك . قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قاييل هابيل
بخمسة سنين ولد له شيث وتسميه هبة الله يعني أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار
وعبادة الخلق في كل ساعة منها ، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم ووليّ عهده ، وأما
قاييل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فرعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ يبدأخته إقبالا وذهب بها إلى
عدن من أرض اليمن ، فأتى إليه إبليس وقال له إنما أكلت النار قربان أخيك لأنه كان يخدم النار
ومبديها فأنصب أيضا أنت نارا تكون لك ولتقبح فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها ،
قال وكان لا يمر بواحد من ولده إلا رماه ، وكان لقاييل ولد أعمى ومعه ابن له ، فقال ابن الأعمى لأبيه
هنا أبوك قاييل فرمى الأعمى أباه قاييل فقتله قال : فقال ابن الأعمى إته أبوك فرغ يده فطمه ثبات ،
قال الأعمى ويل لي قتل أبي برميّ وقتلت ابني بلطمق . قال مجاهد فطقت إحدى يدي قاييل إلى
نخنها وساقها وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهت إلى الشمس حيث دارت وعليه في الصيف

حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج . قالوا واتخذوا ولاد قاييل آلات اللهو من أنواع الطبول وللزماير والطناير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والأوثان والتواحي حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبق نسل شيث عليه السلام والله اعلم .

الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الأخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى إلى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها إلى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قاييل لأن قاييل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خسه آدم بتزويج أخته إقليا ، فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خسه آدم بالعلم ، فأخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قاييل وولده علم يتصفون به .

روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يمرضهم على آدم ، فإذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور؟ قال هؤلاء الأنبياء والرسول وإذا فيهم رجل يزهو وهو أضواء نور ، فقال يارب من هذا؟ قال ذلك داود ، فقال يارب كم عمره؟ قال ستون سنة ، قال يارب زدني عمره ، قال لا إلا أن تزيد أنت من عمره فزدجف اقله بأعمار بني آدم وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة ، فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء إليه ملك للموت ليقبضه ، فقال آدم عجبت على ياملك للموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت أجلك ، قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة ، قال إنك قد وهبتها لابنك داود ، قال ما فعلت ولا وهبت له شيئا ، فأنزله الله الكتاب وأقام للملائكة شهودا ، ثم إن الله أكل لآدم لافسنة وأكل لداود مائة سنة . قال رسول الله ﷺ نسي آدم فسيت ذريته وجدف فجدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ .

قال ابن اسحق وغيره : ثم إن آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لأمر من الرحمن فدفعته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض وكسفت عليه الشمس والشمس ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله إليه مجنوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفعه فسلته بالسدر والماء وترا ، وكفنوه في ثلاثة نياح ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هنمسة ولد آدم من بعده . قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم ، فقال لجبريل تقدم أنت فصل على أليك فصل عليه وكبر ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فهي تحصيل لآدم . وقد اختلف في موضع قبره ، فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قيس وهو غار يقال له القار الكبير .

وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال : مات آدم على جبل نود بالمهندوق قال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة ، فلما خرج من السفينة دفن آدم بيت المقدس ، وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ، ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله اعلم .

باب في الخصائص التي خلق الله بها آدم عليه السلام
قال الأستاذ : خلق الله آدم يديم ويقع فيه من روحه وجهه جامعة خلقه ، في أحسن صورة
وأتم عليه فقال عز من قائل - والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا
الإنسان في أحسن تقويم - ولقنه الحد حين عطس ، ثم قال له رحمك ربك ، فسبقت له رحمة
خصه وأسكنه مد خلقه الجنة بلا عمل ، وأباح له جميع الجنة إلا شجرة واحدة ، وعطه الأسماء
كلها ، وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين ، وجهه أبا البشر وجهه خليفة في الأرض ،
وعرف للملائكة فضله عليهم ، ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته ، وعاب للملائكة بسببه
وهو أول حامد وأول تائب وأول مجبي وأول مسطفي وأول خليفة لله في الأرض ، وهو المميز
للأرواح الحية من الطينة وهو الباعث يوم القيامة بمثل النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصه
من خصائصه ^{عليه السلام} وشربوا كرمه وأقام علمه .

مجلس في ذكر النبي إدريس عليه السلام
قال الله تعالى - وإذا ذكر في الكتاب إدريس إيمانه كان صدقا نبيا - قال أهل العلم بأخبار الماضين
وقصص النبيين : هو إدريس بن زهره وقيل ياريد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه
أخوخ وأسمى إدريس لسكرته ودرجه السكينة وصحب آدم وشيث وأمه أشوت وكان إدريس أول من
خط بالقلم ، وأول من خط الثياب وليس الخيط ، وأول من نظر في علم النجوم والحساب بمشيئة الله إلى
ولد قاييل ثم رفته إلى السماء وكان يسير رفته إلى السماء على ما قاله ابن عباس وأكثر الناس أنسار ذات
يوم فأعياه وهج الشمس فقال يارب إني عشتيت في الشمس يومافأذيت فكيف بمن عملها خمسمائة عام
في يوم واحد . اللهم خفف عنه تحملها واحمل عنه غيرها ، فلما أصبح الملك وجده من خفة الشمس وحرها
ملا يعرف فقال يارب خفف عني حر الشمس فاجل الذي قضيت علي فيه ، قال تعالى إن عددي إدريس
سأكني أن أخفف عنك تحملها وسرها فأجيت إلى ذلك : فقال يارب اجمع بيني وبينه واجل بيني وبينه خفة
فأذن الله له فكان إدريس يسأله وكان عليه أن قال أخبرتك أنك أكرم للملائكة على ملك اللوت
وأكرمكم عنده فاشفعوا له إلى أبو خراجل فأذنوا شكره وعبادته فقال الملك - لا يؤخر الله نصرا إذا جاء
أجلها - قال قد علمت ذلك ولكنك أطيع نفسك فقال أنامكم الله وما كان يستطيع أن يفعل لأجد
من بني آدم فهو فاعله لك ثم جعل الملك على جناحه نحر رفته إلى السماء ووضع عند مطلع الشمس ثم أتى
إلى ملك اللوت فقال له إلى اليك حاجة فقال له أقبل لك كل شيء أستطيعه فقال لي صديق من بني آدم تنفعني
اليك لتؤخر أجله فقال إيس ذلك إلى وليكن إن أحببت أعلته أجله ومتى عوت فيتقدم في نفسه قال نعم
نظر في ديوانه فأعبر عما به وقال إنك كلفني في إنسان ما أراهم عوت أبدا قال وكيف ذلك قال إني لأجد

موت عند مطلع الشمس ، قال فاني أبيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات
واللهما بقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجد ميتا . قال وهب كان رفع له كل يوم من العبادة مثل
ما يرفع لأهل الأرض جميعهم فزمانه فصعبت منه اللائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله في
زيارته فأذن له فأثناء في صورة بني آدم وكان إدريس بصوم البحر فلما كان وقت إبطاره دنا به إلى طعامه
فأبى أن يأكل وقبل ذلك ثلاث ليال فأكبره وقال له في الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك
الموت المستأذن من أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك فقال له إدريس لي اليك حاجة قال وما هي ؟
قال قم روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقض روحه قبض روحه ثم ردها اعليه بمساحة فقال له
ملك الموت لما سألتك في سؤالك قم روحى قال لأذوق كرب الموت وعمه فأكون له أشد استعدادا
ثم قال له لي اليك حاجة أخرى قال وبمهي قال ترضى الى السماء لأنظر اليها والى الجنة فأذن له في ذلك فلما
قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لي أبواب النار حتى أردها فقبل
ذلك ثم قال فكما أرى النار فأرى الجنة فذهب به الى الجنة فاستسجها ففتحت له أبوابها فدخلها
فقال له ملك الموت أخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما
بينهما فقال له الملك مالكا لا أخرج قال لأن الله تعالى قال - كل نفس ذائقة الموت - وقد ذقه وقال تعالى -
وإن منكم إلا واردها - وقد وردتها وقال تعالى - وما من منى بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى
ملك الموت ذعه فانه بأذى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك فتارة بعد الله في السماء الرابعة
وتارة ينتم في الجنة ، والله أعلم .

قصة هاروت وماروت

قال الله تعالى - واتبعوا ما اتواكم به من الخير . قال أهل التفسير : ان الشياطين
كتبوا السحر والتمائم على لسان آدم في مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آدم بن برحق سليمان
الملك ثم دفعوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس
ما فعلكم سليمان إلا هذه . قال السدي وذلك أن شيطانا عمل على صورة إفسان فأتى نغرا من بني
إسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا يفد أبدا قالوا نعم قال فاحضروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم
فأرسلهم إلى كنز وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكي ههنا فان لم تعبدوا فاقولوني ذلك أنتم يكن أحد
من الشياطين يدب من الكرسى إلا احترق فحضروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان
ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فأبلى علماء بني
إسرائيل وصالحوهم فقالوا لماذا الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما
الجهل والسفه فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فأنزل الله هذه الآية لإظهار العلم سليمان
ويعلموا به فلهذه قصة الآية .

وأما قصة هاروت وماروت

قال القسرون : إن الملائكة للرأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الحبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن إدريس النبي عليه السلام عيروم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء في الأرض واخترتهم فهم يصونك قال تعالى لو أنزلناكم إلى الأرض وركبت فيكم ملركبت فيهم قطعتم مثل ما نميلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا أن ننصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدم قال السكبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختروا عزا وهو هاروت وعزيا وهو ماروت وعزرائيل وأما غير اسميهما لما اقرقا الدب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر . فأما عزرائيل فأملا وقت الشهوة في قلبه استقلد به وسأله أن يرضه إلى السماء فأقله ورضه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطأ رأسه حياء من الله تعالى ، وأما الآخرا فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسا ذكر اسم الله تعالى الأعظم وصعدا إلى السماء . قال قتادة فامر عليهما شهر حتى اقتتا وذلك أنه اختص اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء . قال طي رضي الله عنه كانت من أجمل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذت يقرهما فراوداها عن نفسها فارت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني فعلا مثل ذلك فقالت لا إن أن تعبدما أعبد وتصليا لهذا الصنم وقتلا النفس وتشريا الخمر فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء فان الله قد هاننا عنها فاصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من ليل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنياها فرأهما إنسان قتلته . قال الزبيد ابن أنس وسجنا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا ، وقال طي رضي الله عنه والسدي والسكبي إنها قالت لا تدركاني حتى تملأني القذى تصعدان إلى السماء فقالا نصد باسم الله الأعظم فقالت فما أتتا بعدركي حتى تملأني قال أحدهما لصاحبه عليها فقال إني أخاف الله فقال الآخر فإين رحمة الله تعالى فعلماهما ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا . قال الأستاذ فلي قول هؤلاء هي الزهرة بينها وقال آخرون هي هذا الكوكب الأحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقطبية بادخت ، يدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به يحيى بن إسحاق بإسناده عن طي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي ﷺ إذا رأى سيلا قال لمن الله سيلا إنه كان عشرا باليمن ولعن الله الزهرة فأنها قتلت ملكين هاروت وماروت .

قال مجاهد : كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي أرمق الكوكب بيني الزهرة فاذا طلعت فأقطن

فلما طلعت أيقظته فلما نظر إليها سها سباحة ديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيما فقال ان هذه كانت بيا فلقى لللكان منها ماتيا وكذلك قال ابن عباس ، وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من النكوا كب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى - فلا أقسم بالحنس الجوار الكنس - وإنما كانت التي فتت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجملها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر تلك المرأة للواقعة لهذا الاسم فنعها وكذلك سئل المثار كان رجلا فلما رأى رسول الله ﷺ هذا النجم للوافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه ، يدل عليه ماروي قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر النكوا كب فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الله سبحانه بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أن يجتهدا فلما مابل بهما قصدا إلى ادريس عليه السلام فأخبره بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله تعالى وقال له إنا رأيناك يصعدك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لأنه ينقطع فهما يابل يذنبان .

واختلف العلماء في كيفية عذابهما : فقال ابن مسعود هما معلقان بشعرهما إلى قيام الساعة . وقال مقاتل كبلان أقدمهما إلى أصول أنفسهما . وقال مجاهد ملء جب نارا فجلا فيه وقال عمرو بن سعيد هما معلقان من مكان في السلاسل يضربان بسيات الحديد .

وروي أن رجلا قصدها لطم السحر فوجدتها معلقين بأرجلها مزرقة أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهما وبين اللسان إلا أربعة أصابع وهما يذنبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا إله الا الله فلما سمعا كلامه قال لا إله الا الله من أنت قال رجل من الناس قال له ومن أي أمم أنت قال من أمة محمد ﷺ قال أوبيت محمد ﷺ قال نعم فحمد الله تعالى وأظمرا الاستبشار فقال الرجل وما استبشار كما قال انه في الساعة وقد دنا انضاء عذابنا .

وروي هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتهى رسول الله ﷺ بدموعه تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر وما فعل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أخي فرائتها تبكي حين لم يجد رسول الله ﷺ فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت إني لا أخاف أن أكون مدهلكت ثم قالت كن لي زوج فلب عن فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما أمرك به جلته يأتبك فلما كان الليل جاءته بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقعا يابل وإذا برجلين معلقين بأرجلها قتالا ماجاء بك فقلت أطم السحر قتالا إنا نحن فتة فلا تكلمني فارجى من حيث أتيت فقلت لا قتالا فاذبحي إلى ذلك التور فبول في فيه فذهبت لأبول فزعرت فلم أقبل فزعرت قتالا فقلت قلت نعم قتال هل رأيت شيئا فقلت لم أر شيئا قتالا لم تفعل شيئا فارجى إلى الله ولا تكلمني فأبكت قتالا فاذبحي إلى ذلك التور فبول في فيه فذهبت فاقشعر جلدى وخت

ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت قبالا مارأيت قلت لم أرى شيئا فلا كذبت لم تفعلني فأرجعي إلى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فقلت لا قبالا لي أذهبي إلى ذلك الثور فبول في فيه ففتعبت إليه فبكت فيه فأرأيت فأرسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما أراه ففتعبتا ؟ فقلت قد فعلت قبالا فأرأيت قلت رأيت فأرسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم أراه قبالا صدقت ذلك إيمانك خرج منك فأذهبي . فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئا ولا قبالا لي شيئا قبالا لا تريدن شيئا الا كان ، خذي هذا الصبح فابكره ففدرة ثم قلت لا اطلع قطع فقلت له اخمد فقص فقلت له اهرك ففرك ثم قلت انطعن فطعن ثم قلت اغبر فغبر فلما رأته أن لا أبر شيئا إلا كان سقط في يدي فخرجت ونمت وأيقظني أم المؤمنين فاصفدت شيئا قط ولا أظنه أبدا .

قال الأوزاعي يفتني أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار فقال إن الله تعالى أمرها فأوقد عليها ألف عام حتى احترت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ خمرها ولا يحمدها والهي بشك بالحق لو أن ذوبا من نبات أهل النار ظهر لأهل الأرض لما نوا جميعا ولو أن ذوبا من شراها صب في ماء الأرض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال أهل الأرض جميعا لانت وما استقلت ولو أن رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الأرض من نين ربح ونشوه خلقه وعظمه فبكي النبي ﷺ وبكى جبريل لسكته وقال أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكي وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه قال أخاف أن أتبكي بما أتتني به عاروت وما روت فهذا الذي معنى من أتتني على منزلي عند ربي فأكون قد أنتمكره فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد أسكن من غضبه فلا يذبكما وإن فضل محمد ﷺ على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة .

مجلس في قصة نوح عليه السلام

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام - وأتل عليهم نبأ نوح - الآية وهو نوح بن لك بن منوخلع بن أخنوخ بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قيثوش بنت واكيل وقبل بنت كايل بن محوثل بن أخنوخ أرسله الله تعالى إلى قوم قاييل ومن تابعهم من ولد شيث . قال ابن عباس : وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباغة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباغة وفي الرجال دمامة وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجره منه وكان ظليمة وأخذ إبليس نبيضا مثل الذي يرميه الرعاة فجاءته بصوت لم يسمع الناس منه فبلغ ذلك من حوكم فقوم فقتلوا إبليس وأخذوه حينما يجتمعون إليه في السنة فتبرج النساء للرجال والرجال من أهل الجبل هم عليهم

في السماء ثلاثين ذراعاً والذراع إلى النكسب هنا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحاً صنعة
الفلك وكان نوح يقطع الخشب وضرب الحديد ويهيئ عثة الفلك من القار وغيره وكان قومه
يمرون عليه وهو في عمله فيسخررون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ثم يقولون ألا
ترى إلى هذا المجنون يتخذ بيتاً يسير به على الماء وضحكوا منه وذلك قوله تعالى - وصنع الفلك
وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه - فيقول نوح : إن تستخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرن فسوف تعلمون من يأتيه عذاب عجزه وعمل عليه عذاب مقيم - وأوحى الله تعالى إلى نوح أن
يحمل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني فاستأجر نوح أجراً يعملون معه وأولاده سام
وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستائة ذراع وستون ذراعاً وعرضها ثلثمائة
وثلثون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثة وثلاثون ذراعاً هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلّاهما
بالقار داخلها وخارجها وعدّها بالمسمر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى - وحملناه على ذات
الأواح ودر - وجعل الله له عين القار ينجب السفينة تلي غلياً حتى طلاهها به فلما فرغ من صنع
السفينة أوحى الله إليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع
نسلها الله الله من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران التور آية بينه وبين
نوح وعهد الله إليه فقال إذا رأيت التور فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل
زوجين كما قال الله تعالى - حتى إذا جاء أمرنا وفار التور : أي غنابنا وهو الطوفان قلنا احمل
من كل زوجين اثنين - الآية .

واختلف العلماء في قوله تعالى - وفار التور - قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعني
طلع الشجر ونور الصبح وقال ابن عباس انجس الماء من وجه الأرض والعرب تسمى وجه الأرض
توراً وقال قتادة التور أشرف موضع في الأرض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتور التي
عبر فيها وكان توراً من حجارة ، وكان لآدم ثم انتقل إلى نوح قيل له إذا رأيت الماء يغور من
التور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التور فطفت به امرأته فأخبرته ، واختلفوا في موضعه
قال مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة .

وروى السدي عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ملازم التور إلا في ناحية الكوفة وقال انخذ
نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التور عن يمين الداخل كما يلي باب كنفه وكان فوران
الماء طمأخوخ ودليلاً على هلاك قومه . وقال مقاتل ذلك بتور آدم وإنما كان بالشام في موضع قال
ابن ورد . وقال ابن عباس كان التور بالمند والقوران هو الظليان فلما رآه نوح أيقن ينزل العذاب
فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى .

قال ابن عباس : أرسل الله المطر أربعين يوماً وليله فأقبلت الوحوش والطيور والبهائم إلى نوح
حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك

من الدواب البقرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدرة تعلق إبليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فحمل نوح يقول ادخل فيهنس فلا يستطيع حتى قالو وعيك ادخل وان كان الشيطان معك كلة زل بهالسانه فلما قلما نوح على الشيطان سيده فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك بإعدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال أخرج بإعدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك أن تحملني معك وكان فيها يزعمون على ظهر القللك

قال مالك بن سليمان المروى : إن الحية والقرب أنيا نوحا قلالا احلنا فقال انكسبب الضر والبلايا فلا أحلكما قالا احلنا ونحن ضمن لك أن لا تنفرا أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضره .

عن وهب بن منبه : قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالأسد والبقرة وكيف أصنع بالعناق والدب وكيف أصنع بالحمام والهر ؟ قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة ؟ قال أنت يارب قال فأنأولف بينهم حتى لا يتفاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الأولى فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقرة وللك قيل : وما الكلب محمومًا وإن طال عمره سمرك ما المحموم دوما سوى الأسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية ، وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا ، وجعل البقرة مع في الطبقة العليا شقة عليها لئلا يقتلها نبي .

واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى - وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم - . قال الضحاك كان نوح إذا أراد أن ترسو السفينة قال باسم الله فرست وإذا أراد أن يجرى قال باسم الله فجرت على اللاء فذلك قوله تعالى - بسم الله مجريها ومرساها - الآية - ومن آمن وما آمن معه إلا قليل - من هم وكم هم ؟ قال قتادة لم يكن في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونسأؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربه قال فتبخرت نطقته فجاء بالسودان .

قال الكلبي : أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى مادام في السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح . فقال نوح اللهم اجعله عسرا ، وقال الأعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاثة كنانين له . وقال إسحق كانوا عشرة سوى نسأؤهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة إناث ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا . وقال مقاتل : كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونسأؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نسا نصفهم نساء ونصفهم رجال . وقال ابن عباس كانوا عمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجهه مرضا حاجزا بين الرجال والنساء .

قالوا فلما ركب نوح في القللك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخل

وحمل معه من حمل تحركت بنايع الارض والغيوط الأكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر - يعني التقي ماء السماء وماء الأرض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الأرض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء وبين احتمال الماء القللك أربعين يوماً وليلة ثم احتمل الماء القللك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه . قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح - وكان في معزل يابى اركب معنا ولا تنكن مع الكافرين قال سأوى إلى جبل يصمى من الماء تن لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم - وكان عهد كنعان الجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح - لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من الثقلين - وكثر الماء فارتفع فوق الجبال . قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعا .

وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : لورحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك أنها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه جا شديدا فخرجت به إلى جبل حتى بلغت قلته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبته رفعته بيدها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه . قالوا ثم طافت السفينة بأهلها الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أمت الحرم فلم تدخله وذارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان محجة آدم صيانة له من الفرق وهو البيت المعمور وخبا جبريل الحجر الأسود في جبل أبي قبيس . فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه . قال مجاهد : تشاغت الجبال وتناولت لثلا يتلها ماء فلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لأمر ربه الجودي فلم يفرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى - واستوت على الجودي - .

وقال ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الأرض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والأشجار فلم يبق شيء من الحيوانات إلا نوح ومن معه في القللك والإعوج بن عنق فذلك قوله تعالى - وقيل بعدا للقوم الظالمين - أي هلاكا . قال ابن عباس : كان أعوج يجتاز بالسحاب وشرب منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج يا عذو الله فاني لم أؤمر بحملك ، وطبق الله الماء على وجه الأرض والجبال وما بلغ ركبى أعوج بن عنق ، فلما استوت السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلعي ماءك أي انثني ويساء ألقى أى احبسى ماءك وغيض الماء أى ذهب وهضم فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الأرض لأنها آخر ما بقي في الأرض من ماء الطوفان وبقى في الأرض أربعين سنة ثم ذهب .

وروى عن علي بن زيد بن جعدان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام لو بعث لنا رجلا شهد السفينة محدثا عنها فأنطلق بهم حتى انتهى بهم إلى

كثير من تراب ، فأخذ كفا من ذلك التراب ، فقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام بن نوح ، قال ثم ضرب الكعب بصاء وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفذ التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شئت ، فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير ، فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمر ذنب القيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه ، فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل يقرض جملها وذلك أنه تواله في السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ف ضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأرة فأكلاه ، فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قديست . قال بعث نوح غربا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فلما عليه نوح بالخوف فلذلك لا يآلف البيوت ، ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بتغارها وطيرين رجلها فلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت ، فقالوا يا رسول الله ألا تنطلق به الى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتمكم من لارزقه ؟ ثم قاله عديا ذن الله تعالى فعاد ترابا .

قال أهل التاريخ : أرسل الله الطوفان ثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستائة سنة من عمر نوح ولتمة ألفي سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الأرض وركب نوح ومن معه في السفينة لشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر ، فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سألين سام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فناموا شكرا لله تعالى ، ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء ، فأمروا بالاكتمال الذي خرجوا فيه من السفينة . عن ابن عباس : قال قال رسول الله ﷺ « من اكتمل بالإمجد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا » ، فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذه ناحية من أرض الجزيرة موقعا واجتمع هناك قرية سموها سوق ثمانين لأنه كان ابقي فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين ، فأوحى الله تعالى الى نوح أنه لا يعود الطوفان الى الأرض أبدا وعاش نوح بذلك ثلثائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة . وقالهون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما وقبله ثلثائة وخمسين سنة فلي هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثائة سنة .

ويروى أنه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا ؟ قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ، ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساما وجعله ولي عهد وكان ولده سام قبل الطوفان ثمان وسبعين سنة ، وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكبره فقال يا بني أوصيك بأثنين وأنهاك بمن

الثنين . فأما اللذان أنهما فالاشرار بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من
الشرك والكبر . وأما اللذان أوصيك بهما فافترأيتهما يكرران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله
وسبحان الله ، فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع لحرقتهما حتى تبلغ
الى ربها ولو جمعت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والأرضين السبع وما فيها ،
وأوصيك بسبحان الله فانها سلاتا خلق وبها يرزقون .

ذكر خصائص نوح عليه السلام

وهي خمس عشرة خصه : لم يسم أحد من الأنبياء باسمه وسمى بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان
أول نبي من أنبياء البشرية وأول داع من الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت أمته لردم
دعوته وأهلك أهل الأرض كلهم بدعائه ، ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان : إني خلقت
خلقى وأمرتهم بطاعتي فاتهمكو مصيبي فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العصاة من لم يصني
وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقى في خلقت آنى لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقى بعدها
ولكن أجل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزهم بأعمالهم إذا اجتمعوا عندي ، وكان عليه السلام أطول
الأنبياء عمرا وقيل له أكبر الأنبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لأنه عمر ألف سنة ولم
ينقص لسنه ولم ينقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا
واعلانا واسراراً ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشم وأنواع الأذى والجفاء مالتى فلذلك قال الله
تعالى - وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين - وجعل نانى المصطفى ﷺ في الشياق والوحى قال
الله تعالى - واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك من نوح - ، وقال تعالى - إنا أوحينا اليك كما أوحينا
إلى نوح والنبيين من بعده - وفي البعث هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ
وأعطاه تلك وعلمه صنعه وحفظه بحافيه وأجره فوق الماء وسماه شكورا ، فقال تعالى - فذيقن
حملنا نوح إن كان عبدا شكورا - وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى - يا نوح اهبط بسلام منا
وبركات عليك وعلى أمم ممن معك - الآية .

قال محمد بن كعب القرظي : دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم
الباقيين فهو أول البشر وأصل النسل .

وروى عن الحسن بن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « ولانوح ثلاثة سام وحام
ويافث : فسام أبو العرب وفارس والروم ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك وأجوج وما جوج » .
قال عطاء : ودعا نوح على حام أن لا يبدو شعر ولهم آذانهم وحيثما كان ولهم يكونون عبيدا لولده
سام ويافث ، فلما هبط نوح وذريته من القللك قسم الأرض بين ولده اثلاثا فجعل لسام وسط الأرض
قضايت للقدس والنيل والقرات ودجة وسيحون وجيحون ، وذلك ما بين قيسون الى شرقى النيل
وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمه غربا بين النيل وما بين مجرى ربح الجنوب وما

وراءه الى سيحون الى مجرى ربح الدبور ، وجعل قسم يافث من قيسون لما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى - وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين - .

مجلس في قصة هود عليه السلام

قال الله تعالى - وإلى عاد أخاهم هودا ، إلى ثقفون - وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهو عاد الأول وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشجر والأحاف كما قال الله تعالى - واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحاف وقد خلت النذر - الآية ، وهو رمال يقال له لمارمل عاج وهو ما بين عمان إلى حضرموت ، وكانوا مع ذلك قد غشوا في الأرض وكثروا وفهروا أهلها لفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يسطر غيرهم كما قال الله تعالى - واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة - أي عظما وطولا وقوة وشدة قال أبو حمزة الثمالي : كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا . وقال ابن عباس ثمانين ذراعا . وقال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصروا ستين ذراعا .

وقال وهب : كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك بناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فلما صنع لهم سدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا ، فبعث الله إليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد الله ابن رباح بن الحلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . وقال محمد بن اسحق بن يسار : وهو ابن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالح عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، فأمرهم هود أن يوحّدوا الله تعالى ولا يعبدوا معه إلها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما ذكر بنبر ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا نحن أشد من قوة وبنو الصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال الله تعالى - أتنبئون بكل ربيع آية تبشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين - ، فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضربهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهدوا طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عنديته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة حارف بحرمتها ومكاتها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العالقي ، وإنما سموا العالقي لأن أباهم عمليق بن سام بن نوح وكان سيد العالقي إذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الجبيري رجل من عاد ، فلما قطع المطر عن عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عذر وقيم بن هزال بن هزيل وعيل بن ضد بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن غفير وكان مسلما كنتم اسلامه وجملة بن الخيرى خال معاوية بن بكر ، ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد

ابن عاد الأكبر فأنطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفد بني سيعين رجلا ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم ، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصحابه فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتضيئهم الجردتان وهما قيتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بضم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصحابي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيق والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستحي أن أمرهم بالخروج إلى ما بشوا إليه فيظنون أنه ضيق من مقامهم عندي ، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا ، فشكا ذلك من أمرهم إلى قيتيه الجردتين فقالتا له قل شعرا تنضم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم ، فقال معاوية بن بكر :

ألا يا قيل ويحك قم فهنم لعل الله يمنحنا غماما
فتسقي أرض عاد إن عاد قد أسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فلس نرجوا به الشيخ الكير ولا التلاما
وقد كانت نساؤهم بخير قد أمست نساؤهم عيامي
وان الوحش يأنهم جهارا ولا يخشى لمادى سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتبهتم نهاركو وليلكمو غماما
تقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنمهم الجردتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بشكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم ، قال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا أنكم والله لا تستقون بدعائكم ولكن ان أطعمت نبيكم وأنبتم إلى ربكم سقيتم ، فأظهر إسلامه عند ذلك . قال جلهمة بن الحيرى خال معاوية حين سمع قوله وعرف أنه قد تبع دين هود عليه السلام :

أبا سعد فانك من قيل ذوى كرم وأملك من عمود
فانا لا نطيعك ما بقينا ولنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفس ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام ذوى رأى وتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا اجبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ، ثم دخلوا إلى مكة يستسقون لمعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله شيء منّا فخرجوا إليه ، فلما انتهى قام يدعو الله وفد عاد قد أخذوا يدعون ، فجعل يقول : اللهم أعطني سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شيء مما يدعو به وفد عاد ، وكان قيل بن عذر رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه

فقال وفد عاد اللهم أعط قتيلا مأسألك واجعل سؤالنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل في دعوتهم ، فقال اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي ، وقال قيل بن عسر حين دعا واستسقى اللهم لم أجىء لمرض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسق عاد ما كنت تسقيهم بالهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا ، فأنشأ الله سبحانه ثلاثا واحدة يقواء واحدة حمراء وواحدة سوداء ، ثم ناداه مناد من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث ، فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء ، فناداه المنادي يقول اخترت يا قيل رمادا رمدا لم يبق من آل عاد أحدا لا ولدا يتركه ولا ولدا إلا جعلتهم رميا همدا إلا بنو اللويمة المهدا ، وبنو اللويمة رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا ساكنا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة ، فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له اللغيث ، فلما رأوها استبشروا بها - وقالوا هذا عارض بمطرنا - ، فقال الله تعالى - بل هو ما استجلبتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها - أي كل شيء مرت به ، وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد ، فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صغقت ، فلما أفاقت قالوا ما رأيت؟ قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار أمامها رجال يقودونها -

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرني الثئي بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : أوحى الله تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم ، فخرجت بنير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض مما يلي الشرق والغرب . قال فقال الحزان يارب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لأهلك ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله اليها أن ارجعي فاخرجي على قدر خرمة الخاتم وهي الحلقة ، قال فسخرها الله عليهم سبع ليالي وثمانية أيام حسوما : أي دائمة متتامة ، فلم تمنع أحدا من عاد إلا أهلكته ، وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين جلودهم وتلد به الأنفس ، وانها من عاد لطنن فتحملهم ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا .

قال محمد بن اسحق والسدي : بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الأبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فهلكوا ، فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سودا لتلقيهم في البحر فألقيهم فيه . قال ابن بشار : لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى تقوم على رأس الوادي فتردها ، فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتخلعه ثم ترمي به فيندق عنقه ، وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة

بروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتركم كما قال الله تعالى - كأنهم أحجاز نخل خاوية - حتى لم يبق منهم إلا الخليلان فقال إلى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول :

لم يبق إلا الخليلان نفسه يالك من يوم دهاني أمسه

ثبت الوطء شديدا بطشه لولم يحثني جثته وجبته

قال له هود : ويحك يا خليلان أسلم تسلم ، فقال له مالي عند ربك إذا أسلمت ؟ قال الجنة ، قال فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كأنهم البخت ، قال هود ذلك لللائكة ، قال إن أسلمت أيقيدني ربك منهم لقومي ؟ قال ويحك هل رأيت مسلكا يقيد من جنوده ، فقال لو فعل مارضيت ، فجاءت الريح فألحقته بأصحابه وأهلكته ، وأنفى الله عادا سوى من بقى من قومهم بمكة ونواحيها .

أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا أبو يلى الوصلي أخبرنا اسحق بن أبي اسرائيل وعبد الله بن عمر القواريري أخبرنا جعفر بن سلمان الضبيعي أخبرنا فرقد السبخي عن عاصم عن عمرو البجلي عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال « بييت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب وهو فيصبحون قردة وخنازير وصبيهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة بيني فلان ، وليرسلن عليهم الريح القميم التي أهلكت عادا وشربهم الحمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام » قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بجماعية بن بكر فترؤوا عليه ، فينأهم عنده لئذا قبل رجل على ناقه له في ليلة مقمرة من أمصار عاد ، فأخبرهم بهلاك عاد ، فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه ، قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به ، فقالت هرملة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يفران أخى معاوية بن بكر معهم . قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عزر حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لأنفسكم ، فقال مرثد اللهم أعطني براوصدا فأعطي ذلك . وقال قيل أختار أن يصيبني ما أصاب قومي قليل له هلاك فقال لا أبالي لاحاجة لي في البقاء بعد قومي فأصابه الذي أصاب عادا من العذاب فهلك . وقال لقمان يارب أعطني عمرا قليل له اختر لنفسك بقاء سبع بمرات سمر من أظف عفر لا يمسا القطر أو عمر سبعة أنسر إذا مضى نسر حولت إلى نسر آخر ، فاستحضر بقاء الأوبار واختار النور فممر سبعة أنسر ، فكان يأخذ القرخ حين يخرج من يرضته فيأخذ الدكر منها لقوته فيريه حتى إذا مات أخذ غيره ، فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى إلى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ لقمان ياعم لم يبق من عمرك إلا هذا النسر ، فقال لقمان : يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم النهر فلما انقضى عمر لبد طارت النور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها ، وكانت نسر لقمان لا تيب عنه . قال فلما رأى لبد لم ينهض مع النور قام إلى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهنا لم يكن يحده قبل ذلك ، فلما انتهى إلى الجبل رأى نسر لبد وافتقا

بين المنصور ، فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى الثلث :
آنى أبدلى لبد ، وقال للباقية الديباني :

أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد
وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى أخبر بهلاك عاد شعرا :

عصت عاد رسولهم فأمنوا عطايا ما تبليهم السماء .
وسرو فندهم شهرا ليستقوا فأردفهم مع العطش العناء .
بكفرهم برهم جهارا على آثارهم عاد العفاء .
ألا نزع الاله حلوم عاد فان قلوبهم قفر هواء .
من الرب لليمن إذ عصوه وما تقى النصيحة والشقاء .
نفسي وابنتاي وأم ولدى لنفسي نبينا هود فداء .
أنا والقلوب معميات على ظم وقد ذهب الضياء .
لنا صنم يقال له صمود يقابله صدى والهنا .
فأبصره الذين له أنابوا وأدرك من يكذبه الشقاء .
وانى سوف ألحق آل هود واخوته إذا جن الساء .

ثم إننا ألحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة ، وقال
أبو الطفيل عامر بن وائلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت : هل رأيت
كثيبا أحمر يغالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت ؟ قال نعم
يا أمير المؤمنين إنك لتتبعه على نعت رجل قدر آه قال لا ولكننى قد حدثت عنه ، فقال الحضرمى وما
شأنه يا أمير المؤمنين ، فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام . أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبى العرابى ، أنبأنا
الغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة فى المسجد الحرام بين الركن والقمام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندى
أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبى حكيم عن سفيان الثورى عن عطاء عن السائب عن عبد
الرحمن بن سابط أنه قال : بين الركن والقمام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وإن قبر هود وصالح وشعيب
واسماعيل عليهم السلام فى تلك البقعة . وفى رواية أخرى كان النبي من الأنبياء إذا هلك قومه ونجا هو
والصالحون معه يأتى مكة هو ومن معه يسجدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم .

مجلس فى قصة صالح عليه السلام

قال الله تعالى - والى نوح أخاه صالحا - وهو نوح بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو
جديس . وأراد ههنا القبيلة . قال أبو عمرو بن العلاء سميت نوحا لقلة مأثها ولثمد الماء القليل وكانت
مساكن نوح الحبر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار والسدى

والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عادا الأولى لما أهلكتهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمريت نمود بعدم واستخلفوا في الأرض خلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم بيني السكن من الحجر واللدر فيهدم وهو حي ، فلما رأوا ذلك أخذوا من الجبال يوتا ، ففتحوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا في سعة من معاشهم كما قال الله تعالى - وإذ كروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ويؤاكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتتحتون من الجبال يوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعشوا في الأرض مفسدين - فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الأرض ، فبعث الله إليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن حاذر ابن نمود وكانوا قوما عربا ، وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسبا . فبعثه الله تعالى إليهم رسولا فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادة فلم يتبعه إلا قليل مستضعفون ، فلما ألع عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوهم أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول ، فقال لهم أنهم آية ليبتروا بها ثم قال لهم أي آية تريدون قالوا نخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فدعوا إليهم وندعوا لهم فأن استجيب لك ابتعناك وإن استجيب لنا ابتعنا ، فقال لهم صالح نعم ، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالحي شيء مما يدعونه ، ثم قال جندع بن عمرو ابن جواس وهو يومئذ سيد نمود : يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخرجة ما شا كت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك ، فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه إن فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ، ثم إن صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك ، فتمحضت الصخرة فمخض التوج بولدها ، ثم نحر كت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كأسألوهم لا يعلم ما بين جنبها إلا الله تعالى عظماء وهم ينظرون ثم تجت سقبا مثلها في العظم ، فآمن من به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف نمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه ، فنهام ذؤاب بن عمرو بن ليند والحباب صاحباً أوثانهم ورياب بن صمر وكانوا من أشراف نمود ، وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب ابن خليفة ، فأراد أن يسلم فنهام أولئك الرهط فأظاعهم ، فقال رجل من نمود :

وكانت عصة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا
عزير نمود كلهم جميعا فممت أن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزا وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن التواة من آل حجر توالوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، فمكت الناقة ومعهما سقبا في أرض نمود ترعى الشجر وتشرب للاء ، فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم ، فإذا

كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترتفع رأسها الاوقم شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتفجج ثم تروح عليهم ، فيحلبون من لبنها ماشاءوا فيشربون ويدخرون ويملكون أو انهم ، لكن تصدر من غير الفجج الذي وردت منه ، لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لأنه يضيق عليها . قال أبو موسى الأشعري أتيت أرض نمود فندرت مصدر الناقة فوجدته شين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ماشاءوا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف إذا كان الحر تطلع ظهر الوادي قهرب منها أغنامهم وبقرهم وإبلهم وتهبط الى بطن الوادي في حرة وحدته فكانت اللواشي تنفر منها إذا رأتها ، وإذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي قهرب مواشهم الى ظهر الوادي في البرد والحدة فأضر ذلك مواشهم للبلاء والاختيار فكان مرافقها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من نمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مخلد وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن الهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الإبل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت الحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانت هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحتلان في عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن العطريف بن هلال فأسلم وحسن إسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فأثققه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نكح المال فاطلعت صدوق على إسلامه فصابت على ذلك فأظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فأبت عليه وأخذت أولادها فقيمتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما ألح عليها قالت حتى أحاكك الى بني عمي وذلك أن بني عم زوجها كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمهم اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولله طائفة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم إن صدوق وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من نمود يقال له الحجاب فأمرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فأبى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قحح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا وزعمون أنه كان لثنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه ، فقالت له يا قدار أعطيك من بناتي أيما شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكره رسول الله ﷺ إذا نعت أشقاها رجلا عزيز في قومه مثل أبي زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستمانوا ابن استمانوا من نمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى - وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون - فلقبهم هديات

ابن مبلغ خال قنار وكان عززا من أهل الحجر وذعر بن غنم بن ذاعة أخى مصدع وخسة لم تذكر أسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة . قال السدى وغيره : أوحى الله إلى صالح أن قومك سيفترون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم إنه سيولد في شهركم هذا غلام يقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر وله الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعائش ابن فأنى أن يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العائش أزرق أحمر فنبت نباتا سريرا وكان اذا مرّ بالتسعة ورأوه ندبوا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم فقاموا بالله لنيقته وأهله قالوا نخرج فترى الناس أنا قد خرجنا لسفر فأتى القار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتياه فقتله ثم ترجع إلى القار فنكمن فيه ثم تصرف بعد ذلك إلى رحالنا فنقول : ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقونا ويظنون أنا قد خرجنا إلى سفر ، وكان صالح لا ينام الليل معهم في القرية وكان يأوى إلى مسجد يقال له مسجد صالح بيت فيه في الليل فإذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه فلما دخلوا القار وأضرروا أنهم يخرجون إليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من القار فقتلتهم فانطلق رجال عن كان قد اطلع على ذلك إلى القار فإذا هم رضع فرجعوا يصيحون في القرية يا عباد الله ما منع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فأجمع أهل القرية على عقر الناقة .

وقال ابن إسحق إنما كان تقاسم التسعة على تبيت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وإنذار صالح إياهم بالعذاب وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا لهم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا نجعلنا قتله وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته فأتوه ليلا لبيتوه في أهله فرمتهم اللاتكة بالحجارة فلما أبطنوا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به مقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح ، وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بأن العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تريدوا ربكم عليكم إلا غضبا وإن كان كاذبا فأتهم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك .

قال السدى وغيره : فلما ولد ابن العائش يعني قنارا وكان يشب في كل يوم شباب غيره في الجملة وشب في الجملة شباب غيره في الشهر وشب في الشهر شباب غيره في السنة ، فلما كبر جلس مع أناس يصيرون من الشرب فأرادوا ماء يمزجون به شرايبهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا للاء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نضع بالبن لو كنا نأخذ للاء الذي تهر به هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العائش هل لكم أن أعقرها ؟ قالوا نعم .

وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت نمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة إليه حدثته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قنار بن سالف

ولامرأة يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مخرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أنا كما الليلة قدار ومصدع فلا تطعماها وقولا لهما ان الملكة حزينة لأجل صالح وناقته فحنن لا تطيعكما حتى تمقرا الناقة فان عقربتماها أطعنا كما فلما أتياها قالتا لهما هذه القالة فقالا نحن نعفرها .

قال ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كفن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكن لها مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فاستظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم وغنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن النساء ووجها فترأت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرصته على غفر الناقة فشدها بالسيف فكشف عرقوبها فأرداها وطعن في لبثها فنعرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها ، وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقمها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة ، وروى ذلك مسندا عن رسول الله ﷺ من حديث شهر بن حوشب عن عمر بن خليفة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرى ناقتك قد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويستندون اليه ويقولون يا نبي الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتى ماتتاه الطير وجاء صالح عليه السلام . فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانجمرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب . قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من القسمة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذؤاب ولهم مخرج فرماهم مصدع بسهم فاستظم قلبه ثم جر برجله فأنزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تعالى وحقته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الأيام ، فيوم الأحد الأول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والأربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر ،

أؤمل أن أعيش وإن بوى بأول أو بأهون أو جبار
أو للردي دبار فإن أقتة فؤنس أو عروبة أو شبار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته إنكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مضفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الأول فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مضفرة . كما طلبت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنتاهم فأيقنوا بالكلام وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقنوا به فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من نمود يقال لهم بنوعتم فنزل

على سيدهم رجل منهم يقال له قيل ويكنى أباهذب وهو مشرك فقيه عنهم فلم يقدرُوا عليه فعدوا على أصحاب صالح يذبونهم ليدلوم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابى الله أنهم ليعذبوننا لنعلم عليك أفتدلم . قال نعم فدلم عليه مبدع فأثوا أباهذب فكلموه في ذلك ، فقال نعم هو عندى وليس لكم إله سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم مخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل ، فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وخصركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد خصركم العذاب فلما كان ليلة الأحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن به حتى جاءوا الشام فقتلوا رمة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان خوطهم الصبر وللر وكانت أكتافهم الأنطاع ثم أقبلوا أنفسهم بالأرض فجعلوا يقلبون أصدارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة لا يبدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الأحد أتتهم ضيعة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض قطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال عز وجل - فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم ينشأ فيها إلا إن نمود كفروا ربهم ألا بندا لنمود - ولم ينج منهم إلا جارية مقعدة يقال لها فريسة بنت شاف وكانت كافرة شديدة السداوة لصالح فأطلق الله لها رجلها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كما سرع شيء يكون حتى أتت قرحا وهو وادى القرى حدمايين الحجاز والشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب نمودهم استنقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت .

وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما نزل النبي ﷺ بالحجر في غزوة تبوك . قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تحسروا من ما بها ولا تدخلوا على هؤلاء العذبيين إلا أن تسكنوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسئلوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سأرا رسولهم الآية فبث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا القبع وتصدر من هذا القبع فتشرب ماءهم يوم ورودها وأرام رسول الله ﷺ مرتقى النصيل حين ارتقى في القار فتواعن أمر ربهم وعفروها فأهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها الأرحلا واحدا يقال له أبو رقاب وهو أبو تقيف كان في حرم الله تعالى فمنع حرم الله من عذاب الله تعالى ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه من ذهب وأرام رسول الله ﷺ قبر أبي رقاب فقتل القوم فابتدروا بأسانهم وبغثوا عليه فاستخرجوا ذلك النصف من الذهب ثم تقنع رسول الله ﷺ بثوبه وأسرع السير حتى حاوز الوادى . وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك

أنه انتقل من الشام الى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يبعد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة .

أخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون . قال أخبرنا عبدالله بن محمد بن الحسن . قال حدثنا عبدالله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال : قال رسول الله ﷺ « يا طي أنتدري ما أشقى الأولين ؟ قال قلت الله ورسوله أعلم . قال عاقرا لئلا قال يا طي أنتدري من أشقى الآخرين . قال قلت الله ورسوله أعلم . قال قاتلك » والله أعلم .

مجلس في قصة إبراهيم عليه السلام والنمرود

وهو إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغون فالخ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ ابن سام بن نوح وكان اسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمرود قبا على خزائن آلمته سماه أزر وقال مجاهد إن أزر ليس اسم أبيه وإنما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب يعيب به وهو يعني معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة ، وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم .

الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام

اختلف العلماء في اللوح الذي ولد فيه فقال بعضهم : كان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقال بعضهم كان مولده بابل من أرض السواد ناحية يقال لها كوتا وقال بعضهم : كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى اللوح الذي كان به نمرود من ناحية كوتا . وقال بعضهم : كان مولده بخران ، ولكن أبوه نقله الى أرض بابل . وقال عامة السلف من أهل العلم : ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان ، وكان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وسبع وثلاثين سنة ، ونمرود الذي ولد في ملكه إبراهيم هو نمرود بن كنعان بن منجاريب بن كورش ابن حام بن نوح . وفي الحديث « ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران : فأما المؤمنان فإسماعيل بن داود وذو القرنين عليهما السلام ، وأما الكافران فنمرود وخنزير وكان نمرود أه لعمن وضع على رأسه التاج ونحير في الأرض ودعا الناس إلى عبادة وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في ملكك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه وقال لهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء .

وقال السدي : رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لها ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والعاقبة وهم الذين يغلطون في الأرض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على

يديه قال فأمر عمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيقا أمينا فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها إذا أمن الواقعة فإذا ظهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو إبراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بإبراهيم عليه السلام .

وقال محمد بن إسحق : بعث عمروذ إلى كل امرأة حبلى بفرسته فحبسها عنه إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها .
وقال السدي : خرج عمروذ بالرجال إلى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فكث كذلك ما شاء الله ثم بعث له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه إلا آزر فدعاه وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبتك إلا لتتقى بك فأقسمت عليك أن لاتدنو من أهالك ولاتواقفها فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لودخلت إلى أهلي فنظرت إليهم فلما نظر إلى أم إبراهيم لم يتالك حتى وقع عليها فحملت بإبراهيم عليه السلام .

قال ابن عباس : لما حملت أم إبراهيم قال الكهان للعمروذ ان القلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه في هذه الليلة فأمر عمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم إبراهيم وأخذها الخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولها فوضته في هر يابس ثم لفته في خرقة ووضته في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وأنها قد ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذ من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه قرضه .

وقال السدي : لما عظم بطن أم إبراهيم خشي آزر أن تدبح فانطلق بها إلى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأترلها في سرب من الأرض وجعل عندها ما يصلحها ، وجعل يتمدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت إبراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشبه فكان وهو ابن سنة كان ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع التباخين ثم ذكر آزر لأصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به إليهم .

قال ابن إسحق : لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت لية إلى مغارة وكانت قريبانها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا بمص إبهامه . قال أبو زريق كانت أم إبراهيم كلما دخلت على إبراهيم عليه السلام وجدت بمص إبهامه فقالت ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته بمص من أصبع ماء ومن أصبع لبن ومن أصبع عسلا ومن أصبع حملا .

قال ابن إسحق : وكان آزر يسأل أم إبراهيم عن حملها ما فعلت فقالت ولدت غلاما فمات فصدقا

وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمتك ابراهيم عليه السلام في الغارة إلا خمسة عشر يوما حتى جاء الى آية أزرق أخبره أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بنك وفرح فرحا شديدا .

الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه إلى قومه ومحاولة إياهم في الدين والقائم إياه في النار وما يتعلق بذلك

قال أهل العلم بسير الناصين : لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لأمه من ربي قالت أنا ، قال فمن ربك ؟ قالت أبوك ، قال فمن ربي ؟ قالت له عمروذ ، قال فمن رب عمروذ ؟ قالت له اسكت فسكت ، ثم رجعت الى زوجها فقالت أرايت السلام الذي يحدث أنه ينير دين أهل الأرض فانه ابنك ، ثم أخبرته بما قلنا فأتاه أبوه آزر . فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربي ؟ قال أمك ، قال فمن رب أمي ؟ قال أنا ، قال فمن ربك ؟ قال عمروذ . قال فمن رب عمروذ ؟ فطمه لطمه وقال اسكت ، وذلك قوله عز وجل - ولقد آتينا ابراهيم رعه ممن قبل وكنا مطمئنين - ثم قال لأبويه فأخرجاني فأخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والتمم والحيل يراح بها فسأل أباه ما هذه ؟ فقالا بل وخيل وبقر وغنم فقال ما هذه بد من أن يكون لها رب خالق . ثم نظروا فمضوا في خلق السموات والأرض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي إلا غيره ، ثم نظر فلما نظر فأنشأ للشمس قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لن لم يهدي ربي لأكون من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر - لأنه رأى خواها أعظم - فلما أفلت قال يا قوم اني برى مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خفيقا وما آمنن بالشركين - قالوا وكان أبوه يصنع الأصنام فلما ضم ابراهيم الى قومه جعل يصنع الأصنام وسطها ابراهيم ليبيها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري أحسنه فلما نازلت عليه ذهب بها الى نهر فصرير موسها وقال لها اني كسدت استنزل قومهم وبعامهم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشا فيه إلهها واستنزلوه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه في دينه . فقال لهم آملجوني في الله وقد هدانا الى آيات الى قوله عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها لإبراهيم على قومه رفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم - حتى خصهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال - يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك عينا - الى آخر القصة فأتى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبرائة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال - أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم

(• - قصص الأنبياء)

وآبائكم الأقدمون فانهم عدواً لى إلا رب العالمين - قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعنى عمروذ فقال لا - الذى خلقنى فهو يهدين - الى آخر القصة ففشا ذلك فى الناس حتى بلغ عمروذ الجبار فدعاه . فقال له يا ابراهيم أرايت إلهك الذى بعثك وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غير ما هو ؟ قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال عمروذ أنا أحيى وأميت قال ابراهيم كيف يحيى ويميت قال آخذ رجلين قد استوجب القتل فى حكمى فأقتل أحدهما فأكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتىها من المغرب فهبت عند ذلك عمروذ ولم يرجع إليه شيئاً وزمته الحجة فذلك قوله عز وجل - فهبت التى كفر - الآية، ثم إن ابراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعفاً الأوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وهجرها إزماً للحجة عليهم فجعل يتهرب لذلك فرصة ويختال فيه الى أن حضرهم عيد لهم .

قال السدى : كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجمعون فيه فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم أشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس - والله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين - فسمعوها منه .

وقال مجاهد وقادة : أنما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم وهو الذى أنشأ عليه . قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق إلى بيت الآلهة فاذا فى البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصفر منه إلى باب النهر وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضوه بين يدى الآلهة وقالوا إذا كان حين رجوعنا رجنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم عليه السلام إلى الأصنام وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبه قال - ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين - وجعل يكسرهن بفأس فريده حتى لم يبق إلا الصنم الأكبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل - فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون - فلما جاء القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة - قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا اصمنا فتريد كرمهم يقال له ابراهيم - هو الذى نظمه صنع هذا فبلغ ذلك عمروذ الجبار وأشرف قومه فقالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه إنه هو الذى فعل ذلك وكروهوا أن يأخذوه بفريضة . قاله قادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما صنع به وضاق به فلما أحضروه - قالوا له أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم - قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا ، غضب أن تعبدوا معه هذه الأصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن - فأسألهم إن كانوا ينطقون - قال النبى ﷺ لم يكنذب ابراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى : قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لملك الذى عرض لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم

الظالمون هذا الرجل في سؤالكم إياه وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فأسألوها وذلك قول إبراهيم عليه السلام - فأسألهم ان كانوا ينطقون - فقال قومه ما نراه إلا كآقال . وقيل إنكم أنتم الظالمون بعبادتهم الأوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤوسهم متحيرين في أمره وعلموا أنها لا تنطق ولا تبسط فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لإبراهيم عليه السلام قال لهم - أقتبسون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تصبدون من دون الله أفلا تعلمون - فلما لزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا - حرّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمر ان الذي أشار عليهم بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار رجل من الأكراد قلّة شعيب الجبائي اسمه هينون فضصف الله تعالى به الأرض وهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة قال فلما أجمع عمروذ وقومه على احراق إبراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عز وجل - قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم - ثم جمعوا له من أصلب الحطب وأصناف الحشب حتى ان كانت الرأة تعرض فتقول لئن عافاني الله تعالى لأجعلنّ حطباً لإبراهيم وكانت الرأة تنذر في بعض ما تطلب بما تحب أن تدرك لئن أصابته لتحتطبين حطباً وتجعله في النار التي يحرق بها إبراهيم احتساباً في دينها

قال ابن اسحق : كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى إذا كثّر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار في كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام فرفضوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اغنّدوا منجنيقا بإشارة إبليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من إلقاءه في النار من شدة حرها فأخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولاً صلوات الله عليه فضجت السموات والأرض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أي ربنا إبراهيم ليس في أركانك أحد يعبدك غيره يحرق في النار فاذن لنا في نصرته . فقال الله تعالى لهم : ان استعان بشيء منكم أو دعاء فليصره فقد أذنت لكم في ذلك وان لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه ملك للياه فقال ان أردت أخذت النار فان خزائن اللياه والأمطار بيدي ، وأتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم أنت الواحد في السماء وفي الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، وروى الصنم عن أبي بن كعب عن أرقم أن إبراهيم عليه السلام حين أوقفوه ليلقوه في النار قال لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق إلى النار في موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أما اليك ، فلا قال جبريل فاستلذ بك فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي عليه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل ، وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام أعانها بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل - يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم - .

قال السدي : كان جبريل عليه السلام هو الذي نادى ابا بامر الله تعالى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس : لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حيث نذر في الأرض الاطفئت ظلت أنها تضي . قال كعب الأحبار روى قتادة والزهرى ما انتفع أحد من الأرض يؤمنه بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيئا إلا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ فذلك أمر النبي ﷺ بقتله وسماه فوسقا . قال السدي : فأخذت الملائكة يضي ابراهيم فأصدمته على الأرض فاذا عين ماء وورد أحمر ونرجس قالوا فأقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنتم مني عيشا في الأيام التي كنت فيها في النار .

قال ابن اسحق وغيره : وبث الله ملك الظل في صورة ابراهيم عليه السلام فعمد فيها إلى جنب ابراهيم وهو يؤنس فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرر وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضرب أحياء وألبسه القميص ثم أشرف عمروذ من صرح له عال ونظر إلى ابراهيم عليه السلام وما يشك أنه قد هلك فرآه جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعا من الحطب ، فناداه عمروذ يا ابراهيم كبير الملوك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال نعم قال فهل تخشع إن أقمت فيها أن تضرك قال لا قال قم فأخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج إليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤنس فيها فقال عمروذ يا ابراهيم انى مقرب إلى الملك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فما صنع بك حين أيت الا عبادة وتوحيده انى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيئا ما كنت على دينك هنا حتى تخرقه الى ديني فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم أنه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم .

قال الشعبي : ألقى ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولفته سارة رضى الله عنها وهي ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث .

قال ابن اسحق : استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل الله النار عليه بردا وسلاما على خوف من عمروذ ومثلهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لها أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبو لوط وناحور أبو توبل وتوبل أبو لابان ورقعا بنت توبل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا

به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عم ابراهيم عليه السلام . وقال السدي :
كانت سارة بنت ملك حران ، وذلك أن ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى ابراهيم
سارة وهي بنت الملك حران ، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام
على أن لا يضرها :

قال ابن اسحق : خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا إلى ربه عز
وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى - فأمن له لوط وقال اني مهاجر إلى
ربي - فخرج حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم
خرج من مصر إلى الشام فزول السبع من فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤنكة وهي من
السبع على مسيرة يوم وليلة فبعث الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل - ونجيناه لوطا إلى الأرض
التي باركنا فيها للعالمين - يعني الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الأنبياء وهي الأرض المقدسة
وأرض المحشر والمشرق وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى السيخ الدجال
يباب له ، وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب فيها العيش للفقير والغني
قال أبي بن كعب : ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي بيث المقدس ثم
يتفرق في الأرض والله أعلم .

الباب الثالث في ذكر مولد اسماعيل واسحق عليهما السلام

ونزول اسماعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بثر زمزم

قال أهل العلم بسير الماضين : لما نجي الله تعالى خليفه ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابوه
على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
أيها العابدون من دون الله وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده
ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا إلى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه
السلام بآبنة عمه سارة فخرج بها يلتمس القرار بدينه والأمان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث
بها ماشاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من القراعنة الأولى وكانت
سارة من أجسن النساء وأجملهن وكانت لاتسمى ابراهيم عليه السلام في شيء وبذلك أكرمها الله
تعالى قال قاتن الجبار رجل وقاله ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها
وجملها فأرسل الجبار إلى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هنك المرأة منك فقال هي أختي
وتخوف إن قال هي امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها إلى حتى أنظر إليها فرجع ابراهيم إلى
سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبي عنده فانك
أختي في كتاب الله عز وجل وإنه لبس في هذه الأرض مسلم غيبي وغيرك ثم أقبلت سارة إلى الجبار
وقام ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها أهوى إليها يتناولها بيده فيست يده إلى

صدوره . فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سئ ربك أن يطلق يدى فوالله لا آذيتك . فقالت سارة اللهم ان كان صادقاً فأطلق له يده فأطلق الله تعالى يده .

وفى بعض الأخبار للسنة : أنه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيسر يده فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهى جارية قبطية فأقبلت إلى إبراهيم فلما أحس بها إبراهيم اقتل من صلاته قال لهم فقالت كفى الله كيد القاجر وأخذنى هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ قال فذلك أمكم يا بني ماء السماء .

وفى بعض الأخبار : أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى كان ينظر إليها من وقت خروجها من عنده إلى وقت انصرافها إليه كرامة لها وتطييباً لقلب إبراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت انى أراها امرأة وضيفة فخلعها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولداً وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوق إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام .

روى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحلاً » قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذى ذكر رسول الله ﷺ فقال كانت هاجر أم إسماعيل منهم قالوا ثم خرج إبراهيم من مصر إلى الشام وهاب ذلك الملك الذى كان بها وأشفق من شره فبذل السبع من أرض فلسطين واحضر بها بئراً واتخذ بها مسجداً وكان ماء تلك البئر معينا ظاهراً ، وكانت غنمه تردها فأقام إبراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا يلد يقال لها قطة ، فلما خرج من بين أظهرهم نصب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعاً على ما صنوا وقالوا أخرجننا من بين أظهرنا رجلاً صالحاً فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه . قالوا ان الماء الذى كنت تشرب وتشرب معك منه قد نصب وذهب فأعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم إذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهراً كما كان فاشربوا منها ولا تقربوها امرأة حائض فخرجوا بالأعنز . قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهى على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامس ، فاغترفت منها فركد ماؤها إلى الذى هو عليه اليوم ، وأقام إبراهيم عليه السلام يبلده وكان يضيف لمن نزل به وقد وسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم . فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث إليه رسلاً يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤوا بإبراهيم عليه السلام ويشرؤوه وسارة بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على إبراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوماً حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل إلا مع ضيف ما أمكنه فلما وآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيفاً لم يضيف مثلهم حسناً وجالاً فقال لا يخرج لهؤلاء القوم

الا أنا فخرج فجاء بجبل سمين حديد وهو المشوى بالحجارة فقرب اليهم فأمسكوا أيديهم عنه فقال لهم
الأتا كلون - فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة - حيث لم يأكلوا من طعامه
فقالوا يا ابراهيم لانا كل طعاما إلا شئنا . قال فان لهذا عنا قالوا ومأمنه ؟ قال تذكرون اسم الله تعالى
على أوله وتحمده على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذ ربه
خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا إلى قوم لوط وامراته سارة قائمة تخدعهم و ابراهيم قاعد معهم فلما
أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحاق ويعقوب ضحكت سارة .

واختلف العلماء في العلة الخالية لضحكها ما هي ؟ . فقال السدى : انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا
من طعامهم ، وقالت يا عجباً لأضيافنا هؤلاء إنا نخدعهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا .
وقال قتادة : ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم . وقال مقاتل والكلبي :
ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه . وقال ابن عباس : ضحكت
تسبياً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها ، وكانت هي بنت تسعين سنة و ابراهيم
ابن مائة وعشرين سنة .

قال السدى :- قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك ؟
فأخذ يده عودا يابساً فلوأه بين أصابعه فاهتز أخضر . فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح . وقال مجاهد
وعكرمة : فضحكت أى حاضت في الوقت ، تقول العرب : ضحكت الأرنب اذا حاضت . وقال
السدى وابن يسار وغيرهما من أهل الأخبار : فحملت سارة باسحاق ، وقد كانت حملت هاجر
باسماعيل فوضعتا معا فشب الغلامان فيبينهما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق
بينهما فسبق اسماعيل فأخذه وأجلسه في حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فضربت
وقالت عمدت الى ابن الأمة فأجلسته في حجره وعمدت الى ابني فأجلسته إلى جنبك وقد جعلت
أن لاتضرني ولا تسوءني وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن
خلقها ثم تاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك . فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واتقي
أذنبا ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء . ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتلا ذات يوم كما
فضل الصبيان فضربت سارة على هاجر وقالت لاتساكنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه
السلام أن يمزحها عنها ، فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب
بهما حتى قدم مكة وهي إذ ذاك عشاء وسلم وسمر وبجوالها خارج مكة ناس يقال لهم الصالحين
وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء . فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن
تضعها . قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فأثر لهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل أن تتخذ عريشا
ثم قال - ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجل
أنفذة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون - ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت

إلى من نكلنا فجعل لا يرد عليها شيئا ، فقالت الله أمرك بهذا؟ قال نعم فقالت إذا لايضيئنا ، ثم انصرف راجعا إلى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنقد الماء فغطشت وعطش الصبي ، فنظرت أى الجبال أدنى من الأرض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيئا ولم تر أحدا ، ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادى نحو اسمعيل فأقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المزوة فسعت وماتريد السعى كالانسان المجهود فهى أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت إلى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذى يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعوا سمع ايل تعنى يا الله قد أسمعنى صوتك فأغنى فقد هلكت وهلك من معى ، فاذا هى يجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركنى وابنى ههنا قال وإلى من وكلكما قالت وكلنا إلى الله تعالى قلل لقد وكلكما إلى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نقد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه فقارت عين فلذلك يقال زمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تستقى فيها وتندخره ، فقال لها جبريل عليه السلام انهارى وجعلت أم اسماعيل تحبسها حبسا . قال رسول الله ﷺ « لولا أنها عجبت لكانت زمزم عينا سينا » وقال لها جبريل لا تخافى الظمأ على أهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أباه هذا الغلام سيجىء فيبينان لله تعالى بيتا هذا موضعه ، قالوا ومرت زققة من جرم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فأشرفوا فاذا هم بالماء ، فقالوا لهاجر ان شئت كما ممك فآتسناك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول فى تليتها :

لاهم ان جرهما عبادك الناس طارف وهم تلادك وهم قديما همروا بلادك
فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فأولاده العرب للحرية . ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وانها فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل . فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقدمت هاجر وقال انه قدمها راكبا البراق ، فلما قدمها ذهب إلى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد ، وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولما بالصيد غصص بالقنص والفروسة والرمى والصراع ، فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندى شيء وما عندى أحد ، فقال لها ابراهيم إذا جاء زوجك فأقرئيه منى السلام وقولى له فليغير عتبة بابه ، فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ربح أبيه ، فقال لامرأته هل جاءك أحد ؟ فقالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأه ، قال لما قال لك قالت قال أقرئى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه ، فطلقها وتزوج أخرى ، فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله ، ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل ، فجاء ابراهيم عليه السلام

حتى انتهى إلى باب اسمعيل ، فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجي الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله ، قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمرا لكنت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرًا ، ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشمك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت عند شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه فيه ففصلت شق رأسه الأيمن ثم جعلت المقام إلى شقه الأيسر ففصلت شق رأسه الأيسر فقال لها إذا جاء زوجك فأقره السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

قال أنس بن مالك : رأيت في المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقبه وأخص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

وأخبرنا محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا هذبة بن خالد حدثنا أبو يعقوب بن جابر بن مسح القرشي قال : سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول « الركن واللقام ياقوتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب » .

الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم

روت الرواة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال عبد الطلب بن هاشم : بينا أنا نائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي اخضر طيبة قلت وما طيبة ؟ فنذهب عنى ولم يجبني ، فلما كانت الليلة الثانية جأني فقال اخضر درة قلت وما درة فنذهب عنى ولم يجبني ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال اخضر للصونة قلت وما للصونة فنذهب عنى ، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فتمت ، فجأني فقال اخضر زمزم قلت وما زمزم ، وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بتر يستقي الحبيج منه عند منحر قریش عند نقرة التراب وقرية النمل ، فلما تبين له قام فدل على موضعه وعرف أنه قد صدق ، ففدا بعموله ومعه الخارث بن عبد الطلب وليس له ولد غيره يومئذ ، فلما علت به قریش قاموا اليه فقالوا يا عبد اللطفت انما من آثار أينما اسمعيل وان لنا فيها حقا فأشركنا فيها ، فقال ما أنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم . قالوا له فأصنافا يا غير تاركك حتى نخاصمك . قال فاجلوا بيني وبينكم من شئتم أنا خصمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد ابن هذيل قال نعم ، وكانت في أطراف الشام فركب عبد الطلب ومعه ثمر بن عبد مناف ، فركب من كل قبيلة من قریش ثمر قال والأرض إذ ذاك مغاور ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المغاور قدما كان معهم

من الماء حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا إننا بمغازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا ان رأيتا تبع لرأيك فأمرنا بما شئت قال فاني أرى أن يحضر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منادون صاحبه دفنه في حفرة . قال فحضروا وجلسوا ينتظرون الموت . ثم قال عبد المطلب وما لنا لا نضرب في الأرض فمضى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها ، فلما أن انبعث به انجبرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء علب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش فقال هلنوا إلى الماء فقد سقانا الله تعالى وإياكم فشربوا وسقوا ، ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء في هذه القلاة فهو ساقيك زمزم فارجع ، فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلا بينه وبين زمزم ، ولما جن الليل رأى عبد المطلب في منامه كأن قائلا يقول له :

يا أيها اللدج اخر زمزم انك إن خفرتها لم تدم
وهي تراث من أيك الأعظم تسقى الحجيج حافلا لم يتم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين موضع زمزم ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر القراب الأعصم قال فعند عبد المطلب ومعه ابنه الحارث فوجد قرية النمل ووجد القراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتحرع عندهما فجاء بالمول وقام ليحضر حيث أمر فقامت قريش اليه وقالوا والله لا تترك أن تخفرها ووثنانا ومنحرفنا عندها ، وكانت قريش حسدوه على ذلك لأنهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة أودعت في زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى ﷺ لما أخبرت أن الله تعالى باع في هذه القرية نيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعا ، فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض ، دعوه يحفر فرجا يخطى للنوع ، فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فرفوا أنه لم يخطى ؟ فبادى حتى بلغ الى ثمانين من ذهب وما الفز الان اللذان دفنهما جرهم ووجد فيها سيوفاً ودروعاً فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع ؟ قال اجعلوا للكعبة قدحين ولم قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحا على شيء كان له ومن تخلف قدحا فلا شيء له . قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا القداح التي تضرب بها عند جبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الأصفران على التزاليين للكعبة وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش ، قال فعلق عبد المطلب الأسياف والأدراع بباب الكعبة وضرب في الباب التزاليين القهب فكان أول ذهب جلبت به الكعبة وكانت الرئاسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم ، فلما خفرها وأخرج منها ما أخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومزنا

وعانت الحجاج الياء التي كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عدو بمائها لكونها من أثر
اسماعيل عليه السلام واقتحرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم .

الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد القراني أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد القرني بمكة
حدثنا أبو سعيد الفضل بن محمد بن إبراهيم بن الفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان الجبالي حدثنا أبو
همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : قال الجبالي . قال رسول الله ﷺ
« كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام بإقوطة من بواقيت الجنة والبيت للممور الذي في السماء يدخله
كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة فبناء الكعبة الحرام وإن الله تعالى أهبط
آدم عليه السلام إلى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الأسود وهو تلاًلاً
كأنه لؤلؤة بيضاء ، فأخذ آدم فضمه إليه استئناساً به ، ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في
الحجر ، ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فإذا هو بأرض الهند فكث هناك
ماشاء الله أن يمكث ، ثم استوحش إلى البيت فقبله حججاً يا آدم ، فأقبل يتخطى فصار موضع كل قدم
قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقبته للملائكة فقالت برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بألفي عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله ؟ قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر فكان آدم إذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات ، وكان آدم يلطف بالبيت سبعة أسابيع
خمسة أسابيع بالليل وبالنهار أسبوعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارة يعمرونه من ذريق ،
فأوحى الله تعالى إليه أني معمره بنبي من ذريتك اسمه إبراهيم آتخذه خليلاً أقضى على يديه عمارة وتأنيط
لهسقيته أورثه فهو حرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه ، فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس
إن الله تعالى بنى بيتاً فجوه فاسمع ما بين الحافقين فأقبل من حجج هذا البيت من الناس يقولون لييك
ليك » وقال النبي ﷺ « إن آدم عليه السلام سأله عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات في هذا
البيت من ذريق لا يشرك بك شيئاً أن تلحقه في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي
شيئاً بعثته آمناً يوم القيامة » .

وروت الرواة بأسانيد مختلفة : أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض كان رجلاً في الأرض
ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعائهم وتسبيحهم ويأنس إليهم فهاجته الملائكة واشتكت ذلك
إلى الله عز وجل فنقصه الله تعالى إلى ستين ذراعاً بنذراع آدم ، فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من
أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك إلى الله عز وجل فأنزل الله تعالى بإقوطة من بواقيت
الجنة فكانت على موضع البيت الآن ، ثم قال يا آدم أني أهبطته لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول
عرشي وتصلى عنده كما كنت تصني عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام إلى مكة ورأى البيت فطاف به .

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن لي حرما بحيال
عشرى فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت اللاتكة يحفون بعشرى فهناك أستجيب
لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي إليه
ففيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة ، فكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة وبمكان يسجبه ، قال
لملك انزل لي ههنا ، فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة ، فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل
مكان تعداء مغاوز وقفارا ثم بنى البيت ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات ، فأرام للناسك
كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ، ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ، ثم رجع إلى أرض الهند
فأتى على نور . قال أبو يحيى بائع القتب : قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس أن آدم نزل
حين نزل بالهند ، ولقد حجج منها أربعين حجة على رجله ، فقلت له يا أبا الحاجج ألا كان يركب ،
قال وأى شيء كان يعمل والله إن خطوته مسيرة ثلاثة أيام . وقال وهب بن منبه إن آدم عليه السلام
لما أهبط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره ، قال يارب أما ألمسه الأرض عامر يسبح
بمحمدك ويقدمك غيري : قال الله تعالى : إني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدمني ،
وسأجعل فيها يوتا ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت
بيتا أخيه بكرامتي وأثره باسمي واسميه يبقى أنطقه بمظمتي وعليه وضعت جلالى ، ثم أجعل ذلك
البيت حراما آمنا بحرم بحرمة من حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرمة بحرمة استوجب بذلك
كرامتى ، ومن أخاف أهله فقد ضيع ديني وخسر فتي وأباح حرمتى أجعل أول بيت وضع للناس
يأتونه شعثا غبرا - وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - يضجون بالتلبية ضجيجا ويشجون بالبكاء
أجيجا ويسجون بالتكبير عجيجا ، فمن آثره لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارنى وضافنى ، وحق على
الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يتم ويفضل ويسعف كلا بحاجته ، تعمده يا آدم ما كنت حيا
ثم يعمده الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة
حرسها الله تعالى ، ثم كانت على ذلك إلى أيام الطوفان ، فلما كان أيام الطوفان رفضه الله تعالى إلى
السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى غبا الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الترقق
فكان موضع البيت خاليا إلى زمان إبراهيم عليه السلام ، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ما ولد له
إسماعيل وانشق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه ، فلم يدر إبراهيم في أى موضع
يليه ، فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك . واختلف العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بئس
الله تعالى إليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سالك بن حرب عن خالد بن عرفة أن رجلا
قام إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع للناس ؟
فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام إبراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا
وإن شئت أنبأتك كيف بنى إن الله عز وجل أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتا في الأرض

فضاق بذلك ابراهيم فدعا ، فأرسل الله عز وجل السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدها صاحبه حتى انتهتا إلى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الجحفة وأمر ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فبنى بيتا . وقال آخرون أرسل الله تعالى إليه سحابة على قدر الكعبة ، فجعلت تسير معه إلى أن قدم مكة فوقت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ابن على ظلها لاتزد ولا تنقص . وقال بعضهم إن الذي خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل - وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت - الآية . قالوا فجعل ابراهيم بينه واسماعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسماعيل عربيا ، فألمه الله تعالى أحدهما لأن صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كيتا ينى هات لي حجرا ، فيقول له اسماعيل هالك غنمه ، فبنا الكعبة من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وبنيت قواعدهم من حراء . قال فبقى حجر فذهب اسماعيل يبنيه ، ثم رجح فوجده قد ركب الحجر في مكانه ، فقال يأت من أتاك بهذا الحجر ، فقال له أتاني به من لم يكن ليك ، ثم قال ابراهيم لاسماعيل اتنى بحجر حسن أضمه على الركن ليكون علما للناس ، فناداه أبوقيس يا ابراهيم إن لك عندى وديعة فهالك غنمها ، فأخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الأسود من جبل أبي قيس وركبه في موضعه ، فلما فرغ ابراهيم واسماعيل من بناء البيت وآمنا دعواربهما فذلك قوله تعالى - وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تحبنا منك أنت السميع العليم ، الى قوله - وأرنا مناسكنا وتبين علينا أنك أنت التواب الرحيم - فأجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج ، فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ، ثم غدا بهما إلى عرفة فقام بهما هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ، ثم راح بهما إلى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم ، فلما غربت الشمس دفع بهما إلى اللزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ، ثم بات بهما حتى طلع النجش ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى إذا أسفر الصبح أفاض بهما إلى منى فأراهما كيف يرميان الجمار ، ثم أمرهما بالذبح وأراهما النحر من منى وأمرهما بالحلوق ، ثم أفاض بهما إلى البيت ، فأوحى الله تعالى إلى نبينا محمد ﷺ - أن اتبع منة ابراهيم حنيفة وما كان من الشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج ، فقال يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال عليك الأذان وعلى البلاغ فلا تيرا ونادى يا عباد الله إن ربكم قد نبى بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والأرض وما بين الأبحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه كل من آمن بالله عن سبق في علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة ليك اللهم ليك .

وقال عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمر : استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والشرق والمغرب

والشام فدعا الى الحج ، فأجيب ليك اللهم ليك وذلك قوله عز وجل - وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - الآيات ، فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبثته بخمس سنين ، فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها . وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الأخبار أن الكعبة كانت رضة فوق القامة فأرادوا رفعها وتبقيتها ، وكان البحر قد رمى بسفينته إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسفنها ، وكان بمكة رجل قبطي نجار فنيا لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا كشرت وفنت فاها فكانوا يهابونها فيبناهي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبث الله طائرا فاخطفها فذهب بها وقالت قريش إنا لترجو أن الله تعالى قدرضى ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا علاما رفيقا وخشيا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بمدرح الفجار بخمس عشرة سنة ، فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن حمير بن عامر بن عمرو بن غزوم وتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا مشر قريش لا تدخلوا في بناها من كسبكم إلا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهربي ولا يبيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ، ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن الغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فأخذ للمول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا تريد إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظره فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء قد رضى الله تعالى بما فعلنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الأساس فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنة الابل أخذ بعضها ببعض فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما ، فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فطمعوا أنهم قد أتوها إلى الأساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حبتها ثم بنوا ، فلما بنوا في البنيان إلى موضع الركن اختصموا في فكل قبيلة أرادت أن تضعه في صفه دون الأخرى حتى تحالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة بمائة هما ثم تعاقدواهم بنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعنة الله بذلك ، فكنوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم أتتهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن الغيرة كان حينئذ أسن قريش كلها ، فقال لهم يا مشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه ، فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله ﷺ ، فلما رآه قالوا هذا محمد الأمين قد رضى بناه فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال : هلموا إلى نوبيا فأتوا به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة ناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا

فكانت الكعبة كذلك على ما بينه قرش الى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحسين بن علي
السكوني عبد الله بن الزبير قذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون ويقولون .

حظارة مثل الفتيق المزبد ترمى بها عيدان هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف ترى صنيع أم فروه تأخذهم من الصفا واللوه

أم فروة اسم منجنيق فسال حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانها مع ذلك
احترقت ، وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فأقبلت شرارة هبت بها الريح فأحترق باب
الكعبة واحترق خشب البيت .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم
احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة ، قلت
ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قيسا في
رأس رمح له فطارط الرمح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الأسود .

وقال بعضهم : كان السبب في ذلك أن امرأة كانت تبخر البيت فطارطت شرارة من النار فأحترق
البيت ، وكان أول ماتكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله . وقال قوم ليس من
قدرة الله قالوا فيهم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سنواها بالأرض ، وكان الناس يطوفون بها
من وراء الأساس ويصلون إلى موضعها ، وجعل الحجر الأسود عنده في تابوت في خروقة من حرير
وجعل ما كان من حل البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجة في خزانة البيت ثم أعاد
بناءه ، وقال إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : لولا حدثت عهد
قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة الحجر ، وإن قرشنا أعوزتهم
النفقة فأخرجوا الحجر من البيت ولجئنا لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا ، فأمر به ابن الزبير فحفر
فوجدوا قلائد أمثال الابل فحرقوا منها صخرة فبرقت برق ، فقال أقروها على أساسها ، فبناها
ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، فكانت
الكعبة على ما بناها ابن الزبير إلى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن
الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان ، فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن
الزبير بأمر عبد الملك وأعادها إلى بنائها الأول بمشهد مشايخ من قرش ، فهي اليوم على ما بناها
الحجاج إلا ما كان من قلع القرمطي صاحب البحرين لعنه الله الحجر الأسود عام أوقع بالحبيج بمكة
فذهب به مع من أسر من الحجاج إلى البحرين ثم أخذ منه ورد إلى موضعه ، وذلك على يد شيخنا
أبي اسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري رحمه الله عليه .

الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال بأبى أفضل ما تؤمر فتجدني إن شاء الله من الصابرين - . واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه من ابنه بعد إجماع أهل الكتاب على أنه كان إسحق عليه السلام . فقال قوم هو إسحق وإلى ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى بن أبي طالب ، ومن التابعين وأتباعهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن أبي برة ومسروق بن الأجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وأبو الهزيل والزهرى والسدى .

روى شعبة عن أبي إسحق عن أبي الأحوس قال : افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

وروى سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال : قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك ؟ فقال إن إبراهيم لم يجد لي شيئا قط إلا اختارني عليه وإن إسحق جادلني بالدين فهو خير ذلك أجود وإن يعقوب كلما زده بلاء زادني حسن ظن .

وروى حمزة بن الزيات عن أبي إسحق عن أبي مبصرة قال . قال يوسف عليه السلام لملك مصر : أترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله . وقال الآخرون هو إسماعيل وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر ابن واثلة وسعيد بن السيب والشعي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني الكعبة منوطين بالكعبة .

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنه كان لا يشك في أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال لا للقدسي إسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحق وكذبت اليهود .

وروى محمد بن إسحق عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وإنما لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الحق عن إبراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه أنه إسماعيل وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من ابني إبراهيم - وبشرناه بلسحق نبيا من الصالحين - . وقال تعالى فبشرونها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب يقول بآمن ابن بآمن فلم يكن يأمره بذبح إسحق وله فيه من الله تعالى من الوعود ما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كنت معه بالشام فقال لي عمر إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه

كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عندما قال له أي ابن إبراهيم الذي كان أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل، ثم قال والله يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكتم بحسدونكم مشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكر أنه كان منه بصيرة على ما أمر به فهم يحسدون ذلك وزعمون أنه إسحق لأن إسحق أبوم . وقد روى عن رسول الله ﷺ كلا القولين ولو كان فيهما قول صحيح بالاجماع لم يمهز أبو عبد الله الى غيره . فأما الرواة التي روت عنه أن المسيح إسحق فأخبرني أبو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : الذي أراد إبراهيم أن يذبحه إسحق ، وعنه ﷺ أنه قال : الذي فذله الله بذبح عظيم إسحق وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن إسماعيل أنبأنا المبارك عن الحسن بن الأخف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله ﷺ يشفع إسحق بعدى فيقول يا رب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من يشرك بك شيئا . قال فيقول الله وعزى لأدخل النار من لا يشرك بي شيئا . وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحق اللزني قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة أنبأنا جدي أبو بكر بن محمد بن إسحق بن خزيمة امام الأئمة أنبأنا علي بن حجر أنبأنا عمر ابن حفص عن أبان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله يخبرني بين أن ينفر لنصف أمتي وبين أن أخيه شفاعتي فأخبرت شفاعتي ورجوت أن يكون ذلك أعم لأمتي ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتبطل منها دعوتي وذلك أن الله تعالى لما فرج عن إسحق كرب الذبح قيل له يا إسحق سل تعطى قتال أما والذي نفسي بيده لأمتجنها قبل تزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فافقر له وأدخله الجنة . وأما الرواة التي روت عنه ﷺ أن المسيح إسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي بسنده عن الصباحي . قال كنا عند همامية بن أبي سفيان فذكروا أن المسيح إسماعيل أو إسحق فقال : على الخير سقطتم كنت عند رسول الله ﷺ فجاهد رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذي يحل أن يقال إن عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه إن سهل الله عليه أمرها ليدفن أحدهما به قال فخرج السهم على عبد الله فتمه أخواله وقالوا له افد ولديك بمائة من الإبل ففدا بمائة من الإبل والثاني إسماعيل فهذا ما ورد من الأخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فأما الدليل على أنه إسحق فهو أن الله تعالى أخبر عن إبراهيم عليه السلام حين فارقه قومه مهاجرا الى الشام مع سارة ولوط وقال إني ذاهب الى ربي سيديين أنه دعا فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولما صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن يصير له أم إسماعيل ثم أتبع ذلك الخبر عن إجابة دعوته وتبشيره إياه بنلام حليم وعن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك التلام الذي بشر به حين

بلغ معه السعى وليس في القرآن أنه بشر بولده ذكر إلا باسحق . وأما الدليل على أنه اسماعيل فإذ كثرنا
من حديث القرنين وقدم الخبر أن قرني الكباش كانا معلقين بالكعبة إلى أن احترق البيت فاحترق
القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الديسح إسماعيل .

وأما قصة الديسح وصفته وفعل إبراهيم بانه عليهما السلام

قال السدي بإسناده لما فرق إبراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا إلى الشام هاربا بدينه . كما قال
تعالى . وقال إنى ذاهب إلى ربى سيدي . دعا الله أن يهبه ابن صالحا من سارة فقال رب هبلى من
الصالحين . فلما نزل به ضيافه من اللامكة للرسلين إلى اللؤمكة بشروه بسلام حليم قال إبراهيم لما
بشر بهو إذا لله ذبيح فملأوه السلام وبلغ معه السعى قبله أوف بتفرك الذى نذرت قربانا إلى
الله تعالى وكان هذا هو السبب في أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه قال إبراهيم عند ذلك
لإسحق انطلق هرب قربانا إلى الله تعالى وأخذ سكينا وجلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال
فقال له السلام يا أبت أين قربانك ؟ قال يا بنى إنى أرى في المنام أنى أذبحك أهدأت لقطه مستقبل ومناه
للأذى فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . قال ابن اسحق كان
إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند
أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه
وتعظيم حرمانه رأى في المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لانه يا بنى خذ الحبل والدة ثم انطلق بنا إلى
هذا الشعب لنحطب فلما خلا إبراهيم بانه في شمس آخره بما أمره . قال يا بنى إنى أرى في المنام أنى
أذبحك . الآية فقال له ابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت اشد رابلى حتى لا اضطرب واكشف عن ثيابك
حتى لا يتضح عليا دى فينص أجرى وتراه أى فتحزن واشحد شفرتك وأسرع بمر السكين على
حلقى ليكون أهون للموت حتى قال الموت هديد فاذا أبيت أى فأقرتمانى للسلام فان رأيت أن ترد
فيمس بها فافعل فانهسى أن يكون أسلى لها عى ، فقال له إبراهيم نعم العون يا بنى أنت على ما أمر الله به
ففعل إبراهيم ما أمر الله به ثم إنه أقبل عليه قبله وقدر بطة وهويكى والابن يكي حتى استبشع السموع
تحت خده ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يعمل السكين شيئا . قال السدي وضرب الله تعالى
صفحة من غمام على حلقه ، فقال عند ذلك الابن يا أبت كنى على وجهى فانك إن نظرت إلى وجهى
وسحتى وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل إبراهيم ذلك فذلك قوله تعالى . فلما أسلما
وتسلما جبين . ثم إنه وضع السكين على فاه فاحلبت ونودى إبراهيم قد صدقت الرؤيا الآية ههنا ذبحك
فداء لانيك فاذبحها دونه فنظر إبراهيم عليه السلام فلما هو يجيريل عليه السلام ومعه كباش أعين أملك
أقرن فكبر الكباش وكبر إبراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى . وقديناه بذبح عظيم . قال سعيد بن
جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكباش من الجنة فندعى فيها أربعين خريفا . وروى عنه
أيضا أن الكباش الذى فدى بعن إبراهيم عليهما السلام هو الكباش الذى قرب به هابيل بن آدم فقبل

منه فأرسل إبراهيم ابنه وأخذ الكباش وآتى به النحر من متى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وإن رأس الكباش ليطق بقرنيه في ميازيب الكعبة قد وخش يعنى يمس ، وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه أنه كان يقول . ما فدى إسماعيل إلا بكباش من الأروى أهبط عليه بشير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا .

وروى أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن أفتن عندهذا آل إبراهيم والام أفتن أحدا منهم أبدا فمثل لهم الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدريين أين ذهب إبراهيم . قالت ذهب به ليحطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به إلا يذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حبا له من ذلك فقال لها إنه يزعم أن الله أمره بذلك ، فقالت له إن كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعته وفي استسلامه لأمر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو عشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال نحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد إلا ذبحك . قال ولم ؟ قال يزعم أن الله أمره بذلك . قال له فليفعل ما أمره الله به فسمعا وطاعة لأمر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي ، فقال والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك في منامك بأمرك يذبح ابنك هذا فعرفه إبراهيم فقال له اليك عني يا ملعون فوالله لأضيقن لأمر ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصيب من إبراهيم وأهله شيئا مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده .

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له إبليس عند الشجر الحرام فسأجه فبقي إبراهيم عليه السلام ثم ذهب إلى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حبات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حبات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حبات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى فهذه قصة الذبح . وقال أمية بن أبي الصلت الثقي في ذلك شعرا .

ولا إبراهيم للوفى بنذر احتسابا وحامدا لأجزاء
بكره لم يكن ليصبر عنه ولو رآه في مشر أقتال
* أبى إني نذرتك لله شحيطا فاصبر فذلك حالى
وأشد الضد عند جندى للسكران جند الأسير للأغلال
وله مدية تغاليل في اللحم غلاما جيته كالللال
بينما يخلع السراويل عنه فكأنه يكبش حلال
ففتنن ذا فدى لابنك إني لذى قد فعلنا غير قالى
ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

الباب السابع في هلاك النمرود بن كنان وما أحل الله تعالى به من نعمته وقصة الصرح
قال الله تعالى - فتمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
وأتاهم المذاب من حيث لا يشعرون - .

روت الرواة بأسانيد مختلفة أن أول جيل كان في الأرض النمرود بن كنان وكان الناس يخرجون
اليوم يترون من عنده الطعام فخرج إليه إبراهيم يبتاع من يكثر وكان النمرود إذا لم يأت الناس قال
لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به إبراهيم فقال له من ربك قال الذي يحيي ويميت قال أنا حي وأميت
قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتيتها من المغرب فهت الذي كفر ورد إبراهيم بغير طعام
فرجع إبراهيم إلى أهله فمر بكعب أخضر قال لا تخن من هذا فأتى به أهله فتطيب به قلوبهم حين
أدخل عليهم فأخذ إبراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحت فذا هو
بأجود دقيق رآته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قصته إليه وكان عهد أهله أن ليس معهم شيء
ولا عديم طعام فقال لهم من أين هذا ؟ قالت من الطعام الذي جئت به فغضب إبراهيم أن أقدره فحمد الله
وشكره ثم إن النمرود الجبار لما حابه إبراهيم عليه السلام في دبه قال إن كان ما يقول إبراهيم حقا فلا
أنتهى حتى أعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما عاليا يابل وراءه منه الصعود إلى السماء لينظر إلى الله
إبراهيم فيما يزعم .

قال ابن عباس ووهب : كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان
طوله فرسخين ثم عمد إلى أربعة أفرام من النور فطفاها اللهم والحزور بها حتى شبت واستطاعت
ثم قصد في تآوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من
أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النور وعلق اللهم على عاصم فوق التابوت ثم خلى عن النور فطار
وصعدت طيفا في اللهم حتى أبعدت في الهواء قال النمرود لفتاه افتح الباب الأعلى وانتظر إلى السماء
هل قربا منها ففتح الباب الأعلى ونظر فإذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل فانظر إلى
الأرض كيف تراها ففتح قال أرى الأرض مثل الحية البيضاء والجبال كالسنان وطارت النور وارتفعت
حتى حالت الريح بينا وبين الطيران قال لعلنا افتح الباب الأسفل ففتح الباب الأسفل فإذا السماء كهيئتها وفتح
الباب الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغى الباغى أين تريد . قال عكرمة فأمر
عند ذلك غلامه فرمى بسهم فصاد إليه السهم متلطنا باللهم قال كيف شغل إلى السماء . واختلوا في
ذلك السهم من أي شيء فطلعت قال عكرمة من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض
قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فطلعت من دمه ثم أمر النمرود غلامه
أن يصب الحما وينكس اللهم فقل ذلك فهبطت النور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت
والنور فزعزعت وظنت أنه أمر نحدث في السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى - وقد

مكروا مكرم وعند الله مكرم - أى جزاء مكرم - وإن كان مكرم لتزول منه الجبال - وقرأ على وعمرو وابن مسعود وإن كان مكرم لتزل منه الجبال بالعدل ، ثم إن الله تعالى أرسل ريحا على صرح الخمرود فألقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وأقلبت بيوتهم وأخذت الخمرود رعدة وتبلبلت السن الناس حين سقط صرح الخمرود من القزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الألسنة فيها فذلك قوله تعالى - فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون - وذلك أن الله تعالى بعث إلى الخمرود ملكا أن آمن حتى أتوك على ملكك قال فهل رب غيرى فجاءه الثانية . والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع الخمرود جموعه وجنودهم فأمر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فيها الله تعالى على الخمرود وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم إلا العظام والخمرود كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فحككت أربعمئة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمئة سنة فعذب الله أربعمئة سنة كعدة ملكه ثم إن البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله .

الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده
قال الله تعالى - أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته - الآية . قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجابرة من أرض كنعان في جبرون في مزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمسكة دفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج إبراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطور ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومد وأنثى ووعوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ وأهيم ولوطان ونافس فكان جميع بني إبراهيم مع إسحق وإسماعيل ثلاثة عشر وكان إسماعيل بكره وأكبر أولاده فأ نزل إسماعيل بأرض الحجاز وإسحق بأرض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا أنزلت إسحق معك وإسماعيل بقربك وأمرت أن تنزل بأرض العربية والوحشة قال بذلك أمريت ثم علمهم اسماء من أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون .

الباب التاسع في ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

قال أهل التاريخ والسير : لما أراد الله تعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أرسل إليه ملك الموت في سورة شيخ هرم قال السدي بأسناده وكان إبراهيم كثير الاطعام يعطى الناس ويضيفهم فيينا هو يعطى الناس إذا هو بشيخ كبير يمتى في الجادة فبعث إليه عمار فركبه فلما أتاه قدم إليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم إذا

أدخلها في فيه وحصلت في جوفه خرجت من دبره وكان إبراهيم قد سأل ربه أن لا يقض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى حاله مابالك ياشيخ تصنع هكذا ؟ فقال ياإبراهيم من الكبير . قال ابن كم أنت ؟ قال كيت وكيت فحسب إبراهيم فوجد عمره يزيد على عمر إبراهيم بسنتين ، فقال له إبراهيم إنما بيني وبينك ستان فإذا بلغت عمرك صرت مثلك . قال نعم ، فقال إبراهيم اللهم اقضني قبل ذلك ققام الشيخ قبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر إبراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عندقبرسارة في مزرعة جبرون .

الباب العاشر في ذكر خصائص إبراهيم عليه السلام

هو إبراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى - واتخذ الله إبراهيم خليلاً - وهو سيد القتيان روى في الحديث « أنه قيل للنبي ﷺ ياسيد البشر . قال ذاك إبراهيم » وهو أبو الضيفان وكان لا يتعدى ولا يتعشى إلا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قاعة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى - يوقد من شجرة مباركة - الآية وضح أنه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعي إسماعيل واسحق عن أنس بن مالك . قال : قال رسول الله ﷺ « بشت على ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل » وهو المجهول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبى تجرى السنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضله وتبجله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام - واجعل لى لسان صدق في الآخرين - وهو المبلى بأنواع البلاء والشهود له بالوفاء قال الله تعالى - واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن - وقال - وإبراهيم الذي وفى - أى بما أمر به وهو الأمة القانت . قال الله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين - الى آخر الآية ومعنى الأمة أنه كان مطاعا للخير ، وقد اجتمع فيه من خلال الخير وآواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر :

ليس على الله يستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو الذى أوتى رشده من قبل بلوغه وهو إمام للوحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره . قال تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم - الآية وأول من ساء الله حنيفا مسلما . قال تعالى - ولكن كان حنيفا مسلما - ورأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص ، فقال تعالى - ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا - الآية وهو أول من اختن .

قال أبو منصور الحنباري : حدثنا أبو عباس اللقى ، أخبرنا عبد الحكيم ، أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى ابن نصر . قال قرأ على ابن وهب أخبرنا ابن صعيان عن محمد بن النكدر عن سعيد ابن السيب عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : اختن إبراهيم عليه السلام بالقدم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة .

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا محمد بن غلدة بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس . قال : إن إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد التريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم النوى وأول من قاتل بالسيف وأول من اختن ، واقتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده خن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو القاس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العاقبة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف إبراهيم أصحابه ليدفنه فجل الحتان علامة لأهل الاسلام فاقتن يومئذ بالقدوم ، وهو أول من اتخذ السراويل .

أخبرنا الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شاذان بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن إسماعيل ابن حبان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال : أوحى الله تعالى الى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنك أكرم أهل الأرض علي فاذا سجدت فلا ترى الأرض عورتك فاتخذ السراويل ، وهو أول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يا رب ما هذا ؟ قال الوقار فقال يا رب زدني وقارا ، وهو أول من أقام للناسك وذلك بدعوته حيث قال - وأرنا مناسكنا - فاستجيب له ، وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعدد روزه حتى بناء . قال الله تعالى - وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت - الآية وهو أول من ألقى في النار في الله فجلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أوحى الله له الموتى بسؤاله حيث قال - رب أرني كيف تحيي الموتى - الآية وهو الذي كان إذا سافر وتمنى سارة واشتاق إليها رفع الله الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذي يكسى حلة يضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن . قال النبي عليه الصلاة والسلام « عشرين الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما » وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن وهو انكفيل لأطفال المسلمين والقائد لأهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من تنف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجد بالماء وأول من هاجر لله . قال الله تعالى - فأمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي - وجعل مقامه قبله للناس . قال الله تعالى - واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى - وجعله إماما للناس . قال الله تعالى - إني جاعلك للناس إماما - . وقال تعالى - قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم - وأمر محمدا خيرا الأنبياء بآبته خير الأمم باتباع ملته . قال تعالى - ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا - وقال - قل بل ملة إبراهيم حنيفا - وسماه حليما منيا وأما . قال تعالى - إن إبراهيم لحليم أواه منيب - الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب ، والأواه الذي يكسر التأوه عند ذكر الذنوب ، والنيب للقبل قلبه الى ربه فهذه ست ولربون خصلة من خصاله التي أكرمه الله بها .

ويروى أن الله تعالى أوحى الى إبراهيم : يا إبراهيم إنك لما سلت مالك الى الضيفان وإنيك الى الغربان وتوسك الى التيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا .

وروى أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري . قال قلت : يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى ؟ قال مائة صحيفة وأربعة كتب ، أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزيور والفرقان . قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبلي للسلط المتروور إنى لم أبشك لجميع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بشتك لترد عنى دعوة المظلوم فأنى لأردّها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال ، على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وآخر وساعة يغفل فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المظم والشرب وغيرها ، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا فى ثلاث . زود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محدور يغنيه .

مجلس فى ذكر بعض أخبار إسماعيل واسحق ابني إبراهيم عليهم السلام

وقد ذكرنا سير إبراهيم الخليل بابنه إسماعيل وهاجر الى مكة وإسكانه إياهما بها ولما كبر إسماعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرم فكان من أمرها ما قدما ذكره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج بأمرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها إبراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فأقرئني من السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لإسماعيل اثني عشر رجلا ثابتا وقيدار واديل وبسام ومسمع وذوما ومسا وحرا وفيا وبطور ونافس وقيدما ومن ثابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى إسماعيل ببعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوجه ابنته من عيص بن اسحق وعاش إسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر .

وروى عمر بن عبد العزيز أنه قال : شكوا إسماعيل إلى ربه تعالى حرمة فأوحى الله تعالى اليه انى فأعجب لكبابا من الجنة يجرى عليك روحها الى يوم القيامة وفى ذلك المكان دفن .

وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رقابنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد مامضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبه على ما ذكره السدى قال : حملت رقبا فى بطن واحد بفلايين فلما أرادت أن تضع اقبلت الفلامان فى بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لن يخرج قبلى لأعترضن فى بطن أمى فأقبلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيصا لأنه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لأنه خرج آخرها بقب عيص وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الفلامان كان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبهما إلى أمه وكان

عيس صاحب صيد ، فلما كبر اسحاق وعمى قال لعيس يا بني أطعنى لحم صيد واقترب منى أرفع لك
بداء دعالي به أبى وكان عيس رجلا أشعر ويعقوب رجل أجرد فخرج عيس يطلب الصيد فسمعت أمه
الكلام فقالت ليعقوب يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدتها ثم قدمها الى أبيك
وقل له أنا ابنك عيس ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيس قمه وقال الس
مس عيس والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيس فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه
ثم قال له ادن منى فدنا منه فدعاه أن يحمل في ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيس
بعده فقال يا أبت قد جئت بك بالصيد الذى أردته فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فضضب عيس وقال
والله لأقتله فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فاهل أدع لك بها فتقدم اليه فدعاه فقال أن تكون ذريتك
عند التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق غلاك فمكن عنده خشية عليه
أن يقتله عيس فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير فى الليل ويكمن فى النهار فلذلك ساء الله اسرائيل ،
وهو أول من سرى بالليل فأتى يعقوب الى خاله وكان اسحق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين
وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لىان بن ناهر وان يعقوب لما مكث عند خاله فخطب ابنته راحيل
وكان له ابنتان لىا وهى الكبرى وراحيل وهى الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجهك عليه فقال لا
لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفى صداق ابنتك فقال له ان صدقتها أن تخدمنى سبع حجج فقال يعقوب
تزوجنى راحيل لأنها أصغر وأجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين
فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى لىا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاء يعقوب
وهو فى ناد من قومه . فقال له غررتنى وخدعتنى واستحللت عملى سبع سنين ودلست على غير امرأتى
فقال له خاله يا ابن أختى أردت أن لا يدخل على فى ذلك العار وألبسه وأنا خالك ووالدك متى رأيت
الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فأخدمنى سبع سنين أخرى حتى أزوجهك الأخرى وكان
الناس يومئذ يجمعون بين الأختين الى أن بعث موسى وآزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين
أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له لىا أربعة أسباط : روبيل وكان أكبرهم ، ويهوذا وشمعون
ولاوى ، وولدت له راحيل : يوسف وبنيامين وهو بالعربية شدداد ، وانما سمى بنيامين لأن أمه
راحيل ماتت فى نفسها وبيامين بالعربية الشك وكان لىان دفع الى ابنته حين جهزها الى يعقوب أمتين
يقال لاحداهما زلفة وللأخرى بلهة فوطى الأمتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط
فولدت زلفة ليعقوب دان وفتالى وروبالون ، وولدت له بلهة جاد ويشجر وآشر فكان بنو يعقوب
اثني عشر رجلا : اثنان من راحيل ، وأربعة من لىا ، وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة ، وهم الذين
سماهم الله تعالى الأسباط وسماهم بذلك لأن كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة اللتفة
الكثيرة الأغصان ، والأسباط من بنى اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ، ثم ان
يعقوب فارق خاله لىان وانصرف بولده وامراتيه وجاريته المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على

خوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه الاخيرا فنازل أخاه وتألفه وتلقفه حتى ترك له البلاد وتقل في الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده .
وقال ابن - حق : تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسيمة بنت اسماعيل بن ابراهيم فولدت له ابراهيم بن عيص فكل بنى الأصفر من ولده وكان عيص فيما ذكر يسمى آدم لأدتمته ولذلك سمي ولده بنى الأصفر قالوا : وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص وسقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة جبرون والله أعلم .

مجلس فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام

وهو لوط بن هاران بن تارح ابن أخى ابراهيم عليه السلام ، وأغسمى لوطا لأن حبه لاط قلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق به ولصق ، ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لولائك ألو ط أى ألصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه جاشديدا . وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الأنبياء وذ كروه ب فى المبتدأ له أنه شخص من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعاله على دينه مهاجر معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه ومقيا على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكتوبها فى تارح وهو آزر أبو ابراهيم فخران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعون من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فزلا ابراهيم فلسطين وأزل لوطا الأردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم ومايلها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى - أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أأنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون - قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى - أأنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى نادىكم المنكر - فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن أتيتهم الفاحشة مع من ورد بلدهم وأتيتهم المنكر فى نادىهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مرتبهم ويتضارطون فى مجالسهم وينكح بعضهم بعضا فى الطريق . وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم على الطريق .

وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مرتبهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا يأتونه ، وكان لوط ينههم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعنه ولا يزيدهم وعظه إلا تعاديا وعتوا واستجابا بعدد الله تعالى وانكارا وتكذبا وقولون له - اثنا بعذاب الله أن كنت من الصادقين - حتى سأل لوط ربه

أَن يَصْرَهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمَفسِدِينَ - فَأَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ وَبَعَثَ جِبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ وَاسْرَافِيْلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ لِأَهْلَاكِهِمْ وَبَشَارَةَ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِالْوَلَدِ فَأَقْبَلُوا مَشَاءً فِي صُورَةٍ رِجَالٍ مُّرِدِّحِينَ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَتَضَيَّفُوهُ وَبَشَرُوهُ بِاسْحَقَ وَقَدْ مَضَتْ الْقِصَّةُ فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَخْبَرُوا إِبْرَاهِيْمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِمَنْهُمْ لِأَهْلَاكِ قَوْمِ لُوطَ نَظَرَهُمْ إِبْرَاهِيْمُ وَحَاجَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ بِإِجَادَتِنَا فِي قَوْمِ لُوطَ - وَكَانَ جَدُّهُ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا لَهُ إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ - قَالَ لَهُمْ أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا أَرْبَعُمِائَةٍ مُّؤْمِنٍ قَالُوا لَا : قَالَ أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا ثَلَاثَةٌ مُّؤْمِنٍ . قَالُوا لَا : قَالَ أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا مِائَةٌ مُّؤْمِنٍ قَالُوا لَا : قَالَ أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا أَرْبَعُونَ مُّؤْمِنًا قَالُوا لَا : قَالَ أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا أَرْبَعَةُ عَشَرَ مُّؤْمِنًا ؟ قَالُوا لَا : وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَدْعُهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بِامْرَأَةِ لُوطَ فَسَكَتَ عَنْهُمْ وَاطْمَأَنَّنَتْ نَفْسُهُ .

وَرَوَى سَعِيدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ الْمَلِكُ لِإِبْرَاهِيْمَ إِنْ كَانَ فِيهِمْ خَمْسَةٌ يَصْلُونَ رَفْعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ . فَلَمَّا عَرَفَ إِبْرَاهِيْمُ حَالَ قَوْمِ لُوطَ . قَالَ لِلرَّسْلِ : إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا إِشْفَاقًا مِنْهُ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ لَهُ الرِّسْلُ : نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ الْإِمْرَأَتَهُ .

قَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَا نَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِ ، ثُمَّ مَضَتْ رِسْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ نَحْوُ سُدُومَ فَلَمَّا اتَّبَعُوا إِلَيْهَا لَقُوا لُوطًا فِي أَرْضٍ لَهُ يَعْمَلُ فِيهَا قَالَ قَتَادَةُ رَأَوْنَاهُ عَنْ حَذِيْفَةَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ لَا تَهْلِكُوهُمْ حَتَّىٰ يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ لُوطُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا إِنَّا مَتَضَيِّفُوكَ اللَّيْلَةَ فَاَنْطَلِقْ بِهِمْ فَلَمَّا مَشَىٰ سَاعَةً انْفَتَحَ لَهُمْ وَقَالَ أَوْ مَا يُلْقِيْكُمْ أَمْرُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ؟ قَالُوا وَمَا أَمْرُهَا قَالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّهَا لَشَرْ قَرْيَةٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا أَعْلَمُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَنَا سَأَلْتُ أَخْبَثَ مِنْهُمْ قَالَ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَدَخَلُوا مَعَهُ مِزْلَهُ وَعَلِمَ لُوطُ أَنَّهُ سَيُحْتَاجُ إِلَى الدَّفَافَةِ عَنْ أَضْيَافِهِ وَخَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ - وَلَمَّا جَاءَتْ رِسْلُنَا لُوطًا سَاءَ بِهِمْ مُضَاقٌ بِهِمْ ذَرْبًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ - أَيْ شَدِيدٌ .

قَالَ السُّدِّيُّ بِأَسْنَادِهِ : لَمَّا خَرَجَتْ لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيْمَ نَحْوُ قَرْيَةِ لُوطَ فَأَتَوْهَا نِصْفَ النَّهَارِ فَلَمَّا بَلَغُوا سُدُومَ لَقُوا بِنْتَ لُوطَ تَسْتَقِي الْمَاءَ لِأَهْلِهَا ، وَكَانَ لَهُ ابْنَتَانِ اسْمُ الْكُبْرَى رَيْثَا وَالْأُخْرَى غَيْثَا . فَقَالُوا لَهَا يَا جَارِيَةُ هَلْ مِنْ مَنْزِلٍ ؟ قَالَتْ نَعَمْ مَكَانَكُمْ لَا تَدْخُلُوا حَتَّىٰ آتِيَكُمْ فَفَزَعَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهَا ثُمَّ أَمَّتْ أَبَاهَا فَقَالَتْ يَا أَبَتَاهُ أَدْرِكْ فَيُنَا عَلِيَّ بَابِ الْمَدِينَةِ مَا رَأَيْتُ وَجْهَهُ قَوْمٌ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُمْ لَثَلَا يَأْخُذُهُمْ قَوْمُكَ فَيَفْضَحُوكَ ، وَقَدْ كَانَ قَوْمُهُ نَهْوَهُ أَنْ يَضِيفَ رِجَالًا وَقَالُوا لَهُ خَلْ عَنَّا فَلَنَضِيفَ الرِّجَالَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ - أَوَلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ - فَجَاءَ بِهِمْ لُوطُ إِلَى الْمَنْزِلِ مَا يَطْمِئِنُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِ لُوطَ فَخَرَجَتْ امْرَأَتُهُ فَأَخْبَرَتْ قَوْمَهَا بِذَلِكَ وَقَالَتْ إِنْ فِي بَيْتِ لُوطَ رِجَالًا مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمْ حَسَنًا قَطُّ . قَالَ أَبُو حَمْزَةَ الثَّمَالِيُّ : بَلَقْنَا أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ امْرَأَةِ لُوطَ وَقَوْمِهِ إِذَا أَتَتْهُمُ الضُّيْفَانِ يَقُولُ رَسُولُهَا هَيْثُ لَنَا مَلْحَا تَدْعُوهُمْ بِذَلِكَ إِلَى الْفَاحِشَةِ بِأَضْيَافِ لُوطَ فَلَقْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ مَسَخَهَا مَلْحًا قَالُوا فَلَمَّا أَخْبَرَتْ امْرَأَةُ لُوطَ

قومها بأضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أي يهرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله ولا تغزون في ضيقي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتي هن أظهر لكم - قالوا أولم تنهك عن العالمين - أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد - فلما قبلوا منه ما عرض عليهم قال لو أني بيكم قوة أو أدوى إلى ركن شديد - قالوا فابست الله نبيا بعده إلا في شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال ﷺ لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وخلق بابه والملائكة معه في الدار وهو ينظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يمالجون تسور الدار فلما رأته الملائكة مالت لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له - بالوط ان ركنك لشديد وانهم آتيتهم عذاب غير محدود إن ارسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل - الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فتشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من درمنظوم وهو راق الثياب أجلى الجبين ورأسه حلك مثل المرجان كأنه الثلج يياضا وقمصا إلى الحضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى - ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم - الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجم النجم ان في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرنا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونك فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربه وانهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم أهلكوهم الساعة - فقال له جبريل : - إن موعدهم الصبح أليس الصبح قريب - ثم أمره أن يسري بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته - فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى - إلا آل لوط نجيتناهم بسحر نعمت من عندنا - كذلك يجزى من شكر - فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقطع قرى قوم لوط الأربع ، وكان في كل قرية مائة ألف فرضعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبا فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى - فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى - وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبيد - أي بمن يفعل كفعلهم .

أخبرنا الحسين بن محمد بن قنبحويه أخبرنا محمد بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن هشر أخبرني جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اني لأسمع المواسف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التي أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلهم » وأخبرنا ابو بكر بن محمد بن أحمد بن هبيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا ابو حاتم الرازي أخبرنا ابو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمرو قال : كنت عند عبد الملك بن مروان

إلى أن أتى شعيب قاضي حمص وكان رجلا عالما فساله عقوبة اللوطي ، قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط ، فان الله تعالى قال - وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر للنذرين - وقال تعالى - وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل - قبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه ، قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله . قال وصمعت امرأة لوط الهمة فالتفت وقالت واقوما فأدركها حجر فقتلها ، فذلك قوله تعالى - إلا امرأته كانت من النابرين - أي الباقيين في العذاب وقال تعالى - إنه مصيبها ما أصابهم - الآية .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى قال أخبرنا السيب قال سمعت أبا روق يقول إلا امرأته كانت من النابرين أي خلقت لفسخ حبرا وكانت تسمى هلسف وقال غيره اسمها واعة ، قالوا وكانت قري قوم لوط حمزا سدوم وعامورا ودومة وساعورا ، فأمسدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحملها جبريل على جناحه فقلها فذلك سميت للؤثفكت : أي للتقلبات ، وأما القرية الخامسة فانها تسمى صفرة ونجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط .

وروي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : إن الله تعالى سهاك بأسماء ففسرها لي ، قال وصفك في قوله تعالى - ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين - فأخبرني عن قوتك ؟ قال يا محمد رفعت قري قوم لوط من تخوم الأرض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن ، قال فأخبرني عن قوله تعالى مطاع ؟ قال إن رضوان خزائن الجنان ومالك خزائن النيران متى قلت لها أو كلفتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحتها قال فأخبرني عن قوله تعالى أمين ؟ قال إن الله تعالى أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأمن عليها غيري .

أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد التقي أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سميان البزازي أخبرنا عبد الله بن قعطبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن هياش قال : سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجلهم ؟ فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استثنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا .

أخبرنا ابن فضال أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سلمان قال : قلت لمجاهد بابا الحجاج هل بقي من قوم لوط أحد ؟ قال لا إلا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيه في الحرم ، قام إليه ملائكة الحرم فقالوا الحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله ، فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته ، فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله . عن مقاتل عن أبي نظرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط أنما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يلبثون

الأربيين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله ﷺ « لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو نعتبكم العقوبة جميعا » .

مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام

قال الله تعالى - نحن نقص عليك أحسن القصص - الآية قال سعد بن ابى وقاص قالت الصحابة لرسول الله ﷺ : لو حدثتنا . قال فأنزل الله تعالى - الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها - الآية ، فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن - الآية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على أحسن القصص . واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الأفاضل أحسن القصص ، فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة لفظه نغظ للبالغة وحكمه حكم الصفة حكوه تسمى - وهو أهون عليه - قال الشاعر :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز وأطول

إراد عززة طويلة ، وأجراه الباقون على الظاهر فقالوا هى أحسن القصص ، ثم اختلفوا في وجهها ، فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال : اجتمع اصحاب رسول الله ﷺ إلى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها ، فأنزل الله تعالى - نحن نقص عليك أحسن القصص يعني أن قصص القرآن أحسن مما في التوراة وقيل سمي الله هذه القصة أحسن القصص لأنها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى - لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين - وقال تعالى - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازة يوسف واخوته وصبره على أذىهم وإغصائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث قاله - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم - وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والافعال والطير وسير الملوك والممالك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن ، وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرية وتبدير المعاش ، فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري الدنيا والآخرة ، قال أهل الإشارة سبها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب .

الباب الأول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام

هو يوسف الصديق ابن يعقوب الصفي ابن اسحق النبي ابن إبراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله ﷺ كريما وآباءه كرماء . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول

الله ﷺ « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم » واختلفوا في معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبري فذلك لا يجرى ، وقال بعضهم هو اسم عربي سمعت الأستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول : سمعت أبي يقول سمعت أبا الحسن الأقطع وكان حكيما فمثل عن يوسف ، فقال الأسف في اللغة الحزن والأسيف العبد واجتمعا فيه فذلك سمى يوسف .

الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة وحيلته ونمت خلقه وصفة صورته

قال الله تعالى - فلما رأيته أكبره - الآية :

أخبرنا أبو عبد الله التقي أخبرنا عمر بن احمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال : حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « مررت ليلة أسري بي إلى السماء فرأيت يوسف ، فقلت يا جبريل من هذا ؟ فقال هذا يوسف ، قالوا فكيف رأيته يا رسول الله ؟ قال كالقمر ليلة البدر » وأخبرني الحسن بن محمد أخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد ابن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب أخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن انس قال : قال رسول الله ﷺ « أعطى وأمه شطر الحسن » وعن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي نرويه قال كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثاً وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران . قال كعب الأحبار : إن الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة النور ، فأراه الأنبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوفاق مترزا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة مقمصا قميص البهاء ، وفي يده قضيب الملك ، وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره سبعون ألف ملك ، ومن خلفه أمم الأنبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس ، وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه حيثما حال ، فلما رآه آدم قال إلهي من هذا الكريم الذي أبحت له بحبوحه الكرامة ورفعت له الدرجة العالية ، قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيت به ، يا آدم انحله ، قال آدم قد انحلت ثلثي حسن ذريتي ، ثم إن آدم ضم يوسف إلى صدره وقبله بين عينيه ، وقال يا بني لا تأسف فأنت يوسف ، فأول من سلاه يوسف آدم ، فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلاثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب للصبية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه ، فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ، ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انزع منه ، وذلك إن الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه قادر على ما يشاء ، فأعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحدا من الناس ، ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا ، وكان يخبر بالأمر الذي يرى في المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الأمر عليه الله ذلك كما علم الأسماء كلها لآدم ، فكان حسن يوسف كنوء النهار وكان

يوسف أبيض اللون، جميل الوجه، جمد الشعر، ضخم العينين، مستوى الخلق، غليظ الساقين، والصديقين والساعدين خميس البطن، ألقى الأنف صغير السرة، وكان يخدمه الأيمن خال أسود، وكان ذلك الخال يزين وجهه، وكان بين عينيه شامة بيضاء، كأنها القمر ليلة البدر، وكانت أهداب عينيه تشبه قوائم النور، وكان إذا تبسم رأى النور من ضواحه، وإذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثيابه، لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام، ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم، وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالبرانية، وهو ورث الحسن من أمه سارة، فإن الله تعالى صورها على صورة الحور العين، ولكن لم يعطها صفاءهن، وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون وقهاء البشرة، ما لم يعطه أحدا من العالمين، وأنه كان ليأكل البقول والقواكه فترى حين يزورها في حلقه وفي صدره حتى تصل إلى بطنه وورثت سارة الحسن من جنتها حواء.

وقال وهب: الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس.

وعن عبدالله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال «هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لك كهوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي» وقيل لبعض الحكماء أبو يوسف أحسن أم محمد؟ فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد ﷺ أحسن الناس، ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال: نظرت إلى رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء ونظرت إلى القمر ليلة البدر فهو أحسن في عيني من القمر.

القول في القصة

قال أهل العلم بقصص الأنبياء وأخبار الماضين: كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء حبة يعقوب له وإشارته على سائر ولده أن الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة في صحن داره، فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا، فكان كلما كبر التلام وشب طال ذلك النمن وغلظ، فلذا بلغ ذلك التلام قطع يعقوب ذلك النمن ودفعه إليه فوله له عشرة بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان، فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيئا، فلما كبر وشب قال لأبيه: يا بني الله أنه ليس أحد من إخوتي إلا وله غصن إلا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بنمن من الجنة، فرفع يعقوب يديه إلى السماء وقال اللهم إني أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة فتخرجه على جميع إخوته، فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الأخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع إخوته، قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو إذ ذاك صبيا كأن قضيبه غرس في الأرض فطلق وتدللت أغصانه وأنمر من كل ثمرة، ثم أتى بأغصان إخوته ففرست حوله فلم تطلق ولم تخرج ولم تحمر، وإذا بنمن يوسف أقصرها وأضرها، فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على أغصان إخوته،

ثم هبت الريح فالتفت أغصان أخوته من أصولها وألقها في البحر ونبت غصن يوسف في الأرض قائما ، فانتبه فرعا مرعوبا ، فقال له أبوه : ما الذي دعاك يا بني ، قصص عليه رؤياه فبلغ أخوته ، فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك أن تدعى أنك مولانا ونحن عبيدك فتشع عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد . قال وهب رأي يوسف هذه الرؤيا يعني النصف وهو ابن سبع سنين ، ثم انه رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الرؤيا التي قصها الله علينا في كتابه اذ قال تعالى - اذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا - الآية وكان ينومه إلى جانبه فيبيتا يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فرعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه إلى صدره وقيل بين عينيه وقال يا حبيب أياه ما الذي أصابك ؟ فقال يا أبت رأيت رؤيا أفزعني . فقال يا بني خيرا رأيت ، ما الذي رأيت ؟ قال يوسف : رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنني ألبست رداء أشرق الأرض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض ألقيت بين يدي : فيينا أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا اقتضت من السماء ومعه الشمس والقمر غفروا لي ساجدين فقال يعقوب - يا بني لا تخفص رؤياك على أخوتك - الآية ، ثم عبر رؤياه فقال - وكذلك يجتنيك ربك وحطك من تأويل الأحاديث - الآية ، قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب اكشفي ما قال يوسف ولا تخبري أولادي بذلك فقالت نعم ، فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكتمها فانتفضت أوداجهم واقتضرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عني بالشمس غير أننا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ، ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدي لحسدوه على ذلك فذلك قيل في الحكمة : لا تأمن قارئا على صحيفة ولا شاعرا امرأة ولا امرأة على سر .

وروى الحكم بن ظهيرة عن اسماعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل من اليهود يقال له نبتار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما سألتها ؟ فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه شيء حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسانها فأرسل إلى اليهودي ودعا وقال له ان أخبرتك بأسانها أمسم ؟ قال نعم . فقال له : جريان والطارق والبال وفوال الكفنين والفرغ ووتاب وعمودان وقابس والصح والظلي والنفروح ، رآها يوسف في أفق السماء ساجدة له ، فلما قص رؤياه على أبيه قال ابرى شيئا مشقتا ويحبه الله لك ، فقال اليهودي هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف في النصف ورؤياه في الكواكب سبع سنين ، فلما كان من امر رؤيا يوسف ما كان وانضاف إلى ذلك تخصيص أبيه (٧ - قصص الأنبياء)

يقوب إليه بالحبّة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تأثمروا بينهم في أن يفرقوا بينه وبين
 آية يضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى - إذ قالوا لـيوسف
 وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين - أي خطأ بين في إثارة يوسف
 وأخاه علينا اقلل يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أي
 تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب. قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم واعتقلهم : لاقتلوا
 يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة إن كنتم
 فاعلين . قيل للحسن أحمد المؤمن ؟ قال لسائل ما أسالك بنى يعقوب ولهذا قيل : الأب جلاب
 والأخ سلاب ، فشد ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في إرسال يوسف معهم إلى
 البرية ، فقال لهم روييل وهو أكبر ولد يعقوب إن أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا
 بنا إلى يوسف حتى نلعب بين يديه فلذا نظر البنا كيف نخرج ونلعب اشتاق إلى ذلك ، فأقبلوا على
 يوسف وهو قاعد يسبح فلبوا يتلاعبون ويتضحكون بين يديه ، فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى
 اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلمبون في مراعيكم ؟ فقالوا نعم يا يوسف انك لورأيتنا
 ونحن نلعب في مراعيك لتتيت ان تكون معنا فشوقوه إلى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم ، فقال
 لهم يا اخوتاه انطلقوا إلى أبي واسألوه ان يرسلني معكم فأقبلوا إلى يعقوب ووقوا بين يديه صفا
 وكانوا يضطربون هكنا إذا أرادوا ان يسألوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم ؟
 قالوا يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف وانا له ناصحون ، نحوطة ونحفظه حتى نرده إليك أرسله معنا
 هذا يرتع ويلعب في الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب أفد لي خزني ان تنهبوا به وأخاف
 ان يأكله الذئب واتم عنه فافلون لا تشعرون بذلك . قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب
 لأنه رأى في منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئب قد شدوا عليه ليأكلوه
 واذا ذئب منها يحمي عنه وكأن الأرض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة
 أيام فلما رأى يعقوب هذا الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فذلك قال لهم وأخاف ان يأكله الذئب.
 أخبرنا الحسين بن محمد بن قنوه أخبرنا عبد الله بن شبة أخبرنا ابو نعيم وعبد الرحمن بن قريش
 أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم المروزي أخبرنا مالك بن سليمان القروي أخبرنا عبيد الله بن عمر
 المصري عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا
 فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم ابوم ، فلما لقنهم وقال انى أخاف ان
 يأكله الذئب قالوا اكله الذئب فقال بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال انا إذا
 لحاسرون حجة مغلوبون ، ثم قالوا يا بنى الله كيف يأكله الذئب وفيما هم موقفا غضب لا يسكن غضبه
 حتى أصبح فلما صاح لا تسمعه حليل الا وضعت ما في بطنها ، وفيما يهوذا إذا غضب شق السبع
 نصفين ، فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمان اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدي آية ثم قال له يا ابت

أرسلني معهم قال أو تعجب ذلك يا بني ؟ قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك في ذلك ، فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقتة وأخذ قضيه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب إلى السلة التي حمل فيها إبراهيم ، زاد اسحق فحمل فيها زادا ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا بني انما رجع فقال يعقوب يا بني أو صيكم بتقوى الله وبجيبى يوسف أسألكم بالله ان جاع فأطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تعبوه ولا تغدلوه وكونوا متواصلين متراحمين . قالوا نعم يا أبانا كلنا لك ولد وهو أخونا كأحدنا بل له الفضل علينا بحبك إياه فقال نعم يا بني ، الله خليفتي عليكم مع آتى خائف أنأ كون قد ضيعته ، ثم انه أقبل على يوسف فآلمه وضمه إلى صدره وقبل بين عينيه ، ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعا .

وروى السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي ﷺ واسحق بن بشر بن جوير عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الأحبار عن سعيد بن أبي عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهر يزنه الكرامة ، فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه ، فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا ، فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل أن تقتلوني فلم يسقوه ، فعند ذلك بكى للملائكة رحمة ليوسف ، فلما رأى يوسف أن ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبناء يعقوب لو تعلم ما نصنع بابتك بنو الآباء فلما هموا بهتله قال لهم يهودا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد أعطيتوني موتا أن لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه في الجب كما قال الله تعالى - فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يحملوه في غيابة الجب - فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الأردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارة الطريق في واد من أوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئر وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلىها ضيق بهلك من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من خمر سام بن نوح ويسمى جب الأحزان ، فلما أرادوا أن يلقيه فيه جعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه إلى عنقه وزرعوا قيصره ، فقال يا إخوتاه ردوا علي قيصره أستربه عورتي ويكون لي كنفاء بعد مماتي وأطلقوا يدي أطرد بهما عنى هوام الجب ، فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه في البئر بحبل ، فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على وجه الماء سخرة ململمة لينة ورفها إلى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يكي فنادوه فظن أنها رحمة لحقهم فأجابهم فهموا أن يرسخوه بالحجارة فيقتلوه فنتهم يهودا وقال لقد أعطيتوني موتا أن لا تقتلوه ، قالوا فلما ألقى يوسف في الجب أضاعه الجب وعذب ماؤه حتى كان يضيئه عن الطعام والشراب وبث الله تعالى إليه ملكا فعلم عنه قيده وكان إبراهيم حين ألقى في النار جرد من ثيابه وقذف

في النار عرطانا فأناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك القميص عند إبراهيم ، فلما مات إبراهيم ورثه اسحق ، فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه . فلما شب يوسف جل يعقوب ذلك القميص في تمويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه ، فلما ألتى في الحب عرطانا جاءه الملك وحسكان عليه التمويد فأخرج القميص وألبسه إياه وجل يؤنسه بالنهار .

وبروى : ان الملك أتاه بفرجة من الجنة فأطعمه إياها ، فلما أمسى يوسف نهض لللك ليذهب فقال له يوسف انك إذا خرجت عن أستوحش فقال له الملك قل إذا هبت شيئا يا صريح المستمخين باغياث المستخين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يغني عليك شيء من أمري ، فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحوا به وأتوا في البئر ثلاثة أيام . فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحتك ههنا في هذا الحب ؟ قال اخوتي لأبي . فقلولم ؟ قال حسدوني على منزلتي من أبي . قال أحب أن تخرج من هذا الحب ؟ قال نعم . قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤمن كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا حيي الموتى لا اله إلا أنت سبحانك أسألك يا من لا الحمد بأبدع السموات والأرض . يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصل على محمد وعلى آل محمد وأن تصل لي من أمري ومن ضيق فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحسب ومن حيث لا أحسب فقالها يوسف فجعل الله له من الحب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآناه ملك مصر من حيث لا يحسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئ اخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون أنك يوسف فذلك قوله تعالى - لتنبئهم بأمرم هذا وهم لا يعلمون - .

وقال مجاهد : خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم ير بشر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة .

أخبرنا أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف المصري أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز ، أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألتى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في السجدة والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة . رجنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعدما ألتى في الحب فلما ألقوه في الحب عمدوا إلى سحرة من التمن فذبحوها ولطخوا فيميص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها ، ثم اتهم رجسوا إلى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون يوسف ، فلما دنوا منه اضطرحوا صراخ رجل واحد ورفضوا أصواتهم بالبكاء فترى يعقوب أنهم قد أسيوا بحصية ، فلما دنوا منه اضطرحوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففرغ

يعقوب وقال مالكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا إننا ذهبنا نستبق أى نتفضل وكذلك هو فى قراءة عبدالله - وتركنا يوسف عندمتنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين - وهذا قيسه مطلق بدنه ، فلذلك قوله تعالى - وجاءوا أباهم عشاء يبكون - وإنما فعلوا ذلك ليكونوا فى الظلمة أجراً على الاعتذار وتزوير مامكروا ، فقد قالوا : لا تطلب الحاجة فى الليل فان الحياء فى العنين ولا تغتفر بالتهار من قبح فعلك فتلجج فى الاعتذار فلا تغدر على أعمامه .

وروى الشعبي : قال جاءت امرأة إلى شريح فجعلت تبكى ، فقال رجل الأثرى إلى هذه المرأة السكينة كيف تبكى فقال شريح قد جاء أخوة يوسف عشاء يبكون ثم إنه أنشد فى معناه :

أغرك من شيخ بكاء ومعلمه أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه
فإن بنى يعقوب جاءوا أباهم عشاء وهم يكون زوروا ومخرقه

قال فلما قالوا - يا أبانا إننا ذهبنا نستبق - أى نتفضل وتركنا يوسف عندمتنا فأكله الذئب الآية إلى قوله - بدم كذب - لأنه لم يكن دم يوسف وإنما كان دم شاة . وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة أى طرى . فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديداً وقال لهم أرونى قيسه فأروه . فقال تالله ما رأيت كالיום ولا ذبأ أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشقه حياء ولا خرقه شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يبق إلا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديداً ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينه .

أخبرنا ابن فضال أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسامة حدثنى زكريا عن سماك عن الشعبي قال : كان فى قميص يوسف ثلاث آيات لما جاءوا به إلى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قيسه وحين سئى نحو الباب فتفتت قيسه من خلف فعرف الوزير أنه لو كان هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيرا

قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الند رجوا إلى مزاعمهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فإن أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من اللامة ، فمروا بنا على الحب فنخرج يوسف منه وشرى بين أسلاعه ولحمه ونجى به فقال لهم يهوذا يا أخوتاه ابن المهد الذى بينى وبينكم والله لئن قلتم ما تقولون لأخبرن يعقوب بما كان منكم إليه ، ثم لا تكون لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم اتهم رجوا إلى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين ان الذئب أكله فأين الذئب اتونى به فمسدوا إلى جالمهم وعصمهم فأخلوها ومضوا إلى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كئافا ثم حملوه إلى يعقوب وأوثقوه بين يديه فقال خلوا عقاله ضلوه فقال له يعقوب أبل فأقبل الذئب بتغلى القوم حتى وقف بين يدى يعقوب منسكسارأسه فقال له يعقوب : أيا الذئب أكلت ولدى وقرعة عينى وحبيبى ونمرة فزادى قد أورتنى حزنا طويلا والماعظما قال فكلم الذئب وقال لا وحق شيتك

يا بني الله ما أكلت لك ولدا وإن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء لحرمة علينا وإني لمظوم مكذوب على وإني لثوب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لأجل قرابة لي من الدثاب أزورهم وأصلهم فعند ذلك قال يعقوب لأولاده - بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل - وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى - والله السنان على ما تصفون - .

قال ابن عباس إنما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو حائم فاستطعمه جاره فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فشك يوسف في الحب ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أي رقعة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطوا الطريق وصلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الحب قال وكان الحب في قعر بعيد من العمران وإنما هو للراحة والمجازاة وكان ماؤه مالحا فضرب حين ألقي فيه يوسف ، فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى - وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه - قالوا والوارد الذي يتقدم الرقعة الى الماء فيهيء الأرشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه أي أرسلها فتعلق يوسف بالجبل ، فلما وصل الى قم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من العلمان . فقال مالك يا بني هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسروه بضاعة قال القسرون أسر مالك بن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضئناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله . قال وكان يهودا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهودا وأخبر اخوته بذلك فأثروا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا . وكنتم يوسف حاله عذابة ان يقتلوه فقال مالك انا اشتريته منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى - وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام . لأن ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وإنما قال ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهما إنما كانوا يعدونها عدلا فإذا بلغ أوقية وزنوه لأن أقل اوزانهم واصغرها يومئذ أوقية أربعون درهما .

واختلف العلماء في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي : عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما . وإنما باعوه بهذا القدر لأنهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله . ويقال ان السبب في استرقاق يوسف ويضعهم إياه ان إبراهيم دخل مصر في بعض الأزمنة فلما خرج منها شيعة زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى اربعة فراسخ تعظيما له وإجلالا ولم يترجل لهم إبراهيم فأوحى الله اليه انك لم تنزل نمبادي وهم يمضون معك حفاة لأعاقبك بأن يباع

وله من أولادك في هذه المدينة . ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه يوسف ومعهم أخوته يحولون لهم استوتجوا منه فانه أبى سارق كاذب وقد يرثنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقته وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه ، فلما رأى قبر أمه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا أمي ياراحيل حلى عنك عقدة الردى وارفعى رأسك من الترى وانظرى الى ولدك يوسف ومالقي بعدك من البلاء ، يا أماء لو رأيت ضغنى وذلى لرحمتينى ، يا أماء لو رأيتينى وقد نزعا قميصي وشدوني وفي الحب ألقوني وطى حر وجهي لطموني ، وبالجملة رجوني ولم يرحموني وكما تباع العبيد باعوني وكما يحمل الأسير حملوني .

قال كعب الأحبار : فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله . قال فافتقده مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجده فصاح في القافلة ألا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فرأوه فأقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد خبرنا مواليك بأنك أبى سارق فلم تصدق حتى رأيناك تفعل ذلك ، فقال والله ما أبى ولكنكم مررتم على قبر أمي فلم آتمالك أن رميت نفسي على قبرها . قال : فرفع مالك بن دعر يده ولطم خر وجهه وجرحه حتى حمله على ناقته . وروى أنهم قيده فذهبوا به حتى قدموا مصر . قال مالك ما زلت منزلا ولا ارتحلت إلا استبان لي بركة يوسف وكنت أسمع تسليم اللائكة عليه صباحا ومساء وكنت أنظر إلى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف ، فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر ان يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطيف بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الأعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن قارن بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام . وروى ان هذا الملك ما مات حتى آمن يوسف وتبعه على دينه ، ثم مات ويوسف حي ، ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن غير بن السلواس بن قارن بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدفناه يوسف الى الاسلام فأبى ان يسلم .

قال ابن عباس لما دخلوا مصر تلقى قطيفير السيرة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بمشرين دينارا وزوج نعال وثوبين أبيضين .

وقال وهب بن منبه : قدمت السيارة الى مصر فدخلوا يوسف الى السوق يرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطيفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو يتخذه ولدا . واسمها راحيل بنت رعيائيل قاله إسحق بن سار .

وأخبرني ابن فتحويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو حامد السليبي أخبرنا أبو هاشم الرقاعي . قال اسم امرأة العزيز بكا بنت قينوش ، قالوا فقال لها أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو يتخذه

ولداً تبناه . وقال ابن إسحق كان قطفير لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا .

أخبرنا أبو بكر الجوزي أخبرنا أبو العباس النعولي بسرحين أخبرنا علي بن الحسين الهلالي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن إسحق عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود . قال : أقرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته أكرمي مثواه . والمرأة التي أمت موسى قتالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر . قال الله تعالى . وكذلك مكنا ليوسف في الأرض . يبنى أرض مصر قال أهل الكتاب لما تم ليوسف في الأرض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجهه على خزائنه فذلك قوله تعالى . وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنطه من تأويل الأحاديث . الآية قالوا فلما أتى العزيز يوسف إلى منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه فتأملت امرأة العزيز وراة حسنة وجهه ووقع حب في قلبها وعشقه فراودته أي طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى . وراودته التي هوى في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك . أي هلم تدعوه إلى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي يعني زوجك قطفير سيدي إنه أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا فخته في أهله بعد ما أكرمني واتمنى فأنا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه . ومعنى ألم بالشئ ما حدث للره به نفسه ولم يفعل ذلك بعد . قال الشاعر :

همنت ولم أفعل وكدت ولتني . تركت على عثمان بكي حلاله

أما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهما به فاختلف أهل العلم في ذلك قال السدي وابن إسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك ، قال : هو أول شيء ينثر من جسدی قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك قال لها أول ما يبيل في الأرض من جسدی قالت : ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتظمه أخرى وتدعوه إلى اللذة وهو شاب مستقبل مجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها .

وروى إسحق بن يسار عن جوير عن الضحاك ومقاتل جميعاً عن ابن عباس فيها . كان من محاورتهما قال : قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء يبلى إذا امت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد آملت جسمي بصورة وجهك قال : الشيطان بينك على ذلك قالت يا يوسف الجنية قد التبت ناراً قم فأطعمها فقال ان أطعناها فنها احتراق قالت يا يوسف الجنية قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو الحق ان يسقها مني قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتي قال : إذا ذهب نصيبي من

الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر فأسترك به قال ليس شيء يسترنى من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى تشفى بذلك قال سيدي، أحق بذلك منى قالت أما سيدك فأستقيه كأسا فيه زئبق الذهب فيتناثر لجه ويتساقط عظمه ، ثم ألقه فى استبرق وألقه فى القيطون معنى الخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره . قال ، فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف انى كثيرة البر والياقوت والزمرد فأعطيك ذلك كله حتى تنفق فى مرضاة سيدك الذى فى السماء فأبى يوسف .

قال ابن عباس جبرى الشيطان فيما بينهما ف ضرب باحدى يديه الى جنب يوسف وباليده الأخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى أن حل الحميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن .

وروى جابر عن الضحاك عن ابن عباس ، سمعت ييوسف أن يفرشها ، وهم بها . يعنى تنهاها أن تكون له زوجة .

وأما البرهان الذى رآه يوسف . وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلوا فيه . أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبرانى أخبرنا حسن بن عطية عن إسرائيل ابن أبى حسين عن أبى سعيد قال قال ابن عباس فى قوله تعالى - لولا أن رأى برهان ربه - قال مثل له يعقوب فضربه بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله . وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انخرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بنى يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أیه فاستحيا منه . وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الأنبياء .

وقال السدى نودى يا يوسف لا تواقعها إنما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطلق ومثلك ان واقعها مثله إذا مات ووقع فى الأرض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ، ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك ان واقعها مثل الثور الذى يموت فىدخل الخمل فى أصل قرنيه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الأسفهانى أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى أخبرنا محمد ابن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصرى ينفذاد أخبرنا خالد بن يزيد البصرى أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى - ولقد همت به وهم بها - فقد دخل سراويله وقدمتها معه الرجل من المرأة فإذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا مصم مكتوب فيها - وان عليكم خافضين كراما كاتبين يعلمون ما تعملون - فقام هاربا فانا ، فلما ذهب عنهما الروح والرب عاد وعاد فلما قدمتها مقعد الرجل من امرأته إذا لكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا مصم مكتوب فيها .

واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله - الآية . فقام هاربا وقامت ، فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما قصد منها مقعد الرجل من امرأته إذ السكف قد بنت بينهما ليس لها عضد ولا مصم مكتوب فيها - ولا تقرىوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا - فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما قصد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عهدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصابعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء قال الله تعالى - كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين -

أخبرنا يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى - لولا أن رأى برهان ربه - قال قامت امرأته العزيز إلى الصنم فظلمت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ما هذا ؟ قالت أستحي أن يرانا فقال لها يوسف أنت حيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحي أنا ممن خلق الأشياء كلها وعلمها . قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا إلى باب البيت هاربا بما أرادته فاتبته المرأة فذلك قوله تعالى - واستبقا الباب - يعني تبادر يوسف وراعيل إلى الباب أما يوسف فقرارا من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبها ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها ، فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبه إليها فانه له من الخروج فقدت : أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لأن يوسف كان الخارج والمرأة الطالبة فلما خرجا ألقيا سيدهما لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم راعيل ، فلما رآته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ماجزاء من أراد بأهلك سودا يعني الزنا إلا أن يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط .

عن ابن عباس : وهذا كالثقل السائر خذ الصنم قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفرت منها فأدركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ماجزاء من أراد بأهلك سودا غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها . واختلقوا في هذا الشاهد من هو ؟

قال سعد بن جبر والضحاك : كان صبييا في المهد أنطقه الله تعالى ، يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال تكلم أربعة في المهد وهم صفار ابن ماثلة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبييا ولكن كان رجلا حكما وله رأى وكان من خاصة الملك . وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه - أن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر -

عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيد كنّ ان كيد كنّ عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لاتذكره لأحد . ثم قال لامرأته - واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين - أي من اللذين حين راودت شابا عن نفسه وخت زواجك فلما استصم كذبت عليه .

قالوا فتباع امر يوسف وراعى وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهنّ امرأة الساقى وامرأة الحجاز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب : امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أى عبدا الكفيا قد شغفها حب اى دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابها وغلافه انا لتواها في ضلال مبين اى خطأ بين حيث تراود عبدا عن نفسه ، فلما سمعت راعيل بمكرهنّ أى بقولهنّ وحديثهنّ ، وقال ابن اسحق يعنى بكيدهنّ وذلك انما قلنه مكرها بها لئلا يترهنّ يوسف لما بلنهن من حسنه وجماله فاعطت راعيل مائة ودعت اربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتى عيرنها فذلك قوله تعالى - وأرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ - اعتدت اى هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئن عليه من الخمارق والوسائد .

عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقناة يعنى هيأت طعاما ، وقرأ مجاهد متكأ خفيفا غير مهموز وهو كل طعام تحزه بالسكين ، وقال وهب أعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا وورما ووردا وآت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد اجلسته في مجلس غير المجلس الذى هنّ فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه اكبرنه وهالحن امره وبهتن وقطن ايديهن بالسكاكين اللاتى معهن وهن يحسبن انهن يقطن الأترج وغيره .

قال قناة أبن ايديهن حتى القينها فلما احسن الا بالهم ولم يجدن من حيز الأيدي ألما لشغل قلوبهن يوسف عليه السلام .

وقال وهب : بلنن ان سبعا من الأربعين امرأة منن في ذلك المجلس وجدا يوسف عليه السلام وقلن حاش لله اى معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ، فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذى لمتنن فيه اى فى حبه وشغفى به ثم انها ابدت لهنّ الليل الذى عندها فقالت وقدر اودته عن نفسه فاستصم اى امتنع واستصمى ، فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل لئن لم يفعل ما أمره . ليسجنن وليكونا من الصاغرين ، فاختر يوسف حين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى اليه وإلا تصرف عني كيدهن احب اليهن اى ابل واتابهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدالهن اى العزيز واصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القيص من دبر وخش الوجه وقطع النسوة ايديهن ليسجننه حتى حين .

قال السدى : وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى في الناس يعتذر اليهم

وغيرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بغيره ، فلما أن تأذن لي أخرج فأعتذر وإما أن عصبه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته ، وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفيرا لزلته . قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات : حين هم بها فسجن ، وحين قال اذ كرتي عند ربك فلبث في السجن بضع سنين . وحين قال لاخوته إنكم لسارقون قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل . ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه ييوس ، غضب عليهما الملك فحبسهما ، وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد ان يسمه وأن ساقيه واقفه على ذلك ، وكان السبب فيه ان جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فمساوا إلى هذين القلامين وضمنوا لهما مالا ليسا الطعام للملك والشراب فأجاباهم إلى ذلك ، ثم ان الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام ، فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لانا كل فان الطعام مسموم ، وقال الخباز لا تشرب لأن الشراب مسموم ، فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره ، فقال للخباز كل من طعامك فأبى ، فجرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فأكلته فهلك ، فأمر الملك بحبسهما ، وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لأهله أني أعبر الأحلام فقال أحد القتيين لصاحبه لم تجزب علم هذا الصبد العبراني فتراءى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا . قال عبده الله بن مسعود ما رأيي صاحب يوسف شيئا وإنما كانا تحالما ليجربا علمه ، وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فيألاه عنها ، وقال مجاهد لما رأى القتيان يوسف قالاه والله لقد أحبيناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لا تحبان فواقهما أحبنى أحدهما فإذ دخل على من حبه بلاء ، لقد أحببني عمي فدخل على من حبه بلاء ، ثم أحبنى أبى فدخل على من حبه بلاء ، ثم أحببني زوجة صاحبي فدخل على من حبه بلاء ، فلما تحبانى بارك الله فيكما قال فأيا الإحبه وألقاه حيث كان وحل يجمعهما ما يرى من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخل السجن رؤيا فأبيا يوسف فقال الساقى أيها العالم اني رأيت كأني في بستان فاذا أنا بأصل كرمه عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتهما ، وكان كأس الملك يدي ففصرتهما وسقيت الملك شريرة ففلك قوله تعالى - قال أحدهما اني أراى أعصر خمرا - يعني عينا بلغة عثمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر خمرا أي عينا ، وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه ، نبشأ بتأويله إن تارك من الحسنين .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن إبراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الريح الزهراني أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى - إن تارك من الحسنين - قال كان إحسانه إذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا مضى عليه وسعه وإن احتاج جمع له وسأل ربه ، وقال قتادة بلغنا ان إحسانه كان إذا رأى مريضهم ومضى حزنيهم ويحتد لربه ، وقال لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوما قد

أعطى رجلاؤهم واعتد بلاؤهم وطال حزنهم فقبل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا ان في هذا الأجر ثوبا ، فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقت وحديتك لقد بورك لنا في جوارك ، انا لانحب ان نكون في غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من الأجر والسكارة والطهارة في ذلك فن أنشأنا فتى ؟ قال أنا يوسف ابن صني الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت خلعت سبيلك ولكن سأحسن حوارك وأحسن إشارتك فمكن في أي بيت شئت قال فكره يوسف أن يعبر لها مأساة لما علم في ذلك من الكروه على أحدها فأعرض يوسف عن سؤالها وأخذ في غيره ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا بأنكما تأؤله قبل أن يأتكما فقال له هذا فعل الكهنة والسحرة ، فقالا أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما عما علمي ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال - إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آباي ابراهيم واسحق ويعقوب - الخ الآية ، فأراها يوسف فطنته ودرأته ثم دعاها إلى الاسلام وأقبل عليهما على أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للصحة - يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه - الآية ، ثم قسر رؤياها لما ألما عليه فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما هو الساقى فيسقى ربه خمرا يعني الملك ويعود إلى منزله التي كان عليها ، وأما العناقيد الثلاثة فاتها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج ، وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه .

قال ابن مسعود : ثم لما سمعنا قول يوسف عليه السلام قالنا ما رأينا شيئا أنما كنا نطلب ونجرب علمك هذا ، فقال يوسف قضى الأمر الذي فيه تستفتيان أي فرغ الأمر الذي عنه تسألان .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي ذر بن العقبلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبها فافها عبرت وقت وإن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة واحسبه قال لا تقصها إلا على ذي رأى وعقل » وقال ﷺ « الرؤيا لأول عابر » فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم أنه تاج منها وهو الساقى اذ كرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما - فأفساه الشيطان ذكر ربه - الآية ، والبضع ما بين الثلاثة إلى العشرة وأكثر القسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين .

وقال وهب بن منه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعطب مختصر بالمسح سبع سنين وتلف يوسف في السجن سبع سنين .

وروى يونس عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله أخى يوسف لولا كنهه ما لبث في السجن ملتبث » يعني قوله اذ كرني عند ربك ثم بكى .

وقال الحسن : نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس .

وقال عاكب بن دينار : لما قال يوسف الساقى اذ كرنى عند ربك ، قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك ، فبكى يوسف وقال : يارب أنسى قلبى كثرة البلوى قتل ما قلت فويل لأخوتى . ويحك أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن ، فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا النذرين مالى أراك بين المحطتين ؟ فقال له جبريل عليه السلام ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى ان استشفعت بالآدميين فوعزنى لأبثتك فى السجن بضع سنين ، قال يوسف يا أخى يا جبريل وهو فى ذلك راض عني ؟ قال نعم . قال : إذا لا أبلى ،

وقال كعب الأحبار : قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول لك من خلقك ؟ قال الله تعالى ، قال فمن حبك إلى أهلك ؟ قال الله تعالى ، قال فمن آتاك فى البر واليسك وأنت عريان ؟ قال الله تعالى ، قال فمن نجاك من كرب البر ؟ قال الله تعالى . قال فمن علمك تأويل الرؤيا ؟ قال الله تعالى قال فكيف استغثت بأدمى مثلك ؟ قالوا فلما اغضت سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخس التى كانت قبلها . وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى - ليسجنته حتى حين - فلما استشفع بالساقى وقال له اذ كرنى عند ربك بقى فى السجن سبع سنين ، فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الأكبر وهو الزيان بن الوليد رؤيا عجيبتهائه وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس . وسبع بقرات عجاف فابتلعت السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منها شيئا ورأى سبع سنبلات خضر قد انقصدت حبا وأفركت . وسبعا آخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها . فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال يا أيها اللأ أفتونى فى رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون : أى تخسرون قالوا أضغاث أحلام غلظة مشبهة التأويل بأطيل وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . وقال الذى نجا منها : أى من الفتيين وهو الساقى . واذكر بعد أمة أى وتذكر حجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أى إلى السجن .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : لم يكن السجن فى المدينة . فبحشه فأتى ليوسف فقال له : أيها الصديق يعنى فيها عبرت لنا من الرؤيا . والصديق هو كثير الصدق . أفتا فى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف إلى قوله لعلهم يطون : أى فضلك وعلمك . فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا إلى قوله وفيه بمصرون . فرجع الساقى إلى الملك وأخبره بما افتاد به يوسف من تأويل رؤياه كالتأويل . وعرف الملك أن الذى قال كائن . فقال الملك اتوني بالذى عبر رؤياي هذه . فلما جاء الرسول إلى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عنده وبراءته ويخبر صحة أمره من قبل النسوة . فقال للرسول ارجع إلى ربك : أى - سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن علم .

قال ابن عباس : لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه ما زالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذي راود امرأتى . وقال رسول الله ﷺ « لقد عجبت من أخى يوسف وكرمه وصبره والله تعالى ينصر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم - حتى أشتط أن يخرجونى ولو كنت مكانه ولبت في السجن مالم يثأر لى لأسرعت الاجابة وبأدركت الباب لم أبتغ العذر والله إنه كان جليلا ذا أناة » قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالة ، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لمن ما خطبك من إذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ، فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وان الله لايهذى كيد الخائنين ، فقال له جبريل ولا حين مممت بها يا يوسف ؟ فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية ، فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وكفائته وديانته وعلمه وعقله قال اتئوني به أستخلصه لنفسي . فلما جاء الرسول الى يوسف قال له اجب الملك الآن . فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك أنه قال : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تم عنهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار الى اليوم في كل بلدة . فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشجاة الأعداء . ثم انه اغتسل وتطفف من درن السجن ولبس ثيابا جديدا حسنا وقصد الى الملك . قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسي ربي من دنياى حسي ربي من خلقه عز جاره وجل ثأؤه ولا إله غيره . فلما دخل على الملك قال اللهم أنى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره . فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان عمى اسماعيل ، ثم انه دعا له بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان أبى يعقوب . قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلم يوسف بلسان أحياه بذلك اللسان . فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنة وغزارة علمه قال لمن عنده : إن هذا علم تأويل رؤياى ولم تعلمه الكهنة والسحرة ، ثم إنه أجلسه وقال له انى أحب أن أسمع رؤياى منك شغافا ، فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل ، فطلمن عليك من عطاشه تشعب اخلافهن لنا ، فيينا أنت كذلك تنظر اليهن وقد أهجيك جسنهن إذ نصب النيل قنارما وبدا قمره ، فخرج من حبه ووجه سبع بقرات عجاف شفت غير ملصقات البطون ليس لمن ضررع ولا أخلاف ولهن انياب وأضراس وأكف كأكف السكلاب وخرطوم كخرطوم السباع ، فاختلطن بالسمان واقتترسنن افتراس السباع وأكلن لحمهم ومزقن بطونهم وحطمن عظامهم ، ومشحن عنهن ، فيينا أنت تنظر وتسبح كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن

ولا زيادة بعد أكلهن إذا سيع سنبلات خضر وسيع آخر سود يابسات في منبت واحد عروقه في
الثرى والماء ، فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا هؤلاء خضر مشمرات وهؤلاء سود يابسات والنبات
واحد وأسولهن في الماء إذ هبت ريح فردت أوراق السود اليابسات على الخضر للثمرات فأشملت
فبين النار فأحرقهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ، ثم انك اتقيت مذعورا
تقال له الملك : والله ما شأن هذه الرؤيا وإن كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك ، فما ترى في رؤياي
أيها الصديق ، فقال يوسف الصديق : إني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرا كثيرا
في هذه السنين الخصبه وتبنى الأهرام والخزائن وتحمل الطعام فيها بقصبه وسبله ليكون
أبقى له ويكون قصبه وسبله علفا للدواب ، وتأمر الناس فيرضون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام
الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها ، ثم تأتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك بحكك
فيجتمع عندك من السكوز ما لا يجتمع لأحد قبلك ، قال له الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي
ويكفي الشغل فيه ؟ قال له يوسف اجلسني على خزائن الأرض إني خفيظ عليم : أي كاتب حاسب ،
وقيل خفيظ لما استودعتني عليم بسى المجاعة وبلنة من يأتي ، قال له الملك ومن أحق به منك وولاه
ذلك كله وقاله إنك اليوم لدينا مكيث أمين .

أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين التقي بن محمد بن علوية أخبرنا إسماعيل بن جعفر الباقر
أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى قال أخبرنا إسحق بن بشر عن جوير عن الضحاك
عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله أخى يوسف لولم يزل على خزائن الأرض
لا تستعمله من ساعته ولكن لأجل سؤاله إياه أخرجه ذلك سنة فأقام عند الملك في بيته سنة » وروى
سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال : قال الملك ليوسف أي أريد أن تغلظني في كل شيء
غير أني آتف أن تأكل معي ، قال له يوسف إني أحق أن آتف بذلك منك لأنني أنا ابن يتيم
إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح إلهنا إبراهيم خليل الله ، فصار بعد ذلك يأكل معه . قال ابن عباس
فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلعه بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له
بسرير من الذهب مكلل بالبر والياقوت فضرب عليه قبة من إستبرق وكان طول السرير ثلاثين فراسا
وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراسا وستون تمرقة ، ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه
كالتلج ووجهه كالقمر يرى فيه من يابض وجهه الناظر صفاء لونه ، ثم انطلق حتى جلس على السرير
فدانت له الملوك ووزم الملك وفوض اليه أمر مصر وهزل تقطير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ،
ثم مات تقطير عن قريب فزوج الملك يوسف بزاوية امرأة تقطير ، فلما دخل عليها قال لها : أليس
هذه خير مما كنت تريد مني ؟ قالت له أيها الصديق اطلعي فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كما
رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيكك فقلبتني
نفس ، فلما بي يوسف وجدها عذراء فأصابها قولت له ابني إبراهيم وميثا ابني يوسف عليه

السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل فأجبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى - وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف في الأرض - يعني أرض مصر - يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين - وللبحتري في هذا المعنى :

أما في رسول الله يوسف أسوة لكلك محبوسا على الظلم والافاك
أقام جميل الصبر في السجن برهة قال به الصبر الجميل إلى الملك
وكتب بعضهم إلى صديق له هذه الأيات :

وراء مضيق الخوف متسع الأمن وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأس فأنه ملك يوسف خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلصت السنين الخصبة ودخلت المجدبة جاءت بهول لم تمهد الناس مثله، فأصاب الناس الجوع ، فلما كان بدء القحط نام الملك فينبأ هوناً ثم إذا صابه الجوع ، فتهف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع ، فلما دخل أول سنة من سنى الجذب هلك فيها كل شيء أعدوه من السنين الخصبة ، فجعل أهل مصر يتناجون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالتقود من الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار إلا قبضه ، وباعهم في السنة الثانية بالحلى والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء ، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها أجمع ، وباعهم في السنة الرابعة بالعبد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه ، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لأحد ملك ، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشتري بولده الحنطة أو التمر من شدة السنة فلم يبق لأحد ولد ذكر ولا أنثى إلا بمالِك ، وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة إلا صار ملكاً له ، فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكاً أجَلَ من هذا وأعظم ، ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فما خولني لما ترى في هذا ؟ فقال له الملك الرأي رأيك وإنما نحن لك تبع ، فقال يوسف : فاني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر جميعاً ، ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم . وروى أن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الأيام فقبل له آجوع ويملك خزائن الأرض فقال إنى أخلف إن شبع أن أنسى الجامع .

وروى أن يوسف أمر طباطب الملك أن يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم واليلية ، وأراد بذلك أن ينوق الملك طعم الجوع فلا يشق الجامع ويحسن إلى المحتاجين فضل الطباخ ذلك فمن ثم جعل للوك غذاءهم نصف النهار . وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وإن كان عظيمًا من أكثر من حمل بئر قصيطين الناس وتوسيعا عليهم . فتراهم (٨٠ - قصص الأنبياء)

الناس عليه . قالوا وأهاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد .
ونزل يعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر يطلبون الميرة وأمسك عنده بنيامين
أخا يوسف لأمه ، فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة ، وكان منزلهم بالقرب من
أرض فلسطين من شعور الشام وكانوا أهل بادية ومواش . فلما دخلوا عليه عزفهم يوسف وأنكروه
لما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ماأراد . قال ابن عباس : وكان بين أن قذفوه في الحب وبين
أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة . فلذلك أنكروه وقيل انه كان متزيا بزي فرعون مصر
فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرروفي عنقه طوق من ذهب وعلو رأسه تاج من ذهب فلذلك
لم يعرفوه . وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه . قال بعض الحكماء : العصية تورث النكرة
ولذلك قال الله تعالى - وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون - قالوا فلما نظر
إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم ؟ فقالوا نحن
قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجتنا نمار . فقال لهم عيون جثم تنظرون عورة بلاذي ؟
فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن إخوة بنو أب واحد شيخ كبير صدق الله نبي من أنبياء
الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم ؟ قالوا نحن كنا اثني عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها
وكان أحب إلى أبنائنا . قال كم أنتم هنا ؟ قالوا عشرة . قال فأين الآخر ؟ . قالوا عند أبنائنا لأنه
أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به . قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق ؟ فقالوا أيها الملك إنا
في بلاد لا نعرف فيها . فقال يوسف : فأتوني بأخيكم الذي من أيكم ان كنتم صادقين . فاني أرضى
بذلك قالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسراوده عنه . قال فضعوا بضكم عندي رهينة حتى تأتوني
بأخيكم فاتقروا بينهم فأصاب القرعة شمعون . وكان أبرهم يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى -
ولما جهزهم بجهازهم قال اتوني بأخ لكم من أيكم - الآية الى قوله وإنا لفاعلون . فقال عند ذلك
يوسف لفتيانه أي لثيابه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم .

قال ابن عباس : كانت بضاعتهم النعال والأدم . وقال قتادة : كانت ورقا في رحلم لهم يعرفونها
إذا اقبلوا الى أهلهم لهم يرجون .

واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله : فقال الكلبي تخوف يوسف
أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجون به اليه مرة أخرى ، وتبل خشي أن يشق أخذ ذلك
منهم على أبيه إذ كانت السنة سنة جندب ، وقيل رأى لؤما أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع
احتياجهم اليه فردّه عليهم من حيث لا يظنون تكسرا وتفضلا ، وقيل فعل ذلك لأنه علم ان ديانتهم
وأمانتهم عملهم على ردّ البضاعة ولا يستحلون إمساكها فيرجعون اليه لأجلها . فلما رجوا الى
أبيهم . قالوا يا أبانا قمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامتك وكان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا
كرامته . فقال لهم يعقوب لما أنتم ملك مصر فاقربوا عليه من السلام وقولوا له ان أبانا يصلي عليك

ويدعوك بما أوليتنا . ثم انه قال لهم ابن شمعون ؟ فقالوا ان الملك ارتنه لتأنيه بينامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك ؟ فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة - وقالوا ياأبانا منع منا السكيل فأرسل معنا أخانا - يعني بنيامين - نكمل وإنا له لحافظون - . فقال يعقوب - هل آمنكم عليه إلا كما أمتكم على أخيه من قبل - الآية .

قال كعب : لما قال يعقوب فله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لأردن عليك كلاهما بعد ما توكلت على قالوا ولما فتحوا متاعهم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم أي بمن طعامهم ردت اليهم - قالوا ياأبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بئر ذلك كيل يسير - فقال لهم يعقوب - لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم - أي تهلكوا جميعا .

وروي جوير عن الضحاك عن ابن عباس : في قوله تعالى - لتأتني به إلا أن يحاط بكم - إلى قوله - حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل - يعني حتى تجلفوا إلى بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تتدروا بأخيك ففعلوا ذلك فلما أتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما تقول وكيل ، أي شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العيين لأنهم كانوا ذوى جمال وهيبة وصور حسنة وقامات ممتدة وكانوا اولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم البلد لا يصابوا بالعين ثم قال لهم - وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكمل التوكلون - ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوم - وكان لمصر أربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال إلى قوله تعالى - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا ياأبيها العزيز هذا اخونا الذي امرتنا أن تأتيك به قد جئناك به قال لهم احسبتم واضبتم وستحمدون على ذلك عندي ثم انه أنزلهم وأكرمهم وضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبق بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى . وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجلستى معه فقال لهم يوسف لقد بقي أخوكم هذا وحيدا فريدا ثم اجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل امر لهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليئت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معى على فراشى فبات معه فجعل يوسف يضمه إليه ويضم ريعه حتى أصبح ، فجعل روييل يقول مارأيتا مثل هذا ، فلما أصبح . قال لهم انى لأرى هذا الرجل الذى جئت به ليس له أخ يؤنسه فان تشاءوا أضمه إلى ليكون منزله معى ثم إن يوسف أنزلهم منزلا واجرهم عليهم الطعام والشراب وأنزل اخاه لأمه معه فذلك قوله تعالى - آوى اليه اخاه فلما خلا به قال له ما اسمك ؟ قال بنيامين قال له وما بنيامين ؟ قال الشكل وذلك انه لما ولد قدأماه

قال وما اسم امك ؟ قال راحيل بنت لئان بن ناحور قال فهل لك من ولد ؟ قال نعم : قال كم ؟ قال عشرة بنين . قال فما أسماؤهم : قال لقد اشتقت لاسماء من اسم أخ لي من امي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطررتك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم ؟ قال : بالما واخير واشكل واحيا واخير ونعمان وورد ورأس وحيث وعيم . قال فما هذه الاسماء : قال أما بالما فان أخي ابتله الأرض ، وأما اخير فانه كان بكر أمي ، وأما أشكل فانه كان أخي لأبي وامى ومنى وأما احيا فلكونه كان حيا ، وأما خير فانه كان خيرا حيث كان ، وأما نعمان فانه كان ناعما بين ابويه ، وأما وورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن ، وأما رأس فانه كان منى بمنزلة الراس من الجسد ، وأما حيث فاعلمنى أبى أنه حى ، وأما عيم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سرورى . فقال له يوسف آتبعان اكون أخاك بدل اخيك ذلك المالك ؟ قال بنيامين أيها الملك ومن يحدد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل . قال فسكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعاشه وقال انى انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا . ثم ان يوسف أوفى لاخته الكيل وحمل لبنيامين بصيرا باسمه .

قال كعب : لما قال له أبى انا اخوك قال بنيامين فأنى اذا لا افارقك قال يوسف انى قد علمت باغنام الوالد فان حبستك زاد غمه ولا يمكننى حسك إلا بعد اعتبارك بأمر فطيع . فقال لا ابالى افضل ما تريد فقال يوسف انى أؤدى صاعى هذا فى رحلتك ثم أأتى عليكم بالسرة ليتألى رذل بعد تسريحك . قال افضل فذلك قوله تعالى - فلما جهزهم بمهازم جعل السقاية فى رحل أخيه - وكانت مشربة . فحرب بها الملك وكانت كأسا من الذهب مكللا مرصا بالجواهر جعلها يوسف مكيلا يكتال بها ، ثم انهم ارتحلوا وأهلهم يوسف حتى ظنوا ثم إن يوسف أمر بهم فأدركوا وحسوا عن السير - ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون - فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوفى كيلكم وفضلنا لكم مالم فعل لغيركم قالوا بلى وماذا لك ؟ قال سقاية الملك قدناها ولم تهمل عليها غيركم - قالوا تالله قد علمتم حاجتنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين - وأنا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا بسوء واسألوا عنا من مررتا به هل اضرتنا أحدا أو أفسدنا شيئا وأنا قد رددنا الحرام لما وجدناها فى رحلتنا فلو كنا سارقين ما رددناها وفى الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا أقنواء دوابهم ثلثا تناول من حروث الناس شيئا فقال الرسول انه صاع لك أكبر الذى يتكهن فيه وانه اتمنى عليه فان لم أجده تخوفت ان تسقط منزلى عنده وأنقض فى مصر فن رده على فله حمل بغير من طعام وانا به زعيم : اى كفى قالوا معاذ الله أن نسرق فقال للؤذن وأصحابه لما جزاؤه أى جزاء من وجد فى رحله ان كنتم كاذبين ، قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لا بد من تفتيش أمتعتكم

ولستم يارحيم حق أنفسها ، ثم انه انصرف بهم إلى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه لازالة التهمة وكان يفتش امتهم واحدا واحدا .

قال قتادة : ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء أحد إلا استغفر الله تعالى عما قذفهم به حتى لم يبق إلا القلام فقال ما أظن ان هذا القلام آخذ شيئا فقالت إخوته والله ما تركك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا إيش الذي صنعت بنا وضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منك بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين ، بل بنوراحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبت بأخي إلى البرية فأهلككموه ، ان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدرام في رحالكم . ثم انهم قالوا ليوسف إن يسرق قد سرق أخيه من قبل ، وهذا هو لك السائر : عنده شر من جرمه .

واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف : قال سعيد بن جبير وقاتدة السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنا لجد أبي أمه من ذهب فكسره وألقاه في الطريق . وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنا لحاله من ذهب فأخذه وكسره . وقال مجاهد جاسائل يوما فسرق يوسف يضة من البيت وأعطاه السائل . وقال ابن عيينة : دجاجة فناولها السائل فعيروها بها . وقال وهب كان ينجأ الطعام من اللائدة للفقراء . وقال الضحاك وغيره : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمه بنت اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، وكانت راحيل أم يوسف ماتت فضنته عمته وأحبته جاشديدا وكانت لاتصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه في قلب يعقوب فأتاها وقال لها يا أختا مسلمي إلى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بباركته فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندي أياما أنظر إليه لعل ذلك يسلي عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت إلى منطقة اسحق فعزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها قالت قد مدت منطقة اسحق فأنظروا من أخذها فالتفت فلم توجد ، فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه ليس لي أصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فأتاها يعقوب فأخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بطة للمنطقة فأقدر عليها يعقوب يأخذ منها حتى مات فهو الذي قال إخوته - ان يسرق قد سرق أخيه من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يدها لهم قال آتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون - .

قال الرواة : لما دخلوا على يوسف واستخرج الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فقره ثم أدناه من أدته ثم قال ان صاعى هذا ليخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ فبعتموه فلما سمع بنيامين ذلك قام فسجد ليوسف ، وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى احمى هو ؟ فقره ثم قال صاعى يوسف فتراه فقال بنيامين اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستغفرنى قال فدخل يوسف

إلى منزله ثم انه بكى وتوضاً فقال بنيامين ايها الملك اني اريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من
الذي سرقه ففعلوه ففرقه ثم انه قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي
سرقني وقد رأيت منع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب رويل وقال ايها الملك
والله لئن لم تتركنا وتترك اخانا لأصيحن صيحة لا يبق في مصر امرأة جامل إلا ألقت مافي بطنها وقامت
كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه. وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه
فقال يوسف لابنه قم إلى جنب رويل ومسه قدام الغلام فسه فسكن غضبه فقال رويل ان في هذا
البيت لثيئا من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب رويل وقال ايها الملك لا تذكر يعقوب
فانه اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت إذا ان كنت صادقا صادق
فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه وانه أولى بمنهم واحتبسه ورأوا أن لاسيل لهم
إلى غليصه منه سألوه ان يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم بدله فقالوا يا ايها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا
فخذ أحدا من مكانه إننا نبارك من المحسنين قال يوسف مغاذا الله أن نأخذ لإلهم وجدنا متاعنا عنده ولم يعل
من سرق نحرزا عن الكذب إنا إذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم فلما استأسوا منه خلصوا نجيا أي
خلاصهم ببعض متاجين متشاورين فقال كبيرهم يعنى في العقل وهو شمعون عن مجاهد ، وقال قتادة
والسدى كبيرهم في السن وهو رويل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثما من الله في هذا الغلام
لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف أي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف فلن أبرح الأرض يعني
أرض مصر حتى يأذن لي أبي فأرجع إلى الملك فأنجزه القتال أويحكم الله وهو خير الحاكمين ارجعوا
إلى أيكم قولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا أي نحن رأينا سرقة معه وما كنا للغيب
حافظين حين سألناك ان ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا وإسأل القرية يعني
وإسأل أهل القرية التي كنا فيها والبراءة أثبتنا فيها يعني قوما محبوبهم من أهل كنعان وإنا لصادقون
لك في قولنا فرجعوا إلى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو
الذي لاجزع فيه عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم
يعقوب وقال يا أسفا على يوسف - وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه
على يوسف فأعرض عنهم - وقال يا أسفا على يوسف - والأسف أشد الحزن .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لم تطل أمة من
الأمم عند المصيبة إنا لله وإنا اليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ . ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه على ابنة
ما أصابه من الحزن لم يسترجع إنا لله وإنا اليه راجعون » .

وقال الحسن : كان بين خروج يوسف من عند أبيه إلى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تحف عينه
من الدموع وما كان على وجه الأرض أكرم على الله تعالى من يعقوب ، فلما شكوا بكى قاله والله -
تالله ففتوا تذكر يوسف حتى تكون حرضا - أي مرضا فذهب العقل من الحزن - أو تكون من

المالكين - فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم - إنما أشكوا بني وحزنى إلى الله - لا إليكم ، وفي الحديث « أن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقه فقال له بعض جيرانه قد نهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أخوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إلى يعقوب أتشكونى إلى خلقى ؟ قايارب خطيئة أخطأتها فاعفها لى قال لقد غفرت لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال - إنما أشكوا بني وحزنى إلى الله » .

أخبرنى الحسين بن فتحويه : أخبرنا أحمد بن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السبط قال سمعت أبى يقول بلغنا أن رجلاً قال ليعقوب ما الذى أذهب بصرك ؟ قال : حزنى على يوسف قال : فما الذى قوس ظهرك ؟ قال : حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك - إنما أشكوبنى وحزنى إلى الله - فأوحى الله تعالى إليه وعزتى وجلالى لو كانا متبين لأخرجتهما لك حتى تنتظر اليهما وإنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة مقام يبابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيئاً وإن أحب الناس إلى من خلقى الأسخياء ثم الساكين فاصنع طعاماً وادع إليه الساكين فصنع طعاماً ثم قال : من كان صائماً فليطفر الليلة عند آل يعقوب .

وقال يوهب بن منبه : أوحى الله تعالى إلى يعقوب أتندرى لم عاقبتك وحييت عنك يوسف ثمانين سنة ؟ قال لا يا إلهى قال لأنك شويت عناقاً وقرت على جارك وأكلت ولم تطعمه ، وقال إن سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقره وللمها عجل فذبح عجلاً بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذها الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده إليه ثم إن يعقوب قال لبنيه - يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تياسوا من روح الله - الآية . قال السدى : لما أخبره ولده بنجر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف .

وروى أنه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وأنه واقف حتى يرزق . وروى أنه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها العظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ، ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسى باني كيلا يدخل على أحد وأشكوبنى وحزنى إلى الله فقال له يابنى الله أنا الذى أيتم الأولاد وأرمل الأزواج وأفرق بين الجماعات قال : فأنت إذا ملك الموت قال نعم ، فقال له يا ملك الموت أنشدك الله إلا أخبرتنى هل تخبى روح من تأكله السباع ؟ قال نعم قال : فأخبرنى عن الأرواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة روحاً روحاً قال : أتقبضها روحاً روحاً . قال فهل مرت بك روح يوسف فى الأرواح قال لا قال : فجتتى زائراً أم داعياً . فقال يابنى الله ما جئتكم إلا مسلماً فإن الله تعالى لا يميئك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان فى الصخرة التى عليها قرار الأرضين وما أذن الله لى فى زيارتك إلا لأبشرك وأجيبك مما تسألنى عنه وإن شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك : قال له فأعلمنى يا عزرائيل ، فقال يا إسرائيل الله

هل تذكرت الجارية التي اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبيها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالأمس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد ؟ وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال : أمرت يوما بنبيع جنعة فذبحتها وشويتها في يوم كذا في شهر كذا فمرّ بعم العابد العبد الصالح بك وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتريته فقلت الشوى فلم تطعمه شيئا فعند ذلك أعتق يعقوب من كان يحضرته من العبيد والإماء وأمر ان يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويغرق لهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره عليه وأتمام القرع فعند ذلك قال يعقوب - يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى إلا القوم الكافرون .

قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله يعقوب عليه السلام ماسا ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار ، فعند ذلك خرج إخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة قد دخلوا على يوسف - فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز - اى الملك بلمة مصر - مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة - اى قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها . واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي ، فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زبوا لا تنفق إلا بوضيعة ، وقال ابن أبي مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الفرائر والحبال رثة للتاع ، وقال عبد الله بن الحارث والحسن كانت أمتعة الأعراب الصوف والسمن والأقط ، وقال الضحاك كانت النعال والأدم والسويق القلى - فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى للتصدقين - قال الضحاك : لم يقولوا إن الله يجزيك إن تصدقت علينا لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن ، وقال عبد الجبار بن العلاء : سئل سفيان بن عيينة حل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال سفيان : ألم تسمع قول الله تعالى - وتصدق علينا - أراهم سفيان أن الصدقة كانت لهم حلالا وإنما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام ، قال لهم يوسف عجبا لهم عند ذلك - هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أتم جاهلون - واختلف العلماء في السبب الذى حمل يوسف على هذا القول الذى كان يده فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته ، فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلوه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فارتفع دمعه با كيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم فقال - هل علمتم ما فعلتم - الآية ، وقال الكلبي إنما قال ذلك حين حكي لاختوته أن مالك بن دعر قال : إني وجدت غلاما في بئر من جلاء كيت وكيت فابتنته من قوم بكنا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بننا هذا الغلام فاغناظ يوسف من ذلك وامر بقتلهم فذهبوا بهم ليقولهم فولى يهودا وهو يقول كان يعقوب يبكي ويعزن فقد واحد منا حتى كف بهمه فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ، ثم إنهم قالوا له إن انت ضلت بنا ذلك فابث بأمتنا الى أيننا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى ، وقال لهم ذلك القول ، وقال بعضهم : إنما قال ذلك حين قرأ كتاب آية اليه ، وذلك ان يعقوب لما قيل له إن ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل

الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والوفى السكيل . أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء ، فأما جدى فابتلى بالخرود فشدد يدها ورجلاه وألقى في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وأما أبى فشدد يدها ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح فهداه الله بذبح عظيم ، وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب اولادى الى فذهب به إخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فنذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لانسرق ولانلد سارقا فان رددته لى وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولديك ، فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فأظهر لهم امره ، وقال بعضهم : إنما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد ؟ قال نعم : ثلاثة بنين قال لما سميتهم قال : سميت الأكبر منهم يوسف . قال ولم قال : محبة لك ولد كرك . قال لما سميت الثانى قال ذنبا . قال ولم والذئب سيع عاقر . قال لأذكرك به قال لما سميت الثالث قال دعا قال ولم قال : لأذكرك به ، فلما سمع يوسف هذه القصة خفته الصبرة ولم يتمالك ان قال لآخوته . هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ اتم جاهلون قالوا له أئنتك لأنت يوسف . قال ابن اسحق لما قال يوسف لآخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا - أئنتك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى .

وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال لم يوسف - هل علمتم ما فعلتم - الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كأن ثيابه اللؤلؤ للنظوم ، فلما أبصر واثنياء شبهه يوسف فقالوا له مستفهمين أئنتك لأنت يوسف .

وروى عطاء عن ابن عباس انه قال : إن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان يعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة ، فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه . وقالوا له - أئنتك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا - بأن جمعنا بعد ما فرقم بيتنا - إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين - ثم إنهم أقرؤا بفضل يوسف عليهم وجبرعتهم اليه فقالوا - نأله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لحاطئين - فقال يوسف وكان حليما كريما موقفا - لا شرب عليكم اليوم ينفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

قال السدى وغيره : فلما عرفهم يوسف بنفسه سألمهم عن ابيه فقال ما فعل أبى من بعدى قالوا ذهبت عيناى فأعطاهم قميصه .

قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا مسح وعوفى فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال

لهم - اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير - من مصر متوجهين إلى كنعان قال أبوهم يعقوب - اني لأجد ربح يوسف لولا ان تصدون - أي تسفهون .

: وروى أن ربح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب ربح يوسف قبل ان يأتيه البشر بالقميص فأذن لها فأتته بها . قال ابن عباس : وجد يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، وقال مجاهد وذلك أنه هبت ربح فصفتت القميص فأحملت الصبا ربح القميص إلى يعقوب فوجد ربح الجنة فلم انه ليس في الأرض من رباح الجنة إلا بما كان من ذلك القميص فمن ثم قال - اني لأجد ربح يوسف لولا أن تصدنون - فقال له بنو يفيه - تالله إنك لفي ضلالك القديم - فلما أن جاء البشر - وهو يهوذا بن يعقوب . قال ابن مسعود : جاءه البشر من بين يدي العير ، وقال السدي . قال يهوذا لميوسف : أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته ان يوسف أكله الدثب فأعطني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأقرحه كما أحزته .

قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت للساقة ثمانين فرسخا . فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا . قال الضحاك رجع إليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن .

عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الأرض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في ان يأتي يعقوب فأذن له فجاءه ، فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك باللهي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ، ثم قال له ملك الموت يا يعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قال قل ياذا للعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصي أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع النجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك - ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . قال سوف أستغفر لكم ربى - الآية .

قال أكثر للفسرين آخر ذلك إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان السماء في الأسحار لا يحجب عن الله تعالى ؟ فلما انتهى يعقوب إلى الوعد قام إلى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل ، وقال : اللهم اغفر لي جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ماجنوا على أخيم يوسف فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ولهم اجمعين ، وقال وهب : كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شعبة أخبرنا أحمد بن أبي السفر بن ثوبان البصري أخبرنا اسحق بن زياد الأرملي أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا اسحق بن

زياد وابن زمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال : طلب الحوائج إلى الشاب أيسر منها إلى الشيوخ ، ألا ترى قول يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم ، وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربى .

وروى أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف ؟ قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أمتع بالملك على أى دين تركته . قال على دين الاسلام ، فقال يعقوب الآن تمت النعمة .

وقال الثوري : لما التقى يعقوب و يوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف بابت بكيت على حق ذهب بصرى ألم تعلم أن اقيامة تجمعنا ؟ قال بلى يابنى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة ، قالوا : وكان يوسف قد بعث سمع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله ان يأتيه بأهله ووالده أجمعين فتياً يعقوب للخروج إلى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب ، وكان يعقوب يمشى متوكئاً على يهودا فنظر يعقوب إلى الجنود والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر الأكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يدهو بالسلام فتمعه الله من ذلك وكان يعقوب ، أفضل وأحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام ؛ فقال السلام عليك يا من ذهب الأحرار فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبوه ورفعهما على العرش وابواه يعقوب وخاتمه ليا فسمى الخالة أما كما سمي الغم أبى قوله تعالى - قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق - وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقاً للرؤيا فذلك قوله تعالى - وخرؤا له سجداً - وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض فلما رأى يوسف أبويه وإخوته قد خروا له سجداً اقتصر عند ذلك جلده ؛ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً الآية .

قال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انساناً ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى اللقطة . وقال الفضيل بن عياض : بلغنا أن يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوماً من الأيام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس يضاء ، فقال له يابنى لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا ، فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقى وكثر حنينى أخذ ورقة حتى أكتب اليك يا أبت فيمنعنى جبريل ان أكتب اليك فأتركها في هذه الخزانة حتى بلغت هذا البالغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعى ربى فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لأنك قلت أخاف ان يأكله الذئب فهلا خففتى هذه العقوبة لأجل تخوفك من غيرى .

وروى صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : إن الله تعالى لما جمع ليحقوق
شملة خلا ولده نوحا ، فقال بعضهم لبعض أليس قد علمت ما فعلتم بالشيخ يعقوب ويوسف قالوا بلى قالوا
فإن عفوا عنكم فكيف لكم ربكم فاستقام أمرهم على أن يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه
ويوسف إلى جنب أبيه قاعدا فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا
مثله قط والأنياء أرحم البرية ، فقال ما بكم يا بني ؟ فقالوا ألسنت تعلم ما كان منا إليك وإلى أخينا
يوسف . قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفونا عما قالا بلى قالوا فإن عفوكما لا ينفي عنا شيئا
إذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال : فما تريدون يا بني ؟ قالوا نريد أن تدعو الله لنا فإذا جاءك الوحي
من عند الله سلله هل عفا الله عنا فإن أجابك بأنه قد عفا عنا جميعنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا
وإلا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم
خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة .
قال صالح المري : ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب ، فقال إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك
بأنه قد أجاب دعوتك في ذلك وأنه قد عفا عما صنعا وأنهم قد انقعدت موائيقهم بعدك على النبوة
قالوا : فأقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة بأغبط حال وأهنأ عيش
وأتم راحة وأدوم سلامة ؟ ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه ، وقال ماتعدون من بعدي
قالوا ؟ نعبدهمك واله آياتك إبراهيم وإسماعيل واسحق ، ثم قال يا بني إن الله اصطفى لكم الدين
فلا تخوفن إلا واثم مسلمون ، ثم إنه أوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة
حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده إبراهيم ففعل ذلك ونقله إلى بيت المقدس في تابوت من ساج
وخرج معه يوسف في عسكره وأخوته وعظاء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيسى فدفنا
في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا وأربعين سنة لأنهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد .
قال فلما جمع الله ليوسف شملة وافر له عينه وأتم له تفسير رؤياه ، وكان موسعا عليه في ملك
الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وأنه لا بد من فراقه فأراد نعيم الجنة إذ هو أفضل منه فتأقت
نفسه إلى الجنة فتعنى اللوت ودعا به ولم يتمن نبى قبله ولا بعده اللوت فقال - رب قد آتيتني من
الملك وعلقتني من تأويل الأحاديث - الآية .

وروى أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع إليه قومه من بني إسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم
بمضور أجله ونزل أمر الله تعالى به ، فقالوا يا بني الله نحب أن تعرفنا كيف تتصرف الأحوال بنا بعد
خروجك من بين أظهرنا وإلى ما يؤول إليه أمرنا وديننا وملتنا ، فقال لهم إن امركم يستقيم على ما أتم
عليه وتستقيمون على دينكم إلى أن يبعث رجل جليل من القبط يدعى الربوية فيقهركم ويدفع أبناءكم
ويستعصي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتعد أيامه مدة مديدة ، ثم يخرج من بني إسرائيل من ولد لاوى بن
يعقوب رجل اسمه موسى ابن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدي القبط على يده

قال فصل كل من بنى إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى . قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف إنه يستقيم أمركم مادام يصرخ فيكم هذا الديك فإذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى إذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولده هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويسود إلى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الأرض لما زالوا يرعون الحال إلى أن سكن صراخ الديك فوجئوا به واكتأبوا وأيقنوا بوبى أركان دينهم وإظلال ما آذنتهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك واجين إلى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام ، وكان قد أوصى إلى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى إسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل حجب أن يدفن في محلتهم لما رجون من ركنه حتى هموا بالقتال فبرأوا أن يدفن في النيل حيث تنفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك ، وكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر بينى إسرائيل فقله إلى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم إلى الشام من قبل ذلك فهم .

وروى يونس بن عمران عن أبي موسى قال « نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال رسول الله ﷺ أكرمتنا فأحسنيت سل حاجتك فقال ناقة ترخلها وعزّه نخلها أهلى فقال ﷺ أهجّز هذا أن يكون مثل هجوز بنى إسرائيل فقالوا يا رسول الله وما هجوز بنى إسرائيل فقال إن بنى إسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماءهم إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موتاهم من الله أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا هجوز بنى إسرائيل فبعث إليها موسى فأته فقال دليلى على قبر يوسف فقالت له وتمطينى حكى قال وما حكى لك قالت أن أكون معك في الجنة ففكره أن يعطى حكما فأوحى الله إليه أن أعطى حكما ففعل . »

وروى من طريق آخر أن هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم ، قالت لا أخبرك حتى تعطىني أربع خصال تطلق رجلى وتعيد إلى بصرى وشبابى وتعطينى معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أن أعطى ما سألت فانك انما تعطى على فعل فانطلقت بهم إلى موضع عين في مستقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل في صندوق من مزمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه .

وقال أهل التاريخ : عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والرسلين والحمد لله رب العالمين .

مجلس في قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام

وهو موسى الأول وقبذ كرنا فيامضى أن يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرائيم والآخر ميثا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لأفرائيم نون وولد لنون يوشع وهو نبي موسى بن عمران وخليفته على بني إسرائيل ، وأم ميثا فولد له موسى فنبأ الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعمامة من العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران ، وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ .

قال أهل العلم بالتاريخ : لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الأمر إلى الأسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا في الأرض ونشأ فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى إليهم موسى بن ميثا رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وأداء أمره وإقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فلطاعه قوم منهم وعصاه آخرون .

وقال وهب بن منبه وغيره : كان محمداً أوحى الله إليه أن قل لقومك إني برىء ممن سحر أوسحر له أوتكهن أوتكهن له أوتطير أوتطير له من آمن بي صادقاً وتوكل على فاني كنت له كافياً وميثا وكفيتهم مدينه ودينه وكنسته خير معين وهاد وكنت عند ظنهم ومن عدل عني ووثق بغيري فأنا أغنى الشركاء عن الشرك أكله إلى من وثق به دوني ، ومن وكلته إلى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ، ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعداً ومن تحرب إلي كنت إليه أشد تحرباً منه إلى وقل لمبادي لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر اللوث عند كل شهوة فانه يميم الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم مائة سنة أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والرسلين والله تعالى أعلم .

مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد

قال الله تعالى - ألم تركيف لعدديك بعد إرم ذات العماد - الآية .

روى سيفان عن منصور عن أبي وائل قال : إن رجلاً يقال له عبدالله بن قلابه خرج في طلب إبله قد ضلت : أي شردت ، فبينما هو في بعض صحارى عدن في تلك الغلوات إذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال ، فلما دنا منها ظن أن فيها من سألته عن إبله فلم يرفها أحداً لا داخل ولا خارجاً فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول وإذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوءها قد ملأ السكان ، فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير الرادون مثلهما قط وإذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف

مدينة الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصر أع مثل مصر أع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه الياقوت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ، فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدا أخذته الفزع ثم انه نظر إلى الأزقة فاذا في كل رزاق منها أشجار قد أعمرت وتحتها أنهار تجري في قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ، ثم انه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقطع من زبرجدها شيئا ولا من يواقيتها لأنها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منشورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والتعرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم إنه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه فشاخه حتى بلغ معاوية ابن أبي سفيان فأرسل رسولا إلى صاحب صنعاء وكتب إليه بأشخاصه فأشخص حتى قدم على معاوية فخلابه ثم سأله عما عين قصص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدث به وقاله ما أظن ما تقول حقا ، فقال له يا أمير المؤمنين إن معنى من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها ، فقال له وما هو ؟ قال اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ، فقال له أرني إياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها فذقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقته عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولين هي ومن بنائها وأينما أعطى أحد مثل ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائهما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة في زمانها هذا إلا عند كعب الأخبار فلان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه وبأمر بأشخاصه ونقيب عنه هذا الرجل في موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثال هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها لأن مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها إلا ان يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فأرسل معاوية إلى كعب الأخبار فلما حضر قاله يا أبا اسحق اني دعوتك لأمر رجوت أن يكون علمه عندك ، فقال له يا أمير المؤمنين على الخير سقطت سبل مما بدا لك فقال له اخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الأزقة تجري تحت الأشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت اني سأسأل قبله أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولين هي ومن بنائها ، أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي إرم ذات الصناديق لم يخلق مثلا في البلاد ، فقال معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب : يا أمير المؤمنين إن هناك كان لسان من أسماها شدينا والآخر شدادا فهلك عاد وبقوا ولما بعده للفسك وتجبرا وقهرا

كل البلاد وأخذها عنوة وقهر احق دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما إلا دخل في طاعتها
 لافي شرق الأرض ولا في غربها ، وانهما لما صفا لهما ذلك وقرا قرارها مات شديد بن عاد وبقي شداد
 فملك وحده ولم ينزعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولها بقراءة الكتب القديمة وكان كلامها فيها
 على ذكر الجنة دعتة نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما قر ذلك في
 نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التي هي إرم ذات العماد وأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف
 من الأعوان ثم قال لهم انطلقوا إلى أطيب بقعة في الأرض وأوسعها وأعملوا في أهل المدينة من ذهب وفضة
 وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق
 القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الأنهار تحت الأشجار
 فاني أرى في الكتب صفة الجنة واني أحب أن آخذ مثلها في الدنيا وأتسجل سكانها فقالت له قهارته
 كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبني منها مدينة كما
 وصفت لنا ؟ فقال لهم شداد ألسنتم تعلمون ان ملك الدنيا كلها يندى قالوا بلى قال فانطلقوا إلى كل موضع
 بمعدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة ، وأي بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم
 رجلا تخرج لكم مافي كل معدن من تلك الأرض ثم انطلقوا إلى مافي أيدي الناس من ذلك فخذوا مسوي
 ما يأتيتكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وفيها لما لا تعلمون أكثر وأعظم مما
 كلمتم به من صنعة هذه المدينة .

قال فخرجوا من عنده وكتب معهم إلى كل ملك في الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم مافي بلاده
 من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا يأخذ
 ما يوجد في مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجونه إلى إرم ذات العماد من
 الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا
 اسحق كم عند أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند
 ذلك القملة والقهارمة فتفرجوا في الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك إلا في أرض أيبين
 من بلاد عدن فوقها على صحراء عظيمة بقية من التلال والجبال واذا هم بيون مطردة فقالوا هذه
 صفة الأرض التي أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من الأرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة
 ثم عمدوا إلى مواضع الأزقة التي فيها لواء فأجروا فيها القنوات لتلك الأنهار ثم وضعوا الأساس من
 صخور الجوزع العياني وهبوا طين ذلك الأساس من دهن البان والخلب ، فلما فرغوا من وضع
 الأساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فبث بالمد
 مفروبة ، ومنهم من بث بالذهب والفضة مصنوعة مفروفا منها فدفعوا كل ذلك إلى أولئك القهارمة
 والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد ، فقال له معاوية يا أبا اسحق إني لأحسبهم
 أقاموا في بنائها زمنا من الدهر . قال نعم يا أمير المؤمنين إني لأجد في التوراة انهم أقاموا في بنائها ثلثمائة

سنة ، فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعاً وثلاثين ، فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبراً عجيباً فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين إنما سماها الله تعالى إرم ذات العماد من أجل العماد التي تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال - التي لم يخلق مثلها في البلاد - .

قال كعب : إنهم لما أتوه وأخبروه بفرأهم منها . قال انطلقوا فاجلوا عليها حسناً واجلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والأعلام والحصن ثم إنهم أتوه فأخبروه بالقراف مما أمرهم به قال فأمر ألف وزير من خاصته أن يهتوا أسبابهم ويصلوا على النقلة إلى إرم ذات العماد وأمر رجلاً أن يسكنوا تلك الأعلام وأن يقيموا فيها ليلاً ونهاراً وأمر لهم بالعطاء والأرزاق وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمته أن يتجهزوا إلى إرم ذات العماد فأقاموا في جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد إلى أرض إيين وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار إليها ليسكنها وبلغ منها موضعاً وبقي بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فأهلكهم جميعاً ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه إرم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة إرم ذات العماد وأنه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك هذا ويرى ما فيها فيحدث بما عين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر اشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له في تلك الصحارى فيقع على إرم ذات العماد فيدخلها ويحمل بما فيها وكان الرجل جالساً عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال له هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فأسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق إن هذا من خدمي ولم يفارقني قال قد دخلها وإلا سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين في آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ، ولقد أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده ما خلق الله في الأرض شيئاً إلا وقد فسره في التوراة لعبد موسى عليه السلام تفسيراً ، وإن هذا القرآن أشد وعيماً وكفى بالله شهيداً ووكيلاً .

قال الشعبي : أخبرنا دغفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسطام أنه وقع على حفرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت مطلقاً على البحر قال كنت أسمع في صباي إلى أن اكتهلت بمغارة في جبل من جبالها وإن الناس نهيب دخولها فلم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فيينا أنا في نادى قومي إذ أنشدوا حديث تلك المغارة وأطنبوا في ذكرها ووصفوا موضعها فقلت قومي إنى غير متته عن هذه المغارة حتى ادخلها فهل فيكم من يساعدني فقال قومي منهم حديث (٩ - قصص الأنبياء)

السن انا أصاحبك فقلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندي ما يعد رجل من شدة الجأش وقوة القلب فهيأنا شجرة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوءة ماء وطعاما مقدرا ما يقوم بنا ويقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما اتينا إلى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الأدوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحو خمسين ذراعا فحشينا فيها وهويها فى طريق أملس مستو ثم أفضينا إلى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبي هلم إلى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فأفضينا إلى أزج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عاى عظيم الجسم قد اخذ طول ذلك الأزج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بفضبان الذهب والفضة وإذا ذلك الأزج يضىء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا إلى فضاء لم يدر ما هو وإذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة ما لها مثل وهى كتابة كاتب عاد كتبها فى زمانه محفورة تلك الكتابة فى اللوح خفرا فطلعتا ودنونا من ذلك الرجل ومسستنا تلك الحلل فصارت ريماء بقيت فضبان الذهب قائمة فجمعناهما فكانت مقدار مائة رطل فحملناهما فى أزرننا وأرديتنا ، وأردنا قلع شيء من الجواهر للنضد بها السرير فلم تدوعليها لوثاقها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن فى ذلك الأزج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذى كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا فى ذلك الأزج وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ما ترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل إليه لارتفاع هذه الدرج وأنا لآستطيع صعودها لاسيما والشمعة قد طفتت ولكن هلم بنا نقوم هذا الضوء الذى نراه فى هذا الثقب فإني أرجو أن نخرج منه إلى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا هو الرأى فهضنا بما معنا من تلك الفضبان التى من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذى كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نحشى فى طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه إلى كهف فى ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فحملنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتمون ببقية الماء والطعام الذى كان معنا ، فلما كان اليوم الرابع نظرنا إلى مركب قد أقبل فى البحر فلو كنا إليه فنظر اليها أهله فأرسلوا لنا القارب فزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا إلى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح إلى بقسطى ثم ان أنفسنا دعنا إلى العود إلى ذلك السرب مما يلي الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى

البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فغنى علينا مكانه فعلنا أنالمرزق منه إلا ما أخذنا فرجنا وإن اللوح
مكت عندي حولا لأجد أحدا يقرؤه حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك
الكتابة فأخرجنا إليه اللوح فقرأه فأذانيه مكتوب ههنا الآيات :

اعتبر في أيها القـرور	بالعمر البديـد
أنا شداد بن عاد	صاحب الحصن العنيد
وأخو القصة والبأ	سأه والملك الخشيد
دان أهل الأرض طرا	لي من خوف وعيد
وملكت الشرق والفر	ب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعد	ة فيه والعديد
جاءنا هود وحكنا	في ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا	كان بالأمر الرشيد
فصيناه وناديناه	ألا هل من حميد
فأنتنا صيحة تهـوى	من الأفق البعيد
فتوافينا كزورع	وسط يدها حصيد

قال دغفل : سألت علماء حمير عن شداد ، وقلت إنه أصيب وقد كان دنا من إرم ذات العماد
فكيف وجد في تلك المغارة ، وهي بحضرموت فقالوا إنه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة
من تلك المدينة ملك من بعده يزيد بن شداد ، وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل
أبيه إلى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ، ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها
على ذلك السرير الذي من الذهب ، وأنه أعلم .

مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس

قال الله تعالى - وعادا ونمود وأصحاب الرس - . اختلف العلماء من أهل التفسير وأصحاب
الأقاصيص فيهم : فقال سعيد بن جبير والسكابي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر
بطائفة من حديث أصحاب الرس أن أصحاب الرس بقية نمود قوم صالح وهم أصحاب البر التي ذكرها الله تعالى في
كتابه في قوله تعالى - وبئر معطلة وقصر مشيد - وكانوا ببلع الجمامة نزولا على تلك البر ، وكل ركب لم تطو
بالحجارة والآجر فهي رس ، وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح
مصمدا في السماء ميلا وكانت العتقاء تبيت به وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وصورها
العتقاء لطول عتقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكله فجاءت ذات يوم وأعوزها الطير
فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عتقاء ففرب لأنها تقرب بما تأخذ . ثم انقضت على جارية

حين ترعرت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك إلى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فأصابها صاعقة فاحترقت فلم يرها أثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلاً في أشعارها وحكمها وأمثالها ، ثم إن أصحاب الرس قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى .

وقال بعض العلماء بلغنى أنه كان رسلان ، أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله إليهم نبياً فقتلوه ، ثم بعث إليهم رسولا آخر وعضده بولي قتلوا الرسول وجاهدوا الولي حتى أضعفهم وكانوا يقولون إلهنا في البحر وكانوا على شفيره ، وكان يخرج إليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عبدا فقال لهم الولي أرايتم إن خرج إليكم الذي تدعونه وتعبدونه إلى وأطاعني آتجيبوني إلى مادعوتكم إليه قالوا بلى فأعطوه على ذلك العهد وللوائيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعيلة على رأسه مثل التاج ، فلما نظروا إليه خرّوا له سجدا فخرج الولي إليه وقال له اتقني طوعا أو كرها باسم الله الكريم فزّل عند ذلك من على أخوته ، فقال له الولي اتقني راكبا عليهنّ لئلا يكون القوم من أمرهم على شك فأتى الحوت وأنت بهما الحيتان حتى أمضوا به إلى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سخروا وكذبوه ونقضوا العهد فبعث الله إليهم نبيا فأتهم في البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يعملون من ذهب وفضة وآنية فأتى الولي الصالح إلى البحر وأخذ الذهب والفضة والأواني قسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير واقطع ذلك النسل .

وأما الآخر . فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي إلا قتلوه وذلك النهر ينقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فاذا قطعت مدبرا دخلت في حد أرمينية واذا قطعت مقبلا دخلت في حد أذربيجان ، وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الأوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذارى فاذا تمت لأحدهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوها غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم ليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر فاذا خرج من حدم يقف ويدور ، ثم يرجع إليهم فبعث الله تعالى إليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد قتلوهم جميعا فبعث الله تعالى إليهم نبيا وأيده بنصره وبعث معه ولدا جاهدا في الله حتى جهاده ، ثم بعث إليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوام وقوع الحب في الأرض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون إلى الماء فحضر نهرهم في البحر وانصب ما في أسفله وأتى إلى عيونهم من فوق فسدّها وبعث الله إليه خمسمائة من اللاتكة أعوانا له فمروا ما بقي في وسط نهرهم ، ثم أمر الله جبريل فزّل فلم يدع في أرضهم عينا ولا نهرا إلا أبيضه بأذن الله تعالى وأمر ملك الموت فأنطلق إلى الواشي فأماها دفعة واحدة وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والحدود الصبا فضمّت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى عليهم السبات ، ثم خفقت الرياح الأربع بذلك للتاع

أجمع فرمته في ردوس الجبال ويطون الأودية ، وأما ما كان من حلى وتبر وآية فإن الله تعالى امر الأرض فابتلته فأصبحوا لاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولما يشربونه ولا طعاما يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله إلى غار في جبل له طريق من خلفه فتجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيان وكان عدة الباقي من الرجال والنساء والبنات ستائة ألف مائة وعطشا وجوعا ولم يبق منهم بقية ، ثم عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين لله أن يحييهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لا يطفوا فأجابهم الله تعالى إلى ذلك للمعلم من صدق نياتهم وإخلاصهم وقالوا إنه لا يثبت الله رسولا إلى من يلهم وقاربهم إلا أعاتوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا واهترضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر واتباعوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا ، وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبغى الله عليهم من فارقهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم وما فيها ما تاتي عام لا يسكنها أحد ، ثم آتى الله بقوم بعد ذلك فزلوها وكانوا صالحين فأقاموا فيها ستين سنة ثم أخذوا فاحشبة فجعل الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فبيعت معها جارية وأخاه وأصديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتضوا من ذلك إلى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة في صورة امرأة ، وهي الشيطان بنت إبليس ، وهي أخت الشيطان ، وكانا في بيضة واحدة فشبهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلتهن كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الشيطان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في أول ليلهم وخسفا في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم بقية وبادت منازلهم ، ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة .

وروى علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أن رجلا من أشراف بني تميم يقال له عمر أتام ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس ، وفي أي عصر كانوا ، وأين كانت منازلهم ، ومن كان ملكهم ، وهل بعث الله إليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : لقد سألتني عن حديث ما سألتني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي . كان من قصتهم ، بأنهم تميم : أنهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شات درخت ، وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبت لنوح عليه السلام بعد الطوفان ، وأما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا بينهم في الأرض ، وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام ، وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد الشرق ، وبهم سمي ذلك النهر ، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قري أكثر سكنا ومهرانا منها ، وكان أعظم

منازلهم اسفنديا ، وهى التى كانت ينزلها ملكهم ، وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن سارب ابن الخروذ بن كتمان فرعون ابراهيم عليه السلام ، وفيها العين التى يسقون منها الصنورة التى كانوا يبدونها ، وقد غرسوا فى كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنورة فتنبت تلك الحبة وتصور شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والأنهار فلا يشربون منها لاهم ولا أنعامهم ، ومن فعل ذلك قتله ، ويقولون هى حياة آلها فلا ينبغي لأحد ان ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذى عليه قرام ، وقد جعلوا فى كل شهر من السنة فى كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الجريد فيها أصناف الصور ، ثم يأتون بشياه ويقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير ، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها فى الهواء وحال بينهم وبين النظر لسماء خروا سجدا للشجرة ويكون ويضرعون إليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يحى فيحرك أغصانها ويصيح فى ساقها صباح الصبي : عبادى قد رضيت عنكم فطيخوا نفسا وقرؤا عينا فيرفقون عند ذلك رهوسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ، ثم ينصرفون ، حتى إذا كان عيد قرنتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنور والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور . له اثنا عشر بابا كل باب لأهل قرية منهم فيسجدون للصنورة من خارج السرادق ويقرّبون اليها الذبائح أضفاف ماقربوا للشجرة التى فى قرام فيجىء إبليس عند ذلك فيحرك الصنورة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يهدم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفقون رهوسهم من السجود ولهم من الفرج والسرور ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيدعون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثني عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم فى السنة . ثم انهم ينصرفون . فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بس الله اليهم نبيا من بنى اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويصرفهم ربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته ، فلما رأى شدة ما هم فيه من النقي والضلالة وتركهم قبول مآدعهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قرنتهم العظمى ، وقال : يا رب إن عبادك أبوا تصديقي ودعوتى اليهم وما أرادوا الا تكذيبى والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأبىس شجرهم أجمع وأبرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد أبىس شجرهم كله فهاهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين : فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذى زعم أنه رسول رب السماء آلمتكم ليصرف وجوهكم عنها الى إلهه ، وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلمتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحببت حسنها وبهاها وجمالها لى تقضبوا لها فتتصرفوا منه فأجمعوا أمرهم على قتله فآخذوا مثل بيت وآخذوا أنابيب طولا من رصاص واسعة الأفواه ، ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الأخرى مثل البرايخ وتزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا فى قمرها بئر ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ، ثم أخرجوا الأنابيب

من الماء ، وقالوا : الآن نرجو ان ترضى عنا آلمتنا اذا رأنا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وأنا دفناه تحت كبيرها يتشفي فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم ويسمعون أنين نبهم ، وهو يقول : سيدى ومولاى ترى ضيق مكانى وشدة كربى فأرحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر إجابة دعوتى حتى مات عليه السلام ، فقال الله تعالى جبريل عليه السلام : انظر عبادى هؤلاء الذى غرهم حلمى وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا ربى وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يغش عقابى وإنى حلفت بعزى لأجعلهم عبرة ونكالا للعالمين ، فبينما هم فى عيدهم إذ غشيهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعضى ثم إن الأرض صارت من تحتهم كحجر كبيرت تتوقد وأظلمت سحابة سوداء فألقّت عليهم حجرا كالقبة يلهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار ، فعوذ بالله من غضبه ودرك نعمته ، إنه هو السميع العليم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله اعلم .

مجلس فى ذكر قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام

قال الله تعالى - واذا ذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه - الآية . وقال تعالى - وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين - .

قال : وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم . وكان رجلا طويلا عظيم الرأس . جعد الشعر . حسن العينين والخلق . قصير العنق . غليظ الساقين والساعدين . وكان مكتوبا على جبهته البتلى الصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاراء ، وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وأكان فيها وكان له من اصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والحيل والخمير مالا يكون لرجل افضل منه فى العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمى آله كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله اعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الأرملة والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لأنعم الله تعالى مؤديا لحقه قدامت من عدواؤه إبليس ان يصيب منه ما أصاب من أهل النقى من الغرة والفلة والتشاغل والسهو عن امر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به ومذقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليغن ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا .

قال وهب : ان لجبري عليه السلام بين يدى الله مقاما ليس لأحد من الملائكة مثله فى القرية والفضيلة وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم

من حوله من الملائكة القربين والحافين من حول العرش فإذا شاع ذلك في الملائكة القربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض ، وكان إبليس لا يحب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيناً أراد ومن هناك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة ، فلم يزل على ذلك يصعد إلى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يقعد في ثلاث ، فلما بعث الله محمداً ﷺ حجب عن الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات إلى يوم القيامة - إلا من استرق السمع فأثبته شهاب مبین - قال فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه ، فأدركه الغي والحسد وصعد سريماً حتى صعد في السماء موقفاً كان يقفه فقال : يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته لحمدك ثم لم تختبره لابشة ولا بلاء وأنت لك زعيم لأن ضربته بلاء يكفرن بك ولينسينك ، فقال الله تعالى انطلق إليه قد سلطتك على ماله فانقضَّ عدو الله حتى بلغ الأرض ثم جمع عفاري الشياطين وعظماهم ، فقال لهم ماذا عندكم من القوة والعرفة فأنى قد سلطت على مال أيوب ، وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال ، فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت إحصاراً من نار فأحرقت كل شيء آتى عليه ، فقال له إبليس فأت الأبل فأحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الأبل وذلك حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها فثامشعر الناس حتى ثارت من تحت الأرض إحصار من نار تنفخ فيه رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى آتى على غيرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على قصود منها في صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائماً يصلي ، قال له يا أيوب قال لييك ، فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بأهلك ورعاتها فقال أيوب انهمأله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطبعت النفس إني والى للفناء والزوال ، فقال له إبليس فان ربك أرسل إليها نارا من السماء فأحترقت كلها وبقى الناس مهوبين وقوا فعليها يتعجبون منها فهم من يقول ما كان أيوب يبدشئها وما كان الا في غرور ، ومنهم من يقول بل هو الذي قل ما فعل فشمت بمعدوه وفتح به شيئاً لمنع وليه من حريق مواشيه ، ومنهم من يقول بل هو الذي قل ما فعل فشمت بمعدوه وفتح به مديقه ، فقال أيوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء تزع مني عرياً خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى القبر وعريانا أحشر إلى ربي . ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها البديخرا لنقل رحك مع تلك الأرواح وصيرك شهيداً مع الشهداء ولكنه علم فيك شراً فأخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمع الخالص ، فرجع إبليس إلى أصحابه خائباً ذليلاً وقال لهم ماذا عندكم من قوة إني لم أكلم قلبه ؟ فقال عفريت من عظماهم عندي من القوة ما لو شئت صحت صوتاً لا يسمعه وروحاً لا خرجت منهجة نفسه ، فقال له إبليس فأت القوم ورعاتها فانطلق يؤم القوم ورعاتها حتى اذا سطها صاح صوتاً مات

منه انعم جميعا وماتت رعاها ، ثم ان إبليس خرج متمثلا بهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى ، فقال له مثل قوله الأول ورد عليه أيوب مثل ما قال في التوبة الأولى ، ثم ان إبليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب ؟ فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنشف كل شيء تأتي عليه حتى لا يبقى منه شيء ، فقال له إبليس فأت القنادين والحراث فانطلق يؤمهم حتى قرب من القنادين واستوى في الحراث وأولادهم ربوع فلم يشعر واخفى هبت ريح عاصف فنشفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ، ثم ان إبليس خرج متمثلا بهرمان الحراث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى ، فقال له مثل قوله الأول ، فأجابه أيوب بمثل جوابه الأول فجعل إبليس يصيب ماله الأول فالأول حتى أتى على آخره .

قال : وأيوب كلما انتهى اليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن التناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال ، فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيئا ولا ينجح في شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سرعا ووقف للموقف الذي كان يقفه وقال إلهي ان أيوب يرى أنك مهما متعت من نفسه وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلط على ولده فانها الفتنة اللصة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فاقض عدو الله حتى جاء بنى نبي الله أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل ينطح بجدره بعضها بعضا فرماه بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثله ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ، ثم ان إبليس انطلق الى أيوب متمثلا بالملم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من صماغه فأخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤوسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشغلهم ، ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رقى أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعا على رأسه ، فاغتم إبليس الفرصة منه لذلك فصعد سرعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن أبصر فاستغفروا شكر فصعد قرناؤه من اللامعة باستغفاره وتوبته فبدروا إبليس وسبقوه إلى الله والله أعلم بما كان ، فوقف إبليس خائبا ذليلا فقال إلهي إنما هو ن على أيوب خطر اللال والولادة يرى أنك مهما متعت بنفسه فأنت تبيده للمال والولده فهل أنت مسلط على نفسه وبدنه فاني لك زعيم لأن ابتليت في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك ، فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله ، وكان والله أعلم به أنه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويعمله عبرة للصابرين وذكرى للماعدين في كل بلاء يزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب . فاقض عدو الله سرعا فوجد أيوب ساجدا قبل أن يرضع رأسه أنه من قبل الأرض في موضع وجهه وفتح في منخره

شعة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فرقه إلى قدمه ثأ ليل مثل آليات الغنم . ووقت فيه حكة لا يملكها ولا يتاسك عن حكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها . ثم حكها بالمسوح الحشنه حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الحشنه فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأتت . فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم ابن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه . فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به أتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه . فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو في بلائه فبكوه ولاموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به .

قال وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تسكتمون أيها الكهول وكنتم أجق بالكلام لأسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم . فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقمتم وحرمة من اتهمكم ومن الرجل الذي عيتم واتهمتم . ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصوته من أهل الأرض في يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على أنه سخط شيئا من أمره منذ آتاه ملائكة إلى يومكم هذا ولا علمتم أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن أيوب غير الحق في طول ما صحتهموه إلى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أشكم فقد علمتم أن الله تعالى يتلى النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين . ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه النسمة لكان لا يحمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يسيه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبيكي معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فآله أيها الكهول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر اللوت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عبدا أسكتهم خشيتهم من غير عي ولا بك وإتهم لهم الفصحاء النبلاء البلاء الألباء العالمون بالله وآياته ولكنهم إذ ذكروا عظمة الله انقطع ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا ، فاذا استفاقوا استبقوا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الظالمين واتهم برآء يعدون أنفسهم مع اللطيفين القصرين واتهم لأكياس أقوياء وانهم لا يستكثرون الله الكبير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال ، فهم مردوعون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب إن الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير ، فتى نبت في القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة ، فاذا جعل الله العبد حكما في الصبا لم تسقط

مزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة . ثم إن أيوب أقبل على الثلاثة وقال : أتيتوني غضابا ربهتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله يخلصني وقربوا عني قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عني : وانكم قد أعجبتمكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم بإحسانكم فبهناكم بعيتهم تعزتم . ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله عليكم بالعافية التي ألبسكم إياها وقد كنت فيما خلا الرجال توفرنى وأنا مسموع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي . فأصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبي . ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال : رب لأى شيء خلقتنى ليقى إذ كرهتنى ما خلقتنى ياليتنى كنت حيضة ألقتنى أُمى أوليتنى قد عرفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت فصرف وجهك الكريم عني لو كنت أمتى والحقنى بأبائى فالمت كان أجمل لى . يا إلهى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللبيتم وليا وللأرملة قيا . إلهى أنا عبد ذليل إن أحسنت فالنته لك وإن أسأت فيبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء عرضا وللقتلة نصبا لقد وقع على بلاء لوسلطته على جمل لضعف عن حمله فكيف يعمله ضعفى . إلهى تقطعت أصابعى فأنى لا أرفع الأكلة من الطعام الا يديى جميعا فما ييلنان فى الاطى الجهد مى . إلهى تساقطت لهوائى ولحم رأسى فما بين اذنى من سداد بل إحداها ترى من الأخرى . وإن دماغى ليسيل من فى . إلهى تساقط شعر عيني ككأنا أأرق بالنار وجهى . وحدثائى مثلدتان على خدى . وورم لسانى حتى ملأ فى فما أدخل فيه طعاما الا غصنى . وورمت شفائى حتى غطت العليا أننى والسفلى ذقنى وتقطعت أعمائى فى بطنى وإنى لأدخل الطعام فيخرج كما أدخل ما أحسه ولا ينفعنى . وذهبت قوة رجلى فكأنهما قد ييستا ولا أطيع حملهما ، وذهب المال فصرت أسأل بكفى ويطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمن بها على وسعيرنى . إلهى هلك اولادى ولوبقى واحد منهم أعانى على بلائى وتمنى . قد ملئ اهل وعقنى ارحامى وتسكرت لى معارفى ورغب عني صديقى وقطعت أصابعى وجحدت حقوقى ونسيت صناعى ، اصرخ فلا يصرخوننى واعتذر فلا يعذروننى ، دعوت غلامى فلم يجبنى وتضرعت لأمتى فلم ترحنى ، وإن قضاءك هو الذى اذلتى وادنانى واهانتى وأقامنى ، وإن سلطانك هو الذى اسقمنى وأحل جسمى ، ولو ان ربى تزع الهية التى فى صدرى فأطلق لسانى لأتكم بملء فى ، ولو كان ينبغى للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافينى عند ذلك بما فى ولكنه القانى وتغلى عني ، فهو يرانى ولا ارأه ويسمعنى ولا اسمعه ولا ينظر إلى فرحنى ولا دنائى ولا ادنائى فأتكم ببراءتى واخاصم عن نفسى ، فلما قال ذلك أيوب واصحابه عنده اظلمت غمامة حتى ظن اصحابه انه ينداب ، ثم نودى يا أيوب إن الله تعالى يقول لك ما انا قد دنوت منك فلم ازل منك قريبا ، قم فأدل بعينك وتسكلم ببراءتك واخاصم عن نفسك واشدد عليك إزارك وقم مقام جبار ، فانه لا ينبغى أن يخاصمنى إلا جبار مثلى ولا ينبغى أن يخاصمنى الا من يحمل الزمام فى

قم الأسد والسخال في قم العنقاء واللحم في قم التين ، ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح
 ويصر صرة من الشمس ويرد أمس قدمتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ، ولو كنت إذ متك
 نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أي مرام رامت بك أم أردت ان تكاثرني بضغفك ام اردت أن
 تخاصمني بفيك ام اردت أن تحاججني بخطئك ، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل
 علمت بأي مقدار قدرتها ؟ أم كنت معي تمر بأطرافها ام تعلم ما بعدزواياها ام على أي شيء وضعت أكنافها ؟
 أبطاعتك حمل الماء الأرض ام بحكمته كانت الأرض على الماء غطاء ؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء
 سقفا في الهواء لامعاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها ، هل يبلغ من حكمته ان تجري وتسير
 بحومها ، ام هل بأمرك يختلف ليلا ونهارها ، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار ،
 أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها ام قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها ، أين أنت مني
 يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال ، هل لك ان تطيق حملها ام كنت تدري كم مقال
 ما فيها أين الماء الذي أنزلته من السماء ، هل تدري كم بيلة أهلكتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت
 الأرزاق ام قدرتك تثير السحاب وتثر الماء ، هل تدري ما أصوات الرعد ام من أي شيء لجب البرق ،
 وهل رأيت عمق البحر ام هل تدري ما بعد الهواء ، ام هل تدري أين خزانة النهار بالليل وأين طريق
 النور وبأي لغة تتكلم الأشجار ، أين خزانة الريح وأين جبال البرد ، ام هل تدري من جعل العقول
 في أجواف الرجال ، ومن شق الأسماع والأبصار وذلت اللاتكة للسكر ، ومن قهر الجبارين بمجبروته
 وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته ، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معاشها وعطفها
 على افراخها ، ومن أعقق الو موش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالأصوات ولا تهاب
 السلاطين أم بحكمته عطف عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وآثرتها بالعيش على
 نفوسها ام بحكمته يبصر العقاب الصيد البعيد واضحا في أما كن الفلا ، اين انت يوم خلقت البهائم
 مكانه في منقطع التراب واللوتيا يحملان الجبال والقرى والسمران أنباها كأنها شجر الصنوبر
 الطوال ورءوسها كأنها الجبال وعروق أفخاذها كأنها عمد النحاس ، أ أنت ملأت جلودها لحما
 ام انت ملأت رؤوسها دماغا ، هل لك في خلقهما من شرك ام لك بالقوة التي غلبتهما يدان ام هل يبلغ من
 قوتك أن تضع يديك على رؤوسهما ، ام تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما عن قوتيهما ، اين انت
 يوم خلقت التين ورزقه في البحر ومسكنه في السماء وعينه توقدان نارا ومنخره يشوران دخانا أذناه
 مثل قوس السحاب يشور منها لمب كأنه إعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر
 كأمثال الصخور ، وكان ضرب أسنانه اصوات الصواعق ، وكان نظره يلمع البرق ، تمر به
 الجيوش وهو متكى لا يفرغه شيء ليس فيه مفصل ، زبر الحديد عنده مثل التين والنحاس عنده مثل
 الحيوط ، لا يفرغ من الشباب ولا ينحشى وقع الصخور على جسده ويطير في الهواء كأنه عصفور فيمهلك
 كل شيء يمر به ، هل أنت آخذ به بأحبولتك وواضع اللجام في شذقه ، هل تحصى عمره ام هل تعرف

أجله أم تعرف رزقه أم هل تدري ماذا خرب من الأرض ، وماذا خرب فيما بقي من عمره ، أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فطيمك تبارك الله أحسن الخالقين ، فقال أيوب عليه السلام : صرّفت عن هذا الأمر الذي ورد عليّ ليت الأرض انشقت لي فذهبت ولم أتكلم بشيء يسخط ربي حين اجتمع عليّ البلاء ، ألمني قد جمعت لك مثل العدو ، وقد كنت تعرفني وتعرف نصحي ، وقد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدير حكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت أن لا يسجرك شيء ولا تخني عليك خافية ولا تنيب عنك غائبة . من هذا الذي يظن أن يسرّ عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت أن يكون أمرا أكثر مما كنت أخاف إنما كنت أسمع بصوتك ، فأما الآن فهو نظر العين إنما تكلمت حين تسكمت لتعلمني ، وسكت حين سكت لترحمي كلمة زلت عن لساني فلن أعود . وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي ودمست فيه وجهي لصغاري ، وسكت حين أسكتني خيلتي فأغفر لي ما قلت فلن أعود شيء تكرهه مني . فقال الله تعالى نزل أيوب تغذيك حكمتي وسبقت رحمتي غضبي إذا أخطأت فقد عفرت لك ما قلت ورحمتك ، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصّابرين . فاركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب فيه شفاء . وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني بك . فركض برجله فاقبضت له عين فدخل بها فلفقتل . فأذهب اقعنه ما كان فيه من البلاء . ثم اخرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده ، فقامت متكدرة كالوالهة فترّت به . فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل البشلي الذي كان ههنا فقال لها : وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسّم وقال ها أنا هو صرفته لما ضحك فاعتنته .

قال ابن عباس : والذي نفسي بيده ما فارقت من عناقته حتى مربها كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى - وأيوب إذ نادى ربه أيّ منسى الضّر - الآية .

واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذي قال لأجله منسى الضّر .

حدثنا الامام ابو الحسين محمد بن علي بن سهل املاء في شهر ربيع الأول سنة اربع وثمانين وثلاثمائة أخبرنا ابوطالب عمر بن الربيع بن سليمان الحنشاب بمصر ، أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن نبي الله أيوب لبث في بلائه ثمانى عشرة سنة مرفضة القريب والبيد الإرجلين من إخوانه كانوا يفتدون اليه ويروحان ، فقال احداهما لصاحبه : والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه احد من العالمين ، فقال له صاحبه وما أدراك ؟ قال منذ ثمانى عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به ، فلما رآها إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدرى ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أيّ كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتي فأنكفي عنهما كراهة ان

يدكر الله تعالى الا في حق. قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطاء عليها وذلك أن الله تعالى أوحى الى أيوب في مكانه أن سهاركن برجلك - الآية فاستبطأته فذهبت لتتظر ماشأته فأقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان. فلما رآته قالت له هل رأيت نبي الله البتلى . فقال انى أنا هو وكان له أندر أندر للقمع وأندر للشعر فبعث الله تعالى سحابتين ، فلما كانت إحداها على أندر القمع أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعر الورق حتى فاض .

ويروى ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثومنه في ثوبه ، فناداه يا أيوب ألم أغنك عما ترى قال بلى يارب ولكن لاغنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشيع من نعمتك .

وقال الحسن : كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة في مزبلة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهرات مختلف فيه الدواب . وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة وإنما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفأ . قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمده وأيوب على ما به لا يفتقر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله ، فصرخ عبد الله إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض جزعا من صبر أيوب ، فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك ؟ قال لهم أعيانى هذا العبد سألت ربى ان يسلمنى على ماله وولده فلم أفع له مالا ولا ولدا فلم يزد ذلك إلا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه إلا امرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له أين مكرك أين علمك الذى أغلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا على قالوا نشير عليك بما ثبت به آدم حين أخرجه من الجنة من أين أتيت قال من قبل امرأته . قالوا فمأناك وأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع ان يصيبها وليس أحد يقربه غيرها قال اصبرتم ، فانطلق حتى أتى امرأته وهى تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال ان بلك يا أمة الله ؟ فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده ، فلما سمع منها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا . قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جرعت فأثاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذلى وسيرا ، قال فجاءت تصرح وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك ابن المال ابن اللاشية ابن الولد ابن الصديق ابن نوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وابن جسمك الحسن قد بلى وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح ، فقال لها أيوب : اتاك عدوا الله فننزع فيك فأجبتك وبلك أرايت ماتيكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا ؟ قالت الله ، قال فكم متعنا به ؟ قالت ثمانين سنة قال فشدكم ابتلانا الله بهذا البلاء ؟ قالت منذ سبع سنين ، قال ويلك والله ما عدلت ولا انصفت ربك إلا صبرت في هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ، والله لئن شفى الله

لأجل ذلك مائة جلدة كما أمرتني أن أذبح لتعير الله تعالى وطعامك وشراك الذي تأتيني به على حرام لأذوق مما تأتيني به شيئا بعد أن قلت هذا فاعزني عنى لأرأك فطردها فذهبت ، فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرب لله ساجدا وقال رب مسنى الضر ثم رد الأمر إلى ربه وسلم فقال وأنت أرحم الراحمين . فقيل له ارفع رأسك فقد استجب لك - اركن برجلك - الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شيء ظاهر إلا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد إليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ، ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسى حلة ، قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيئا مما كان له من أهل وولد ومال إلا وقد ضاعفه الله تعالى ، فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم إن امرأته قالت : أرايت إن كان قد طردنى إلى من أكله أأدعه حتى يموت جونا وعطشا ويضيع فتأكله السباع . فوالله لأرجعن إليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التي كانت تعدها وقد تعيرت الأمور . فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظرها . قال وهابت صاحب الحلة أن تأتية فتسأله فأرسل إليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدن يا أمة الله ؟ فبكت وقالت أريد ذلك البتلى الذى كان منبوزا على هذه الكناسة لا أدري أضع أم ماذا فعل به . فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بلى فهل رأيته . فقال وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ قالت وهل يخفى على نعمانها جعلت تنظر إليه وهي تهابه وقالت أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذا كان صحيحا قال فأنأ أيوب أمرتني أن أذبح لابلين فأنى أطعت الله وعصيت الشيطان فرد على ماترين .

وقال كعب : كان أيوب في بلائه سبع سنين . وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا . فلما غلب أيوب إبليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال . فقال لها أنت صاحبة أيوب البتلى قالت نعم . قال فهل تعرفينى قالت لا . قال أنا إله الأرض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد إله السماء وتركنى واغضبني ولو سجدلى سجدة واحدة رددت عليك ما كان لكما من مال وولد فانهم عندى ثم أراها أيام في بطن الوادى الذى لقيا فيه .

قال وهب : وقد سمعت انه قال لها : لو أن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفى بما هو فيه من البلاء والله أعلم ، واراد عدو الله ان يأتيه من قبلها ورايت في بعض الكتب ان إبليس قال لرحمة : وإن شئت اسجدلى سجدة واحدة حتى اردك عليك الأولاد والسال ، واعافى زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما اراد فقال لقد اراد عدو الله أن يفتك عن دينك ثم إن أيوب أقسم ان عافاه الله ليضربها مائة جلدة فقال عند ذلك مسنى الضر من طمع إبليس في سجود حرمقى له ودعائه إياها وإياى الى الكفر قالوا ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه

على البلاء وخفف عنها واراد أن ير يمين ايوب فأمره ان يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى - وخذ يدك من تحتها فاستصغر بها يدك ولا تنطق - الآية وقد كانت امرأة ايوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته ، فلما طال عليها البلاء وسقمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئا فجرت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنتك ؟ فأخبرته فقال عند ذلك مسنى الضر وقيل إنما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه غشي ان يباع عن الذكر والفكر وقيل إنما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذها فأخذها وردّها إلى موضعها . وقال لها كلّي فقد جعلني الله طعامك فضته عضة زاد الله على جميع ما قاسى من عض الديدان . وقال عبد الله بن عمر كان لأيوب اخوان فأتياه ققاما من جيد لا يقدران على الدنو منه من ثمن ريح فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في ايوب خيرا ما ابتلاه بما ترى . قال لما سمع ايوب شيئا كان أشدّ عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزع من تلك الكلمة فعند ذلك . قال مسنى الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم أنّي لم أبت ليلة شعبان قط وأنا أعلم بمكان جأنا فصدقني صدقه وهما يسمعان ، ثم قال اللهم ان كنت تعلم أنّي لم أأخذ قميصا قط وأنا أعلم بمكان عريانا فصدقني صدقه وهما يسمعان فخر ساجدا لله وقيل معناه مسنى الضر من شامة الأعداء يدل عليه ما روى أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشدّ عليك في ثلاثك فقال شامة الأعداء ، وأنشد بعضهم في معناه .

كل المصائب قد تمر على الفقي فتكون غير شامة الحساد
إن المصائب تنقضي أيامها وشامة الأعداء بالمرصاد

وقالوا لجنيّد في هذه الآية عرفه فاقه السؤال ليعن عليه بكرم النوال ، وذلك قوله تعالى - فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله - الآية .

واختلف العلماء في كيفية ذلك ، فقال قوم لما ابتلى الله ايوب في الدنيا مثل له أهله فأما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وإنما وعد الله ايوب ان يؤتیه إياهم في الآخرة . وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين ، وقال آخرون بل ردم الله تعالى اليه بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية .

وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وأنه أوصى عند موته الى ابنه حومل وأن الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالأعداء الى توحيد الله وأنه كان مقبلا بالشام طول عمره حتى مات ، وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وأن بشرا أوصى ابنه عبدان وأن الله تعالى بعث بعده شعبيا عليه السلام والله أعلم .

مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور

روى الأعمش عن النبال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث أن نبيا من الأنبياء قال من يكفل لي
أن يوم الليل وصوم النهار ولا ينضب قمام شاب فقال أنا فقال له اجلس ، ثم إنه أعاد مثل قوله
الأول قمام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ، ثم إنه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم
الليل وتصوم النهار ولا تنضب ، قال نعم ، ثمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين
الناس فكان لا ينضب فجاء الشيطان في صورة إنسان لينضبه وهو صائم يريد أن يفسد ففرض
الباب ضربا شديدا ، فقال من هذا ؟ فقال رجل له حاجة فأرسل إليه رجلا فقال لا أرضى بهذا
الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج إليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى إذا كان في السوق
خلاه وذهب فسمى ذا الكفل ، وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بمته الله بعد أبيه رسولا
إلى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضفوا
وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره الموت ، ومع ذلك نكره أن نصي الله تعالى ورسوله فلو سألت
الله أن يطلع أعمارنا ولا يميتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتوني
عظيما وكلفتني شططا ثم إنه قام وصلى ودعا وقال إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها ، وأمرتني
أن أجاهد أعداءك وانت تعلم أنني لا أمالك إلا نفسي . وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به
منى فلا تؤاخذني بجمرة غيبي فأنأ أعوذ برضائك من سخطك وبغفوك من عقوبتك . قال فأوحى
الله تعالى إليه : يا بشر إني سمعت مقالة قومك . وإني قد أعطيتهم ما سألوني . طولت أعمارهم فلا
يموتون إلا إذا شاءوا فكأن كفيلا لهم منى بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله
إليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل ثم أنهم توالوا وكثروا ونحووا حتى ضاقت عليهم
بلادهم وتنصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا جيرا أن يدعو الله أن يردهم إلى آجالهم فأوحى
الله تعالى إلى جبرائيل أن أجمع قومك أن يختار لهم خيرا من اختيارهم لأنفسهم ثم أنهم ردوا إلى
أعمارهم فأتوا بآجالهم . قال فذلك كثرت الروم حتى يقال إن الدنيا دارهم خمسة أسداسها
لروم وسموا روما لأنهم نسبوا إلى جدهم روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام .
قال وهب وكان جبر بن أيوب لسمى ذا الكفل مقبلا بالثام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين
سنة والله أعلم .

مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام

قال الله تعالى - وإلى مدين أخام شعيا - الآية ، اختلف العلماء في نسب شعيب . فقال أهل
التبصرة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم . وقال محمد بن إسحق هو
شعيب بن ميكايل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم واسمه بالسريانية يترون وأمه ميكايل ابنة لوط
وكان شعيب عليه السلام أعمى فلذلك قوله تعالى إخبارا عن قومه - وإنا لراكم فيها ضعيفا - أي
(١٠ - فصم الأنبياء)

خبروا وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وإن الله تعالى بعثه نبيا إلى أهل مدين وم أصحاب الأيكة والأيكة الشجر للثقف .

وقال قتادة بعثه الله تعالى إلى أمتين أهل مدين وأصحاب الأيكة . قالوا وكان قوم شعيب أهل كعبلة وبخس للناس وتطقيف في الكايل والوازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب - يا قوم اجتنبوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا للكيل واليزان - الآية ونظيرها في الأعراف - فأوفوا الكيل واليزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم - الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به أنه كذاب فلا يفتك عن دينك ، وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم .

قال السدي وأبوروقي كانوا عشارين . قال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق .

وقال النبي ﷺ « رأيت ليلة أسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد إلا شقته ولا شيء إلا حرقته ، قلت ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقطعون على الطريق فيقطعونه ثم تلا - ولا تقعدوا بكل صراط توعدون - » الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه إياه ما ذكره الله تعالى في سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء .

قال المفسرون وكان مما نهام عنه شعيب وعذبوا لأجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى - قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يبدؤنا . إلى قوله : الحليم الرشيد - أي السفية الناقوى وهو على الضد كما يقال لعيسى أبو اليساء وكقوله تعالى - ذق انك أنت العزيز الكريم - .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة ، فلما كثرت فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال - ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير القاهنين - فأجاب الله تعالى دعاهم فيهم فأهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلي وقال بالصيحة وبمذاب الظلة .

قال ابن عباس وغيره وهي إن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فأرسل عليهم بردا وحرا عديدا فأخذوا بأغاسم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأضجهم الحر فخرجوا هرا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلمت ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فتأذى بعضهم بضأ ، فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهم الله عليهم غرا ورجفت الأرض بهم فاحترقوا كما احترق الجراد في القلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى - فأصبحوا ناسا كآل أم ينو أنفيا - وقال تعالى - فأخدم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم -

قال ابن عباس بلغني أن رجلا من أهل مدين يقاله عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب انشمر جلده وقال .

عنكم شميرا وعمران بن شداد
يخبر بصوت على حانة الوادي

يا قوم إن شميرا مرسل للردوا
إن أرى غمة يا قوم قد طلعت

فانه لن يرى فيها ضجاء غد إلا الرقيم يمشى بين انجاد
وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم . قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد وحطى وهوز
وكن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة في زمن شعيب كن فقالت أخت كن
تبكي حين هلك .

كن هدد ركني هلكه وسط الهله
سيد القوم أتاها السخف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم دارم كالمضطه

قال الله تعالى - الذين كذبوا شعيا كأن لم يفنوا فيها الذين كذبوا شعيا كانوا هم الخاسرين -
أي لهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة .

محاسن في ذكر صني الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب
الباب الأول في ذكر نسب موسى عليه السلام

قال الله تعالى - واذا كرفي الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا - وهو موسى بن عمران
ابن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام . قال أهل العلم بأخبار الأولين وسير الماضين ولد
ليعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم إن لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب
فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم إن قاهث بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة
نكح قاهى بنت ميين بن تنويل بن الياس فولدت له يصر بن قاهث فنكح يصر بن قاهث سميت
بنت ينادم بن برشيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر
يصر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصر نجيب بنت شمويل بن برشيا بن يشعان
ابن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم أمهما فقال ابن إسحق نجيب وقيل ناجية
وقيل يوحنايل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام
وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم .

الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام

قال أهل التاريخ لمهمات الريان بن الوليد فرعون مصر الأول صاحب يوسف عليه السلام وهو
الذى بولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف
الثاني فدخله يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك
وقام بالملك بعده أخوه ابو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن إراشة بن ثروان بن
همرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أغنى من قابوس

واكبر وأفجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت الصلابة وهم على قايما من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحق وإبراهيم شرعوا فيه من الإسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذي بعث الله إليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعنى على الله ولا أعظم قولا ولا أفسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبني إسرائيل منه وكان يمدبهم ويستعبدهم وجعلهم خدما وخولا وصفهم في أعماله فنصف يبنون ونصف يحرقون ونصف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل ففليه الجزية كما قال الله تعالى - يسومونكم سوء العذاب - وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء للعدوات ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول فأسلت على يد موسى.

قال مقاتل : لم يسل من أهل مصر إلا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت تاموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فمصر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال إنه أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على حاذكره السدى عن رجاله ان فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتعلت على أبواب مصر فأحرقتها وأحرق القبط وترككت بنو إسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعرين والنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى يولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لمن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتلته ولا جارية إلا تركتها ووكل بهن وكلاء فكان يفعل ذلك.

قال جاهد : قد بلغنى أنه كان يأمر بالقبض فيشقى ثم يحمل أمثاله للشفار ثم يصف به إلى بعض نهر يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيرقهن عليه فتجرح أقدامهن حتى إن المرأة منهن لتضع ولدها فيقع بين رجلها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها . وكان يقتل الثمان الذين في وقته وقتل من يولد بدم ويطلب الحبالى حتى يرضن مافي بطونهن وأسرع للوث في مشيخة بنى إسرائيل فدخل موسى القبط على فرعون وقالوا له إن للوث قد وقع في مشايخ بنى إسرائيل وأنت تذبض صغارهم وتميت كلهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبض الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون في السنة التى لا يذبض فيها أحد فترك ولد موسى في السنة التى يذبضون فيها قال فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان في العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من غآه واعتدت غمها فأوحى الله تعالى إليها - أن أرضيه فلذا خنت عليه فألقه في النهر

إلى قوله : للرسلين - فلما وضعته في خفية أرضته ، ثم إنها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه .

قال مقاتل : وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون ، وقيل إنه كان من بردى فأتخفت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوja ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقت في النيل فلما قفلت ذلك وتواري عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت بابني لو ذبح عندي لوأريته وكففته كان أحب إلي من أن ألقيه يدي في البحر وأدخله إلى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق للماء بموسى يرفعه للوج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون إلى روضة هي مستقى جوارى فرعون . وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذته وظنن أن فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه إلى آسية فلما فتحت رأت فيه الغلام فألقى الله تعالى عليها حبة منه فرحمته آسية وأجبت حباشيدا فلما سمع الإباحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليدعوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فإن هذا لا يزيد في بني اسرائيل فأنا آتى فرعون وأستوهبه إياه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وإن أمركم بذبحه فلا أؤمكم ، ثم إنها أتت به فرعون وقالت قره عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قره عين لك أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله ﷺ والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قره عين كما أقرت لهدهاء الله تعالى به كاهدي به امرأته ولكن الله تعالى حرمة ذلك قال فأراد أن يذبحه وقال إني أخاف أن يكون هذا من بني اسرائيل وإن يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما آمنت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لأنه وجد بين الماء والشجر ، وهو بلفة القبط : مولاء وشي الشجر فحرب فليل موسى .

أخبرنا ابن فتحويه أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرني جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : إن بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطلوا على الناس وهملوا بالمعاصي ووافق خيارهم أشرارهم ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوم وساموم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم . قال وقال أبو الياس : قال وهب بلقي انه ذبح في طلب موسى سبعون ألف ولد .

قال اسحق عن ابن عباس : إن أم موسى لما قربت ولادتها وكانت قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بحبال بني اسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت تزلني مازل فلينفعني حبك إياي فقالت لما نتم ضالجت قبالحا فلما وقع موسى على الأرض أضاء لها نور بين عيني موسى فارقت كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها . ثم قالت لها يا هذ ما جئت اليك حين دعوتيني إلا فرأى قتل ولدك وإخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثله فاستظني فبئت فإني أراه هو عدونا . فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجهاء إلى

بها ليدخل على موسى . قالت أخته يأماه : هذا الحرس الباب فطاش عقلها فلم تعقل ما صنع به خوفا على موسى فلفت موسى في خرقه واقتته في التنور وهو مسجور . وكان ذلك إلهاماً من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فلذا التنور مسجور وأم موسى لم يغير لها لون ولم يظهر لها لبن . فقالوا لها ما أدخل عليك هذه القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع إليها عقلها . قالت أخت موسى : أين الصبي قالت لأدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار برداً وملاعاً فاحتملته .

قال اسحق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نهرها أن تتخذ له تابوتاً ثم تقذفه في النهر وهو النيل فانطلقت إلى درجل نهار من أهل مصر من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتاً صغيراً فقال لها التجار ما تصنعين بهذا التابوت ؟ قالت أخبأ فيه ابناً لي وكرهت أن تسكنه قال لم ؟ قالت أخشى كيد فرعون ؟ قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق التجار إلى الدباحين ليخبرهم بأمرها . فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الأماء ما يقول . فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه . فلما انتهى التجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضاً يريد الأماء فاتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه ويصره فلم يطق الكلام ولم يصبر شيئاً فضربوه وأخرجوه فوق في واد يهوى فيه حيران فأشهد الله تعالى عليه إن رد له لسانه وبصره أن لا يندل عليه وأن يكون معه بحفظه حيناً كان فلم الله منه الصديق فرد الله عليه لسانه وبصره فخر له ساجداً ، وعلم أن ذلك من الله تعالى فأمن به وصدقه . فانطلقت أم موسى به وأقتته في البحر ، وذلك بعدما أرضعته ثلاثة أشهر ، وكان فرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجب ترفسها إليه ، وكان بها برص هديد وكان فرعون قد جمع لها الأطباء من مصر والسحرة فنظروا في أمرها . فقالوا له أيها الملك إننا لا نرى برأها إلا من قبل البحر شيء يؤخذ منه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فترا من ذلك . وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس . فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس له كان على خفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها يتلاعبن ويضعن الماء على وجوههن فيبينا هن على ذلك إذ أقبل النيل بالتابوت تضرب الأمواج . فقال فرعون إن هذا شيء في البحر قد تعلق بالشجر اتوني به فابتدوه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فمالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه ومالجوا كسره فلم يقدروا فدنّت منه آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها للأمر الذي أراد الله تعالى من أكرامها وهديتها فمالجته فتفتحت التابوت فلما هي بصبي صغير في مهد والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يحس منها لبناً فالتقى الله

تعالى عجة موسى في قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون عليه فلما أخرجه من التابوت عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت قبلته وضمته إلى صدرها فقالت التواتر قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا ارم به في البحر أو اقتله فهم فرعون يقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم إنه قال سميه فقالت قد سميته موسى لأنه وجد بين الماء والشجر .

قالوا ثم ان أم موسى قالت لأخته وكانت تسمى مريم قصه أى اتبعي أثره واطليه هل تسمعين له ذكرا أحى هو أم قد أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أى عن بعد وهم لا يشعرون أنها أخته وكانت آسية قد أرسلت إلى من حولها من كل أثنى بها لبن لتختار له ظئرا ترى موسى فيجمل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية ان يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق لتجتمع عليه الناس ترجو ان تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويرضع منها فلم يقبل ثدى امرأة فذلك قوله عز وجل - وحرمتنا عليه للراضع من قبل - فقالت أخت موسى حين أعياهم امره وأعياء الظؤورة هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالو لها وما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما عرفهم وإنما نصحبهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبته في ظؤورة الملك ورجاء منفعة تركوها فانطلقت إلى أمه فأخبرتها بالحرف فأتت فلما وضعت على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنيبه فانطلق البشير إلى آسية يبشرها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتى بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكئى عندى رضى ابني هذا فأتى لم أحب شيئا مثل حبه قط فقالت لا أستطيع أن ادع بيتى وولدى فيضيعوا فان طابت نفسك أن تطمينيه فأذهب به إلى بيتى وولدى فيكون ممي ولا أولى له إلا خيرا فطعت وإلا فأتى غير تاركة بيتى وولدى فتذكرت أم موسى ما كان الله وعدا فتعاسرت على امرأة فرعون وايقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها إلى بيتها من وقتها .

وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة ايام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل - فرددناه الى أمه كي ترضعها ولا تحزن - فلما جاءت به أمه الى بيتها كادت تقول هو ابني فصمصها الله عز وجل فذلك قوله تعالى - ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين - وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه . فلما تعرضت آسية قالت لأم موسى أحب ان ترى ابني فوعدتها يوما تريها إياه فيه فقالت آسية لحواصها وقهارتها لا يبق منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فأتى باعثة بأمانة تحصى ما صنع كل قهرمانة منكن فلم نزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت ان أخرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما ان دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، ثم قالت لها انطلقى به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه

وروضه في حجره فتناول موسى حية فرعون حتى جذبها وتنف منها بعض شعرات ، وكان فرعون طويلا اللحية ويقال أنه لعظم وجهه .

وفي بعض الروايات : انه كان يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه . وقال هذا عدوى للطوب فأرسل إلى الباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجات تسمى الى فرعون وقالت له ما بذلك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فأخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يتقل وانما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جيرا فان أخذ الياقوت فهو يتقل فأذبحه وان أخذ الجرة علمت انه صبي . ثم اتاه وضعت له طستا فيه الذهب والياقوت وطستا آخر فيه الجرة فمد موسى يده على أن يأخذ الجواهر ليقبض عليه فحوّل جبريل عليه السلام يده إلى البحر فقبض على حجرة ووضعا في فيه فجات على لسانه فأحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى - واحلل عقدة من لساني فجعلوا قولي - فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبي لا يتقل فكيف عن قله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون . وحيه الله اليه وإلى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه .

ويروي أنه سئل إبليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا إلا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لأن الله تعالى قال - وألقيت عليك محبة مني - فلم أملك أن أحببته .

الباب الثالث : في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام

قال كعب الأحبار : كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام إذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم ، وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء ، وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جديا طويلا كأنه من رجال أزدشنومة وكان بلسان موسى عقدة وتقل وسرعة وحيلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء .

الباب الرابع : في قصة قتله القبطى وخروجه من مصر ووروده مدين

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مها كعب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخر التي كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك لإمن قبل الرضاة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قبله إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه القليل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال الله تعالى فيها - ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها - فبينما هو يمشى في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى - فوجد فيها رجلين يقتلان أحدهما من شيعته وهذا من عدوه - الآية

والذي من شيعته يقاله السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خبازا لفرعون واسمه قانون وكان قد اشترى حبلا للمطبخ فسخر السامري ليحمله فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال الخباز لموسى إنما آخذته في عمل أيك وأبي أن يغني سيده فنضب موسى فبطشه به وخلص السامري من يده فنازعه القبطي فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فلذلك قوله تعالى - فوكزه موسى فقضى عليه قال - موسى - هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم - قالوب إنى ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو التوفور الرحيم - .

وقال وهب : أوحى الله إلى موسى بن جهران وعزني رجالي : لو كانت النفس التي قتلت أقرت ل طرفعين آتي إلي خالق رازقي لأذنتك طعم المذاب وإنما عفوت عنك لأنها لم تهر لي ساعة واحدة آتي إلي خالق رازقي . قالوا ولما قتل موسى القبطي لم يرعها إلا الله تعالى والاسرائيل فلما قتله أصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار فأثا فرعون وقالوا له إن بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون اتوني بقاتله ومن يشهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا حيث ملك على الأخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فينيهم يطوفون لا يجدون بينة إذ امر موسى من القدر أي ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالأمس فسكره الذي رآه فنضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي - إنك لمؤي مبين - ففر الاسرائيلي من موسى وظن أنه يبطش به من أجل أنه غلظ عليه في السلام وكان غضبان فلما أبطل لصره ومد يده ظن أنه يريد قتله فقال له - يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس - الآية ، وإنما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أرادته ولم يكن أرادته ، وإنما أراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي ، وذكر أن موسى هو الذي قتل الرجل بالأمس وهو لئيل السامر : العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الأحمق ، وينشد في معناه .

إن اللبيب إذا تزايد بنضه أحرى عليك من الصديق الأحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فإنه غلام لا يهتدي إلى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الأعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال « سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب التجار صاحب يس وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم » قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الباحين إليه فأخبره الحر فلذلك قوله تعالى - وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن

للأيتام يأتون ليقنطروك فاخرج إلى تلك من الناصحين - فتجبر موسى ولم يدرك ينهب فبجاء ملك على
فرس يده عزرة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق إلى مدين .

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خرج موسى من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان
ليال ويقال نحو من الكوفة إلى البصرة فلم يكن له طعام إلا ورق الشجر فواصل إليها الا وقد وقع خف
قدمه وان خضرة البقول ترى من بطنه .

الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزوج شعب ابنته إياه

قالت الطلاء : لما انتهى موسى إلى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة وإذا تحتها بئر
وهي التي قال الله تعالى - ولما ورد مامدين وجد عليه أمتهن الناس يسقون ووجد من دونهما امرأتين
تزدودان - أي تعيسان أغنامهما فقال لهما - ما خطبكما قالتا لانسق حتى يصدر الرءاء - لأننا امرأتان
ضيفتان لا نهدر على مزاحمة الرءاء فلما سقوا مواشيهن سقين أغنامنا من فضول حاجتهن وما يبق من
حياضهم - وأبونا شيخ كبير - تعين شعيبا .

وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال : اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره ثبرون
صاحب مدين ابن أخى شعيب النبي عليه السلام واسم إحدى الجارتين ليأويقال حنونا والأخرى صفورا
وهي امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة
وكان الثغر من الرجال يجتمعون إليها حتى يرفعوها عن رأسها .

وحكى الأستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير التي تسقى منها الرءاء قال
وقد حضرتها ورأيتها ، قال فرقع موسى الصخرة عن رأسها وأخذلوا لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى
لهما أغنامهما حتى أرواهما فرجنا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى إلى الظل ظل الشجرة و -
قال الرب إنى لما أنزلت إلى من خبر فقير - قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء إنسان أن ينظر إلى
خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها ولمسأل الله تعالى إلا أكلة وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قلما
وإنه لاحتاج إلى شقعة قالوا فلم رجنا إلى أبيهما قال لهما ما أمهلكما وأسرع رواحكما البية قالتا وجدنا
رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه إلى فبجاءته إحداهما وهي التي زوجها
موسى وهي عثى على استحياء قالت له إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيتنا فقام موسى فذهبت
وهو يلها : أي يتبعها فهبت ريح فالتفت ثوب الرءاء بردفها فسكره موسى أن يرى ذلك منها فقال
لها موسى امشى خلفي ودليني على الطريق فإذا أخطأت فاربى قدامى بصحة حتى أخرج نهجا فأتا
بنى يعقوب لا تنظر إلى أعجاز النساء فتنت له الطريق إلى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على
شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من قوم الظالمين قالت
احداهما وهي التي كانت الرسول إلى موسى يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين .

قال النبي ﷺ « أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاها تفرستا في موسى فأصابتا احداها امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والأخرى بنت شبيب حيث قالت - يا أبت استأجره إن خير من استأجرتا القوي الأمين - وإنما قالت القوي الأمين لأنه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه إلا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبك أنك عرفت قوته فما أعليك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها إياه في الطريق فازداد فيه شبيب رغبة فقال له - إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج - إلى قوله من الصالحين : أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى - ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت - الآية .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه سئل : أي الأجلين قضى موسى قال أكلهما وأفضلهما ، وروى أنه قال قضى أو فاما وتزوج بصراهما .

الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبده أمرها

اختلف العلماء في اسمها وللنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم إن شعبيا أمر ابنته أن تأتية بصا ليعطيها موسى فيستعين بها في رعايته فجاءته بصا وكانت تلك العصا وديعة عنده فدفعها إليه ملك على صورة رجل فردها عليها شبيب وأمرها أن تأتية بصا أخرى لما زالت ترجع وتأتية بها بعينها لأنها كانت كلما ردتها إلى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شبيب وأعطاه موسى فلما أعطاه إياها ندم على ذلك لأنها كانت وديعة عنده فقال له شبيب رد على العصا فأبى أن يردّها عليه فتنازعا إلى أن شرطاً على أنفسهم أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاهما ملك يمشي فتحاكما إليه فقال ضمها على الأرض فمن حملها فهي له فوضعا موسى على الأرض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى بيده فرفضها فلما رأى شبيب ذلك تركها له ، وفي رواية أخرى أن موسى لبث عند شبيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فأذنه وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصى تكون مملكتك تدربها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى الأنبياء عند شبيب فلما دخل موسى البيت وثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال لشبيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعبيا كان قد أخبر بأمر العصا ولم يدرك شبيب أن صاحبها هو موسى فردها موسى إلى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى سارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شبيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فلم شبيب إن ذلك أمر يريد الله تعالى فقال له خذها .

قالوا : وزوجه ابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شبيب . قالوا لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شبيب يزوره في كل سنة فإذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكرس له الحيز ويقبض بين يديه ويقول له كل .

وقال مقاتل : بل كان جبريل هو الذى دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل . قال كعب : لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع في الأرض وعن أول شجرة غرس في الأرض فسئل عنها فقال عبد الله : أما الشيء الذى وضعه الله للناس في الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود ، وأما أول ما وضع للناس في الأرض فبئر برهوت باليمن يرد بها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعا الله تعالى في الأرض فالموسجة التى أقطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعب قال صدق الرجل فلي هذا القول إنما أقطع موسى عصاه من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما على بها ههنا قليل له اكتب الى ابن عباس فأسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الأربعة التى لم يركضوا في رحم فأدم وحواء والكبش الذى قدى به اسماعيل وعصى موسى حيث ألقاها فصارت نعبانا . وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع طي طول موسى حملها آدم من الجنة الى الأرض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى أن وصلت الى شعيب فأعطاه موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نعة وقال ابن جابر اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق .

الباب السابع في صفة المآرب التى كانت فيها لموسى

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحبجن في أسفل الشعبتين وسان حديد في أسفلها وكان موسى إذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضىء شعبتها كالشعبتين من نار قضبان له مد البصر وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتتمد على قدر قعر البئر وصير في رأسها شبه النملو فيستقي بها وإذا احتاج الى الطعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان إذا اشتهى فأكبه من القواكه غرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التى انتهى موسى فأكبتها وأثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان إذا جاع ركوها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان إذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتها نينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فارتقى وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من إحدى شعبتها العسل ومن الأخرى اللبن وكان إذا أعياى طريقه ركبها فتحملة الى أى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان إذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه الصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات

والحيات واذا سافر وضما على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلعه وكساءه وطعامه وشرايه . قال ابن جبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الأغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على سارك ولا تأخذ على يمينك وان كان السكابها أكثر فان هناك تبتنا عظميا أخشى عليك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى ان يصرفها ذات الشمال فلم يطمع فخلاها على ما تريد ثم نام موسى والأغنام رعى واذا التبتين قد جاء قامت الصالحاربه قتلته وأنت فاستقلت الى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى الصا دامية والتبتين مقتولا فلم موسى ان في تلك الصا قدرة وعرف ان لها شأنا ، فهذه ما أرب موسى اذا كانت في يده . وأما اذا ألقاها فبرى أنها كانت تطلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلمعة تدب على أربع قوائم فتصير شعثاها فوافيه اثنا عشر تابا وضربا لها صريف وصرير يخرج منها لهب النار ، وصير يحجتها عرفا لها كأمثال النار تتهب ، وعيناها تلمعان كالمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئا إلا أحرقتة تمر بالصخرة مثل الناقة السكواء فتبتلها حتى إن الصخور في جوفها تتقطع ، وتعر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتخطمها وتبتلها وجعلت تلتطم وتبزم كأنها تطلب شيئا تأكله وكانت تكون في عظم الثمان وفي خفة الجبان ولين الحية ، وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع - فاذا هي ثمان ميين - وفي موضع آخر - كأنها جان وفي موضع آخر - فاذا هي حية تسمى -

الباب الثامن . في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله إياه في الطريق وإرساله الى فرعون واستماتته بأخيه هرون ، وكيفيه ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة قال الله عز وجل - فلما قضى موسى الأجل - الآية . قالت العلماء بسير الأنبياء : لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين ، قال له شعيب اني وهبت لك كل بقاء وأبلى من تاج اغنامي التي تضعها في هذه السنة : يعنى السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى . قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بصاك الماء الذى فى مستقى الأغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الأغنام من ذلك الماء لما أخطأت واحدة من تلك الأغنام إلا وضعت حملها مرتين ما بين أبلق وبقاء ، فلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الأغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الأجلين وأوفاهما - فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله - منفصلا من أرض مدين وكان في أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهي في شهرها لا تدرى أتضع ليلا أم نهارا فانطلق في برة الشام ظدلا عن الدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبرهم يومئذ طلب أخيه هرون واخراجه من مصر إن استطاع اليه سبيلا ، فسار موسى في البرية غير عارف بطريقها فأجاءه للسير الى جانب الطور الأيمن القربى في عشية شامية شديدة البرد وأعظم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتطرر واخذ امرأته الطلق ، فعند موسى الهوف فيه

قدحه فلم ينور فتجبر وقام وقد إذ لم يكن له عهد يمثل ذلك في الزند ، وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد
 نجيرا وضجرا ثم أخذ يستمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فيبناهو كذلك إذ آنس من جانب الطور
 نورا فحسبه نارا - فقال لأهلها امكثوا إلى آنست نارا لئلا آتكم منها قبس أو أجد على النار هدى -
 يعني من يداني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما ألتها رأى نورا عظيما يمتد من عنان السماء
 إلى شجرة عظيمة هناك ، واختلقوا في تلك الشجرة ما كانت قبيل الموسجة وقيل العناب فتجبر
 موسى وارتعدت فراسه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهي تتهب وتشتعل من جوف شجرة
 خضراء لا تزدد النار إلا عظما ولا تزدد الشجرة إلا خضرة ، فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما
 رأى ذلك رجع عنها وخلف ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها ودنت منه - فتودى من شاطئ
 الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة - أن ياموسى - فنظر فلم ير أحدا فتودى - إني أنا الله
 رب العالمين - فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فتداه ربه إن ادن واقرب ، فلما قرب وسمع النداء
 ورأى تلك المية خفق قلبه وكل لسانه وضعت بيته وصار حيا كيت إلا أن روح الحياة تردده فيه
 من غير حراك ، وأرسل الله إليه ملكا يشد ظهره ويقوى قلبه فلما تاب إليه عقله تودى - فأخلع
 نطيك انك بالواد القدس طوى - وكان السبب في أمره بخلع نطيلهما أخبرنا حماد بن عبد الله الأصماني
 قال حدثنا يحيى السدي ، قال حدثنا أحمد بن محمد - قال حدثنا الجمالي ، قال حدثنا عيسى بن يونس
 عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ في قوله يا أخلع نطيك قال « كاتا من جلد حمار ميت »
 وفي بعض الأخبار غير مدبوغ :

وقال مجاهد وعكرمة : إنما قال يا أخلع نطيك كي تسمى راحة قدمية الأرض الطيبة فتتأله بركتها
 لأنها قدست مرتين ، وقال سعيد بن جبير إنما قال لذلك لأن الخفوة من أمارات التواضع والاحترام
 قيل له طأ الأرض حافيا كما تدخل الكعبة لتحصل من بركة الوادي . وقال أهل الإشارة : النمل
 عبارة عن للرأ ، وذلك تأويله في المنام قيل له فرغ قلبك من شغل أهلك . ثم قال تعالى تسكيننا
 قلوبنا واذهاجا فبهشته - وما تلك يمينك يا موسى قال هي عصاى - الآية قال الله تعالى - ألقها يا موسى
 فألقها فإذا هي حية تسعى - قد صارت شعبتها فيها وعجبها عرفا لها في ظهرها وهي تهتز لها أنياب
 وهي كما شاء الله أن يكون فرأى موسى أمرا فظيما فولى موسى مدبرا ولم يقب فتداه ربه تعالى
 أن ياموسى أقبل ولا تخف انك من الأمنين سنبعدها سيرتها الأولى : أى ردها عصا كما كانت
 وقال إن الحكمة في أمر الله تعالى إياه بالقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفرج منها موسى
 إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون ، فلما أقبل موسى قال له خلها إذ كانت عصاك ولا تخف لأنه
 كان ادعى الملك فقال هي عصاى فبه على ذلك ، وكان على موسى جبة من صوف قلص كنه على يده
 وهو لما هائب فتودى أن احسر يدك فحسر كنه عن يده ثم أدخل يده تحت لحبها فلما أدخل يده
 قبض فإذا هي عصا في يده ويده بين شعبتها حيث كان يضمها ، ثم قال له أدخل يدك في جيبك تخرج

يضاء من غير سوء آية أخرى ، وإنما قال في جييك لأنه لم يكن للبوسه كم واسع فضايق عليه فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها ، فإذا هي نور تلهب بكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده ، فقال الله تعالى - فذا لك بزها نان من ربك إلى فرعون ومعه - الآية ثم قال له - اذهب إلى فرعون إنه طغى - قال موسى - رب إني قلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا ، إلى قوله يكذبون - قال له يا موسى اني أوقفك موقعا لأجل يده لأحد عليك سلطانا دوني ولا ينبغي لمن بعدك أن يسمع كلامي وأنت في اقرب الأما كن مني ، وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويسمعه إليه ويقول له يا موسى انطلق برسالتى وأنت بمنى وسمى ومعه قوت وبصرى بيتك إلى خلق ضعيف من خلق بطر نعمتى وأمن مكرى وعبدوني وغرت الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربيوتى وزعم أنه لا يرفى ، وإنى أحلف بعزتي وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بيني وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يضرب لضرب السموات والأرض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت السماء لحصبتها وللأرض لابتلعته وللجبال لكدكته وللبحار لفرقتها ولكن سقط من عيني وهان على وصغر عندي ووسعه حلمي وأنا الذى عنه وعن جميع خلقى وحق ذلك لى وأنا خالق النفى والفقر لاغنى إلا من أغنيته ولا فقير إلا من أقرته فأبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وتوحيدي والاخلاص لى وحذره قمتى وبأسى وذكره آياتى وأعلمه أنه لا قوم لضى شئ. وقله له فيما بين ذلك قولا لنا لله يتذكر أو يغنى ويجهل في خطابك إياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته يدي ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ إلا يعلمى وأخبره بأن من الغفور والنفرة أسرع من إلى الضرب والقوية وقل له أجب ربك فإنه واسع النفرة ، وقد أمهلك في طول هذه الدنة وفى كلها تدعى الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفى كل ذلك يخطر عليك السماء وينبت لك الأرض ويلبسك العافية حتى لم تهر ولم تسقم ولم تخفق ولم تقلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة وللسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم امسك الكلام عن موسى سبعة أيام ليلائها ثم قيل له بعد سبع ليل أجب ربك يا موسى فيما لك قال - رب اشرح لى صدرى - إلى قوله تعالى بصيرا ، فقال الله تعالى - قد أوتيت سؤالك يا موسى - فجاهد بنفسك واخيك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى له إنكنا جندان عظيمان من جندى وأنا ممكنا أسمع وأرى وأبصر كما وأكون ممكنا فلا تستغنان ولا تستقلان ولو عشت ان آتية بخود لا قبل لها بها فقلت ، ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذى قد أعجبه نفسه وجنوده ان القوة الغلبة ولا قليل منى قلب القوة الكثيرة باذن ولا يسجنكما زيتته ولا يهولكما عدته فلو شئت ان أزيئكما من زينة الدنيا ويهينها ما بهت فرعون وملاء اذا نظروا إليها وهم ان مقدرته تسجزهما أتينكما فلت ، فلا تأسفا مما أوزوه عنكم من متاع الدنيا وزينتها لأن ذلك باق فى أوليائى واسمىائى

افزودم عن نعم الدنيا ولذاتها كما يندود الراعى الشفيق غنمه عن اللواتح الرديئة لكي تستكملوا نصيبكم من كرامتي في الآجل ، واعلم أنه لا يترين أحد من عبادي زينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا وهي زينة الأبرار ، وقال ان الله تعالى كله في تلك اللذة مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قلت فسا بغير حق .

وقيل لموسى عليه السلام بم عرف ان الله تعالى هو الذى ملكك ، فقال لأن كلام الخلق اءا يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهي السمع وانى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحى كلها ففرفت أنه كلام الله تعالى .

قالوا : ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد إلى حاله الأولى ، فلما رجع موسى شيثته لللائكة ، وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يغتبه فأمر الله تعالى ملكا فهدى يده ولم تزل قممته عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا في خرقة وناولوه إلى موسى فأخذ جبرين فلك أحدهما بالآخر حتى حدثه كالسكين من الحديد ففحق به ابنه ، ثم إن الملك عالج القطوع من المختون فقتل فيه فبرا من ساعته بإذن الله تعالى ، ثم إن الملك عده إلى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يبدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين ففرقهم فاحتلمهم وردمهم إلى مدين فمكثوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوزه بنى اسرائيل واغرق الله فرعون فبعثهم شعيب إلى مصر لموسى . قالوا وخرج موسى من نوره ذلك لما بعثه الله إلى مصر لا علم له بالطريق ، وكان الله تعالى يهدي يديه وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شيء من الأشياء غير العصا ومدبرة صوف وقلنسوة صوف ونعلين ، وكان يظل صائعا ويبيت قائما ويستعين بالصيد ويقول الأرض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى إلى أخيه هارون يشيره بقدم موسى ويخبره أنه قد جدته وزيرا له ورسولا معه إلى فرعون وأمره ان يمر يوم السبت غرفة في الحجة متكررا إلى شاطئ النيل يلتقى بموسى تلك الساعة . قال فخرج هارون وأقبل موسى فالتقى على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واضق انه كان يوم ورود الأسد الماء ، وكانت لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حوايلها وكانت ترد الماء غيا وكان فرعون إذا ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سورا ، وكان بين كل سورين بساين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة فدر بس لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل واسكنها الأسد فتسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده غرسه وجعل خلال تلك النية طرقا فأنهى بمن سلكها إلى أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طرق غير هاتئ أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأ كاله الأسود ، وكانت الأسود إذا وردت النيل ظلت عليه يوما كله ثم تصدر مع الليل قال فلما اتقى موسى بهرون وكان يوم ورودها فقلرا أنهما الأسد صدمتا عاتقاهما ورءوسها لهما وشخصتا

بأبصارها نحوها وقذف الله في قلوبها الرعب فانطلقت نحو الفيضة مسرعة هاربة على وجوهها بطلا
بعضها بعضا حتى اندست في الفيضة . وكان لها ساسة يسوسونها ودادة يدودونها : اى يفرونها
ويسلطونها على الناس ، فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين آوا ،
ثم إن موسى وهرون انطلقا في تلك الفيضة حتى وصلا الى باب المدينة الأعظم الذى هو أقرب أبوابها
الى منزل فرعون ، وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة يوم فأقاما
عليه سبعة أيام فكلهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب ، فقال موسى
ان هذا الباب والأرض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع منه
قط ولم يظن أن أحدا من العالمين يفتح بمثله ، فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه
وقال لهم سمعت اليوم قولاً وعانيت عجا من رجلين هما عتدى أعظم وأشنع وأفطع مما أصابنا
فى الأبد وما كنا نقدر ان أن يقدمنا على ما قدمنا عليه إلا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة ، فلم يزل
ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون . قال السدى بإسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى
أتاها ليلا فتضيف أمه وهى لا تعرفه فأتاها فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فزل فى جانب النار
فجاء هرون ، فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف فدهاه فأكل معه ، فلما قصدا
وتحدثا سأله هرون من أنت ؟ فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاجتمع ، فلما تمارقا
قال لموسى يا هرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه ، فقال له هرون سمعا وطاعة
فقامت أمهما وصاحت وضجت ، وقالت : أنشدكما الله أن لا تنهيا الى فرعون فيقتلكما فأيا عليهما
ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فصرعا الباب ففرع فرعون
وفزع البواب ، فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابي فى هذه الساعة ، فأشرف عليهما البواب
وكلهما ، فقال له موسى إني أنا رسول رب العالمين ففرع البواب وآتى فرعون وأخبره بما سمع ،
وقال له : ان هنا انسانا مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين . وقال ابن اسحق خرج موسى لما بهته
الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان - إنا
رسول رب العالمين - فمسكا فيما بلغنا سنتين يمدوان الى بابيه وروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترىء
أحد ان يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطلال له يلعب معه ويضحك ، فقال له الملك : ان على بابك
رجلين يقولان قولاً عجيباً يزعمان أن لهما إلها غيرك ، فقال فرعون أدخلوهما فأدخل موسى ومعه
هرون عليهما السلام .

الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون

قال الله تعالى - فأتيا فرعون قولا إننا رسول رب العالمين - . وقال تعالى - قولا له قولا لينا

له ليتذكر أو يخشى - .

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لما أعذرا إليه أنه يتذكر
أوحى قولاه أنك رباً ومعاداً وإن بين يديك الجنة ونارا لله عند ذلك يتذكر أوحى وعيدكما ،
وهو عندي لا يتذكر ولا يحصى . قال لكلا يقول أهلكته قبل أن أعذر إليه . قال فلما أذن فرعون
لموسى وهرون دخلا عليه ، فلما وقفا عنده دعاهم موسى بدعاء ، وهو لا إله إلا الله الحليم الكريم ،
لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما فهين وما بينهن ورب
العرش العظيم ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . اللهم إني أدرك بك في نعمه وأعوذ بك من
شره وأستعين بك عليه فأكفنيه بما جئت . قال : فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمناً ، وكذلك
كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفاً ونفس كربتته وهون عليه سكرات الموت ، ثم إن
فرعون قال لموسى من أنت ، فقال : أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه ، فقال له - ألم تر بك
فينا وليداً ولئت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين - معانطاً ديننا هذا
الذي هو الآن نبي . قال موسى - فعلتها إذا وأنا من الضالين - أي من المخطئين ، ولم أرد بذلك القتل -
فقررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين - . ثم أقبل موسى ينكر عليه ماذا كره
له من يده عليه ، فقال - وتلك نعمة عنما علي أن عبدت بني إسرائيل - أي اتخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم
من أيديهم فتسرق من عثت وتختل من عثت : أي إنما صيرني إليك ذلك - قال فرعون وما رب
العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال فرعون - لمن حوله من ملكه :
الاستمعون - انكرا لما قال موسى قال موسى - ربكم ورب آبائكم الأولين - قال فرعون - إن رسولكم
الذي أرسل إليكم لمجنون - يعني ما هذا بكلام رجل صحيح العقل إذ يزعم أن لكم إلهاً غيري - قال
موسى - رب للشرقي والغربي وما بينهما إن كنتم تعلمون - ثم قال فرعون لموسى - لن اتخذت إلهاً
غيري لأجلك من السجوتين . قال أولو جشك بشي مبين - تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك -
قال فرعون فأت به إن كنت من الصادقين فأتني موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين - فاعتمها فقدملا
ما بين جانبي القصر واضعة لهما الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجاً
من مدينه مصر رأسها ، ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانقض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب
عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة ، وكان فبايز عمون لا يسعل ولا يتمشط
ولا يتصدع رأسه ، ولا تصيبه آفة مما يصيب للناس ، وما كان يقوم إلا في كل أربعين يوماً مرة واحدة ،
وكان أكثر ما يأكل اللوز لأنه لا يكون له ثقل فيحتاج إلى القيام وكانت هذه الأشياء مما زين له أن قال ما قال
لأنه ليس له من الناس شبيه .

قالوا فلما قصدته الحية صالح يا موسى أنشدك الله وحرمة الرضاع ألا ما أخذتها وامسكها حتى وأنا
أومن بك وأرسل ملك بني إسرائيل فأخذها موسى فنادت عصا كما كانت ، ثم إن موسى نزع
يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك فلما أخذها موسى في جيبه ثم أخرجها ولما

ور ساطع في السماء تكلّ عنه الأبصار قد أضاء حولها ودخل ضوؤها البيوت ورؤى من الكوى
لومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها
الأول ، قالوا فيهم فرعون بقصده قيامه إليه هان وحلس بين يديه ، ثم اتفاله نينا أنت إليه تعبد إذ
أنت تابع لبد ، قال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغدا فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون إنك إن
آمنت بالله وحده هممتك في ملكك ورددتك شياطينا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل إليه
هانان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربه قاله هانان والله ما يمدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما
واحدا وتضع في منخره ثم قاله هانان أنا أردك غدا فأني بالوشم فخصبه فهو أول من خصب بالسواد
فلذلك كرهه ^{عليه السلام} ونهى عنه ، فلما دخل عليه موسى وزّاه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى الله تعالى
إليه لا يهولك ما رأيت فإنه لن يلبث إلا قليلا حتى يعود إلى حاله الأول .

وفي بعض الروايات أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق
فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل أتاهما دارها
وجاء الطلب إلى الباب والسجور متنبهة ، فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت الصا من
جانب الباب والسجور تنظر إليها فقاتلتهم قتلت منهم سبعة أشقى ، ثم طادت ووخلت النار فلما
اتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية الصا فيهم ، ثم إن العجوز آمنت
بهما وعدتهما .

الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم

يوم الزينة إلى القضاء للمظالبة

قالت العلماء بأخبار الأنبياء : إن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما آتياه
من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملاحوه إن هذان لساحران عليان فإذا تأمرون ، قالوا اقلتهما
فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون - أهتلون رجلا أن يقول ربي الله - إلى قوله تعالى -
سبيل الرشاد - وقال للملاح من قوم فرعون أرجه وأخاه وابث في المدائن حاشرين يأثولا بكل ساحر
عليهم - وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للأمر إذا أحزنه .

قال ابن عباس : قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليه والصا ما رأى إنا لا نقاب
موسى إلا بمن هو مثله فأخذ غلمانا من بني إسرائيل فبث بهم إلى قرية يقال لها القرقاء يعلمونهم
السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فملوم سحرا كثيرا ، ثم إن فرعون واعد موسى موعدا ،
ثم بث إلى السحرة فبث بهم ومعهم معلمهم ، فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم
سحرا عظيما كبيرا لا يطيقه سحرة الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فأنهم لا طلاق لهم . ثم إن
فرعون بث إلى الشرط في ملكه فلم يتركوا في ملكه سحرا إلا أرواه . واختلوا في عمال السحرة

الذين جمعهم فرعون ، فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا : اثنان من القبط وهما رؤساء القوم ، وسبعون من بني اسرائيل .

وقال الكلبي : كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى .

وقال كعب : كانوا اثني عشر ألفا ، وقال السدي : كانوا بضعة وثلاثين ألفا ، وقال عكرمة : سبعين ألفا ، وقال محمد بن المنكدر : ثمانين ألفا ، والجامع لهذه الأقاويل ما روى أن فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا ، فاختر منهم سبعة آلاف ليس فيهم إلا من هو ساحر ماهر ، ثم اختار منهم سبعة ، ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم . قال مقاتل ، وكان اسم رأس السحرة شمعون ، وقال ابن جريج يوحنا ، وقال عطاء : كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين ، فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأمهما دليلا على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه وصاحا باسمه فأجابهما ، فقالا له إن الملك وجه البنا رسولنا لنقدم عليه لأنما أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك فخرنا من عزها ومنعتها ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلغ الحديد والخشب والحجارة فأجابهما أبوهما ، وقال انظراهما اذا هما ناما فاذا قدرتما أن تسلا الصا فسلها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان حملت الصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ، ثم اتهمتا ألباهما في خفية وهما نائمان ليأخلا الصا فتصدتها الصا ، قالوا ثم اتهمناه واعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النوروز وكان يوم عيد لهم فاجتمع اليه الناس من جميع الآفاق ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان معهم بالميقات بالاسكندرية ، ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ ، قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون - أنن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين - قال فرعون نعم - وإنكم إذا لمن القرينين - يعني في النزلة ، فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى منكنا على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتيا المجتمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم - وليكم لا تخشوا على الله كذبا فيسحكنم بعباد وقد خاب من افترى - فتناجى السحرة فيما بينهم ، فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى - فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرؤا النجوى - قالت السحرة لأتيناك اليوم بسحر لم نرمثله - وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون - وكانوا قد جاءوا بالعصى والحبال يحملها ستون بعيرا ، فلما أبوا إلا الإصرار على السحر قالوا لموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين - قال لهم موسى بل ألقوا أتم حبالكم وعصيكم فألقوا فانها هي حيات كأمثال الحبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسمى فذلك قوله تعالى - يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى - الى قوله تعالى - خيفة موسى - فقال موسى والله إنها كانت لحصيا في أيديهم ولقد عصاهت حيات وما عصاهي هذه .

فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله إليه - لا تخف إنك أنت الأعلى وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا
 إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى - ففرح موسى ثم انه ألقى عصا من يده فإذا هي
 ثعبان مبين - كأعظم ما يكون من الثعابين أسود منتظم يدب على أربع قوائم قصار غلاظ شداد
 وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان للسدينة برأسه وعنقه
 وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه ويكسر بقوامه الصخور الصم الصلاب ويطحن
 كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار . وله عينان تلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى
 معرفته شعر كأمثال الرماح وصارت الشعبان له فمًا سبعة اثنا عشر ذراعًا وفيه أنياب وأضراس لها
 قبيح وكشيش وصرير فاستعرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيمهم وهي تخيل في
 أعين الناس وعين فرعون أنها تسمى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى لم يبق في الوادي
 لا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهمز قوم فرعون هاربين متقلبين قراحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم
 بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهمز فرعون فيمن انهزم متخوفا
 مرعوبا ذاهبا عقله ، وقد استطلق عليه بطنهم من يومه ذلك أربع مائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين
 مرة في كل يوم وليلة على الدوام إلى أن هلك . فلما انهزم الناس وعين السحرة ما غابوا قالوا لبعضهم
 لو كان ساحرنا غلبنا ولا خفي علينا أمره ولو كان سحرا فأين جالنا وعصينا - فألقى السحرة ساجدين
 قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون - وكان فيهما اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم
 من الكبر وكانوا علماء ورؤساء وكان ردوس السحرة خمسة نفر : ساجورا وغادر وجفظ وخطط
 ومصفا . وهم الذين آمنوا حين رأوا مارأوا من سلطان الله تعالى . فلما رأى فرعون ذلك أسف
 وقال لهم متجلدا - أنتم له قبل ان أذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر - إلى قوله تعالى -
 أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على مجاءنا من اليناث - الآية - فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
 وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحرة كفره وأمسوا شهداء بررة ورجح
 فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم أتى إلا الإقامة على الكفر والتجاذي في الشر فتابع الله عليه الآية
 وأخذه وقومه بالسنين إلى أن أهلكهم . ثم إن موسى عاد راجعا إلى قومه والصا على حالها حية
 تنبته وتبصص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه والناس ينظرون إليها وتتعجبون منها
 وقدموا رجا فلم تزل الصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون إليها وتضاعفون وتضاغطون
 حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني اسرائيل فأخذ برأسها فإذا هي عصا كما كانت أول مرة
 وشتت الله على فرعون أمره ولم يهد إلى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره
 وكانوا مجتمعين إلى أن صاروا ظافرين .

الباب الحادى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته

ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين

قالت الرواة : كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لأم موسى التابوت حين ولدتته وألقته فى البحر . وقيل إنه كان خزنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا غلما يكتم إيمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذ يومئذ وقتل مع السحرة ملبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن فى قوله تعالى - وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه - وقال رسول الله ﷺ «سبى الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله سرقعين حبيب التجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون على مؤمن آل محمد ﷺ وهو أفضلهم » وإما امرأته حزقيل فانها كانت ماشطة بنت فرعون وكانت مؤمنة من إلهة الله الصالحات إلا أنها كانت مع بنات فرعون يخدمهن . وكان من قصتها ما أخبرنا به بالأمانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لما أسرى بى مررت برأحطية قتلت لجبريل عليه السلام مالهة الرائحة ؟ قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع للشط من يديها فقالت باسم الله فقالت بنت فرعون أبى قالت لا بله ربى ورب أبىك قالت لها لأخبرن بذلك أبى فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك فقالت إن ربى وربك الله فأمر بتنوير من نحاس فأحمى بإمر بها وبولدها أن يلقوا به فقالت له إن لى إليك حاجة فقال وما هى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنهما قال ولك ذلك لما علينا من الحق . ثم أمر بأولادها فألقوا واحدا واحدا فى التور حتى إذا كان آخر أولادها ولها صبيا رضيا قال إصبى يا أمه فانك على الحق فألقيت فى التور مع ولدها . فسل ابن عباس فيمن تكلم فى اللهد فقال : تكلم فى اللهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي .

الباب الثانى عشر فى ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون

ومقتلها رحما الله تعالى

قال الله تعالى - وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون - يقال إن امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصه وكانت تعبد الله سرا حتى إنها كانت لتعمل فى قضاء حاجتها فبرز فصل يومها فى مؤزرها خوفا من فرعون . وكانت على تلك الحالة إلى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة فى قصر فرعون تنظر إلى اللاشطة امرأة حزقيل كيف تمسك وتمتلك . فلما قتلت اللاشطة غابت آسية للاسكة وقد خرجت بدوحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فينهاهى كذلك إذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر اللاشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الولد لك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذى اعترى صاحبك فقالت ما اعترانى جنون ولكنى

أمنت بالله ربى وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها إن ابتك قد أخذها الجنون الذى أخذ للامعة ، ثم انه أقسم لتدوقن اللوت او لتكفرن بالله موسى فظلت بها أمها وسألها مواقة فرعون فيها أراد قأت وقالت تريدن ان أكفر بالله فلا والله ما أفضل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فجلدت بين أربعة أوتاد ثم مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى ، وذلك قوله تعالى - وفرعون ذى الأوتاد - عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدا بها يعذبها لتدخل فى دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه بأصبعها فدعا الله موسى ان يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم يجد للعذاب ألما الى أن ماتت فى عذاب فرعون فقالت وهى فى العذاب - رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى - الآية فأوحى الله اليها أن ارفعى رأسك ففعلت فرأت البنت فى الجنة من در فضحكت ، فقال فرعون انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب .

الباب الثالث عشر فى بناء الصرح

قال الله تعالى - وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا - الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون فى كل باب من أبواب الملك والتسلط والثروة والتنم والترفع والتتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل ملكه حتى استعبدواهم فعبده وادعى الربوبية قبلوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمتعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد ، وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيه وبنيتة أمر بما لبث أربعين يوما ليلة لا يخرج منه شيء إلا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يريق ولا يمتخط ولا يتنحج ولا يسعل ولا يأخذ وجع فى بطنه ولا رمد عيناه ولا يعرض ولا تصيبه آفة فى نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من إملاء الله تعالى انه كان يركب كل صبح وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربع مائة سنة لا يرى مكروها ولو كان فى تلك اللدة أدرك جوع يوما وحمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمس سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيسعد ذلك القصر عليها ، وكان يركبها ساعدا ونازلا مع ما أتم الله تعالى به عليه استدراجا منه فلما عين من أمر موسى ما عين لم يزد ذلك الاعتوا واستكبارا ، وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويصلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويتعبد أركانه فقال لوزيره يا هامان ابن لى صرحا لى بلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا فأمر هامان ببنائه فجمع له العمال والنفقة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان إلا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء ممن يُسخ الآجر والحص ويتخذ الخشب والأبواب والمسامير فلم يزل يبنى الصرح ويهر الله تعالى له أمره استدراجا له منه وأتمه الأمر على ما يريد الى أن فرغ منه فى سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض

فشق ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أن دعه وما يريد فاني مستدرجه وآخذ به بقة واني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح إذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب وإذا غربت ضرب ظله نحو الشرق بحيث لا يملئه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعت ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب . قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقتل به على عسكر فرعون . فقتل منهم ألفي ألف رجل قالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا أسابه موت أو حريق أو عاهة فما من نجار أو حداد أو بناء إلا يبيت يده ، وأما الذين كانوا يطبخون الآجر والجنس فانهم احترقوا عن آخرهم ، وأما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من امر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ، فلما رأى فرعون ذلك من امر الله تعالى علم ان حيلته لم تكن عنه شيئا فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم إن عسكر فرعون قالوا لموسى إنك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومتته عليك حيث ألقاك امك في اليم قبجباك وبفضا لك لما علمت ما أنت صائرا اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فأواك وكفلك ورباك واتخذك ولدا ، ثم فررت منه آجما كافرا وجتته عدوا محاربا فلما بعثتني عنك حتى نزلت إلى عبادته وخدمته أو نذيتك الليل والنهار ، فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم انه لا ينقذ عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحق عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب والآيات .

الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي أهلك بها فرعون وقومه حين

دنا هلاكهم اظهارا لقدرته وإثرا لما لحبته

قال الله تعالى - ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات - قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وخلق البحر فقال تعالى - ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات .

قال قتادة : أما السنون فكانت بياديتهم ومواشيهم ، وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان - الآية .

واختلف المفسرون في ذلك الطوفان ما هو .

قال ابن عباس : كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء ، وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها ، وقال الضحاك هو الغرق ، وقال مجاهد وعطاء هو الموت التدرج الجارف ، وروى ذلك عن رسول الله ﷺ ، وقال وهب هو الطاعون بئنة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على ابكار آل فرعون فانتفضهن في ليلة فلم يبق منهن بقية ، وقال أبو قتادة الطوفان الجندري فهم أول من عذب به فبقى في الأرض والجراد والقمل .

واختلفوا في القمل ماهو ، فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذى يخرج من الخنطة . وروى عن أبي طلحة انه الدباب . وقال مجاهد والسدى وقادة والسكى وغيرهم الجراد الطيارة التى لها أجنحة والقمل الصغار التى لا أجنحة لها . وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجرّاد ، وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث . وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم للميم . وقال أبو عبيدة هو الحمان وهو ضرب من القردان قال أبو العالية أرسل الله الحمان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على السير قال أمية ابن أبى الصلت الثقفى .

أرسل النور والجراد عليهم وعذابا فأهلكهم دبور

باب فى صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الأخبار دخل حديث بعضهم فى حديث بعض : لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون إلى عسكر بنى اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بنى اسرائيل ما لا يطيقون فكان الرجل من القبط يعيى الى الرجل من بنى اسرائيل يقول له انطلق معى فاكنس حتى واعلف دوابى واستقل وبعى القبطية الى الكريمة من بنى اسرائيل فتكلفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم فى كل ذلك خيرا فاذا اتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكثبوا لأنفسكم ماتا كلون فشكوا ذلك إلى موسى فقال لهم - استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين - . قالوا - يا موسى - أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا - كنا نظم اذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا ، فقال موسى - عسى ربكم أن يهلك عدوكم - يعنى فرعون والقبط - ويستخلفكم فى الأرض - يعنى الشام ومصر - فينظر كيف تعملون - فلما أتى فرعون وقومه إلا التحدى على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال : يارب إن عبدك فرعون قد ظنى فى الأرض وبني وعتا وإن قومه تقضوا عهدي وأخلفوا وعدي ، رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم قعمة وقهوى عظة ولمن بعدهم من الأمم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها فى اثر بعض فأخذهم بالسنين وقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهولاء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون ويوت بنى اسرائيل ويوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها فى بعض فامتلات بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى راقبهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضهم وركد فلم يقدروا على أن يحرقوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ؛ فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك وزل معك بنى اسرائيل . فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل وعادوا الى أثر ما كانوا عليه . فأثبت الله تعالى لهم فى تلك السنة من

الكلأ والزرع والثمار ما لم ينبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت . فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الله الانعمة لنا وما يسرنا أنا لم نعط فأقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الأبواب والسياب والأمتعة وسقوف البيوت والخبث والسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فبطل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجبوا وضجوا وقالوا - يا موسى ادع لناربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمن لك ولترسلن معك بني اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فسال موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ، وقال ان موسى برز الى الفضاء فأشار الى الشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن .

فصل في بعض ماورد من الأخبار الغريبة في الجراد

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه كان يدعو على الجراد يقول : اللهم اقطع الجراد . اللهم اقطع دابرهم . اللهم اقل حصارهم . وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأقواهم عن معاشنا وأرزاقنا إنك أنت سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابرهم ؟ فقال إنما الجراد شر حوت من البحر .

قال ابن علاثة : وحدثني من رأى الحوت يثره ، وإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « في صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم » . وإسناده عن جابر بن عبد الله قال . علم الجراد في سنة من سنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فالتفت لذلك فأرسله راكبا إلى اليمن وراكبا إلى الشام وراكبا إلى العراق يسألون هل رأوا شيئا من الجراد أولا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن فقبضة من الجراد فالتقاء في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فأقول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فاذا هلك الجراد تابع مثل النظام إذا قطع بسلكه » وإسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي ﷺ أنه قال « إن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها الحما لادم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه وبينه شيباع » فقلت يا أبا النضر ما الشيباع ؟ قال الصوت ، وإسناده عن عبد الله بن ضمير السلولي قال : لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال : لا اتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى : وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكي التي لا تخطيء أبدا .

أخبرنا الحسين بإسناده عن الأوزاعي يقول : كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خاف طويلا أنظهما أحمرين وهو يقول الله باطل باطل باطل

ما فيها ويقول بيده هكذا فجئنا أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد . قال فأقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشى الى كتيب أغمر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكتيب وكان مهلا عظيما فضربه عصاه فانها لم عليهم القمل فتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها وحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدكم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ فلا حتى إن أحدهم ليبنى الأسطوانة بالحص ويزلقها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فإذا صد اليه ليأكله وجده مليا فلا فأسويوا بيلاه كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل اشجارهم وابشارهم وأشجار عيونهم وحواجرهم ولزمت جلودهم كأنها الجملدى عليها ومنعهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة . وقال سعيد بن جبير القمل السوس الذى يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحافلارد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر : ائمأيا العالم اناتوب ولا تعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الأرض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق ان نستيقن أن موسى ساحر لنا إلا اليوم فيجمل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ورسل معه بنى اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فاعسى ان يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا تصدق به أبدا ولا تتبعه ، فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره ان يقوم على ضفة النيل فيفرز عصاه فيه ويشير بالصا الى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتأبست له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بضأ وأسمع أدناها أصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم حوالب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم فتنة وامتلأت منه أفئتهم وآبئتهم وأبيئتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا إباء ولا طعاما ولا شرابا إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتنب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع ان يتصرف الى شقة الأيمن ولا الأيسر وكان أحدهم يفتح فاه لأكلته فتسبقه الضفدعة الى فيه وكانوا لا يجنون شيئا من السجين الا اندسخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت شب في قراهم تطفئها وفي طعامهم تفسده فلقوا منها أذى شديدا .

روى عكرمة عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تخدق أنفسها في القصور وهي تفوز وفي التناير وهي مسجورة فأنابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كانوا يهلكون وصارت للدينة وطرقها مملوءة جفا من كثرة ما يطئونها بأقدامهم وأرتوحت البقاع كلها منها فلما

وأوذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فاناثوب هذه المرة ولا نعود فأخذ على هذا عهدهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه مكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروى أن موسى أمر أن يهتف بصاء ويميلها ففعل ذلك فانتشع ما كان منها حيا فالحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فنحتها عن مدينتهم بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا في عافية وقيل اربعين يوما ثم قضوا العهد وعادوا الى كفرهم - تكذيبهم - ففعل عليهم موسى فأرسل الله عليهم السم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب الى شاطئ البحر فيضرب بصاء ففعل ذلك فقال عليهم النيل دما وصارت مياههم كلها دما وما يسقون من الأنهار والآبار إلا وجدوه دما أحمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا اننا قد ابتلينا بهذا السم وليس لنا شراب غيره فقال لهم إنه قد سخركم موسى فنكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطى والاسرائيلى فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما عبيطا وكان القبطى والاسرائيلى يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطى دما وماء الاسرائيلى ماء عذبا وكانا يقومان الى الجوة التى فيها ماء فيخرج للاسرائيلى ماء وللقبطى دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بنى اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول استقنى من مائى فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فتعود الى الاناء دما حتى إنها تقول لها اجعليه فى فيك ثم يجبه فى فى فتأخذ فى فيها ماء فاذا جته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطان وان فرعون اعتراه العطش فى تلك الأيام حتى انه اضطر الى مضغ الأشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماء لها ملحاً أجابا ومرّا زعاقا فاشكوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم .

وقال زيد بن أسلم : كان اسم الذى سلب عليهم الرحاف فلما سجدوا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لئلا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى أمر أن يضرب النيل بصاء ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفخوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان - الآيات قال نوف البكالى ابن امرأة كعب الأجار مكث موسى فى آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة عليهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الأخبار لما يئس موسى من إيمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون إلا الطغيان والكفر والتفادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو - ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم وأشد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - فأجاب الله دعاءهما كما قال تعالى - قد أجبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان - الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أمثاله الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والياقوت وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصى إلا أن الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام فى زمانه أيام القحط فبقى ذلك فى يده ليقبض فأوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل ما فى أبدي آل فرعون من العروش والحلى وجاعه

لهم جهازا وعبادا إلى الأرض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تتكف عليه أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتعظمونى ذلك اليوم وتعدونى فيه لما أرىكم من الظفر ونجاة الأولياء وهلاك الأعداء واستعبروا لعيدكم من آل فرعون الخلى وأنواع الزينة فانهم لا يمنعون عنكم للبلاء الحال بهم فى ذلك الوقت ولما أقدفت فى قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الخلى فأعيرت لبى اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يبنى على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا رجل لطفًا منه بهم وإفضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الأموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى للتمثل والدقيق .

قال محمد بن كعب القرظى : سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه قتل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعسا واليد البيضاء والطمس وقلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه إلا هكذا ثم إنه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان إذ كان فيها بقايا أموال فرعون فأخرج البيضة مشقوقة نصفين وإنها لحجر والجوزة مشقوقة وإنها لحجر والحصة والعنسة .

وروى محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال : قد رأيت نخلة مصروعة وإنها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت أنه انسان وإنه لحجر وكان ذلك المسخ فى أرقائهم دون أحرارهم إذ العبد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال إلا مسخه الله تعالى ما خلا الذى بأيدي بنى اسرائيل من الخلى والجواهر وأنواع الزينة .

وقال ابن عباس : أول الآيات العسا وآخرها الطمس . قالوا وبلغنا أن الدنانير والدرهم سارت حجارة منقوشة كهيتها محاسا وأنصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة .

الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام بينى اسرائيل وخبر قلق البحر لهم قال الله تعالى - وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون - قال العلماء بأخبار الأنبياء : أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الأبواب فأتى مرسل على أعدائكم عذابا وإنى سأرسل اللامكة فلا تدخل بيتا على باب الدم وسأمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فقتلون أتم وهلكون هم ثم اخبروا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فأتيتكم أمرى فأمر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبى اسرائيل لم تحملون هذا الدم على أبوابكم . فقالتوا إن الله تعالى لم يرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم إلا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نيتنا فأصبحوا وقد ملن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم فى ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من

حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين إلى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفاً لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لسكبه ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى النرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة ، فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغتهم خروج بني اسرائيل . قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أئسنا ثم إنهم خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى - فأرسل فرعون للداخن حاشرين إن هؤلاء شرمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون - ثم إن فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة ويده حربة ، وقال ابن جريج أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الألوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى - فأتبعوهم بشرقين فلما تراءى الجمعان ودأت بنو إسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قد مانا إن دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا ولقد أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما اجتئنا قال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عيسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون . -

[فصل] قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب الله عليهم التوبة فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له إن يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على أخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضموه في الأرض المقدسة فلذلك نالنا هذا الأمر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقال موسى يتنادى : أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قولي ، فكان يمر بين الرجلين يتنادى فلا يسمعان قوله حتى صمته مجبور منهم ، قالت له : أرايتك إن دللتك عليه أتعطيني ما سألتك ؟ فأبى عليها ، وقال حتى أستاذن ربي فأمره ربه أن يعطيها منها فأعطاه ذلك . قالت له : أنى أريد أن لا تنزل غرقتين الجنة الا نزلتها معك . قال نعم ، قالت فاني مجبور كسرة لا أستطيع أن أمشي فأحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له : انه في جوف هذا الماء فادع الله أن يعسر عنه الماء فدعا الله تعالى فصبره عنه ، قالت له : اخضر ههنا فقبل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فعمله معه ودفعه في الأرض المقدسة .

قال جريرة بن الزبير : وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني اسرائيل إذا طلع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يضرخ من أمر يوسف فقبل ، فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد إلى الأرض المقدسة من قبل نبهم ذلك .

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن ابن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ قال :
 نزل النبي ﷺ بأعرابي فأكرمه ، فقال له عليه السلام : تعاهدنا فأتاه الأعرابي ، فقال له عليه
 السلام : ما حاجتك ؟ قال له الأعرابي : ناقة يارسول الله برجلها وأعنز يحلبها أهلي ، فقال له رسول
 الله ﷺ : ثانياً ما حاجتك ، فقال مالي حاجة غيرها ، فقال عليه السلام : إن عجوز بني إسرائيل
 كانت أحسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف . قال فلما انتهى موسى إلى البحر
 هاجت الريح وهاجت ترمي بموج كالجبال ، فقال له يوشع بن نون : يا كلم الله أين أمرت فقد غشنا
 فرعون والبحر أماناً ؟ فقال موسى ههنا فحاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافداً به
 الماء ، وقال الذي يكلم إيمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون : يا كلم الله أين أمرت . قال ههنا
 فكبح فرسه بلبامه حتى طار الزبد من شدقه ، ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم
 ليصنوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه - أن اضرب بصاك
 البحر - وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بصاه فلم يطمع فأوحى الله
 تعالى إليه : أن كنهه فضربه ثانياً وقال : انطلق يا أبا خالد باذن الله تعالى - فانطلق فكان كل فرق
 كالطود العظيم - فلما انطلق البحر فإذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يتل رجه
 ولا لبده وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح
 والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى - فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف
 دركا ولا تخشى - .

قال سعيد بن جبير : أرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة
 واحدة فأرسل إليه انه المكان الذي انطلق عنه البحر لبني إسرائيل .
 أخبرنا الحسن بن محمد بإسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى
 البحر قال : يا من كان قبل كل شيء والكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجا
 ومخرجا فأوحى الله تعالى إليه - أن اضرب بصاك البحر - فضرب بصاه البحر - فانطلق فكان
 كل فرق كالطود العظيم - .

وروي الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أعلمكم الكلمات التي
 تكلم بها موسى حين جاز البحر بيني إسرائيل ؟ قلنا بلى يارسول الله . قال قولوا : اللهم لك الحمد واليك
 للثني ، وأنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » قال عبدالله :
 فارتكتهن منذ سمعتن من رسول الله ﷺ .

قالوا فحاض بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجيل العظيم لا يرى بعضهم
 بعضاً فحافوا ، وقال : كل سبط قد قتل اخوانا فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكى صغار الماء شبكات
 كثرات الطاقات فنظر بعضهم بعضاً فأخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم بعضاً

حتى عبروا البحر سالمين فذلك، قوله تعالى - وإذ فرقنا بكم البحر - أى فلقنا وميزنا لكم الماء بميزنا وشمالا -
فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون - وذلك أنه لما خرجت ساقعة عسكر موسى من البحر
وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فأراد موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الأولى فأوحى الله اليه
- أن اترك البحر رهوا - أى ساكنا على حاله - إنهم جند مغرقون - فلما وصل جند فرعون الى
البحر رأوه منفلقا ، فقال فرعون : انظروا الى البحر كيف اطلق لهيبى حتى أدرك أعدائى وعبيدى
الذين أبقوا منى فأقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن فى خيل فرعون أننى وأنا كانت
ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنقى وديق مشتبية للفحل وعليه عمامة سوداء
فتقدمهم وخاض البحر فظن أصحاب فرعون أن الفارس منهم ، فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت
البحر فى أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم : الحقوا
يأصحابكم ، فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له : إني قد أتيت الى هذا
الموضع مرارا ومالى عهد بهذا الطريق ، وإني أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا
وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل
على رمكة بيضاء فسهلته لحجمهم اليها حصان فرعون فنخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون
فأقحمه البحر ، فلما توافوا فى البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم
فالتطم عليهم ففرقهم أجمعين ، وذلك برأى من بنى اسرائيل ، فذلك قوله تعالى - وأغرقنا آل
فرعون وأتم تنظرون - يعنى الى مصارعهم ، وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون ، فلما أدرك فرعون
الفرق - قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين - فقال له جبريل - الآن
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين - ثم إن جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذى فيه وقال أما هذا فتياك
الذى أتيت به ، ثم جعل يدس فى فيه من حمأ البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة ، وفى الحديث أن جبريل
عليه السلام قال لرسول الله ﷺ « ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين : أما أحدهما فمن
الجن وهو إبليس عليه لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم ، والآخر من الإنس ، وهو فرعون حين قال -
أنا ربكم الأعلى - ولورأيتنى يا محمد وأنا أخذ من حمأ البحر وأدسه فى فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد
فيرحمه الله تعالى بها » .

قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت النظام البحر قالوا لموسى : ماهذه الضوضاء ، فقال لهم ، إن
الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا . فقالوا لموسى إن فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا
وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان فأمر الله تعالى البحر فألقاه على نجوة من الأرض
وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل ، فذلك قوله تعالى - فاليوم نتجيك ييدنا لتكون لمن خلفك
آية - فيقال أنه لو لم يخرج الله ييدنه لشك فيه بعض الناس ، فلما جاوز موسى بنى اسرائيل البحر أتوا على

قوم يكفون على أصنامهم - قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون - .

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن محمد بن قيس قال : جاء يهودى إلى طي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقال : يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا ، فقال بنى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حمأ البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بث موسى جندين عظيمين من بنى اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا إلى مدائن فرعون ، وهى يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم ، فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والمهرمى فأمر طي الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به المحول منها ، وما لم يطبقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى - كم تركوا من جنات وعيون - إلى قوله تعالى - فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين - إلى آخر القصة ، ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد إلى موسى بمن معه من المسلمين فاعين شاكرين .

الباب السادس عشر فى قصة ذهاب موسى الجبل لميقات ربه وصفة إتياء الله تعالى له الألواح وإزاله التوراة وما يتعلق بذلك

قال الله تعالى - وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعمناهما بشر - وقال فى موضع آخر - وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة - . قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين : إن موسى كان وعد بنى اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن يأتهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون ، فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بنى اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى : اتنا بالكتاب الذى وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم تطهر ويظهر ثيابه ويأتى طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما ، فلما بعد الجبل أنكر خلف فيه فقتلوه بمودخروبو .

وقال أبو العالية : أخذ من لحاء الشجر فصه فقالت له الملائكة إنا كنا نسم من فيك رائحة للسك فأفدتها بالسواك ، فأوحى الله تعالى إليه أن صم عشرة أيام آخر ، وقال له أما علمت أن خلفى تم الصائم أطيب عندى من رائحة للسك وكانت فتنتهم فى الشجرة الأيام التى زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى - وواعدنا موسى ثلاثين ليلة - ذا القعدة - وأعمناهما بشر - يعنى من ذى الحجة .

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن أنى هريجة أن جميع الشهور تنقص ما خلاذا القعدة لقوله

فعالي - وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعمناها بعشر - أي من ذى الحجة - فتم ميقات ربه أربعين ليلة - فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه ، فلما أتى طور سيناء كله ربه ونجاه وقرّبه وأدناه كما قال تعالى - وقرّبناه نجيا - .

قال وهب : كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعهما الله كلها الاحجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها - فقال رب أرني أنظر اليك - .

قال السدي : لما كلم الله موسى غاص الحيث إبليس في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس في قلبه وقال : إن مكلمك الشيطان فتندلك سأل الرؤية ، قال الله تعالى - لن تراني - وليس يطبق البشر النظر الي في الدنيا من نظر الى مات ، فقال إلهي سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك ، فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل في مدين يقال له زير . وذلك ان الجبال لما علت أن الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاطمت وتشاхت رجاء أن يتجلى الله لها وجعل زير يتواضع من بينها ، فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن وخسه بالتجلى . قال الله تعالى - فإن استقر مكانه فسوف تراني - فتجلى الله تعالى للجبل .

واختلف العلماء في معرفة التجلى . قال ابن عباس : ظهر نوره للجبل ، وقال الضحاك : أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل مسخر الثور ، وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار : ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل إلا كسم الحياض حتى صار دكا دكا ، وقال السدي : ما تجلى لإقندر الحنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ انه قرأ هذه الآية فقال : هكذا ووضع الابهام على المفصل الأمل من الحنصر فساخ الجبل يعني غار . وقال الحسن : أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي ؟ فغار الجبل وساخ في الأرض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع ، وقال أبو بكر بن عمر الوراق : حكى عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا . قال أبو بكر : فعذب إذ ذاك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرى كل مريض وزال الشوك عن الأشجار واخضرت الأرض وأزهرت وخمدت نار الجحوس وخرت الأصنام لوجوهها ، وقال السدي : ما تجلى للجبل لإقندر جناح بعوضة فصار الجبل دكا ، وقال ابن عباس ترابا ، وقال سفیان ساخ حتى وقع في البحر . قال عطية العوفي صار رملا هائلا ، وقال الكلبي جعله دكا : أي مكسرا جبلا صفرا ، وبالإسناد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى - فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا - قال صار بعظمته ستة أجيل فوقت ثلاثة في المدينة : أحد وورقان ورضوى ، ووقت ثلاثة بمكة : نور وثير وحراء - وخر موسى صقفا - قال ابن عباس : مغشيا عليه ، وقال قتادة ميتا ، وقال الكلبي : خر موسى صقفا يوم الخميس يوم عرفة ، وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر . قال الواقدي لما خر موسى صقفا ، قالت الملائكة ما لابن عمران وسؤاله الرؤية .

وفي بعض الكتب : أن ملائكة السموات والأرض آتوا موسى وهو محض عليه فبجلوا

يلكزون به بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطعمت في رؤية رب العزة ، وقال وهب : لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فأحاطت بالجبل الذي عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ، ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الأسود لهم لجنب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في جسده فقال : ندمت على مسئلي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء ان خرجت احترقت وإن بقيت مت ، فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت قليل من كثير مارأيت ، ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النور لهم قصف ورصف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلبج الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة ، فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لاصبر لك عليه ، ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا ياربهم شيء من أصوات الذين مروا به ، ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة في سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلا جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكأؤه ، ثم قال له خير للملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا وفى يد كل ملك منهم حربة طويلة تلهب نارا أشد ضوئا من الشمس ولباسهم كلهب النار وإذا سبحوا وقنسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كأنهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت ، وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه ، فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويكسى ويقول : رب اذ كرنى ولا تنس عبدك لا أدري هل أغلص بما أنا فيه أولا إن خرجت احترقت وإن مكثت احترقت ، فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلق قلبك فاصبر للذى سألت ، ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة . قال الله تعالى : أروهم إياه ، فلما بدأ نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارح الجبل واندك وخر موسى صقفا على وجهه ليس معمروح قلبا لله الحجر الذى كان موسى عليه وجهه كهيئة القبة ثلاثا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بأنك ربى وصدقت بأنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلق قلبه فما أعظمك وأعظم

ملائكتك أنت ربّ الأرباب واله الآلهة وملك الملوك لا يهدلك شيء ولا يقوم لك شيء تبث اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين .

قال السدي حفر حول الجبل بالملائكة وحفر حول الملائكة بالنار وحفر حول النار بالملائكة وحفر حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل .

أخبرني الحسن باسناده عن عروة بن ديلم اللخمي . قال : كانت الجبال قبل أن يتجلى أقبلوسى بماء ملساء ، فلما تجلى الله الجبل صار الطور دكا ونظطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فانخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع وبذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي انخذ منها الألواح من زمرد أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بقسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والأرض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الأرض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة وقرعها قومه فوضعت الألواح على الساق فلم تطلق حملها لتقل اليهود وللتواثق التي فيها فقالت يارب كيف أطيق أن أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الألواح فيلحمها موسى فلم يطلق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من التور والبيان واليهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمد الله بملائكة يحملونها بمد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الألواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع ، وقال يارب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن قال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون - كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطلق حملها . قال قلما وضموها على الجبل بين يدي موسى ، وذلك عند صلاة العصر قبض موسى على الألواح فلم يطلق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله - يا موسى إني اصطفتك - الآية وقوله تعالى - وكتبنا له في الألواح - الآية .

فصل في نسخة العشر السكيات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه في الألواح

وهي معظم التوراة وعليها مدلول كل شريعة

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله للملك الجبار العزيز القهار لبيد مرسومه موسى بن عمران أن سبعني وقدمني لاله إلا أنا فأعبدني ولا تشرك بي شيئا واشكر لي ولوالديك إلى الصبر أحبك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فأضيق عليك السماء بأقطارها والأرض برحبها ولا تخلف باسمي كاذبا فاني لا أظهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي ولا تشهد بما لا يحق سمك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فاني أوقف أهل الشهادات على عهدهم يوم القيامة وأسلمهم عنها ولا تحسد

الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا وزن ولا تسرق فأجيب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تدع لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمى ولا تنفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقنا عندى وأجيب للناس ما عجب لنفسك واكره لهم ما بكره لنفسك ، فهذه نسخة العشر الكلمات ، وقد أعطاه الله جميعها لمحمد ﷺ فى ثمان عشرة آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل - وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه - إلى قوله - ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الأنعام وهى قوله تعالى - قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم - إلى قوله تعالى - ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

أخبرنا أبو عمر محمد القريانى بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لما أعطى موسى الأنواح نظرها فقال يارب لقد أكرمتنى بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين قبلى قال - يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين - اى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد ؟ قال أحمد الذى أثبت اسمه على عرشى قبل أن اخلق السموات والأرض بألنى عام وأنه نبي وصفي وخيرتى من خلقي وهو أحب إلى من جميع خلقي وجميع ملائكتى ، قال موسى يارب ان كان محمد أحب إليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمى قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الأمم كفضلى على جميع الخلق قال يارب ليتنى أراه وأراهم قال يا موسى انك لن تراه ولو أردت أن تسمع كلامهم أصمتك قال يارب فاني أريد أن أسمع كلامهم قال الله تعالى يا أمة محمد فأجبتنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا : ليك اللهم ليك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبي وعفوى سبق عقابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتم من قبل أن تدعوني ، وقد غفرت لكم من قبل ان تمصوني من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر ، وهذا قوله تعالى - وما كنت بجانب الثرى اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين - وقوله تعالى - وما كنت بجانب الطور اذ نادينا - .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير السكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن القنارى عن ابيه ان كعب الأحبار رأى حبيبا من اليهود يركى ، فقال له ما يركىك ؟ قال ذكرت بعض الأمر ، قال كعب الأحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك لتصدقنى . قال نعم . قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله للتزل على موسى عليه الصلاة والسلام ان موسى نظرى فى التوراة فقال : إني أجد أمة هم غير الأمم أخرجت للناس بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقاوتون أهل

الضلالة حتى يقاتلوا الأعداء الدجال ، فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم . قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله للنزل على موسى أن موسى نظر في التوراة ، فقال اني أجدة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعه ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقالهم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم ، قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله للنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال يارب اني أجدة أمة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم ، وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة إلا اشتراها من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ، ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم السبحون المستجيون للاستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون . قال موسى : يارب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى . قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله للنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال اني أجدة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى وإذا هبط إلى واد حمد الله تعالى ، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب اني أجدة أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، واذا عملها كتبت له عشر الى سبعمائة ضعف ، واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتي . قال هم أمة محمد يا موسى . قال الخبر نعم . قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله للنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال يارب اني أجدة أمة مرحومة أضياف يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجدة أحدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى : فقال الخبر نعم . قال كعب : أنشدك الله هل تجد في كتاب الله للنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجدة أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم صفوفًا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد ، ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الحرم من وراء الشجر فاجعلهم أمتي . قال هم أمة محمد يا موسى . قال الخبر نعم . قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لأمة محمد ^{عليه السلام} وعليهم أجمعين . قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد : فأوحى الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى - يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين إلى قوله تعالى - فار القاسقين - وقوله تعالى - ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون - قال فرضي موسى كل الرضا .

وقال ابن عباس : لما صار موسى الى طور سيناء الى المقات . قال له ربه ما ابتغى قال جئت ابنتي الهدى . قال وجدته يا موسى قال موسى يارب : انى عبادك أحب اليك . قال الذي يذكرني

ولا ينساني . قال فأى عبادك أفضى . قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى . قال أى عبادك أعلم . قال الذى يتبنى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى .

وقال عبد الله بن مسعود : لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبداً في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه لا يخشى بالنجاسة . قال موسى يارب اغفر لى ماجرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم بهمنى أعوذ بك من وسوسة نفسى وأعوذ بك من سوء عملى . قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يارب : أى الأعمال أحب اليك أن أعمل به قال تذكرينى ولا تنساني . قال : أى عبادك خير عملا قال من لم يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن . قال فأى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سيء جيفة بالليل بطل بالنهار قاله ، فلما رجع موسى الى قومه ، وقد آتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها وبعملوا بما فيها من الأتقال والأغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شرمة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قبر عسكرهم ، وكان فرسخا فى فرسخ فرفسه فوق رؤوسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل ، وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى - وإذا أخذنا من آياتكم ورفضنا فوقكم الطور - وقوله تعالى - واذا تقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة - . وقال عطاء عن ابن عباس : رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور وبث نارا من قبل وجوههم وآتاهم البحر ملحا من خلفهم ، وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفضتم ما أمرتكم به والا رضختم بهذا الجبل وأغرقتكم فى هذا البحر وأحرقكم بهيمة النار ، فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك .

وروى قتادة عن الحسن قال : مكث موسى بعد ما تشاء نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لآبائه أحد الا مات حتى إنه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه لأحد مخافة أن يموت .

وأخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن أبى عبيدة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله القزوينى قال حدثنا محمد بن مرزوق النضرى قال حدثنا هانىء بن يحيى السلمى قال حدثنا الحسن بن أبى سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لما كلم الله موسى كان يصير بعد ذلك ديب النحلة فى الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ .

وأخبرنا أبو عبد الله الثقفى . قال : حدثنا عبد الله بن عبيدة قال حدثنا أبو حامد السمتلى قال حدثنا

إسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبدالله بن يزيد بن أسلم عن أبيه أن موسى كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته .

باب في ذكر قصة بني إسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل
قال أهل السير وأصحاب التواريخ : لما أهلك الله فرعون وقومه . قال موسى إني ذاهب إلى الجبل ليلقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذررون وواعدكم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بقاء أثني لاتصيب شيئا إلا حي فلما رآه السامري على تلك الفرس عزفه ، وقال إن لهذه الفرس لشأنا عظيما واخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي .

وقال الكلبي : إنما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الأنبياء كلهم وخاض البحر وفتت خيول قوم فرعون ريعها فخاضت في أثرها قالوا وإنما عرف السامري جبريل دون بني إسرائيل لأن فرعون حين أمر يذبح أولاد بني إسرائيل جعلت للمرأة إذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل إلى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس ، وكان الذي ربي السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد إبهاميه ممنا ومن الآخر عسلا فن ثم عرفه ، ومن ذلك الوقت إذا جاع الطفل يمص إبهامه فيروى من المص لأنه جعل له فيهرزق ويقال إن جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا لبونا تسقيه اللبن بالنداء والعشى حتى يكبر واختلط بالناس ، فلذلك عرفه دون سائر بني إسرائيل لأنه هو الذي ربه وكان أبو عمرو^(١) السكندري يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أزاهل بهشت وفرعون أزاهل دوزخ ، ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أزاهل بهشت والسامري أزاهل دوزخ بود . قال قتادة والسدي كان عظيما من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ، ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كerman ، وقال غيره كان رجلا صائغا من أهل باجرم واسمه منجا ، وقال ابن عباس اسمه موسى ظفر ، وكان رجلا منافقا قد أظهر الاسلام ، وكان من قوم يبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى ليلقات ربه ، وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وآمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعذب بنو إسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع إليهم افتنوا وقالوا إن موسى أخلفنا الوعد فاغتمها السامري حتى فعل ما فعل ، وقال قوم أنهم عدوا الليل يوما والنهار يوما ، وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتنوا فأناهم السامري وقال لهم إن موسى قد احتبس عنكم فيبغى أن تتخذوا إلها فان موسى ليس برافع اليكم ، وقد تم الليقات

(١) قوله وكان أبو عمرو الخ ، عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة ، ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اه من هامش الأصل .

فينبئى لكم أن تتخذوا إلها ، وإنما طمع فيهم السامرى لأنهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالة وهم يكفون على أصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة الآية فاعتصمها السامرى ، فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلّة العيد ، وأهلك الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلى بأيدي بنى اسرائيل فلما خرج موسى . قال هرون لبنى اسرائيل إن حلى القبط الذى استعتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام ، فقال لهرون يا بنى الله هل أقدفها فيه فظن هرون أنه من الحلى يريد به ما يريد أصحابه فقال له أقدف قذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار .

وقال ابن عباس : أوقد هرون نارا ، وأمرهم أن يقدفوها فيه قذف السامرى تلك القبضة فيها ، فقال كن عجلا جسدا له خوار ، وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك ، وذلك أن السامرى قال لهرون أألقى ما فى يدي ؟ وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ، ويقال إن الذى قال لبنى اسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفنوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ، ثم ألقى فيه القبضة فجثا وخار خورة ثم لم يعد . وقال السدى كان يغور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل ، وكان من ذهب مرصع بالجواهر كأحسن ما يكون ، وقال هذا الحكم وإله موسى فنسى : أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم وأخلف الموعد وفى بعض الروايات أن السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم ويروى أن ابليس خار فى وسطه ، وقال إن السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الأرض وأجلس فيه انسانا فوضع فيه دبره فخار وتكلم بما تكلم به ، وقال هذا الحكم وإله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهه لهم حتى أضلهم وقال لهم إن موسى قد أخطأ ربه فأنا كم ربه أرايان يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه ، وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وأنه قد أظهر اليكم العجل ليكملكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، إنما سمى العجل لأنهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم . وقال الحسن البصرى : اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه يهوت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى اقتنوا به غير اثني عشر ألفا ، وكان مع هرون ستمائة ألف فعكفوا عليه يصدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيئا قط ، فقال لهم هرون يا بنى اسرائيل ، إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى قالوا لن نبزع عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى فأقام هرون فيمن معه من المسلمين ، وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون أن ساربعين

معه من المسلمين الى الفتوتين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بني إسرائيل ، وكان له هائبا مطيحا ، وقال قتادة في هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم .

أخبرني الحسن بن سنان عن راشد بن سعيد قال : لما واعد الله موسى أربعين يوما . قال الله تعالى يا موسى إن قومك قد افتتوا من بعدك قال يارب كيف يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم . قال انهم اتخذوا العجل إلها من دوني وهو عجل ذو جسد له خوار . قال يارب من نفخ فيه الروح قال أنا ، قال أنت وعزتك ففتتهم إن هي إلا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يارب أس التبيين يا أيها الأحكام إنى رأيت ذلك في قلوبهم فيسرته لهم ، فلما رجع موسى من الليقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يعزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل ، فقالوا هذا قتال في المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله ، فذلك قوله تعالى - ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا - فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به ألقي الألواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذي كان فيها ولم يبق فيها إلا سدسها ، ثم أعيدت له في لوحين .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ليس العاين كالخبر قال الله تعالى لموسى إن القوم قد فتتوا فلم يلق الألواح فلما عاين ألقي الألواح فكسرها » .

عن عيم الناري قال : قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفها كيت وكيت قرية من ساحل البحر ، فقال عليه الصلاة والسلام « تلك انطاكية أما إن في غار من غيرانها رضا من ألواح موسى ومان من سحابة شرقية ولا غرية تمر بها إلا ألقت عليها من بركاتها ولن تنهب الأيام والليالي حتى يسكنها رجل من أهل بيت يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما » . قالوا فلما رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشر رأس أخيه هرون يمينته وحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر ألفا لم يصدوا العجل ، فقال لهرون - مامنك إذ رأيتم ضلوا أن لا تنجمن أنصيت أمرى - هلا قاتلتهم إذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون - يا ابن أم - الآية . قال للفسرون كان هرون أخا موسى ؟ بيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترفيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحقي ولا برأسى أى بذوائبى إنى خشيت إن قاتلتهم أن يصيروا حزينين يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني إسرائيل ولم تقرب قولى أى ولم تحفظ وصيقي حين قلت لك اخلفى في قوى وأضلع ولا تتبع سبيل القسدين ، ثم إن موسى أقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري أى ما أمرك وشأنك ؟ فقال السامري بصرت بما لم يصروا به قبضت قبضة من أثر الرسول يعنى أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها في العجل وكذلك سولتلى نفسى أى يئستلى ، قالوا فلما علم بنو إسرائيل أنهم قد اخطئوا وضلوا في عبادتهم العجل ندبوا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى - ولما سقط في أيديهم وروا أنهم قد ضلوا قالوا الذين لم يرحمنا ربنا وبغفر لنا لنكونن من الخاسرين - فقال لهم موسى يا قوم إنكم

ظلمتم أنفسكم بانخاذكم العجل . قالوا له فأى شيء نصنع وما الحيلة ؟ قال توبوا إلى الله بارئكم اى ارجعوا إلى خالقكم ، قالوا فكيف نتوب ، قال فاقتلوا أنفسكم اى ليقتل البرىء المحرم ذلكم يعنى القتل خير لكم عند بارئكم . قال ابن عباس أبى الله أن يقبل توبة بنى إسرائيل إلا بالحال الذى كرهوا أن يقتلوه حين عبدوا العجل ، وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لأنهم ارتدوا وكفروا والنكفر مبيع الدم ، فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لأمره وقالوا نصبر لأمر الله ، فجلسوا فى الأتنية محبين وأظلت عليهم القوم بالسيف والخنجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه إلا امضاء أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع ، فأرسل الله ضبابه وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل جبوته أو مد طرفه إلى قائله أو اتقاء يبدأ ورجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم إلى المساء ، فلما كثرتهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون رهبا وجزعا وتضرعا وقال يارب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية ، فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أما برئيتك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة ، فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى منهم مكفرا ذنبه الله فذلك قوله تعالى - فاب عليك إنه هو التواب الرحيم - وقالوا أمر الله تعالى موسى أن ييرد العجل بالمرد ويحرقه ثم يذروه فى النيل فمن شرب ماء من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل ثبت على شاربى الذهب فكان علما للجرمه ، فأخذ موسى العجل فذبحه ثم برده ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامري بالبول عليه استخفافا به وتقصيرا له ثم ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى - وانظر إلى الملعون الذى ظلمت عليه عاكفا - الآية قالوا ثم إن موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فأقروا بحب العجل وعبادته وقالوا يا موسى إننا نندمنا على ما صنعنا وتبنا إلى الله فلو أمرنا أن نقتل شووسنا لتقبل توبتنا قتلناها ، فقيل لهم . فاقتلوا أنفسكم ، ثم إن موسى هم بقتل السامري ، فأوحى الله تعالى إليه لا تقتله فانه سحى فلغنه موسى وقال له - فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه - اى بمذابك فى القيامة ، ثم أمر موسى بنى إسرائيل أن لا يخاطبوه ولا يقربوه فصار السامري وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يس أحد منهم فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقرض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة إن بقاياهم إلى اليوم يقولون ذلك اى لا مساس وفى بعض الكتب انه إن مس أحدا من غيرهم أو واحدا منهم حم كلالها فى الوقت ، قالوا ثم إن الله تعالى أمر موسى أن يأتيه فى ناس من خيار بنى إسرائيل ليعتذروا إليه من عبادة قومهم العجل ، فاختر موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه إلى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا ، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشباب عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخا .

وروى : أنه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت

سبعين رجلا فليخلف منكم رجلا فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج قعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، فأمر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم إلى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى - واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا - الآية وكان لا يأتيه الا بأذن منه ، فلما دنا موسى إلى الجبل وقع عليه عمود النمام حتى تشق الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كله الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني اسرائيل أن ينظر اليه ف ضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في النمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى وبأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى : إني أنا لا إله الا أنا ذوبك ، أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري ، فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف النمام أقبل اليهم فقالوا لن تؤمن لك حق نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا . قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا أحسهم ماتوا يوما . ولية فذلك قوله تعالى - واذا قلت يا موسى لن تؤمن لك حق نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون - فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإني أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع إلى بني اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ، ولم يزل موسى ينادي ربه حتى أحيام الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بضاً كيف يموتون ، فذلك قوله تعالى - ثم بشناكم من بعد موتكم - الآية . أخبرني الحسن بأسناده عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « إذا راح منا إلى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى إلى ربهم وأفضل » .

باب في قصة قارون حين عصى ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى - قال الله تعالى - إن قارون كان من قوم موسى فبني عليهم - الآية قالت الطاء بأخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لأنه قارون بن بصهر بن قهاث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قهاث هذا قول أكثر العلماء .

وقال ابن اسحق : زوج بصهر بن قهاث سبعين بنت مازيت بن بركياء بن يشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن بصهر وقارون بن بصهر فتكح عمران بجيت بنت سمويل بن بركياء بن يشان فولدت هارون وموسى ابني عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون عمه لأبيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجلهم ، قال قتادة كان يسمى للنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافي كما نافي السامري فبني على قومه كما قال تعالى - فبني عليهم - واختلفوا في معنى هذا البني قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر .

وأخبرني الحسين : بأسناده عن السيب بن شريك أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم ، وقال عطاء الخراساني وشهر ابن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا ، وروى شيان عن قتادة قال بنى عليهم بالكبر والبذخ وبكرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى - وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء - الآية أي لتثقل وتميل بهم إذا حملوها لتثقلها ، واختلف للفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد مائة العشرة إلى الخمسة عشر ، وعن قتادة مائة العشرة إلى الأربعين ، وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون ، وعن الضحاك مائة الثلاثة إلى العشرة وقيل مائة ستون . وروى جرير عن خيشة قال وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بفلاغرا عجلة ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح منها كنز وقال إن قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد ، فلما تهمت عليه جعلها من خشب فتملت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع فكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين فلا . واختلفوا في سبب جمع تلك الأموال قيل كان عنده علم الكيمياء . قال سعيد بن السيب كان موسى يعلم الكيمياء فلم يوشع ابن نون ثلث ذلك العلم ، وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه ، وفي الخبر أن الله تعالى علم موسى الكيمياء فلم موسى أخته فعلته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى - إنما أوتيته على علم عندي - أو بالتصرف في تجارات والزراعات وسائر أنواع الكسب والطلب - وقيل في سبب جمعه تلك الأموال ما أخبرنا الثقفى بأسناده عن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني كان يقول تبدى إبليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يعبد حتى إذا غلب جميع بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يعبد مع قارون وجعل إبليس يقهره بالعبادة وفوقه فضع له قارون وقال له إبليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لأنشهد لبني إسرائيل جماعة ولا تعود لهم مرضا ولا نشهد جنازة . قال فأكدره من الجبل إلى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام ، قال له إبليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا . كلا على بني إسرائيل ، قال له قارون فأرى رأي عندك ، قال تنكسب يوما في الجمعة وتعبد بقية الجمعة قال فتكسبا في يوم الجمعة وتعبدا بقيتها فقال إبليس قد رضينا أن نكون هكذا ، قال قارون فأرى الرأي عندك ، قال تنكسب يوما وتعبد يوما فتصدق ونسئ قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جلس إبليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن قنبر بأسناده عن السيب بن شريك قال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربع مائة ألف في أربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الأمثال أنشدني أبو العباس سهل بن محمد الروزي عن بعضهم :

وعدتني وعدك حتى إذا أطعنتي في كنز قارون

جث من الليل بنسالة مصل ماقلت بصابون

فبنى قارون وطنى ونجبر حين استخى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للناشرين وعظة للباقيين وكان أول طغيانه وعصيانه انه تكبر واستطال على الناس بكثرة الأموال فكان يخرج فيزيته وهيئته وغتال كما قال تعالى - فخرج على قومه فيزيته - الآية قال مجاهد خرج على راذين يرض عليها سروج الأرجوان وعليها اللصفرات وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين ألفا عليهم اللصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت للصفراء في الأرض . فما كان أبي يذكر لى عن مقاتل انه خرج على بقة شهاب عليها سرج من الذهب عليه الأرجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ستائة جارية يرض عليهم الخلى والثياب الحر على البغال الشهب فتضى أهل الحسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا - يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه له عظيم - ، فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به واتبعوا عمنها كم عنه فان - ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون - عن لسان الدنيا وشهواتها قال الله تعالى - وما يلقاها إلا الذين صبروا - اى لا يوفق لحته الكلمة إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا .

قالوا ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يعلقوا في أردتهم خيوطا اربعة في كل طرف خيط أخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لمأمرت بنى اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضراء في أردتهم ؟ فقال الله تعالى إن بنى اسرائيل في غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما في ثيابهم يذكرون به إذا نظروا اليه ويذكرون الله السماء ويعلمون أنى منزلتها كلامى ، قال موسى : يارب أفلا تأمرهم أن يجمعوا أردتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذا الخيوط قاله يا موسى إن الصغير من أمرى ليس بصغير وإن لم يطيعونى فى الأمر الصغير لم يطيعونى فى الأمر الكبير . قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم : إن الله أمركم أن تعلقوا فى أردتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ، ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به واستكبر قارون فلم يطمعه ، وقال ما يخل هذه إلا الأرياب ببيدهم لكن يتمروا عن غيرهم فكان أيضا هذامن بنيه وعصيانه .

قالوا فلما قطع موسى بنى اسرائيل البحر جعلت الحجارة وهى رياسة للذبحه وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه إلى هرون فيضه على الذبح فتزل نار من السماء تنال كله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأبى موسى وقال يا موسى : لك الرياسة والرسالة ولهرون الحجارة ولست أنا فى شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبرى على هذا ، قال موسى والله ما جعلنا أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى ترى بيانه ، قال فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل وقال : هاأنا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو أحق بالحجارة فجمعوا العصا وجاءوا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فعزها موسى وألقاها فى القة التى كان يبدأ فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصاهرون قد هازت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز

وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذهم فانظقت الأرض عليهم واوحى الله إلى موسى يا موسى ما أظفك استأثوا بك سبعين مرة فلم تقمهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا . قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامته وأنه يجلبل بهم فيها لا يلبثون قمرها إلى يوم القيامة .

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بقرآني عليه قال أحمد بن محمد بن الحسين أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام ابن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « بينا رجل يتختر في برديه وينظر في عطفه وقد أحجته نفسه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » قالوا فلما خسف الله قارون وصاحيه الأرض أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وامواله وكنوزه ، فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وامواله الأرض وأوحى الله تعالى اليه إني لا أعيد الأرض لأخذ بملك ابدا فذلك قوله تعالى - فخسفنا به وبداره الأرض لما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من للتصبرين - ، فلما حلت حصة الله بقارون حمد الله تعالى للمؤمنين الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - أى لا تبطر ولا تأنثر - وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة - الآية ونتم الذين كانوا يتمنون مكانه بالأمس وماله وحاله كما قال الله - وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر - فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة ، وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى - وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض - الآيات .

باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب

إلى أن بلغ من أمرهما ما بلغ

قال الله تعالى - وإذا قال موسى لقناه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حبا - قال الأستاذ الامام : اختلف العلماء في السبب الذي قصد موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عماره عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال : جلست عند ابن عباس وعنده قرمن أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس إن نوحا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميثا ، قال ابن عباس كذب نوف جدتي أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أن موسى نبى بنى اسرائيل سأل ربه ، فقال يارب إن كان في عبادك أحد هو أعلم فني فدلتني عليه ، فقال الله عز وجل : نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام واذن له في لقائه ، وروى هرون بن عثرة عن أبيه عن ابن عباس قال : سأل موسى ربه فقال يارب ابي عبدك أحب إليك ؟ فقال الذى يذكركنى ولا ينسانى ، قال فأبى عبادك اتقى ؟ قال الذى يقضى بالحق

ولا يتبع الهوى . قال يارب اى عبادك اعلم ؟ قال الذى يتنقى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تهديه الى هدى او ترده عن ردى . قال فهل فى الأرض احد اعلم منى ؟ قال نعم . قال يارب من هو قال الخضر ، قال فأين اطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التى يفلت عندها الحوت وجعل الحوت علما له ودليلا . وقال اذا حى هذا الحوت فان صاحبك هناك . وكان قد تزود سمكا ملحا وروى عطية العوفى عن ابن عباس قال : لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسوى . فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك عدوم واستخلفهم فى الأرض . قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه ، فنيبكم أفضل اهل الأرض واتم تفرعون التوراة فلم يترك نعمة انعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم إياها ، فقال له رجل منهم من بنى اسرائيل قد عرفنا الذى تقول فهل على وجه الأرض احد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا قال فكتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام ، فقال له : يا موسى ما يدريك أين أضع على بل إن لى عبدا يجمع البحرين أعلم منك ، فسأل موسى ربه ان يريه إياه فأوحى الله اليه ان اتت البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذوا دفعه إلى فتاك ثم ازم شاطئ البحر ، فاذا نسيت الحوت وهلك منك ثم يجد العبد الصالح . قال فخرج موسى وقتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى - واذا قال موسى - يعنى ابن عمران لقتاه اى لصاحبه يوشع بن نون بن افراتيم بن يوسف عليه السلام لا أبرح اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما يلى الشرق . قال قتادة وقال أبى بن كعب هو افرقية ، وقال محمد بن كعب طنجة أو امضى حقبادهرا وزمانا طويلا فذهبها ومعهما الخبز والسمك المالح وسار حتى اتيا إلى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا . قال معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا الا عاد حيا ، فلما اساب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى السكتل وعاشت ودخلت البحر ، فذلك قوله تعالى : فلما بلغا يعنى موسى وقتاه مجمع بينهما يعنى البحرين نسيا تركا حوتهما ، وإنما كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى - إني نسيت الحوت - ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به احدهما كما قال تعالى - يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان - وإنما يخرجان من المالح دون العذب فانخذ الحوت سبيله فى البحر سربا أى مذهبا ومسلكا واختلفوا فى كيفية ذلك ، فروى أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال « انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلم يلتئم ، فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام » وقال ابن عباس رأى اثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء وجعل الحوت لا يعس شيئا من البحر إلا ييس حتى يصير صخرة ، وروى ابن عباس عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال « لما اتيا إلى الصخرة وضما رءوسهما فتاما فاضطرب الحوت فى السكتل (١٣ - قصص الأنبياء)

فخرج منه وسقط في البحرها ربا فاتخذ سيّله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفته - آتاغدا - الآية ، وقال فتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه جبل لا يسلك منه موضعا إلا صار ماء جامدا طيرما ييبس ، وقال الكلبى توشأ يوشع بن نون من عين الحياة فاتضح على الحوت للملح من ذلك الماء وهو في الكتل فماش ووثب في الماء ، فبجل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب إلى ايبس . قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار : الأول سفر الحرب وهو قوله تعالى - ففرت منكم لما خفتكم - الآية . والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى - فلما أتاها نودى أن بورك من في النار ومن حولها - الآية وقوله تعالى - فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن - الآية . والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى - وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى - والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى إخبارا عن قول قومه - فاذهب أنت وربك فقاتلا - الآية . والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى - لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا - وذلك أنه لما أتى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر - أترأت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت - أى تركته وقصدته ، وقيل فيه إضمار تقديره فإني نسيت أن أذكر أمر الحوت - وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سيّله في البحر عجبا . قال عبد الرحمن بن زيد أى شيء أعجب من حوت كان دهرنا من السهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى خسر في البحر قال وكان شق حوت ، وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جرى الحوت أخذود شبه نهر من حيث دخل إلى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى إلى مجمع البحرين واذ هو بالخضر فذلك قوله تعالى - قال ذلك ما كنا نبغ أى نطلب فارتدّا - فازتما على آثارهما الذى جاءا منه قصصا أى يقصان الأثر - فوجد عبدا من عبادنا - يعنى الخضر عليه السلام .

فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله

واسمه بليابن ملكان بن قانع بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وإنما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقرائى عليه . قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشيرازى ، قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا هبذ الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكى بن عبدان قال أنبأنا أبو الأزره قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ « إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة يضاء فاذا هي تهنأت تحته خضراء » وأخبرنا أبو نصر محمد بن على بن الفضل الخزاعى . قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلى قال أنبأنا محمد بن يوسف القريانى قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال : إنما سمى الخضر لأنه أنبأنا صلى الله عليه وآله حوله .

فصل في بدء أمر الحضرة عليه السلام

يروى أن رسول الله ﷺ ، لما أسرى به إلى السماء بينا هو على البراق وجبريل يمر به إذ وجد رائحة طيبة ، فقال يا جبريل ماهذه الرائحة الطيبة ؟ قال إنه كان ملك في الزمان الأول له سيرة حسنة في أهل مملكته ، وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره . قال أصحاب الأخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسله إلى المؤدب يؤدبه ، وكان يختلف إليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألقاه وكان يجلس عنده والعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن أنه عند العلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته ، فقالوا لأبيه ليس لك ولد غيره يرث مملكك فلوزوجته له له يرزق أولادا فعرض عليه أبوه الزواج فأتى ، ثم عاوده فعرض عليه فرضى فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت إليه ، فلما بقيت عنده . قال لها إني مخبرك بأمر إن أنت سمعته صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أنشيت سرى عذابك الله في الدنيا والآخرة . قالت وماذا ؟ قال إني رجل مسلم لست على دين أي وليست النساء من حاجتي فإن رضيت أن تسمى معي على ذلك وتتابعني على ديني فذاك اليك ، وإن أنت أبيت لحقت بأهلك ، فقالت المرأة بل أقيم معك ، فلما أتت عليها مدة قالوا لأبيه ما نظن ابنك إلا عاقرا لا يولد له ولد فسأله أبوه ، فقال ما ذلك بيدي وإنما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الحضرة فكث أبوه زمنا ثم دعا ابنه إليه ، فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا ففكره ذلك الحضرة وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الحضرة مقالة الأولى فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمنا ثم إن أباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم إنه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست تلدين عند ابني فقالت مامسى منذ صحبتك وكذلك المرأة الأولى فدعاها وسألها ؟ فقالت مثل ذلك ، فدعا ابنه وغيره وعنفه ، ففرع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهم على وجهه ولم يدرك أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا في طلبه فأدركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر ، فقال لهم إني أقول لكم شيئا واحدا فاكموه عني فإن كنتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أبيتكم ذلك وأنشيت سرى عذابكم الله في الدنيا وفي الآخرة قالوا له قل ما شئت . قال هل بعث أي في طلبي أحدا غيركم ؟ قالوا نعم ، فقال لهم إذا كانوا أمري ولا تخبروا أبي انكم رأيتموني وقولوا مثل قول نظائركم الذين لو أرسلهم في طلبي فلم يروني لأنكم ان أخبرتموه بي أو ذهبت بي إليه تلتني وصرتم أتم مؤاخذين بدى . قال فخلوا عنه وانصرفوا ، فلما دخلوا على أبيه قال تسعتمهم قد وجدناه ، وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه ، وقال العاشر ما لبنا علم ومالي به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وإن شئت أتيناك به ، فقال لهم ارجعوا في طلبه وآتوني به وإن الحضرة خاف ان يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع إلى موضع آخر فأتوا إليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره قتلهم

أبوه . قال وإن أباه دعا بالمرأه الثيب ، وقال لها أنت صنعت هذا بابي حتى هرب قتلها وسمعت
 للمرأه الأولى بذلك فهربت مخافة القتل . وقال العائش الذي أنكر رؤيا الحضرة ما يؤمنني أن يقتلني
 كما قتل التسعة فهرب حتى آتى قرية فاذا المرأه الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب ،
 فقالت يوما باسم الله فسمعها الرجل الهارب . فقال لها من أنت ؟ فأخبرته خبرها ، فقال يا هذه
 أنا العائش خرجت خوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم إنهما
 انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من القراعنة فأتخذا بيتا من قصب ومكنا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد
 فقال لها الرجل إذا أنامت فادفني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لا أحب أن
 تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصي أن يهشم عليه البيت فمات الرجل فدفته
 امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحدون الله ويبعدونه فجاء بالمرأه الى حضرته فأمره
 أن ترجع عن دينها فأبى فأمر بقدر من نحاس فلكت ماء وأغلى غليانا شديدا وأمر بالمرأه
 وولدها ، فلما أحضروا . قال لها ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك أنت وأولادك في هذا القدر فأبى
 عليه فأمر بولدها الأكبر فألقى فيه قنصع فيه وكذلك الثاني وكان في حجرها ابن رضيع فأرادوا
 إلقاءه فرقت المرأه ونازعته في شأنه فشكروا النمام الرضيع وقال لها اصبري فانا جميعا في الجنة فلما
 أرادوا أن يلقوها في القدر قالت لهم لي إليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي ؟ قالت إذا رميتوني في
 القدر فادفونيها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموها علينا ، ففعلوا ذلك فلما أسرى رسول الله ﷺ
 وجد رائحة طيبة ، فقال ما هذه يا جبريل ؟ فأخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم . وروى ان جبريل
 عليه السلام قال لرسول الله ﷺ إن قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم
 الأمواج فتكسرت بهم سفينتهم فأخلفت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الأمواج حتى
 أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يحولان في الجزيرة فاذاهما بالحضره عليه السلام وعليه
 ثياب بيض وهو قائم يصل فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتم ؟ قالنا نحن من
 مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه
 الجزيرة فقال اختارا إن شئنا ان تميا في هذا للوضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما أرزاقكما وإن
 شئنا أردت كما الى منازلكما قال لا بل تردنا الى منازلنا ، فقال لهما على أن تعطيانى عهد الله . وميثاقه
 على أنكما لا تخبران بشيء مما تروانه فأعطياه العهد والميثاق على السكبان فنظرا فاذا سحاب تمر فدهاهن
 وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا التي تريد بلدها فقال لها احملى هذين
 حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانثقت لهما ثم رفعتهما وضعت حتى وضعتهما على سطوحيهما
 فحزم احدهما على السكبان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فبزل من سطوحه وخرج من بابه
 وانطلق الى باب المدينة ونادى النسيجة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك ؟ فقال رأيت ابنك في
 موضع كذا وكذا ومنعني كذا وكذا ، فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقي فبحث اليه موسى

عما قال ؟ فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الأمواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الأرض والتمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى اتينا الى منازلنا ، فقال له القادر ابعت معي رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم أن هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد القادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئا فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله مارأينا مما قال شيئا فصلبه وخلقى عن الآخر ، ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون للعاصي حتى غضب الله عليهم . قال جبريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى اليهم فأدخلت جناحي تحتها واقلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرنى قلبتها فجاءت تهوى بمن فيها حتى انتهت الى وجه الأرض فبقى بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطقت الأرض بمن فيها فلم ينج منهم غيرها فجبلا يدوران فى حدود المدينة فلا يلتقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيرى وغيرك فبأى شيء نجونا فأخبرنى وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وإنما نجماها الكتمان ، فقال لها هل لك أن تزوجينى نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدن فأكتبس عليك وتسكتين على حتى يقضى الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبها الى مدينة فرعون من القراعة فأنجناهما ليما يتنا وولد لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيب عندهم فينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك إذ سقط للشط من يدها فقالت باسم الله نسي من كفر بالله ففرعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله ؟ قالت ربي ، وقالت لها وإن لك لربا غير أبى ؟ فقالت نعم هو ربي ورب أباك ورب كل شيء فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولاً عجيباً تقول كذا وكذا فأرسل اليها فحضرت ، فقال لها ما هذا الذى يلقى عنك ؟ فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك ؟ قالت نعم بلى وصيقتى فبعث اليهم وامتنعهم فانهم يقولون قولاً واحداً ، فقال لهم إنا لا نركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا ، فقالوا له اصنع ما أنت صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فثلث ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب اللاء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم فى القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فأتاه فى القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها إن لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا وإلا ألقيناك فى القدر ، فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لى اليك حاجة . قال وماهى ؟ قالت إذا صنعت ما أنت صانع فربيتنا أن يحفر فيه حفرة ، ثم تأمر بالقدر فتحمل بما فيها ثم يأتون بها منزلا فيسكب ما فى القدر فى الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه

الراحمرة السك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع آية وبدء أمره وكان في زمن افريدون الملك ابن القباء على قول عامة اهل الكتب الأولى ، وقيل إنه كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر الذى كان في زمن ابراهيم عليه السلام . وهو الذى قضى يثر اليسع وهى بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لما شتته في صحراء الأردن وان قوما من أهل الأردن ادعوا الأرض التى احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فعاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذى القرنين الذى كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في محله فخلد وهو في الحياة الى الآن . وقيل ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم أن الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل .

وروى محمد بن إسحق بن يسار عن وهب بن منبه أن الخضر هو أرميا بن خلفيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذى بعثه الله نبياً في أيام ناشئة بن أموص ملك بنى اسرائيل والقول الأول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لأن ناشئة بن أموص كان في عصر كرفشت بن كراشت في أيام مختصروين افريدون وكرفشت من الدهور والأزمان ما لا يحمله ذوعلم بأيام الناس وأخبارهم .

وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبى بن كعب أن صاحب موسى ابن عمران الذى أمر بطلبه وبالاتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله ﷺ أعلم الخلق بالأمور الماضية والباقية وموسى بن عمران إنما نبى في عصر متوشهر الملك وكان متوشهر الملك ملك بمجده افريدون فدل هذا على خطأ من قال انه أرميا بن خلفيا لأن أرميا كان في أيام مختصر وبين عهد موسى ومختصر من اللدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم إلا أن يكون الأمر كما قال من قال إنه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده الى أيام ناشئة بن أموص فبعث حينئذ نبياً والله أعلم ، والصحيح أنه نبى معمر محبوب عن الأبيصار .

وروى محمد بن التوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال : الخضر من ولد فارس وإلياس بن بنى اسرائيل يلتقيان في كل عام في اللوسم ، وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطى أخبرنا طلى بن النضر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر وإلياس لا يزالان حين في الأرض مادام القرآن فيها فإذا رفع القرآن ماتا ، وأخبرني أبو عمرو العماري أخبرنا أبو احمد بن محمد طلى الرازى أخبرنا ابراهيم بن إسحق الأنماطى أخبرنا أبو هام الوليد بن شعاع السلى أخبرنا عمر بن عبد الواحد عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال : خرجت مع رسول الله ﷺ وإذا بصوت يجرى من شعب . فقال يا أنس انطلق فأبصر ما هذا الصوت ؟ . قال فانطلقت فاذا رجل يصلى ويقول :

اللهم اجعلنى من أمة محمد الرحومة للغفور لها المستجاب لها التوب عليها ، فأنت رسول الله ﷺ فأعلمته بذلك فقال لى انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك من أنت ؟ فأنته فأعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أقرئ رسول الله ﷺ منى السلام وقل له أخوك الحضر يقول لك ادع الله ان يجعلنى من أمتك الرحومة للغفور لها المستجاب لها التوب عليها .

رجعنا الى حديث موسى وقناه : قالوا فأتى موسى وقناه الى الحضر وهو قائم يصلى على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الحضر وأتى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بنى اسرائيل قال نعم قال يا موسى لقد كان فى بنى اسرائيل شغل قال موسى ان ربي أرسلنى إليك لأتبعك واتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء . فقال الحضر يا موسى خطر ببالك انك أعلم اهل الأرض ما علمك وعلى وعلم جميع الأولين والآخرين فى جنب علم الله تعالى إلا أقل من الماء الذى حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى - فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا رحمة من عندنا - اى نبوة وحكمة - وعلمناه من لدنا علما - .

وقال ابن عباس : كان الحضر يعلم علم القيب فقال له موسى - هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا - لأنى اعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا يعنى على ما لم تعلمه قال موسى ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فإن أتبعنى فلا تسألنى عن شيء علمته مما تنكره حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال أصحاب السفينة هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ماهؤلاء بلصوص ولكنى أرى وجوههم وجوه أنبياء وقال أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ : انطلقا عيشان على ساحل البحر إذمرت بهما سفينة فكلبهموم أن يحملوهم ففرقوا الحضر فحملوهم بغير نول فلما دخلوا فى البحر أخذ الحضر عليه السلام فأسأف فغرق لواح من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه وقال أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا لينا فخرقت سفيتهم ما هذا جزاؤهم منا لقد جئت شيئا إمرا أى عجا منكر ما قال الحضر ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا قال موسى لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا يعنى لا تسكفنى ولا تضيق على أمرى .

قال ابن عباس : لما خرق الحضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال فى نفسه ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت فى بنى اسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعونى فقال له الحضر يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم ؟ : قال قلت : كذا وكذا

قال صدق ؟ . فانطلقا بمشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بفلسان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأضوؤم وجها .

قال ابن عباس : كان غلاما لم يبلغ الحلم ، وقال الضحاك : كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه أبواه ، وقال الكلبي : كان التلام يسرق للتاع بالليل فاذا أصبح لجأ إلى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا .

واختلفوا في اسمه . فقال الضحاك : كان اسمه حسود ، وقيل الحسين ، وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فأخذما الحضر عليه السلام قتله .

واختلفوا في كيفية قتله . قال سعيد بن جبير أخذه فأضجه ثم ذبحه بالسكين ، وقال الكلبي : صرعه ثم نزع رأسه ، وقال قوم رفعه برجله قتله ، وقال آخرون ضرب برأسه بالجدار حتى قتله ، وفي رواية أخرى أدخل أضجه في سورة الصبي فاقطعها فثابت فلما قتله قال موسى أتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنّب ولم تستوجب القتل بغير نفس قد جئت شيئا نكرا أي منكرا . قال قتادة للنكر أشد وأعظم من الأمر . قال فضيب الحضر واقطع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا .

ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حاتم أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كان التلام الذي قتله الحضر طبع كافرا » فقال الحضر لموسى ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني هذا أي في فراق .

أخبرنا عبد الواحد بن حاتم الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه . فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخى موسى لولبت مع صاحبه لأبصر العجب العجيب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني هذا فانطلقا بمشيان حتى أتيا أهل قرية .

واختلفوا في القرية . قال ابن عباس : هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء ، وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة أو إليها ينسب النصارى . قالوا فإياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافهم فأبوا أن يضيفوها . قالوا كانوا أهل قرية ثامنا وقال قتادة في هذه الآيات : شر القري لاضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا ملوى ، وكانت ليلة باردة فالتجئوا إلى حائط على شارع الطريق يريد

أن يتقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس إلا على خوف منه ، وكان قد بناه رجل صالح .

وفي بعض الأخبار : أن سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعاً بذراع ذلك القرن ، وكان طوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً فأقامه الخضر أي سواء وقال ابن عباس هدمه وبناه . وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام . فقال له موسى لو شئت لا تخنت عليه أجراً ليكون لنا قوتا وبلقة على سفرنا إذ استغننا فلم يضيفونا . فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأبذل ما لم تستطع عليه صبراً ثم أخذ يضربه . فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية . قال كعب وغيره كانت لشرة إخوة زمي لم يكن لهم معيشة غيرها وروها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطبقون العمل فأما العمال منهم فأحدهم كان مجنونا والثاني أعور والثالث أعرج والرابع أدر والخامس عموم لا تقطع عندهما العمل المهركلة وهو اصغرهم والخمسة الذين لا يطبقون العمل اعشى واصم واخرس ومقعود ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس إلى بحر الروم .

وروى عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله - أما السفينة فكانت لمساكين - كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار فقال ان للسافر مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا قيل ان للسافر وماله على قلة إلا ما بقي الله تعالى فأردت أن أعياها قطعاً لطمع الطامعين فيها ودفعاً لشرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراهم أي أمامهم قال الله تعالى - من وراءهم جهنم ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون - أي أمامهم ، وقيل خلفهم لأنه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعملون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرأها ابن عباس فخرقتها وعبثها كيلا يتعرض لها ذلك الملك .

واختلفوا في اسم ذلك الملك . فقال أكثر العلماء : اسمه جلندي وكان كافراً . وقال ابن اسحق : كان اسمه منواه بن جلندي الأردني ، وقال شعيب الجبائي : كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصراً في كل قصر امرأة . قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها وأما التلام - فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي قلنا أن يرهقهما ينشأهما طغيانا وكفرا فيهلكهما وقيل خشى أن يدرك فيدعو أبويه إلى الكفر فيجيباه ويدخلهما في دينه لقرط محبتهم له ، وقيل خشى على التلام أن يعمل عمل التساق فيتخلف أبواه فيدخلان النار فأردنا أن يهلكهما ربهما خيراً منه زكاة وصلاً وأقرب رحماً .

قال ابن عباس : يعني وصلاً للرحم وبراً للوالديه فأبدلها الله جلالية مؤمنة أدركت يوسف بن متى وتزوجها نبي من الأنبياء فقلت له نبياً فهدى الله على يديه أمة من الأمم .
أخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا حامد بن أحمد قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحارث

أخبرنا عبد الوهاب بن فليح أخبرنا ميمون بن القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه في هذه الآية قال : أبدلها جارية فولدت سبعين نبيا ، وقال ابن جريج أبدلها بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به أبواه حين ولد وحزننا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضا فيما يحبه .

وأما الجدار فكان لثلاثين يتيمين في المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحتة كنز لهما . واختلفوا في ذلك الكنز ماهو ؟ فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحتة فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجائب يؤمن بالقدر كيف يحزن . وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب . وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع . وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها . لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .

وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الحشادي المزكي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن قيدوس الطرائقي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعائي عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى - وكان تحتة كنز لهما - قال كان ذهبا وفضة وكان أبوها اسمه كاشع وكان صالحا تقيا أميناً فحفظا لصالح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سقفة عن محمد بن المنكدر قال : إن الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعة التي هو فيها والدورات التي حوله لما يزالون في حفظ الله وستره . وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا رأى ابنه . قال يا بني لأزیدن في صلاتي من أجلك لعلني أحفظ فيك وتلو هذه الآية . أخبرنا يحيى بن اسماعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن منى فاختلفت وذهب عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضعة عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تعمرص على الصلاة والطهور فيينا أنا نائم ذات ليلة إذ أنا بباب يتيق يدني نصف الليل فقلت من هذا ؟ قالت بحة فقلت أختي قالت أختك فقلت ليك قممت فتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختي خيرا فقالت خيرا يا أختي بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام . فقال لي إن الله قد حفظ أباك اسماعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسماعيل فإن شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت ولك الجنة فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله تعالى لحب أيك وجدك إياها فقلت إن كان ولابد من اختياري أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وإن الله لو أوسع الفضل لحلقه لا يتعاطاه

شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي ، قالت قليل لي قد جمعهما الله لك ورضى عن أيك وجدك
بجهما أبا بكر وعمر فانزلي فان الله أذهب ما كان بك .

ويحكى عن بعض العلوية أنه دخل على هارون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه
وخلى سبيله فليل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت : يامن حفظ الكز على الصيين لصالح أبيهما
احفظني منه لصالح آبائي - فأراد ربك أن ييلنا أشدهما ويستخرجا كنزهما - المدفون تحت الجدار
وما فعلته عن امرى وانما فعلته بأمر الله تعالى - ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا - ويقال للماعاب
موسى على الحضرة خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا بجنا قال له يا موسى أتؤمنى
على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين القتك امك وانت صغير في اليم ضعيف
فحفظك الله ، وتؤمنى على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطى بغير أمر؟ وتؤمنى
على ترك أخذ الأجرة في إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غم شعيب محتسبا لأجل الملك الجبار .
قال بعض اهل الأخبار هذا ما كان من قصة موسى وقتاه وقصدهما الحضرة حيث كانوا في التيه
فلما فارق موسى الحضرة رجع إلى قومه وهم في التيه .

ويروى عن على بن أبى طالب وغيره أن موسى لما أراد فراق الحضرة قال له الحضرة استودعتك
الله ، ثم قال له موسى أوصنى ، فقال له الحضرة : لاتكن مشاء في غير حاجة وإياك واللجاجة ولا
تضحك من غير محبة ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وإياك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد .
وروى أبو أمامة الباهلى عن النبي ﷺ أنه قال « ألا أحدثكم عن الحضرة ؟ قالوا بلى يا رسول
الله قال بينا الحضرة يمشى في سوق من أسواق بني اسرائيل إذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك
الله لك ، فقال آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون مامعى من شيء أعطيكه ، فقال له الرجل
تصدق على بارك الله عليك فأتى أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الحضرة آمنت
بالله وما يقضى الله من أمر سيكون مامعى شيء أعطيكه ، فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت
على فقال له الحضرة آمنت بالله ما يقضى الله من أمر سيكون مامعى شيء أعطيكه إلا أن تأخذ يدي
وتدخلني في السوق فتبيعني ، قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم
سألتني بوجه ربى وقد أجبك فخذ يدي وأدخلني السوق فبعني فأخذ بيد الحضرة فأدخله السوق
فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند اللبائع أياما لا يستعمله في شيء ، فقال له الحضرة استعملني فقال له إنك
شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا إلى
ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر في يوم تام قمام ونقلها في ساعة واحدة وأمد الله تعالى
على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للحضرة
انى أراك أمينا صالحا فاخلقني في أهلى قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملني في شيء قال أكره
أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لي لبنا أريده لقصرلى ووصفه له ثم خرج لسفره .

فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالحضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما اراد ، فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى ، فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرنى من أنت فقال الحضر إن هذا القسم هو الذى أوقعتى فى العبودية أما أنا فسأخبرك أنا الحضر سألتى سائل بوجه ربى أن أعطيه ولم يكن معى شئ أعطيه فأمكنته من نفسى حتى باعنى وبلغنى أن من مثل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدى ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتققع ، قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبى أنت وأمى شققت عليك ولم أعرفك فاحكم على فى مالى وأهلى وإن أحببت أن أدخل سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلى سبيلى أعبد ربى وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه واعطاه أربع مائة دينار وخلي سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرزق وأسلم الكافر على يدك واعطاك مكان كل درهم دينارا لتعلم ان لا يحضر احد فى معاملتى ، فهذا آخر قصة الحضر وموسى وقتناه والله اعلم .

باب فى ذكر قصة عاميل قتل بنى اسرائيل وقصة البقرة

قال الله تعالى - واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - قال المفسرون وجد قتل فى بنى اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله . واختلفوا فى قاتله وسبب قتله ، فقال عطاء والسدى كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه ، وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له مالها فى بنى اسرائيل مثل فى الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حملته من قرية إلى قرية أخرى فألقاه هناك . وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختمهم فيه السبطان ، وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضع على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختم أهلها وجاء أولياؤه إلى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصص فسألهم موسى عن ذلك فوجدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليعين لهم أمر ذلك القتل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى - ان الله أمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتخذنا هزوا - جشاك لتسألك عن القتل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتبعد الأمرين فى الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى - أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين - أى من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم أن ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقال ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ولو أنهم عمدوا إلى ادنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم لكنهم شددوا الأمر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تغديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدى وغيره أن رجلا فى بنى اسرائيل كان بارا بأبيه ، وبلغ من بره أن رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها

بحسين ألفا وكان فيها فضل ورج فقال البائع اعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان أبى فأتم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأملهني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك وأعطني المال . فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرنى حتى ينتبه أبى ، فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فعدولم يوقظ أباه ، فلما استيقظ أبوه اخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت يا بنى وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله ﷺ في هذه القصة : انظروا ما صنع الله به لأجل البر .

وقال ابن عباس ووهب وغيرها من أهل الكتب : كان في بنى اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة إلى غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ، ثم مات الرجل وسبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن وكان بارا بوالده وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصل ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى ولده ثلثه ، قالت له امه يوما يا بنى ان أباك وزنك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها اذ تعالى ، فانطلق إليها واعزم عليها باله ابراهيم واسماعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يتخيل لك أن شمع الشمس يخرج من جبهتها وكانت اسمها المذبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها ، فأتى الغيضة فرآها وهى ترمى فصاح بها القى وقال لها أعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحق ويقوب أن تردى على فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها القى البار بوالده اركبني فان ذلك أوهون لك ، فقال ان أمى لم تأمرنى بذلك وانما قالت خذ بعنتها ، فقالت البقرة وإله بنى اسرائيل لوركتنى ما كنت تهمد على أبدا فانطلق فانك لو أشرت الى الجبل أن ينقل من أصله وينطلق لعل لبرك بوالدهتك فانطلق القى بها فاستقبله عدو الله إبليس في صور قراع فقال له أيها القى إن راع من رعاة البقر اشتقت الى أهل فأخفت نورا من ميرانى وحملت عليه زادى ومتاعى حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لأقضى حاجتى ففدا وسط الجبل وما قدرت عليه ، وانى لأخشى على نفسى الملكة فان رأيت ان تخملنى على جمرتك هذه وتجننى من البوت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك ، فلم يفعل القى وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلاك بلازاد ولا راحلة ، فقال له إبليس لعنه الله ان شئت فبعنيتها يحكمك وان شئت فأحملنى عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له القى ان أمى لم تأمرنى بهذا فبينما القى كذلك إذ طار طائر من بين يدى البقرة ، فنفرت البقرة هاربة في الغلالة وغاب الراعى ، فدعاها القى وقال باسم الله اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها القى البار بوالده أم أتر الى الطائر الذى طار فانه إبليس عدو الله اختلسنى أما انى لوركتنى لما قدرت على أبدا فلما دعوت باله ابراهيم جاءنى ملك اخرعنى

من يد إبليس وردني إليك لبرك بأملك وطاعتك لها فجاءها الفقى الى أمه فقالت له انك فقير لامالك
وشقى عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم
أيها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتى وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير
فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفقى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفقى كيف بره بوالدته وكان
الله به خيرا ، فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال له
الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفقى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذنه إلا برضا أمي
فردها الى أمه فأخبرها بالثمن ، فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاي فانطلق الفقى بالبقرة الى
السوق ، فأتى الملك فقال له استأمرت والدتك فقال الفقى نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير
على أن أستأمرها فقال له الملك اني أعطيتك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفقى ورجع الى
أمه فأخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي
ليختبرك فاذا أناك قتل له أتأمرني ان أبيع هذه البقرة أم لا فنزل الفقى ذلك ، فقال له الملك اذهب الى
أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا
تبيعها إلا بعلم مسكها دنانير ، فأمسك البقرة وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة
له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي - وما سمعنا قال
موسى إنه يعني الله يقول - إنها بقرة لا فارض ولا بكر - اى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف
بين السنين ، فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكفروا السؤال - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
مالونها - قال انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين - اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها
لأن العين تسر وتولج بالنظر إلى الشيء الحسن وقال على بن أبى طالب من لبس ثيابا صفراء قل همه لأن
الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي - أسأله أم عاملة -
إن البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون - الى وصفها قال رسول الله ﷺ « وإيم الله لو لم يستنوا
لما قبلت منهم الى آخر الأبد » - قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول مذلة بالعمل تشير الأرض - ثقلها
للزراعة - ولا تسقى الحراث مسلة - بريئة من العيوب لاشية فيها ، قال عطاء لا عيب فيها ، وقال قتادة
لا يراض فيها أصلا ، وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها . قال فلما قال لهم موسى هذا - قالوا
الآن جئت بالحق - اى بالوصف الثابت التام البين ، فطلبوها فلم يجدوها بكال وصفها الا عند الفقى
البار بأمه فاشتروها منه بمائة مسكها ذهبا ، وقال السدى اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا ، -
فدبحوها وما كادوا يفعلون - من غلو ثمنها ، وقال القرطبي : وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها
وذلك قوله تعالى - وإذ قلتم نسا - يعنى عاميل وهذه الآية أول القصة - فاذا رأيت فيها - اى فاختلقت
فيها والله يخرج اى مظهر ما كنتم تكتمون اى تخفون قتلنا اضربوه يعنى القتل يعرضها اى
بعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ماهو ، قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الضروف وهو

القتل ، وقال الضحالك بلسانها قال حسين بن الفضل ، وهذا اولى الأقاويل لأن المراد من إحياء القتل كلامه واللسان آله وقال سعيد بن جبير بحجب ذنبا ، قال غياث وهو اولى التأويلات بالصواب لأن عجب الدنوب اساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو اولى ما يخلق الله وأمر ما يلي . وقال مجاهد بذنبا وقال عكرمة والسكبي بفخذها الأيمن وقال السدي بالبضمة التي بين كضمي وقيل بأذنها ففعلوا ذلك فقام القتل حيا باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلى فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى - كذلك يحيي الله الموتى - كما أحيى عاميل بعد موته - ويرىكم آياته - دلائل قدرته وعواهد حكمته - لعلكم تعقلون - قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى إلى موسى أن يتوجه إلى الأرض المقدسة بيني اسرائيل لينظر إلى كل قبيل يوجد بين قريتين او محلتين ، فيأخذ اقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية ، فان علموا قاتله سلموه إلى اهله وان لم يعلموا تغيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحاتهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها بيطن واد يسميه لهم ثم لتضع الحسون رجلا ايديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والأرض إله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسماعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا ، فاذا حلفوا برؤا من معه وادعوا دية إلى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم إلى ان مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام قضى رسول الله ﷺ بالقسامة والله أعلم .

باب في ذكر بناء بيت للقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت

تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك

قال الله تعالى - الذين قالوا إن الله عهد الينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتيانا بقربان تأكله

النار - الآية .

أنبأنا محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منه قال : أوحى الله إلى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيتا مقدسا للتوراة والتابوت والسكينة وقبابا للقربان ، وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها ، وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها من أضواف تلك الذبائح وعهد إليه أن لا ينزل تلك الجلود حائض ولا يذبح تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ، ويجعل فيها اثني عشر قسما مسرجا ، فاذا انقضى وصار اثني عشر جزءا جعل على كل جزء بما فيمن العمود سبطا من أسباط بني اسرائيل ، وأمره أن يجعل ستة تلك السرادقات ستاة ذراع في ستاة ذراع وان ينصب فيه سبع قلوب ستة منها مشبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا ، وعليها أربعة فسوت من ثياب محلاة الباطن . الأولى سندس أخضر . والثاني أرجوان أحمر . والثالث ديباج . والرابع من جلود القربان وقاية لها من للطر والبار وحبالها التي تمد بها من سوف القربان ، وأن يجعل سبعة أربعين ذراعا ، وأن

ينصب في جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان ، سعة كل مائدة منها أربعة أذرع في أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة ، كل قاعة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها إلا قائما ، وأمره ان ينصب بيت القدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر ، وان يجعل أسفله مشبكا بقضبان الذهب والفضة ، وأن يجعل حبالها التي تمد لها من أسواف القربان ، وأن يجعله مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر ، وان يلبسه سبعة من الجلال بحلة الباطن . الأول منها سندس أخضر ، والثاني أرجوان أحمر . والثالث من الديباج الأصفر . والرابع من الحرير الأصفر وبذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشى والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الأذى والندى ، وأمره أن يجعل سبعة سبعين ذراعا وأن يفرش القباب بالقرن الأحمر ، وأمره أن ينصب فيه تابوتان من ذهب كتابت عليهما مرصع بألوان الجواهر والياقوت الأحمر والأشهب والزمرد الأخضر وقواعه من ذهب ، وأن يجعل سبعة سبعة أذرع في أربعة أذرع وعلوه قامة موسى ، وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه للملائكة ، وباب يدخل منه موسى ، وباب يدخل منه هرون ، وباب يدخل منه أولاد هرون ، وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت ، وأمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب ، فينقه على هذا البيت وأن يجعل باقى ذلك المال الذى لا يحتاج اليه من الحل والحلل التى ورثها الله بنى اسرائيل وموسى وأصحابه من فرعون وقومه دفينا فى أرض بيت القدس ، ففعل ذلك فبلغ عدد بنى اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وخمسين رجلا ، فأخذ منهم ذلك المال وأوحى الله اليه أن ينزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيئا ولا تطفأ أبدا لتأكل القرايين للثقبلة وتسرج القناديل التى فى بيت القدس ، وهى من ذهب معلقة ببلاسل من الذهب منظومة من الياقوت والآلى وأنواع الجواهر ، وأمره ان يضع فى وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كأنون تلك النار التى تنزل من السماء ، فدعا موسى أخاه هرون وقال له : ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تأكل القرايين للثقبلة وتسرج منها القناديل وأوصانى بها ، وإنى قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها ، فدعا هرون ابنه وقال لها : إن الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وانه قد اصطفانى له وأوصانى به وإنى قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به ، وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وامر القربان والنيران ، فشرىوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التى فى الدنيا فنضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى وهرون يدفنان عنهما النار فلم يخنيا عنهما من أمر الله شيئا ، فأوحى الله تعالى إلى موسى هكذا أفعل بمن عصانى ممن يعرفون فكيف أفعل بمن لا يعرفون من أعدائى ، وهذا آخر القصة والله أعلم .

باب في ذكر مسير بني اسرائيل إلى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب
الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك

قال الله تعالى - وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم
ملوكا - الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الأرض المقدسة ماهي ، فقال مجاهد هي الطور
وماخوله . وقال مقاتل هي إيليا وبيت المقدس . وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من
السموات والأرض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والأرض . وقال عكرمة والسدي
هي أريحا . وقال السكبي هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن . وقال الضعكالي هي الرملة والأردن
وفلسطين . وقال قتادة هي الشام كله .

[فصل في فضل الشام وأهلها] قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم
نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال « طوبى لأهل الشام قيل يا رسول الله ولم ذلك ؟ قال إن ملائكة الرحمن
باسطة أجنحتها عليهم » عن عبد الله بن خولة قال : كنا عند النبي ﷺ فقال « والله لا يزال هذا
الأمر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشام
وجند بالعراق وجند باليمن ، فقلت يا رسول الله اختلى إن أدركني ذلك ، فقال أختار لك الشام فانها
صفوة الله تعالى من بلاده واليهما يجتبي صفوته من عباده ، يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله
من الأرض الشام ، وإن الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهلها » وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول
الله ﷺ قال « قسم الله الخيرة عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحدة في العراق ،
وقسم الله العاقبة عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحدة بالشام ، ودخل الشام عشرة آلاف
عسقل رأت النبي ﷺ وزل خمس تسعائة من أصحاب النبي ﷺ فيهم سبعون بدرًا . وقال
السكبي سعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس ، وهو
ميراث لقريتك من بعدك فذلك قوله تعالى - يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم -
يعني كتب الله في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن ، وقال ابن إسحق وهبها الله لكم مساكن وقال
السدي أمركم أن تدخلوها .

ذكر قصة بلعام بن باعوراء

قال الله تعالى - وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية . واختلفوا فيه فقال أكثر
المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيمن مارت بن لوط ، وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء
وهي مدينة الجبارين ، وصيبت بلقاء لأن ملكها رجل يقال له بالقي بن صافوراء . وكانت قصة بلعام
طريحا كره ابن عباس وابن إسحق والسدي والسكبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب
الجبارين وزل أرض بني كنعان من أرض الشام أقروم بلعام إلى بلعام وكان عنده اسم الله الأعظم ،
(١٤ - قصص الأنبياء)

فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى
 اسرائيل وانا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل نجاب الدعوة فاقبم الينا وأشر
 علينا في هذا الرجل العدو الذى قد أرقنا فادع الله أن يرذعنا موسى وقومه ، فقال لهم بلعام :
 ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من انما أعلم وإني إن فعلت ذلك
 ذهبت دنيائى وآخرتى ، فلم زالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربى وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر
 به فى المنام فتأمر فى المنام عليهم فى المنام قليله لاتدع عليهم ، فقال لقومه : إني قد أمرت ربى فى المنام
 عليهم فهربت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أوامر ثانيا فآمر فلم يحب فقال قد أمرت فلم يحب لى شيئا ،
 فقالوا لو حكره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل فى المرة الأولى فلم زالوا يرققون به وينشدونه
 ويتضرعون اليه حتى فتتوه فاقتن ، فقالوا لبعضهم اهدوا اليه فيقال إنهم أهدوا اليه هدية قبلها .
 وقال إن بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيئا
 إلى امرأته وقالوا إنها فقيرة وأنه يصنى إلى رأيها فانطلق عشرة من عظامهم وحمل كل واحد منهم
 صحيفة من ذهب مملوءة ورقا فأهدوها لها فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع الى
 ربك فاسأله أن يأذن لك فى مؤازرتهم والثناء على عدوم فلم يزل به حتى استجاب فلم يحب اليه شيء
 فقالت له إنه قد خيرك فى النسا عليهم فلم يأذن لنهاك . قالوا فركب أتاناه متوجها الى جبل يطله على عسكر
 بنى اسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الأولين الآتن ، فماسر عليها غير بعيد حتى ربضت
 به فنزل عنها وضربها حتى أزلتها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك
 فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها حتى إذا أزلتها أذن الله تعالى لها فى الكلام
 حجة عليه فقالت له : ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا
 أتذهب إلى نبي الله والؤمنين تدعو عليهم ؟ فلما سمع ذلك خر ساجدا ، فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت
 عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولولم يرد ذلك
 لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أتاناه وخطى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على
 جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم شيء من الشر إلا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو قومه بخير
 إلا صرف الله به لسانه إلى بنى اسرائيل ، فقال له قومه أتندى ما صنع يا بلعام ؟ إنا نمدحهم وتدعوا علينا
 فقال هذا أمر لا ملك منه شيئا قد غلبنى الله عليه فاندلع لسانه فوق على صدره فلم ماحل به فقال لقومه
 قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق إلا السكر والحيلة فسامر لكم واحتال فحملوا النساء وزينوهن
 وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى السكر يمين فيه ويشترين وأمروهن أن لاتمنع امرأة قسما من
 رجل أرادها فاتهم لو زنى رجل منهم كفيتموم ففعلوا ذلك ، فلما دخلت النساء للسكر مرت امرأة
 من الكنعانيين اسمها كبشابت صوريا رجل من عطاء بنى اسرائيل يقال له زيمرى بن سلوم من سبط
 شعون بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، فقام لها وأخذ يديها حين أحبه حسنا وجمالها ثم وقف

على موسى وقال : إني سأظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها . قال والله لأطيعك في هذا ، ثم إنه دخل بهاقبته فواقصها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت ، وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غالبا حين صنع زمري بن سلوم ماصنع فبجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل فأخبر الخبر ، فأخذ حربته وكانت حديدًا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظهما في حربته ، ثم خرج بهما رافعهما بيديه إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة على لحيته ، وكان بكر العيزار وجعل يقول : اللهم هكذا فعل بمن عصيك ، فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بني إسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة . فمن هناك يعطى بنو إسرائيل لبيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع والحي ، لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذنه إياها بذراعه وإسناده إياها إلى لحيته والبكر من كل أموالهم لأنه كان بكر العيزار بن هرون ، ففي بلاءم أنزل الله تعالى - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا - الآية .

قال مقاتل : إن ملك البلقاء قال لبلاءم ادع الله على موسى والاقنك فقال انه من أهل ذنبي ولا ادعو عليهم فجاء بحشبة ليصلبه . فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه فلما عين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضر بها فقالت له لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمانى قد منعني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه وإلا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الأعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ونو إسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب وقفنا في التيه ؟ قال بدعاء بلاءم فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الاسم الأعظم والإيمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعته منه للمعرفة فخرجت كخامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال آخرون هو بنى من بني إسرائيل يقال له بلاءم أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه .

وقال عبد الله بن عمر وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت التقي كانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكان قصد بعض الملوك ، فلما رجع مرّ بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد ، فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه ، فلما مات أمية أتت أخته فزعة رسول الله ﷺ فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينا هو راقد إذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقام أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه فقال النبي عند رجله للذي عند رأسه أوعى قال أوعى ، قال أزا قال زكا ، قالت فسألته عن ذلك ؟ فقال خير أريدني ، ثم قطرت عينه ، ثم غشي عليه . فلما أفاق قال :

كل عيش وإن تطاول دهرها سائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ماقد بدا لي في قلال الجبال أرعى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما تقيلا
ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله أن تنشدى شعر أخيك فأنشدته :

للأحمد والثناء والفضل ربنا فلا شيء أظلم منك جدنا وأجد
ملك على عرش السماء مهيمن لمزته تنضو الوجوه وتسجد
وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم أنها أنشدته قصيدة التي يقول فيها :

عندذي العرش يرضون عليه يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم تأتيه وهو رب رحيم إنه حكان وعده مأثيا
يوم تأتيه مثل ما قال فردا لم يدر فيه راشدا وغويا
أسعد سعادة أنا أرجو أم مهان بما كسبت شقيا
رب إن تنف ظمالمنا ظني أو تعاقب فلم تعاقب بريا
إن أواخذ بما اجترمت فاني سوف ألقى من العذاب قويا

قال عليه السلام « آمن شعره وكفر قلبه » فأزل الله تعالى فيه - وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا - الآية ، وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبي طامر بن النعمان بن سفي الراهب الذي سباه النبي صلى الله عليه وسلم القاسق ، وكان قد تربع في الجليلة ولبس اللوح قدم المدينة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به ؟ قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم . قال فأنا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو طامر أملت الله الكاذب منا في مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج إلى الشام وأرسل إلى الناقصين أعدوا القوة والسلاح وابتوا إلى مسجدا فاني ذاهب إلى قيصر وآتي بمحمد نخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى - وإرسادا لمن حارب الله ورسوله من قبل - يعني انتظارا لمحبة فأت في الشام طريدا وحيدا فريدا ، ومنهم من قال أنها نزلت في البسوس وكان رجلا قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد ، فقالت اجعل لي منها واحدة ، فقال لك منها دعوة فأتريدين ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فلما علمت أن ليس فيهم مثلهما رغبت عنه فغضب الرجل فباع عليها فصارت كلبة نباحة فلذهب فيها دعوتان فجاءت بها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا سبر صارت أمنا كلبة نباحة وإن الناس يبروننا بها فادع الله أن يردنا إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها .

باب في ذكر النقاء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم
حين بعثه إياهم الى أرض كنعان جواسيس له ولقومه

قال الله تعالى - ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبشأنهم اثني عشر نقيبا - الآية وذلك أن الله تعالى وعدموسى أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العاقلة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعدهم الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت بين اسرائيل والدار مصر أمرهم الله بالمسير الى أريحاء من أرض الشام وهي الأرض المقدسة فقال لموسى اني قد كتبته لكم دارا وقرارا فاخرج اليها واجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فقط من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفلاء على قومه بالوفا بما أمروا به فاختر موسى من كل سبط نقيبا وأمره عليهم وهنئ أسماؤهم من سبط روييل شمعون بن ذكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوقا ومن سبط جاد جاد بن يوسف ومن سبط رايون حدي بن سوري ومن سبط أشير شايون بن مليكيك ومن سبط يافا حبي بن وهى ومن سبط دان حمل بن وكيل بن حمل ومن سبط لاوى خولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرايم ومن سبط افرايم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميسا حبي بن موسى ومن سبط بنيامين ناطم بن زقون ، ثم إنه سار يبنى اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقاء يتجسسون الأخبار له ويسلمون حالها وحال أهلها فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق .

فصل في ذكر جبل من أشهر عوج بن عنق وأحواله

قال ابن حجر كان طول عوج ثلاثة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الأول ، وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشربه بين الشمس ورفعه اليها ثم يأكله .

ويروي أنه أتى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملى معك في سفيتك فقال له اذهب يا عدو الله فاني لم أوامرك فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبته وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قعر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه المهدد ومعه الطيور فجلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة . وانتحبت فوقت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل بموسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فلما أصاب منه إلا كعبه وهو مصروع في الأرض قتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه ، فلما قتل وقع على نيل مصر فحسرتة قالوا وكانت أمه عنق هي إحدى بنات آدم من سلبه ويقال إنها كانت أول من بنى على وجه الأرض وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين

في كل أصبع ظفران حادان مثل للنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الأرض ولما بلغت بمشي الله إليها أسودا كالقذبة وذئبا ونمورا كالابل ونسورا كالجر وسلطهم عليها فقتلوا وأكلوها .

قالوا فلما قم عوج يعني أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته ، وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لأطحنهم رجلى ، فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلق سيبلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عقود عنهم إلا خمسة ثريينهم في خشبة ويدخل في قشرة الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة ، فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم إنكم ان أخبرتم بنى إسرائيل خبر القوم قتلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتبوا شأنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ، ثم اتهم انصرفوا الى موسى وجاءوا بحجة من عندهم وقشرة من قشور رمانهم واخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبروهم بما رأوا من حالهم إلا رجلين منهم وفيما قالا هما يوشع بن نون بن افرايم فقي موسى وكالب بن يوقنا حين موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متا في أرض مصر او ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا وأولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لأصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم - قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين - الآية قال قتادة كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس قيرم مثله - وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون - قال موسى ادخلوا الأرض للقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذي أجلكم من آل فرعون وخلق لكم البحر هو الذي يملككم ويظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه امره وهو بالانصراف الى حمر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوقنا الى القوم وهما اللذان أخبر الله عنهما بالتوفيق والصحة في قوله تعالى - قال رجلان من الذين يخافون انهم الله عليهما - بالتوفيق والصحة - ادخلوا عليهم الباب - يعني باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لأن الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسامهم عظيمة قوة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشونهم وطى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فأراد بنو اسرائيل ان يرحموا بالحجارة وعصوها وقالوا يا موسى إنا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون .

وروى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت اني ذاهب بالهدى فتأخره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك ، فقال القعداء بن الأسود الكندي إنا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكننا نقول إنا معك مقاتلون والله لتقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لحضناه ولو تسمنت جبلا لطوناه ولو

ذهبت بنا الى برك القماد يعني مدينة بالحبيشة لتبعناك ، فلما سمع ذلك أصحاب النبي ﷺ تابعوه على ذلك فأشرك لذلك وجه النبي ﷺ . قال ابن عباس لأن أكون صاحب هذا الشهد احب الى من الدنيا وما فيها .

قال فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم وعخالقتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم - وقال رب اني لأملك الانفس وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين - أى العاصين وكانت عجلة محمدا موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصيني هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لأهلكهم جميعا ولأجعلن لك شعبا أقوى وأكثر منهم ، فقال موسى إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقاتل الأمم الذين سمعوا ذلك إنما قتل هذا الشعب من اجل انه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الأبناء وأبناء الأبناء فاغفر لهم ولا توبقهم ، فقال الله تعالى لموسى اني قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبيد يوشع بن نون وكالب ولآتينهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي تحبسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما وليأتينهم حتفهم في هذه القفار ، وأما بنوهم الذين لم يصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الأرض المقدسة فذلك قوله تعالى - فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض - متجبرين - فلا تأس على القوم الفاسقين - فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذي منه ارتحلوا وسثموا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا ومات أولئك النقباء العشرة الذين أقشوا الخبر ، وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك اللدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل أحد أريحاء ممن قال إننا لن ندخلها أبدا . فلما هلكوا واقضت أربعون سنة ونشأت النواشيء من ذرارهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم .

باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك

ورفع عنهم الهلاك كرامة لئيه وصفيه موسى عليه السلام

قال الله تعالى - يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم - الآية كقوله تعالى - وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها - والعد لا يقع على الواحد - التي أنعمت عليكم - أى على أجدادكم وأسلافكم . وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأمواهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون اليه وأعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى اهلكتنا واخرجتنا من العمران والبيان إلى مغارة لا ظل فيها ولا كن فأنزل الله عليهم غمامة يضاء رقيقة ليست بنهار المطربل ارق واطيب وأبرد منه فأظلمت ،

وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى - وظللتنا عليكم الغمام - يعنى في التيه يقيكم حر الشمس . ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء القمر . فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فأين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن .

واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الأشجار وطعمه كالشهد . وقال الضحاك هو البر يخبز . وقال وهب هو الحجير الرقاق . وقال السدي كان غسل يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه . وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الفليظ . وقال الزجاجي المن ما يعين الله به عما لا تعب فيه ولا نصب . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « السكاة من المن وماؤها شفاء للعين » قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الأشجار مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع كل ليلة . فقالوا يا موسى قلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فأنزل الله عليهم السلوى .

واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمان ، وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر يشبه الله عليهم فأمطر به السماء في عرض ميل قدر رُمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك ، وقيل إنه كان طيرا مثل فراخ الحمام طينا سميا قد تمطر ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به إليهم فيصبحون وهو في مصكرهم ، وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل إليهم فيأخذونه بأيديهم . وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور . وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة . قال شاعرهم :

وقاسمها بالله جهدا لأتم آفة من السلوى إذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى - وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا - أى قلنا لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لقد فخبأوا لقد فدود وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال الله تعالى - وما ظلمونا - أى أضرونا بالمصيبة ومخالفة الأمر - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبع في العقب .

أخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح ابن عباد قال حدثنا عون بن عبد الله عن جلاس بن همر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لولا بنو إسرائيل لم يخبز اللحم ولم يخبث الطعام ، ولولا حواء لم نغن أنثى زوجها » . ومنها أنهم عطشوا في التيه . فقالوا يا موسى من أين نخرب ؟ فاستسقى لهم موسى فأوحى الله إليه أن اضرب بصاك الحجر .

واختلف العلماء فيه . فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الحجازة فينفجر

منه عيون لكل سبط منهم عين ، وكانوا اثني عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول السبط الذي من لسانهم . فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لا تفرعن الحجارة بالصا ولكن كلها تطعك لعلهم يعتبرون ، وكان يفعل ذلك . فقالوا كيف بنا إذا مضينا إلى الرمل وإلى الأرض التي ليس فيها حجارة فأمر موسى أن يحمل معه حجرا فحينما نزل أقامه . وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه ، والدليل عليه قوله تعالى الحجر فأدخل الألف واللام لتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل .

ثم اختلفوا في ذلك الحجر ماهو ؟ فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فحمله فكان يضعه في محلاته فإذا احتاجوا إلى الماء أخرجه وضربه بعصاه فينفجر عيوننا كما ذكرنا فتقام قال أبو روي كان الحجر من الكذبان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أي حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه فإذا فرغوا وأراد موسى حملة ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقى ستائة ألف من جميع الأجناس . وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه لينتسل ففر الحجر بثوبه . فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى إن الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا - الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدی بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « كانت بنو إسرائيل ينتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى ينتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن ينتسل معنا إلا أنه أدر قال فذهب مرة ينتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره موسى يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من أس قال قام الحجر بعد ما نظر إليه بنو إسرائيل فأخذ ثوبه وطلق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله إن أثر ضرب موسى بالحجر ستة أو سبعة ، قال عبد العزيز السكتاني كان موسى ضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ندى للرأة ثم يتفجر بالأنهار للطردة فذلك قوله تعالى - فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا - .

ومنها أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الأيام ومرور الأعوام إلا جدّة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتتمو على صيانتهم كما تنمو فكثروا على ذلك زمنا طويلا والله أعلم .

باب فتح أريحا ونزول بني إسرائيل الشام

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم إنما فتح أريحا موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى إليهم بمن بقي من بني إسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني إسرائيل

فقامت بها ماشاء الله أن يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الأقاويل بالصدق وأقربها إلى الحق لإجماع العلماء بأخبار الأنبياء ، أن عوج بن عنق قتله موسى ، وقال آخرون ما قاتل الجبارين إلا يوشع بن نون ولم يسر اليهم إلا بعد موت موسى وهلاك من كان أبي المسير إليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه .

قصة وفاة هرون عليه السلام

قال السدي : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أني متوف هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل وإذا هما بشجرة لم ير مثلها وبیت مبنی وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ریح طيبة فلما نظر هرون إلى ذلك أعجبه وقال يا موسى اني أحب أن أنام على هذا السرير فقال ثم عليه فقال اني أخاف ان يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت قم فقال يا موسى نعم اني فأت به هذا البيت غضب علينا جميعا فقام موسى وأخذ هرون اللوث ، فلما وجد حسه قال يا موسى خذتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحنا إياه فقال موسى وعجم إن هرون أخى ووزيرى فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه . وقال عمرو بن ميمون : مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى ، وكانا خرجا في التيه إلى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف إلى بني اسرائيل . فقالوا أين هرون ؟ قال مات ، قالوا كذبت ولكك قتله لحنا إياه ، وكان محباً في بني اسرائيل فتضرع موسى إلى ربه وشكا إلى ربه مالتى من بني اسرائيل فأوحى الله إليه ان انطلق بهم إلى قبره فأتى بأعنه حتى عبرهم انه مات موتاً ولم تقتله فانطلق بهم إلى قبر هرون فتداده ياهرون فخرج من قبره ينفخ التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكنى مت فعاد وانصرفوا والله أعلم .

ذكر وفاة موسى عليه السلام

قال ابن اسحق : كان موسى قد كره اللوث واستعظمه فلما كرهه أراد الله أن يحب إليه اللوث ويكرهه إليه الحياة ، وكان يوشع بن نون يصدو إليه ويروح فيقول له موسى يا بني الله ما أحدث الله إليك ؟ فيقول له يوشع يا بني الله ألم أصبح بك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذى يتبدي به وتذكره ولا يذكره شيئا . فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب اللوث . قال الأستاذ باسناده : حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام أنه ضاق بيني اسرائيل فدعا لما أكثروا عليه فبعث الله إليه ألف نبي يكونون أعوانا له . فلما مال الناس إليهم وجد موسى في نفسه غيرة فأماتهم الله لكرامته في يوم واحد .

واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام . حدثنا أبو سعيد محمد بن عبدالله بن حمدون بإسناده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال جاء ملك الموت إلى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فقفاها قال فرجع ملك الموت إلى الله عز وجل فقال يارب انك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقعا عيني فرد الله عنه وقال ارجع إلى عبيد وقل له الحياة تريد ؟ فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعر فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فأدني من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال رسول الله ﷺ لو كنت عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشريفي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله ﷺ يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يبردها إلا كل مبتدع ضال . وفي حديث آخر : أن رسول الله ﷺ قال إن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى آتى موسى ليقبضه فلطمه فقفا عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية .

قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا : بينا موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فقال يا قوم أظن أنها الساعة وأنا ملتزم بموسى نبي الله فأنسل من تحت القميص وترك القميص في يد يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال والله ما قتلته ولكنه أنسل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم إذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام ف دعا الله فأني كل رجل ممن كان يعمره آت في المنام وأخبره أن يوشع لم يقتل موسى وإنما قدر لعنه الينا فتركوه . قال وهب بن منبه : خرج موسى ليقضى حاجة فمر بهط من الملائكة فمر بهم فأقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيئا قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الحضرة والنضرة والبهجة . فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا نحفنه لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى إن هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا . فقالت الملائكة يا صفي الله أعجب أن يكون لك . قال ووددت ذلك ، قالوا فأنزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهل نفس تنفسه فنزل فاضطجع فيه ثم توجه إلى ربه ثم تنفس قبض الله روحه ثم سوت للملائكة عليه التراب ، وقيل إنه أتاه ملك الموت تنفحة من الجنة فشما قبض الله روحه .

ويروي أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام ، فقال له ؟ كيف وجدت الموت يا نبي الله ؟ قال كشاة تسليخ وهي في الحياة .

ويروي أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض : مات صفي الله موسى بن عمران لمن الذي يطعم في البقاء . وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة : عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منو جهز .

قال الأستاذ . رجنا إلى قصة حرب أريحاء وخبر الفتح . قال : فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي الله وأن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه بيني إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت لليثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر ، فلما كان في الشهر السابع تمخروا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقتلوا الجبارين وهزموم وهاجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم ، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها ، وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تقرب وتدخل ليلة السبت فخشى يوشع أن يجزوه . قال : اللهم اردد الشمس على ، أو أنه قال للشمس : إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تغف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيدته في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين .

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن حامد الأصفهاني بإسناده عن عروة بن عبد الله قال : دخلت على فاطمة بنت علي رضي الله عنها فرأيت في عنقها خرزاً ورأيت في يدها مسكتين غليظتين ، وهي مجوز كبيرة ، قلت لها ما هذا ؟ قالت : إنه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ، ثم حدثتني أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله إليه فجعله بشوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ، ثم إن نبي الله سرى عنه . فقال : أصليت يا علي قال لا . فقال النبي ﷺ « اللهم اردد عليه الشمس » فرجعت حتى بلغت نصف السجد .

قال : ثم أرسل ملوك الأرامنة ، وكانوا خمسة فأرسل بعضهم إلى بعض فجمعوا كلهم على يوشع وقومه فهزمت بنو إسرائيل للملوك حتى أهبطوهم إلى ثنية حوران ورممهم الله بأحجار البرد ، فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فأمر بهم يوشع فأخرجهم وصلبهم ثم أنزلهم فطرحهم في ذلك الغار ، وتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدًا وثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام ، وصار الشام كله لبني إسرائيل وفرق عماله في نواحيها ، ثم جمع القنائم فلم تنزل النار ، فأوحى الله تعالى إلى يوشع : إن فيها غلولا فأمرهم أن يبيعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده . قاله : هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غلغه فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « غزا نبي من الأنبياء فقال للقوم : لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يني بها ولا آخر قد بينى له بيتاً ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنا أو خلفات وهو ينتظر أولادها ، قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه ، قال ثم وضعت القنينة فجاءت النار فلم تأكلها ، فقال : إن فيكم غلولا فليأمنني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده ،

فقال : فيكم القلول أتم غلتم . قال : فأخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه في النخبة وهي بالصعيد فباعت النار فأكلتها . قال النبي ﷺ « لم تحل القنائم لأحد قبلنا ، وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا » قالوا : ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خاضعين رؤوسهم . وذلك قوله تعالى - وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة - . وكان لهم سبعة أبواب سجدا : أي منحني متواضعين . وقولوا حطة : أي حط عنا خطايانا . قال وهب : أنهم أذنبوا بابائهم ، وكان توبتهم إذ أذنبوا دخول أريحاء ، فلما صلوا من التوبة أحب الله أن يستقدم من الخطيئة . قال ابن عباس : حطة قول لا إله إلا الله ، سميت بذلك لأنها تحط الذنوب - تغفر لكم خطاياكم - وتزيد المحسنين - إحسانا - فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم - وذلك أنهم دخلوا مترخفين على أستاذهم ، وقالوا حطامتنا : يعني حطة حمرنا استغفانا بأمر الله تعالى - فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء ساء عذابا من السماء بما كانوا يفتقون - وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلّة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفع الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استمرت بنو إسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع ودفن في جبل افرائيم ، وكان عمره مائة وعشرين سنة ، وتديره أمر بني إسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة .

مجلس في ذكر الأنبياء والملوك الذين قاموا بأمر بني إسرائيل

بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام

قالت السماء بأخبار السابقين وأمر الأمم السابقين : لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني إسرائيل كالب بن يوحناختن موسى عليه السلام ، وهو أحد الرجلين الذين أنعم الله عليهما . قال الله تعالى - قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما - فأحسن الخليفة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني إسرائيل ابنه يوساقوس ، وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتنون به ، وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون إليه ويقولون له : أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو شحى أن يردم ، فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدي فصار مجدوبا ملوجا فلبث فيه مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله عليه ، والله أعلم .

ذكر خبر حزقيل عليه السلام

قالت السماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام : لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى حزقيل إلى بني إسرائيل نبيًا ، وهو حزقيل بن بوري . ويلقب بابن السجور ، ولما لقب بابن السجور لأن أمه سألت

الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها ، وهو الذي أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحيامهم الله تعالى بعد موتهم بدعوتها في قوله تعالى - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت - الآية

قال أكثر المفسرين : كانت قرية يقال لها [داوردان] قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هارين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الدين خرجوا ، فلما ارتفع الطاعون رجوا سالمين ، فقال الدين بقوا إن أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ، ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أقيح ، فلما نزلوا المكان الذي ينتفون فيه النجاة والحياة إذا هم بملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا .

عن محمد بن زكريا قال سمعت الأصمعي يقول : لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حماله ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد برئح ويقول : لن يسبق الله على حمالي ولا على ذئ منة خطار قد أصبح الله أمام الساري فرجع للرجل لما سمع من قوله بيهاله .

وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » . وقال الضحاك ومقاتل والسكبي : إنما فرّ هؤلاء من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوم فخرجوا فسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا للملكهم : إن في الأرض التي نأتها الوباء فلا نأتها حتى ينقطع الوباء عنها فأرسل الله عليهم الموت ، فلما رأوا أن الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت ، فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى مصيبة عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك ، فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم مائة رجل واحد لما أتى عليهم ثلاثة أيام حتى استجروا وأروحو وأجسادهم فخرج إليهم الناس فجزوا عن دقهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها . واختلفوا في مبلغ عددهم ، فقال عطاء الحراساني : كانوا ثلاثة آلاف ، وقال ابن عباس وذهب كانوا أربعة آلاف ، وقال مقاتل والسكبي فمائة آلاف ، وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا ، وقال السدي بضاً وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا ، وقال عطاء بن أبي رباح سبعين ألفا . قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وهرت عظامهم وتقطعت أوصالهم ، فرّ عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متذكرا متعجبا فأوحى الله تعالى إليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيا الموتى ؟ قال نعم يا رب فأحيامهم الله

جميعا . هذا قول السدى وجماعة من المفسرين ، وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل ، فلما أحببتهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويدكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي ، فلو شئت أحيت هؤلاء فيصرون بلادك ويعبدونك . قال الله تعالى أو تحب أن أفعل ذلك ؟ قال نعم يارب . قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك ، فقال لهم حزقيل أحيوا باذن الله تعالى فعاثوا وقال وهب أصابعهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ياليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل إن قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا أنهم ودّوا لو ماتوا استراحوا ، وأى راحة لهم في الموت أيتظنون أنى لا أقدر أبغثهم بعد الموت فانطلق إلى جنة كذا فان فيها أقواما ماتوا فأتاهم ، فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم ، وكانت أجسادهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطيور والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام إن الله يأمرك أن تعودى وتكتسى اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الأرواح إن الله تعالى يأمرك أن تعودى إلى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة . وروى منصور بن العتير عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا سبحانه الله ربنا وبمحمدك لإله إلا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى سجنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد ربهم مثل الكفن حتى ماتوا لأجلهم التي كتب الله لهم . قال ابن عباس فإنه يوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الرجة ، قال قتادة مقتمهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فألماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد وقال - وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله مبيح علم - .

باب في قصة إلياس عليه السلام

قال الله تعالى - وإن إلياس لمن المرسلين - الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الأخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم إلياس نبيا وهو إلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران . وإنما كانت الأنبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة ، وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها هم سبط إلياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان هو وقومه يعبدون صما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه . وقال ابن اسحق : قد سمعت بعض اهل العلم يقولون ما كان العمل الا امرأة كانوا

يبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى - إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذنون أحسن
 الخالقين - قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يطيعونه الى ذلك الاما كان من أمر
 لاجب الملك الذي كان يعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان
 لاجب امرأة يقال لها أرييل وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت
 تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كايركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضى بين الناس
 وكانت قتالة للأتقياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم إيمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثائة
 نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا ثبت سوى الدين قتلهم وكانت في نفسها غير محسنة ولم يكن على
 وجه الأرض أفتحى منها ، وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بنى اسرائيل وقتلتهم كلهم
 بالاعتقال وكانت معمرة ، ويقال إنها ولدت سبعين ولدا . قالوا كان لاجب هذا جبار من بنى اسرائيل
 رجل صالح يقال له مزدكى . وكانت له جنية يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها ، وكانت الجنية إلى
 جانب قصر الملك وامراته ، وكانا يشرفان على تلك الجنية يتزهران فيها ويأكلان وشرابان ويقيلان
 فيأحبنا . وكان لاجب مع ذلك بحسن جوار صاحبها مزدكى وامراته أرييل تحسده على ذلك لأجل
 تلك الجنية . وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنية من حسنها ويقولون ما أخرى ان
 تكون هذه الجنية لأهل هذا القصر ، ويتعجبون من أمر الملك وامراته كيف لم ينصباها فلم تزل
 امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته ، والملك ينهاها عن ذلك فلا يجديها
 شيلا . ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد ، فلما طالت غيبته اغتمت امراته أرييل ان تم لها
 الحيلة على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنيته وهو فاقول عما تريد به مقبل على عبادة ربه
 وإصلاح مبيته فحتمت أرييل جمعا من الناس وأمرتهم ان يهدوا على مزدكى بالزور انه يسب لاجب
 الملك فأجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور ، وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك
 قتل إن قامت البيعة فأحضرت مزدكى ، وقالت له بلنا عنك انك شتمت الملك واغتبتة فأنكر
 مزدكى ذلك فأقامت البيعة فشهدوا بالزور عليه بخضرة الناس فأمرت بقتله . قتل وأخذت جنيته
 غصبا فغضب الله عليهم فقتل العبد الصالح . فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا
 ولا وقتت ولا أرانا قلع بسدها أبدا وإنا كنا عن جنيته لأغنياء وقد كنا نتزده فيها وقد جاورنا
 ونحرم بنائنا زمان طويل فأحسننا جواره وكففتنا عنه الأذى لوجوب حق علينا فقبحت بنا الجوار
 وما حملك على اجتراكك عليه إلا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكيرك في العواقب ، فقالت إنما غضبت
 لك وحسنت عمرك فقال لها ما كان يسع حلمك ، عظيم خطرك الفزع عن رجل واحد فتخطفين
 جواره فقالت قد كان ما كان فبث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم
 أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظله . وقد آلى على نفسه انها إن لم يتوبا من
 ضمنهما ويردا الجنية على ورثة مزدكى وإلا يهلكهما ينى لاجب وامراته في جوف الجنية أشرا ما يكون

يسفك دمه ثمة يدعهما جيفتين ملقائين فيها حتى تتعري عظامهما عن لحومهما ولا يمتنعان بها إلا قليلا . قال فجاء الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة . فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه . ثم قال لها إلياس والله ما أرى ماتدعوننا اليه إلا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وصمى ملوكا منهم عبدوا الأوثان إلا طي مثل مانحن عليه بأكلون وشربون ويتمتعون بملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم انه باطل شيء وما نرى لكم علينا من فضل . قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله . قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلعق بشواحق الجبال وعاد للملك إلى عبادة بلع فارتقى الياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقي فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوى إلى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الأرض وغار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويمتهدون في أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء ، فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله تعالى ابن الملك لأجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فأدق حتى يش منه فدعاصمه بعلا وكاتوا قدقتوا يبعل فعظموه حتى إنهم سموامديتهم به فقالوا لها ببلبك وجعلوا له أربعائة سادن فوكوهم به وجعلوهم أمناء وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بأنواع الكلام والأربعائة يصفون بأذنانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شرمة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الأنبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفوا له إلى بلع ويطلبوا منه لآية الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبه ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يحكه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم يجتهدون في التضرع اليه والمرض لا يزداد بذلك إلا ألما وجهما . فلما طال عليهم ذلك قالوا للأجب أيها الملك إن في ناحية الشام آلهة أخرى وهى في العظم مثل الملك فابث اليها الأنبياء يشفعون لك اليها فلم لها أن تشفع لك إلى بلع فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك . فقال لأجب لأى شيء غضب طي وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط ؟ قالوا من أجل انك تقتل الياس وفطرت فيه حتى نجاسا وهو كافر بالملك بعد غيره فذلك الذي أغضبه عليك قال لأجب وكيفلى أن أقتله في يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لاياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابني فخرغت لطلبه ولم يكن لى هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأرجم إلى منى وأرضيه قال ثم ابث الأربعائة بنى ليشفوا إلى الآلهة التي بالشام ويسألوها ان تشفع إلى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا إلى الأصنام وكلوها فنفخ الله عز وجل الشيطان الولوج في الأصنام ولم تكلمهم فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيفلى أن أقتل الياس في هذا اليوم . قال فخرج أربعائة حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس أوحى الله اليه ان يهبط من الجبل ويارضهم ويستوقهم ويكلمهم وقابله لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب في قلوبهم فنزل

الياس من الجبل فلما قيّمهم استوقفهم فلما وقفوا . قال لهم : إن الله أرسلني اليكم وإلى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة الربكم لتبلفوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا إن الله تعالى يقول لك : ألسنت تعلم بالاجب اننى أنا الله لا إله إلا أنا إله بنى اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بى وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا الا ماشئت وإنى آليت باسمى لأغيظنك فى ابنك ولأميتته من فوره هذا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيئا دونى ، فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملثوا منه رعبا فلما صاروا إلى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بأن الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد كشف وقحل وتمعط شعره وبيس جلته وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا ، فلما وقفنا صار معنا قنفذ له فى فلوبنا الرعب والهيبه وتمطعت ألسنتنا ، ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونزاجه وملا أعيننا منه حتى رجنا اليك ، ثم إنهم قصوا عليه كلام الياس ، فقال لاجب لا أتنفع بالحياة مادام الياس حيا ما الذى منكم أن تبطشوا به حين قيمتوه وتوقوه وتأتونى به وأتم تطولون أنه طلبى وعدوى ؟ قالوا له قد أخبرناك بالذى معنا عنه ، ومن كلامه والبطش به ، فقال لاجب إذا ما نطبق الياس إلا بالمكر والخديعة قبيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتياط عليه وأن يطعموه بأنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويفترّبهم ويمكنهم من نفسه فيأتون بهم لملكهم فانطلقوا حتى ابرضوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ، ثم إنهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فانادى آتانا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرون عليك السلام ، ويقولون قد بلغت رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك وأجيناك إلى مادعوتنا اليه فهل الينا فأت نيينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا واحكم بيننا فأتنا نقاد الى ما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس بسعك أن تتخلف عنا بعد إيماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا وكل هذا كان مكرامتهم وخديعة ، فلما سمع الياس مقاتلهم وقع فى قلبه إيمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يحبهم بعد الذى سمع منهم ، فلما صم على البروز اليهم رجع إلى نفسه ، وقال لو أتى دعوت الله تعالى فسألت أن يطمئنى ما فى قوسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم ، وكان ذلك إلهاما من الله تعالى ونوفيقا له فقال اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لى فى البروز اليهم وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارحمهم بنار تحرقهم جميعا لما استتم قوله حتى حصوا بالنار من فوقهم فأحرقوا أجمعون قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتمل ثانيا فى أمر الياس قبيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فأقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارفقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسخطه إنا لسنا كالكهين آتوك قبلنا أولئك فرقة ناقموا وخالفوا فصاروا اليك لمجكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفناك الله

أمرهم وتهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم ، فلما سمع الياس مقاتلهم دعا الله بدعوته الأولى فأمرهم عليهم نارا فأحرقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من وجهه كما وعد الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه ، فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غيظا إلى غيظه وأراد أن يخرج في طلب الياس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأمن اليه فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بالياس سوءا ولا مكروها وإنما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من إيمانه وكان للملك مع اطلاعه على إيمانه مغضبا عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة والحكمة وسداد الرأي والبصارة بالأمر ، فلما وجهه نحوه أرسل معه فتم من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به أن أراد التخلف عنهم وإن جاء معهم آتسا بالكاتب ووثقا بمكاتبه لم يوحشوه ولم يروعوه ثم إنه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لي أن أتوب وأنظف قد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس ولست آمن أن يدعو علي وعلى جميع قومي فهلك بدعوته فكمن رسولنا إليه وأخبره أنا قد تبنا وأبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصداننا إلا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا ، قال ثم إنه أمر قومه أن يعزلوا الأصنام وقال له أخبر الياس بأنا قد خلعتنا ألحمتنا التي كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل إلينا فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرًا من الملك - قال فانطلق الكاتب والثقة معه حتى علوا الجبل الذي فيه إلياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتأقت نفسه إليه وانس به وكان مشتاقا إلى لقائه فأوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام ان ابرز الى اخيك الصالح فالتقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه ، وقال له ما الخبر ؟ فقال له المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قاله ، وقال له اني لخائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فأمرني بما شئت ان افعله واتهي اليه ان شئت انقطعت إليك وكنت معك وتمركته وان شئت جاهدته معك وان شئت ارسلتني اليه بما تحب فألبته رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل ملجاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان اخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف انه قد داهن في امرك ولم يأمن ان يقتله فانطلق معه فان انطلقك معه عنده وبراءته عند لاجب وانى سأشغله عنكما واضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع أنت ولا تخم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ اللوت يكظمه فشغل الله بذلك لاجب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما إلى مكانه ، فلما مات ابن

لا جب وفرغوا من أمره وقر جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذي جاء به فقال له ليس لي به علم وذلك انه قد شغلني عنهم موت ابنك والجزع عليه ولم أكن احسبك الا قد استوتحت منه فأطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه ، فلما طال الأمر على الياس من السكت في الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس قفز من الجبل وانطلق حتى نزل بامرة من بني اسرائيل وهي أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ، قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بمدقوده في الجبال ودوحها فأحب الحقوق بالجبال فصاد إلى مكانه في الجبال ، فجزعت أم يونس لقراقه وأوحشا قده ، ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين قطعت فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له إني فجعت بمدك بموت ابني وعظمت به مصيبي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع ربك تعالى أن يحيي لي ابني ويجبر مصيبي فاني قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه ، قال لها الياس عليه السلام : ليس هذا مما أمرت به ، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرني ربي به ولم يأمرني بهذا فجزعت المرأة وقصرت فعطف الله قلب الياس عليها ، قال لها ومتى مات ابنك ؟ فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى إلى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس بن متى ، فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضعه . قال : فلما طال عسايا قومهم ضاق الياس بذلك فدعا وأجهده البلاء ، فأوحى الله اليه بمسبح سنين وهو خائف من دعور مجهود باليأس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألسنت آميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي فأسألني أعطك فاني ذوالرحمة الواسعة والفضل العظيم . قال الياس عليه السلام : تميمي وتلحقي بأبائي فاني قد علمت بني اسرائيل وملوني وأنضتهم فيك وأنضوني ، فأوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعزى منك الأرض وأهلها ، وانما قوامها وصلاحها بك وأشبابك ، ولكن سلني أعطك . قال الياس : فان لم تعطني يا إلهي فأعطني ثأري من بني اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأى شيء تريد أن أعطيك يا الياس . قال فعكنتي من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يظلم الا ذلك قال الله تعالى - يا الياس أنا أرحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين . قال فست سنين . قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين . قال فخمس سنين ، قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين . قال فأربع سنين . قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين . ولكنني أعطيك ثأرك منهم ثلاث سنين أجل خزائن للطير يدك ولا أشتر عليهم سحابة إلا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة إلا بشفاعتك . قال الياس فبأى شيء أعينى . قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشراك من الرف والأرض التي لم تضط

قال الياس : قد برضيت فأمسك الله الطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والحوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مخفف من قومه بموضع ينساقله فيه الرزق ويأتيه حينما كان وقد عرفه بذلك قومه ، فكانوا إذا وجدوا ريح الحبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقي منهم أهل ذلك المكان شرا . قال ابن عباس : أصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فرأى الياس بسجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته بشيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا ؟ قالت مررت برجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فمر فوه وقالوا لها ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم .

قصة اليسع عليه السلام

ثم ان الياس أتى إلى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضرر فأوته وأخفت أمره فدغاله فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه وثرمه فكان يذهب معه حيثما ذهب ، وكان الياس قد أسنّ وكبر ، وكان اليسع غلاما شابا ، ثم ان الله تعالى أوحى إلى الياس عليه السلام انك قد أهلك كثيرا من الخلق ممن لم يصوتى سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والحوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم أن الياس قال يارب دعني أكون الذي أدعولهم وآتيهم بالفرج بمحامي فيهم من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عمام عليه من عبادة غيرك ، فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل ، وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطيور والشجر والنبات بحبس المطر عنكم غطايكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون أن تعلموا أن أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تنفعي عنكم شيئا فاخرجوا بأصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل وغرور فزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فقالوا يا الياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج محامي فيهم وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فأقبلت نحوهم وطبقت عليهم الأفق ثم أرسل الله عليهم المطر فأغاثتهم وأحيت بلادهم . قال فشكروا إلى الياس همد الجدران وعدم البذر ، وقالوا ليست لنا حبوب فأوحى الله تعالى اليه أن يأمرهم بأن يبنوا المذبح في الأرض ففعلوا فأبنت الله لهم منه الحبوب وأمرهم أن يبنوا المذبح في الرمل فأبنت الله لهم منه الدخن ، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أخبت ما كانوا عليه ، فلما رأى الياس ذلك

دعا ربه أن يريعه منهم ، فقبله انتظر يوم كذا وكذا فأخرج الى موضع كذا وكذا فإذا جاءك شيء فاركبه ولا تبته فخرج الياس ومعه اليسع بن أخطوب حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمروني به قهذف اليه كساءه من الجوة الأعلى ، فكان ذلك علامة على استخلافه إياه على بني إسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس بين أظهرهم وقطع عنه لمة للطعم والمشراب وكساء الرش وكان إنسيا ملكيا سبوا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامراته وقومه عدوا لم قصدم من حيث لا يشعرون به حتى رفقهم قتل لاجب الملك وامراته في بستان مزكي فلم تزل جيفتاها ملقتين في تلك الجينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبا الله تعالى بفضل اليسع عليه السلام ، وبهت نيا ورسولا الى بني إسرائيل ، وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فأمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه ويتهون إلى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقه اليسع .

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي دواد ، قال : ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان بيت المقدس ، ويوافيان للوسم في كل عام . وأخبرني ابن فتحويه عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشي بالإردن عند نصف النهار فرأى رجلا ، فقال يا عبد الله من أنت ، فقال أنا الياس : قال فوقفت على رعدة شديدة فقلت له : ادع الله أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك . قال فدعا لي بثان دعوات . وهن يا بر يارحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما ، وقيل هما باها شراها فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كفتي فوجدت بردها بين يدي ، فقلت له أيوحى إليك اليوم ، فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى إلى . قال فقلت له فكم من الأنبياء اليوم أحياء . قال أربعة اثنان في الأرض واثنان في السماء ، أما اللذان في السماء فقيس وإدريس عليهما السلام ، وأما اللذان في الأرض فالياس والخضر عليهما السلام ، قلت كم الأبدال . قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عرش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلان بالصيغة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلنا أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يطرون قلب الخضر أين يكون ؟ قال في جزائر البحر فقلت : هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالوسم قلت فما يكون حديثكما . قال يأخذ من شعري . وأخذ من شعره . قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم . قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والقتول والشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم أطمع برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك اللصم أن أعود إلى مثله أبدا قال أحسنت فهكذا فكن . قال فبينما أنا وإياه قاعدان إذ وضع

بين يديه رغيفان أشد يراضا من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ، ثم رفعت رأسى وقد رفع باقى الرغيف الآخر فلما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه . قال وله ناقة ترعى فى وادى الأردن فرفع رأسه إليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له : إني أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على سحيق قال فقلت له انى خلو لزوجتي لى ولا عيال . قال تزوج وإياك والنساء الأربع الناجزة والمختلطة والملاعنة والبرزة وتزوج ما يدالك من النساء قال فقلت انى أحب أن أهلك قال فلما رأيته قد تقيتني أنى أعكف فى بيت القدس فى شهر رمضان ، ثم حالت بينى وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب وهذا آخر القصة .

مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام

قال الله تعالى - واسمى وادرس وذو الكفل كل من الصابرين - قال مجاهد : لما كبر اليسع قال : لو أنى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ، ثم قال من يتكفل لى بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا ينضب ، فقام إليه رجل شاب تزدريه العيون فقال : أنا ، فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الثانى فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال : أنا أعلم ذلك فاستخلفه . قال فلما رأى إبليس ذلك جسد يقول للشياطين عليكم بفلان فأعيام ، فقال دعونى وإياه فأتاه فى صورة شيخ كبير قصير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة فدى إبليس الباب فقال : من هذا ؟ فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول : ان بينى وبين قومى خصومة وإنهم ظلمونى وفضلوا وجعل يطول عليه حتى خضر وقت الرواح وذهبت القائلة ، فقال له اذا رحت فانى آخذ لك بحك فأنطلق وراح الى مجلسه ، فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الند جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدى الباب فقال : من هذا ؟ فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له ، وقال ألم أقل لك اذا قدمت فأنتى ، فقال اتهم أجبت قوم اذا عرفوا أنك قاعد يقولون نحن نمطيك حاك واذا كنت جحدونى . قال فأنطلق فلما رحت فأنتى وفاته القائلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه الناس ، فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق على عدم النوم ، فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فلما كوة فى البيت فتسور منها فلما هو فى البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل ، وقال يا فلان ألم أمرك أن لا تأذن لأحد على ، فقال أما من قبلى لما أنى فأنظر من قبل من أنى قام الى الباب فلما هو مغلق كما أخفقه واذا الشيخ معه فى البيت ، فقال له أتمام والحصى يبابك فعره ، فقال له يا عدو الله ما ألك

الى هذه الفعّال ، فقال له إنك أعيتني في كل شيء أردت بك ففعلت معك ما ترى لأغضبك فصمك الله منى فسمى ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به .

أخبرنا ابن فتحويه : قال حدثنا عمر بن الفضل عن أبي هاشم . أخبرنا ابن الفضل قال : أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول « كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها فلما قصد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت ، فقال لها ما يبكيك ؟ فقالت من هذا الفعل فاني ما فعلته قط ، فقال لها أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة ، فقال لها انذهبي فهي لك » ، ثم إنه قال والله لا أعصى الله بعدها قط أبداً فمات من ليلته . قيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوباً : ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل ، وقال أبو موسى الأشعري : ان ذا الكفل لم يكن نبياً ، وإنما كان عبداً صالحاً تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء ، وقيل هو الياس ، وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب .

مجلس في قصة عيل وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت

وخبر طالوت وجالوت ، وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة

قال الله تعالى - ألم تر الى اللأ من بني إسرائيل - الآية .

[فصل في سياق الآية ومقدمة القصة] قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني إسرائيل وكان فيهم ماشاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلف عظم فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرُونَ يجمع التراب على صخرة ، ثم ينز فيه الحب فيخرج الله له ما يأكل منه هو وعياله ويكون لأحدهم الزئونة فيصر منها ما يأكل هو وعياله سنة ، فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالة وهم قوم كانوا يسكنون غزوة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتعادون

أحيانا في غيهم وضلاتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينقم له منهم ليرجعوا الى التوبة أحيانا ويكفيهم الله شر من بقي عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فاستظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى السّامة منهم ، وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويتملك عليهم الى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له إيلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرم وصاحب قربانهم وكانوا يتهون الى رأيه ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم مدة بعث الله شمويل نبيا .

القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم

قال وهب بن منبة : كان لأبي شمويل امرأتان إحداها عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهي أم شمويل ، والأخرى قد ولدت له عشرة أولاد . قال وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقرّبوا القرابين فحضر أبو شمويل وامراتاه وأولاده العشرة ذلك العيد ، فلما قرّبوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لأُم الأولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغى ، فقالت أُم الأولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرتني بولدي وقللك فوجمت العجوز وجوما شديدا ، فلما كان عند السحر عمدت الى متعبها فقالت : اللهم بملك وممك كانت مقالة صاحبي واستطالتها على بعمك التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فأرحم ضعفي وارزقني ولدا تقيارضا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك بعدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك ، فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فأجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي ، فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد ثبتت من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فلم بها زوجها فحملت وكتمت أمرها ولقي بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه إلا تلك المرأة الحبلي ، فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها ، وقالوا ما حملك هذا إلا نبي لأن اليائسات لا يحملن إلا بالأنبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت بأسحق وإيشاع امرأة زكريا حملت يحيى عليه السلام فأخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وصمته شمويل تقول مع الله دعائي ، فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه ، فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعث الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا شمويل ققام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ ، وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام ، فقال يا بني

ارجع فتم فرجع الغلام فنام ، ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام ، وقال ادعوتني يا أبتاه ، فقال الشيخ ماشأناك . قال أما دعوتني ؟ قال لا ، فقال سمويل فأنى سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا ، فقال الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فأجب وقل ليك أنا طوعك فأمرني بما شئت أفعل ما تأمرني به ففعل ذلك الغلام فتودى ثالثة ، فقال ليك أنا طوعك فأمرني بأمرك أفعل ما تأمرني به فظهر له جبريل عليه السلام ، فقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وإن الله قد ذراك يوم ذراك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت عليها ضررتها فيه فلا أحد اليوم أعد منها عضدا ولا ملاذا فانطلق الى عيلي قتل له انك كنت خليفة الله على عبادته ودينه قممت زمانا بأمره حاكما بكتابه بحفاظا على حدوده ، فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك وصرت أقبر ما يكون الى الله تعالى ولم تنزل قبرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعت وأضعفت حكم الحق حتى عز الباطل وأهله وذل الحق وحزبه وظهر النكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهداك على هذا ولا عليه استخلفك فيشما ختمت به عملك - والله لا يحب الخائنين - بلغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة ، فلما بلغه سمويل هذه الرسالة فزعزع وجزع . وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلي ووبخه عليه أنه كان له ابنان شابان فأحدثا شيئا في القربان لم يكن فيه ، وذلك أنه كان مسواط القربان الذي كانوا يسرطونه به كلايين لما أخرجا كان للكاهن الذي كان يسوطه فجعل ابناه كلايب فأوحى الله الى سمويل : أن انطلق الى عيلي قتل له منعك حب الولد أن تزجر ابنك أن يحدثا في قرباني وأن يصياني فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكك وإياها ، فأخبر سمويل عيلي فزعزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فأمر عيلي ابنه أن يخرج بالناس فيقاتلوا ذلك العدو فخرجوا وأخرجوا معها التابوت ، فلما تأهبوا للقتال جعل عيلي يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فأخبره بأن الناس قد انهزموا وأن ابنك قد قتل ؟ قال لما فعل بالتابوت . قال ذهب به العدو . قال فسحق ووقع على قفاه من كرسيه فمات ، فلما بلغ ملكهم إيلاف الخبر أن التابوت قد سلب وأن عيلي قد مات فمات كندا ، فلما مات الأمير والوزير وأخذ التابوت مرج أمر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم ، فقالوا لسمويل - ايئت لنا ملكا يقاتل في سبيل الله - وذلك بعد ما دبر سمويل امرهم عشر سنين ، فلما ناهم الدل والمهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوهم نبيهم سمويل أن يعيهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وأما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك وإطاعة الملك للأنبياء ، وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاوم العدو ، وكان النبي مسم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى .

قال وهب بن ميه : بعث الله سمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة في أحسن حال ، ثم كان من أمر

جالوت والعمالة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى - أئتمروا إلى الله - من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله - يعنى شمويل ، وهو بالعبانية اسماعيل بن بالى بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا . وقال بجاهد : هو شمويل بن هلفاقا ولم ينسب له أكثر من ذلك . وقال مقاتل : هو من نسل هرون عليه السلام . فقال لهم نبيهم - هل عسى أن أبعث عليكم القتال ألا تقاتلون - فأجابوا بما قص الله في كتابه - قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا - الآية ، فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا .

ذكر قصة الملك طالوت وإتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به

قال الله تعالى - وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا - الآية . قال المفسرون : إن شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس . وقيل له إن صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا ، وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ، ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت بطولها ، واسمه بالسريانية سادل ، وبالعبانية شاول بن قيس بن أيل بن صارون بن نحوزت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دياغا يعمل الأدم .

قال وهب بن منبه : كان يدبغ الجلود ، وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه . قال وهب بن منبه : بل ضاعت حمر لأبى طالوت فأرسله وغلامه يطلبانها فمرا بيت شمويل عليه السلام . فقال الغلام لطالوت : لودخنا على هذا الذى فسألناه فى أمر الحمر ليرشدنا ويدعولنا فيها غير . فقال له نعم فدخل عليه ، فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر إذ نشى الدهن فى القرن ، فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله ، فقال له شمويل : قرب رأسك الى فدهنه بدهن القدس ، ثم انه قال له : أنت ملك بنى إسرائيل وقد أمرنى ربى أن أملكك عليهم . فقال طالوت أنا فقال نعم . قال أو ما علمت أن سبطى أدنى أسباط بنى إسرائيل قال بلى . قال أو ما علمت أن بيتى أدنى بيت فى بنى إسرائيل قال بلى : قال فبأى آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد برك الحرف كان كذلك ، ثم ان شمويل قال لى إسرائيل : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا . قال مجاهد : أميرا على الجيش - فقالوا أى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال - وإنما قالوا ذلك لأنه كان فى بنى إسرائيل سبطان : سبط نوبة ، وسبط مملكة وكان سبط النوبة سبط لاوى بن يعقوب ومنهم موسى وهرون . وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النوبة ولا من سبط المملكة وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا سملوا دنبا عظيما

كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم وزرع النبوة والملك منهم . فلما قال لهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا - أنكروا ذلك لأنه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك أنه فقير لم يؤت سعة من المال . فقال لهم شمويل - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم - بالحرب - والجسم - يعنى بالطول في قومه والقوة وإنما سمي طالوت لطولته . ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكيه . وقال ابن كيسان بالجمال : وكان طالوت أجمل رجل في بني اسرائيل وأعلمهم - والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم - قالوا فما آية ذلك - قال لهم بينهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت - الآية .

قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه

قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار : إن الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط إلى الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم ، وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من باقوتة حمراء وإذا هو قائم صلى وعن يمينه السهل المطيع مكتوب على جبينه : هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعن يساره القاروق ، وعلى جهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومن ورائه ذوات النورين أخذ بحجزته مكتوب على جهته : بار من البردة ، ومن بين يديه على بن أبى طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ، ومكتوب على جهته : هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والقباء والكبكة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله ، نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحو من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذى يتخذ منه الأمشاط مموه بالذهب ، وكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات ثم عند شيث إلى أن مات ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إلى إبراهيم عليه السلام ، فلما مات كان عند اسماعيل لأنما كبرولده فلما مات اسماعيل كان عند ولده قيثار فأنزعه فيه ولده اسحق وقالوا له إن النبوة صرفت عنكم وليس لكم إلا هذا التور الواحد يعنى نور محمد ﷺ فأعطنا التابوت فكان يتمتع عليهم ويقول انه وصية أبى ولا أعطيه لأحد من العالمين ، قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فصر عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيثار فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتح إلا نبي فادفعه إلى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله ، فحمل قيثار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام . قال فلما قرب قيثار التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام . فقال لبيه أقم بالله لقد جاءكم قيثار بالتابوت قوموا نحوهم ، فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب إلى قيثار سى إليه باكيا وقال يا قيثار ما لى أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهلك عدو أم أتيت بحصية بدأيك اسماعيل ؟ قال ما أرهقنى عدو ولا أتيت بحصية ولكن أهمل ظهري نور محمد ﷺ فلذلك تغير لوني وضعف ركني . قال يعقوب أفى بنات اسحق ؟ قال لا ولكن فى

العزية الجرمية وهي العامرية ، فقال يعقوب بن نج شرفا لمحمد ﷺ لم يكن الله ليخرجه الا في المريات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة . قال وما هي ؟ قال علم أن العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما . قال قيذار وما أعلمك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم : قال يعقوب قد علمت ذلك لأنني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر للدور بين السماء والأرض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت أن ذلك من أجل محمد ﷺ ، ثم إن قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما غصاء حملا وفيه نور محمد ﷺ ، قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى أن مات ، ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمویل عليه السلام فوصل الى شمویل وقد تكامل أمر التابوت بمافيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه - فيسكنه من ربيكم - .

واختلفوا في السكينة ماهي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : السكينة ربح خجوج هفاة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان ، وقال مجاهد لها رأس كراش الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان . وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح .

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال : هي طست من ذهب الجدة ينسل فيه قلوب الأنبياء .

وروى بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه : هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون . وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون .

قال المفسرون : فيه عصا موسى ورضاض الألواح وذلك أن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقيصر من اللبن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه ، قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم ، واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم ، فلما عصوا وأفسدوا سبط الله عليهم العاقبة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم إياه وذلك في أيام علي الكاهن الذي يري شمویل وفيه مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبي قومه التابوت صغيرا ، فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسالوه الآية على ملكه ، فقال لهم شمویل إن آية ملكه أن ياتيكم التابوت .

وكانت قصة ذلك التابوت : أن القوم الذين سبوا التابوت آتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أردن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم ، فأصبحوا من القصد واذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسحبوا قدي الصنم على التابوت . فأصبحوا من القصد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت . فأصبحت الأصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الأصنام

ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم ، فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن إله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوا إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية قاراً يبيت الرجل صحيحاً فيقرضه القار فيصبح ميتاً وقد أكلت ما في جوفه ، فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم ، فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه في بيت فكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه الا احترق وأصابهم في المدينة الآفات والعلاهات وفي مواشيهم اللوث وفي نسائهم الطاعون ، فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بني اسرائيل من أولاد الأنبياء فقالت إنكم لا تزالون ترون ماتكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم ، فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبيهما فأقبل الثوران يسيران ووكّل الله بهما أربعة من الملائكة يسرقونهما فلم يمر التابوت بأرض الا كانت مقدسة فأقبلوا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبني اسرائيل فكسر برثهما وقطع جالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران إلى أرضهما ، فلم تدر جنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى - عمله للملائكة - أي تسوقه للملائكة .

وقال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون اليه حتى وضعته في دار طالوت ، فأقروا بملكه قال الله تعالى - ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين - قال ابن عباس : ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم .

باب في قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت

مع بني اسرائيل وصفة نهر الابتلاء

قال الله تعالى - فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر - الآية ، قال فلما أوحى الله إلى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير إلى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه إلا كبر لمهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معذور لعذره ، وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أئانا التابوت وهو نصر لاشك فيه ، فسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لاحتاجة لي فيما أدنى لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشغول بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب الفشط الفارغ ، فاجتمع ممانون ألفاً على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوم ، وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نهراً ، فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام - ان الله مبتليكم بنهر - مختركة ليرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الأردن وبين فلسطين عذب

يقال له أدعى ، - فمن شرب منه قليس منى - أى من أهل ديني وطاعني - ومن لم يطعمه - لم يشربه - فانه منى - ثم استثنى فقال - الا من اغترف غرفة بيده - وهو ملء الكف ومن فتح العين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم .

قال السدى : كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر « أتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه الا مؤمن » قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك العرفة الواحدة لشربه ، وحمله ودوابه ، والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وبقوا على شاطئ النهر وجنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح ، فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى - لاطاقة لنا اليوم بحالوت وجنوده - وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - الآية ومروا قاصدين الجهاد ،

باب في ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله

قال الله تعالى - ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا - إلى قوله تعالى - وقتل داود جالوت - قال المفسرون والخبرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ذات يوم أباه فقال يا أبتاه ما قدفت بمتلاعى هذه شيئا الا أصبته وصرعته فقال أبشرا يا بنى فان الله قد جعل رزقك في قدامك يعنى في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت بأذنيه فلم يهمنى قبضت على فكبيه ، ففطرتها برأسه وعنته إلى لبتة يدي من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له أبوه : أبشرا يا بنى فان هذا خير أعطاك الله ، ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه : إني لأمشى بين الجبال فأصبح لما يقبى جبل إلا سبى معى ، قال أبشرا يا بنى فان هذا خير أعطاك الله وسيكون لك شأن عظيم . قال فلما وصلت غزاة بنى اسرائيل مع طالوت إلى عسكر جالوت أرسل جالوت إلى طالوت أن ابرز إلى أو ابرز إلى من يقاتلى ، فان قتلتى فلكم ملكى وإن قتلتى فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته بملكى فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد ، فسأل طالوت نبيه شمویل عليه السلام فدعا الله تعالى فى ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له إن الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيخلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل

يكون على رأسه كهية إلا كليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداه بنى اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يواقة منهم أحد ، فأوحى الله إلى شمويل عليه السلام إن في ولد إيشا من يقتل جالوت وإنى أريد أن أجعله خليفة في الأرض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعى النعم قتل لإيشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا ، فدعا إيشا وقال له : اعرض على بنيك فأخرج له اثني عشر ولدا أمثال السوارى وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيئا ويقول لذلك الجسيم ارجع فيرده على التنور ، فأوحى الله تعالى إليه إنا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكننا نأخذهم على صلاحهم وقلوبهم فقال لا يشأ : هل بقي لك ولد غيرهم ؟ قال لا ، قال شمويل : رب قد زعم أنه ليس له ولد غيرهم فقال كذب ، فقال شمويل يا إيشا إن ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله إن لى ابنا صغيرا يقال له داود استحيت أن يراى الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في النعم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا ، وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج إليه فوجد الوادى قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التى كان يتروح إليها فوجه يحمل النعم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يغوص بهما الماء ، فلما رآه شمويل قال : هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس ، فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التنور ففلاه . فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزورك ابنتى وأجرى حكمك فى مملكتى قال نعم . قال فهل لقيت من نفسك شيئا تنقوى به على قتله ؟ قال نعم أنا راعى النعم فيجىء الأسد والنمر والذئب ليأخذ شيئا فأقوم إليه وأقبضه وأنتع لحية عنها وأحرفهما إلى قفاه ، فلما سمع طالوت منه ذلك رده إلى عسكره فمر داود عليه السلام فى الطريق بمحجر فناده يادادو احملنى فانى حجر هرون الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه فى مخلاته ، ثم مر بمحجر آخر فناده يادادو احملنى فانى حجر موسى عليه السلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فحملة فى مخلاته ، ثم مر بمحجر آخر فقال احملنى فانى حجر ك الذى تقتل به جالوت وقد خبأتى الله لك فوضعه فى مخلاته ، فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فأتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد فى نفسه زهوا فانصرف وعاد سرىما إلى الملك فقال من حوله . جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك ؟ فقال له داود إن الله تعالى إن لم ينصرنى فما يعنى هذا السلاح شيئا فدعنى أقاتل كما أريد ، فقال له طالوت أفضل ما تريد . فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ القلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقوام وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله فى الشدة والقوة وعظم الخلق ، فلما برز جالوت إلى داود ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الى ؟ قال نعم وكان جالوت راكبا على

فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر؟ قال نعم أنت أشتر من الكلب . قال لاجرم لأقسم لحكم بين سبع الأرض وطير السماء فقال داود باسم الله ويقسم الله لحكم بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال باسم إله إبراهيم ووضعه في مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال باسم الله إله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال باسم الله إله يعقوب ووضعه في مقلاعه . قال فصارت الأحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع وزمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا . ويقال إنه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت بأذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد إلا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حشا الخيوة من التراب فانهمزم الجيش وخر جالوت قتلا وأسرع داود عليه السلام إليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا إلى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين .

ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه إلى داود عليه السلام بعد قتل جالوت

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم، فجاء داود إلى طالوت وقال له: أنجز إلى ما وعدتني وأعطني امرأتى فقال له طالوت: أتريد ابنة الملك بنير صدق عجل صدق ابنتي وشأنك بها، فقال داود لطالوت: ما شرطت على صدقا وليس لي شيء فتحك في الصدق بما تريد وأفرض مهرها وعلى الأداء والوفاء لك به، فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا نطلبه وأنجزه ما وعدته، فلما رأى طالوت ميل بنو اسرائيل إلى داود أحسن ثناءه عليه وقال: لا حاجة لابنتي في المال ولا أكلفك مالا تطيق أنت راجل جرى وفي جبالنا أعداء من الشركين فانطلق فجاهدكم فإذا قتلتم منهم مائة رجل وجئتني برءوسهم زوجتك ابنتي، فأقام داود عليه السلام وجل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه في خيط حتى نظم رءوسهم ثم جاء بهم إلى طالوت وأقام بين يديه وقال له: ادفع إلى امرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه في ملكه فقال الناس إلى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فأراد قتله

قال وهب بن منبه: كانت الأنبياء وللوك يومئذ يتوكلون على العمى وضرزون في أطراف العمى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا في ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالحما بنته ليقته بها صبرا فلما أحس داود بذلك خاضع رميته وأمال نفسه من غير أن يرجح من مكاته فارتكزت العكازة في الجدار فقال له داود: أردت قتلي؟ قال له طالوت لا بل أردت أن أقف على نباتك عند الطعان وربط

جأشك للأقران ، فقال له داود عليه السلام أفلقته على ما قدرته في قال نعم ولكنك لعلك فزعت ؟ قال معاذ الله أن أخاف إلا الله ولا ألجأ إلا إليه ولا يدفع الشر إلا هو ثم إن داود أنزعها من الجدار وهزها هزة منكرة ، وقال له أثبت لي كاتب لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له : أنشدك بالله وبحرمة المصاهرة التي بيني وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتخدير ، فقال داود لطالوت : إن الله قد كتب في التوراة أجزاء السبعة عشرة مثلها واحدة والباقي أظلم ، قال طالوت : أفلا تقول قول هاتيل - لن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بأسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين - فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى ، فلبث طالوت زما تا يريد قتل داود عليه السلام فحزم على أن يأتيه ويقتله في داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال له ذوالعين فقالت لداود إنك لم تقول الليلة قال ومن يقتلني ؟ قال أبي قال وهل أجمت جرما ؟ قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك بأن أن تعيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لأن كان أراد ذلك لا أستطيع الخروج ولكن اتقني يرق من خمر فأثته به فوضه في مضجعه على السرير وسجاء ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده ، فقال لابنته أين بملك ؟ قالت هو نائم على السرير فضرب بالسيف فسال الحجر ، فلما وجد ربح الحجر قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئا فقال إن رجلا طلبت منه ما طلبت لخلق أن لا يدعى حتى يدرك ثأره مني ، ثم انه استتر بحجاب وحراسه وأغلق دونه الأبواب . قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجله وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج ، فلما استيقظ طالوت وجد السهام فرفها فقال : رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفرتي فكفت عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما أنا بالذي آمنه . فلما كانت الليلة القابلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب به وقطع شعرات من لحية وشيئا من هذب ثيابه ثم خرج وهرب ونوارى ، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سخط على داود العيون وشد في طلبه فلم يقدر عليه ، ثم إن طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم أقتل داود أنارا كب وهو ماش وكان داود إذا فر لم يدرك فركض طالوت في أثره واشتد داود في الجري فدخل ظرا فأوحى الله إلى المسكوت فנסجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت إلى النار ونظر إلى بناء المسكوت قال : لو كان ههنا لحرق بيت المسكوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من النار وانطلق إلى الجبل مع التبعدين فجعل يتعبد فيه فظعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود . فبذل طالوت لانيهاه أحد عن قتل داود لإتقنه فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على طام ويطبق قتله لإتقنه ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى امرأة تعلم الاسم الأعظم فأمره بخبازه بقتلها فرحمها

الحباز وقال : لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيسكى وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة إلا أخبرني بها قلما كثر عليهم بكاءه ناداه مناد من القبور ياطالوت أما ترضى أنك تقتلنا أحياء حتى تؤذيها أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الحباز وقال له مالك أيها الملك . فقال هل تعلم لى في الأرض عالما أسأله هل لى من توبة قتاله الحباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا ؟ قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه ، فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا إلا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام . قال لأصحابه اذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقبله وهل تركت ديكا يسمع صوته . وأنت هل تركت عالما في الأرض ، فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الحباز ذلك . قال أرايت ان ذلكك على عالم لعلك تقتله قال لا فهو حق منه الحباز بالآيمان فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، فقال له انطلق بنا اليها اسألها هل لى من توبة وكانت تعلم الاسم الأعظم وكان إيمانهم هذا الاسم أهل بيت لها فبيت رجالهم وعلمت نسأؤهم فلما بلغ طالوت الباب . قال له الحباز إنما ان رأيتك فرغت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الحباز . فقال ألسنت أعظم الناس عليك منة أمجيتك من القتل وأوتجتك عندي ؟ قالت بلى . قال لى اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فلما سمعت بذلك غضى عليها من الغرى فلما أفاقت . قال لها إنه لا يريد تلك ولكن يسألك هل من توبة ؟ قالت لا والله ما له من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام ؟ قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره ، فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادى : يا صاحب القبر ، فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفذ التراب عن رأسه ، فلما نظر الى الثلاثة للمرأة والحباز وللملك . فقال لهم أقامت القيامة ؟ قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة ؟ فقال له شمويل ما فعلت ياطالوت بندى ؟ قال لم أدع شيئا من الشر إلا فعلته ، وقد جئت أطلب التوبة . قال كم لك من ولد ؟ قال عشرة رجال قال ما أعلمك من توبة إلا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك بجاهد في سبيل الله ، ثم تقدم وولدك حتى يقتلوا بين يديك ، ثم انك تتأمل حتى تقتل آخرهم ، ثم يرجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزنا ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فسكى حتى ذهبت أشعار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده ، فقال لهم أرايتم لودفعت الى النار أكنتم تفقدوني قالوا نعم ؟ تفقدك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تضعلوا ما أقول لكم ، قالوا فاعرض علينا مقاتلك فذكر لهم القصة ، فقالوا وإنك لقتول بعدنا ؟ قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك فد طابت أنفسنا باللى سألت فتجهز بأولاده الى القزو وكانوا عشرة قاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم عد بعدهم قاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يشره بقوله له قد قتلت عدوك ، فقال داودا كنت باللى تحيا بيده فضرب عنقه .

مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها

قال الله تعالى - يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض - الآية ، قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما استشهد طالوت أتى بنو إسرائيل أي داود فأعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل - وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة - الآية

باب في ذكر نسبه

هو داود بن إيشا بن عوفيد بن يوعز بن سلون بن يغشون بن عمينوذ بن ريم بن جبرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين .

باب في ذكر صفته وحليته

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بإسناده عن سعيد بن السيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زرقه العينين يمن » وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب فيه .

باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل

والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك

فمنها أنه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسون سورة ، في خمسين منها ذكر ما يكون من مختصر وأهل بابل . وفي خمسين منها ذكر ما يلحقون من الروم من أهل ابرون . وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام . فذلك قوله تعالى - وآتيناه داود زبوراً - .

ومنها الصوت الطيب والنفحة الطيبة والذينة والترجيع والألحان ولم يسط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحناً بحيث يرق المحموم ويطيق للنسي عليه . وكان إذا قرأ الزبور برز إلى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ بأعناقها وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت للزماير والبرابط والصنوج الا على صوته . وذلك أن إبليس لعنه الله حسده واشتد عليه . فقال لغفاريته ألا ترون ما بدأكم ؟ فقالوا له سرنا بما فعلت . فقال انه لا يصرف الناس عن داود إلا ما يصاده ويحاده في مثل حاله فهتوا للزماير واليدين والأوتار واللامح على أجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا إليها فاعتروا بها ، وقال ابن داود عليه السلام كان إذا قرأ الزبور بعدما قارف الذنب لا يقف له الماء . ولا تصفه له الوحوش ولا الطيور كما كانت

قبلها وسمعت نعمته ، فقال إلهي ما هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة العصية
بداود إن الخطيئة هي التي غيرت صوتك وحالك . فقال إلهي أوليس قد غفرتها لي ؟ قال بلى ، ولكن
لم ترضت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا .

أخبرنا أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه . قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم . « قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوايه أن تخرج
فكان يقرأ القرآن قبل أن تخرج دابته وكان لا يأكل إلا من عمل يده . قال الأستاذ الامام
أراد بالقرآن الزبور .

والاستناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الأشعري قال . قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم « لقد أعطيت زممارا من زمامر آل داود . فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك
تسمع لحبرته لك تحيرا » .

وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو العباس بالاستناد عن البراء بن عازب قال « سمع النبي ﷺ صوت
أبي موسى ، فقال كأن صوت هذا من صوت آل داود » .

ومنها تسخير الجبال والطير له يسبحن معه إذا سبح كما قال تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلا
يا جبال أوّني معه والطير وألنا له الحديد - وقوله تعالى - إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق - ويقال إن داود عليه السلام كان إذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه
بالتسبيح نحو ما يسبح ، ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبد أحد
بعثها ، فصعد الجبل فلما كان جوف الليل داخلته وحشة ، فأوحى الله تعالى إلى الجبال أن
آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل ، فقال داود في نفسه كيف يسمع
صوتي مع هذه الأصوات ، فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بضده حتى انتهى به إلى البحر
فوكزه برجه فاعرج له البحر فاتته به إلى الأرض فوكزها برجه فاعجرت له الأرض فاتته به
إلى الحوت فوكزه برجه فاتته به إلى الصخرة فوكز الصخرة برجه فاطلقت فخرج منها دودة تنفس ،
فقال له جبريل إن ربك يسمع نشيئ هذه الدودة في هذا للوضع . قوله تعالى - يسبحن بالمشي
والاشراق - قال المفسرون من صلاة الضحى وصلاة الأوّابين بين المشاءين . قال ابن عباس ، وكان
داود يفهم تسبيح الحجر والشجر واللدن .

ومنها أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب بالحكمة هي الإصاغة في الأمور ، وأما
فصل الخطاب فاختلقوا فيه ، فقال ابن عباس يان الكلام وقال ابن مسعود والحسن اللقي علم الحكم
والنظر في القضاء كان لا يتمتع في القضاء بين الناس . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو اليقنة ،
علي من آدمي والعين علي من أنكر .

أخبرنا أبو عبد الله . قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطى داود عليه السلام . ما أخبرنا أبو خنيس عن الأعمش عن أبي صالح عن كعب الأحبار في قوله وفصل الخطاب قال اليهود والأيمان . عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطى داود أما بعد . قال الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها .

ومنها السلسلة التي أعطاه الله تعالى له ليعرف الحق من البطل في المحاكمة إليه . وهو ما روى الضحاك عن ابن عباس قال إن الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالجرة والقلك ورأسها عند عراب داود عليه السلام حيث يتحكم الناس إليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار ، وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر ومندسة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حاصل إلا صلصت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ، ولا يمسه ذو عاهة إلا برا ، وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحكمون إليها فمن اعتدى على صاحبه وأنكر ماله من حق آتت السلسلة فمن كان صادقاً محمداً مد يده إلى السلسلة فينالها ومن كان كاذباً ظالماً لم يزلها فكانت فيهم إلى أن ظهر فيهم السكر والحديعة .

قال بلنا أن بعض ملوكهم أودع رجلاً جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتعاجل إلى السلسلة ففعل الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تتال السلسلة فعمد إلى عكازة له ففقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة إن لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده ، ثم قيل للسكر قم أنت أيضاً فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت إليه فمقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وضكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اشتبه عليه الأمر بين الخصمين اللذين يتعاجلان إليه يقول : ما أحوجكم إلى سلسلة بني إسرائيل كانت تأخذ بنقي الظالم فتجره إلى الحق جراً .

ومنها القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى - واذكر عبدنا داود ذا الأيد - يعنى القوة في العبادة فإنه أواب أى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوماً ويصوم يوماً يصوم النهار ويقوم الليل وما مرت به ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الأيام إلا وفيه منهم صائم .

ومنها قوة الملكة كما قال الله تعالى - وشددنا ملكه - أى قوينا له وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالثنيديد .

وقال ابن عباس : كان أشد ملوك الأرض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل . وقال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلا من بني إسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام . فقال للتعدي إن هذا قد غصبنى بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجدد وسأل الآخر البيعة فلم يكن له بيعة . فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى إليه في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى . فقال هذه رؤيا وليست أجعل حتى أتبين فأوحى الله تعالى إليه مرة أخرى أن يقتله . فقال هذه رؤيا . فأوحى الله تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله . فأرسل داود إلى الرجل فقال له إن الله تعالى قد أوحى إلي أن أقتلك . فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بيعة . فقال داود نعم والله لأقتلنك أمر الله بك . فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك أني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت ولد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل . فاشتدت هبة بني إسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى - وشددنا ملكه - ، ويقال كان داود إذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الأنبياء ، وعلى يساره ألف رجل من الأجناد .

ومنها شدة البطش فيروى أنه ما فر ولا انحاز من عدو له قط . ومنها إلانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الأخبار أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متكررا فإذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم إليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليك هذا أي الرجل هو فيثني عليه ويقول خير فيينا هو كذلك يوما من الأيام إذ قبض الله له ملكا في صورة الأدميين فلما رآه تقدم إليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله ؟ قال إن داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فألان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد وهو علمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى - وعلمناه صنعة لبوس لكم - وقوله تعالى - وألنا له الحديد أن يعمل سبائك - أي دروها كواحد وساعات - وقدر في السرد - أي لا تجعل للسماير دقاقا فتعلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتد من ذلك مالا .

وروى أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدبر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فلم لقمان ما يراد به فقال : الصمت حكمة وقليل فاعله .

باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك

قال الله تعالى - وهل أتاك نبأ الحصم إذ تسوّروا المهراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم -
الآيات .

اختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة . فقال قوم : كان سبب ذلك أنه نعى يوما من الأيام على ربه تعالى منزلة آتائه إبراهيم وإسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم فروى السدى والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوما يقضى فيه بين الناس ، ويوما يغلو فيه بنفسائه ، ويوما لعبادة ربه وقراءة الكتب ، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يا رب أرى الخير قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى فأوحى الله تعالى إليهم أنهم ابتلوا بلأى لم يبتل بها أحد فصبروا عليها ، ابتلى إبراهيم عليه السلام بنار الخروذ وبذبح ولده ، وابتلى اسحق بالذبح ، وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وإنك لم تبتل بشيء من ذلك ، فقال داود عليه السلام يا رب فابتلى كما ابتليتهم وأعطيتهم فأوحى الله تعالى إليه إنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر . فلما كان في اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصل ويقرأ الزبور ، فيبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها .

وفي بعض الروايات ليدفعها إلى ابن له صغير ، فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تؤسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتحت فجعها فطاقت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطار من الكوة فنظر داود أين تقع فيمتد إليها من يصيدها فنظر إلى امرأة في بستان على شط بركة فتتسل هذا قول الكلبي . وقال السدى رآها فتتسل على سطح لما قرأها امرأة من أحسن النساء خلقا فحبب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصر ثل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كلها فزاد بذلك إعجابا بها فسأل عنها فقيل له هي سابع بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن سوريا بن أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته أيوب صاحب بئر بقاء أن ابش أوريا إلى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان القدم على التابوت لا يحل له أن يرجع إلى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه داود أيضا أن ابش إلى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثانية ، فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام .

وقال آخرون . إنما سبب امتحانه أن هسه حدثته أنه يطيق قطع يوم بغير مفارقة سيئة

وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء يوماً للنساء ويوماً لعبادة ربه ويوماً لقضاء حوائج المسلمين ويوماً لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يسألهم ويسألونه . فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا : فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنباً فأضمر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكس على التوراة فينظرها فإذا هو بمحاضرة من ذهب فيها كل شيء حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها فطارت فوقه غير بعيد من غير أن تؤسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الأرض جلث جسدها بشعرها فزاده ذلك إعجاباً بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكذب اليه أن سر إلى مكان كذا وكذا مكاناً إذا وصل اليه قتل ولم يرجع فقص فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد إن داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين ملك والله لأعدنكم فيكم ولم يستن فابتنى .

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل في الأرض أحد يعمل عملي فأثام جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول : أعجبت بعبادتك والعجب يا كل العبادة فان أعجبت ثانياً وكلتك إلى نفسك فقال داود يارب كلني إلى مني سنة فقال انها لكثير قال فسرنا قال فانه لكثير قال فأسبوعاً فقال انه لكثير قال فيوماً قال انه لكثير قال فساعة قال فثأرك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل الحراب ووضع الزبور بين يديه فينظره في نسكه وعبادته إذا وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بالمرأة أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله تعالى ملكين في سورة رجلين فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادة فنهماه الحراس أن يدخل عليه فتسورا الحراب وهو يصلي فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى - وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم - حين هجا عليه في محرابه بغير إذنه - قالوا لا تخف خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط - أي ولا تجر ولا تفرط - واهدنا إلى سواء الصراط - ارشدنا إلى وسط الطريق للستقيم - ان هذا أخى له تسعون نعمة ولى نعمة واحدة - وهذا من أحسن التمرض حيث كفى بالناس عن النساء والعرب فعل ذلك كثيراً تورى عن النساء وتكنى عنها بألقاب كالطبلاء والنماج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال أ كفلنيها وعزني في الخطاب قال الضحاك أعطينها وتحول لي عنها وأجلها كفى أي نصيب وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أقصم مني وان حارب كان أبطش مني قال داود - لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه - .

قال السدي بإسناده : ان أحدهما لما قال ان هذا أخى له تسعون نعمة قال داود للآخر

ما تقول قال ان لى تسع وتسعين نعمة وله نعمة واحدة فأريد أن آخذها منه وأكل ناعجى مائة قال وهو كاره قال نم ؟ قال إذا لاندعك وإن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعنى طرف الألف وأصل الجملة فقال الرجل يادود أنت أحق بضرب هذا منى حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأورياء الامرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية ، الا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر . قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى - وظن داود أنما قتله - أى ابتليناه . وقال سعيد بن جبير : إنما كانت فتنة داود بالنظر .

قال الأستاذ رحمه الله تعالى ولم يعتمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر إليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وعليك الأخيرة » فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير فى قصة داود عليه السلام .

وقد روى الجارث الأعور عن حلى بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحتة جلده حتى يلقى لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتجب يعنى ما اكتسب من الوزر والاثم يرمى من قدر رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجاهدين .

وقال القائلون بتزيه المرسلين : فى هذه القصة أن لا ذنب إنما كان بمنى أن تكون له امرأة أورياء حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أورياء قدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع به كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده . ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله . وقال بعضهم : كان ذنب داود أن أورياء كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها . فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلاله ، فاعتم لذلك أورياء غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لحالها الأول ، وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه » ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين القدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه الملقب بالفارى عن زكريا عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بنى إسرائيل بشا وأوصى صاحب البقاء اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقتضا عليه قصته فظن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكى حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الأرض جبينه وهو يقول فى سجوده زلدا ودزلة هى أبعد مما بين الشرق والغرب رب ان لم ترحم ضعفت داود وتغفر له ذنبه جعلت

ذنبه حديثا في الخلائق من بعده ، فبجاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهمة التي همت به ، فقال داود قد علمت ان الله قادر على أن يغفر الهمة التي همت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بخلان يعني أورياء إذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دعي الذي عند داود قال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لأفعلن قال نعم ؟ فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل ، فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه ، فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكم يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول انك في الجنة ماشئت وما اشتيت عوضا عن دمك .

أخبرنا ابن قحويه بأشجاه عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه ، قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه للسكان وقضى على نفسه تحولا في صورتها فرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما قننه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا الحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو نادى ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلائق بما يشاء ، سبحان خالق النور ، سبحان الحائل بين القلوب إلهي خلت بيني وبين عدوي إبليس فلم أثنه لفتته إذ زل بي قدمي ، سبحان خالق النور إلهي تبكي الشكوى على ولدتها إذا فقدته ويبكي داود على خطيئته ، سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب دونه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني . سبحان خالق النور إلهي لما تعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور إلهي أمتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك . سبحان خالق النور إلهي خلقتني وفي سابق علك كان ما أنا سائر إليه . سبحان خالق النور إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء . سبحان خالق النور إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة ، وإنا نل نظر الظالمون من طرف حق . سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم نزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب ، سبحان خالق النور إلهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتونسني فتركتني والخطيئة لازمة لي . سبحان خالق النور إلهي أمطرت السماء ولم تعطر حولي وأعشبت الأرض ولم تعشب حولي بخطيئتي . سبحان خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك . سبحان خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق صوت وعدك فكيف أطيق صوت جهنم . سبحان خالق النور إلهي كنت تستر الخاطئين بغطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا . سبحان خالق النور إلهي رقي القلب وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدي . سبحان خالق النور إلهي الطير تسبح لك وأنا الصبيد الخاطيء الضعيف الذي لم أراع وصيتك ، سبحان خالق النور إلهي الويل لنا ومن الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم له بذلك . سبحان خالق النور إلهي أنا المستغيث وأنت التيث فمن يدعو للمستغيث إلا للتيث . سبحان خالق النور إلهي أسألك بأبي إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب أن تعطيني سؤلي ، سبحان خالق النور اللهم رحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تبعاعدني من رحمتك

لهواني فانك أرحم الراحمين . سبحان خالق النور إلهي أني أعوذ بك من دعوة لاستجاب وصلاة
لاقبل وذنب لاينفر وعذاب لايفتر ، سبحان خالق النور إلهي أني أعوذ بك وبنور وجهك الكريم
من ذنوبي التي أوقعتني ، سبحان خالق النور إلهي فررت اليك من ذنوبي واعترفت بخطيئي فلا تجعلني
من القاطنين ولا تخزني يوم يبعثون . سبحان خالق النور إلهي فرغ الحين وفرغت الدموع وتناثر
الدود من ركبتي وخطيتي أزملي من جلدي . سبحان خالق النور . قالوا فاتاه النداء أجابك أنت فتعلم
أو ظلم أن أنت فتسقي أو مظلوم أنت فتعصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء ، فصاح صيحة فهاج منها ماحوله
ثم نادى يارب الله الذي أصبته فتودى يادادود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه
السلام فرفعه . قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداء أني قد غفرت لك فقال يارب كيف
وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه ندائك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه
السلام حتى أتى قبره وقلبس للسوح فجلس عند قبره ثم ناداه يا أوريا فقال ليك من هذا الذي تطلع
عليّ لذي وأيقظني . قال أنا داود قال لعجابه بك يا بني الله قال لجئت آخلك مما كان مني اليك . قال وما كان
منك اليّ قال عرضتك للقتل قال تعرضتني للجنة وأنت في حلّ ، فأوحى الله تعالى الي داود عليه السلام
ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق ألا أعلمته أنك تزوجت امرأته ، قال فانطلق داود اليه فناداه
يا أوريا فأجابه فقال من هذا الذي قطع عليّ لذي ؟ قال أنا داود . قال يا بني الله ما حاجتك أليس قد
غفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لمساكن امرأتك وأنى قد تزوجتها . قال فسكت أوريا
ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لسبحان خالق
النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا
نصبت الموازين القسط ليوم القيامة . سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ
برقبته ثم يدفع الى المظلم . سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على
وجهه مع الحائطين الى النار . سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقر به الزبانية
مع الظالمين الى النار . سبحان خالق النور قال فاتاه النداء من السماء يادادود قد غفرت لك ذنبك
ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعائك وأقبلت عثرتك . قال يارب كيف لي أن تعفو عني
وساحبي لم يصف عني قال يادادود وان يصف أول يصف فأنا أعطيه يوم القيامة ما لم ترعناه ولم تسمع أذناه
فأقول له قد رضيت عبيد فيقول يارب من أين هذا ولم يملنه عملي ؟ فأقول هذا عوض من أجل
عبيد داود فأستوهبك منه فيهلك لي ، فقال داود يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك
قوله عز وجل - فاستغفره وخر راكعا وأتاب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب -
وروى أبو ميسرة عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قال في قوله تعالى - وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب -
ان أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام .

أخبرنا أبو الحسن بن محمد حدثنا عليّ أخبرنا بكر بن أحمد بن مخل أخبرنا عمر بن محمد الشري

قال النصر الكمي قال حدثنا أبو سعيد عبدالله المزني قال حدثنا محمد بن الشكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إنني رأيت البية في منامي كأن تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة من ، فلما بلغت الشجرة إلى الهبة سجدت فسمعتها تقول في سجودها : اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وجعلها مني كما جعلتها من عبدك داود عليه السلام ، فقال له رسول الله ﷺ : أفسجدت أنت يا أبا سعيد ؟ قال قلت لا يا رسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ، ثم قرأ رسول الله ﷺ حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة .

قال وهب بن منبه : إن داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دعة ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فبذل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسبح في القياي والجبال والقفار والسواحل ويوما يغلو في داره وفيها أربعة آلاف محراب ، فيجتمع إليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك ، فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى القياي فيرفع صوته كالزماير ويكي فيكي معه للشجر واللدبر والطيور والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الأنهار ، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته كالزماير فيكي ويكي معه الجبال والحجارة والدواب والطيور حتى تسيل الأودية من بكائهم ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته كالزماير فيكي ويكي معه الحيتان ودواب البحر والطيور والماء والسباع فإذا أسودج ، فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى ناديا أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من ساعده . قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيسقط له ثلاث فرسخ من مسوح حشوها القيف ليجلس عليها ونجى الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم للسوح وفي أيديهم الصلي ، ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه أصواتهم ، فلا يزال يكي حتى يرضى القرش من دموعه ويقع داود فيها مثل القرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلوقد بكاء داود ودموعه يكاء أهل الأرض ودموعهم لعلها .

أخبرنا ابن فضال عن عثمان بن أبي عاتكة أنه قال : كان من دعاء داود عليه السلام سبحانه إلى إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض برحها وإذا ذكرت رحمتك ارتفعت إلى روعي ، إلى أتيت أطباء عبادك ليداووني فكلمهم عليك دلوني ، وقال صلى الله عليه وسلم « خذ القمع فيوجه داود مثل خذ الماء في الأرض » أخبرنا ابن فضال عن عثمان بن عبد الله القرشي قال لما أصاب داود الخطيئة فرغ إلى العبادة فأتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي ينادي ؟ قال أنا داود نبي الله . قال صاحب القصور الحسنة الحسنة والحيول السومة والنساء واليهوات لأن قلت الجنة بهذا لأنت أنت . قال

داود فمن أنت ؟ قال أنا راهب راغب منزو مترقب . قال فمن أنيسك ومن جليتك ؟ قال اصعد تراه ان كنت تريد ذلك . قال فتخلل دواود الجبل وورق إلى القلة فاذا هو بميت مسجي ، فقال له ههنا أنيسك هذا جليتك ؟ قال نعم قال وما هذا ؟ قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه ققرأ دواود الكتاب فاذا فيه أنا فلان بن فلان ملك لللوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة واقتضت ألف بكر ، فبينما أنا في ملكي إذ أتاني ملك الموت فأخذني وأخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيرانى . قال فخر دواود عليه السلام مغشيا عليه .

وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به الا الحياء والخوف من الله تعالى »

قال وهب بن منبه : لما تاب الله على داود كان يبدأ إذا دعا فيستغفر للخطائين قبل نفسه فيقول : اللهم اغفر للخطائين فساك أن تغفر لدواود معهم .

وعن قتادة عن الحسن قال : كان داود بعد الخطيئة لا يجلس الا للخطائين ثم يقول تعالوا إلى داود الخطيئة ولا يشرب شرابا الا هو بمزوج بدموع عينيه ، وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصته ولا يزال يبكي حتى يتبل بدموعه وكان يذر عليه الملح والزباد فيأكل ويقول هذا أكل الخطائين . قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل وصوم نصف الدهر ، فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله .

وقال وهب : ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب أغفرت لى ؟ قال نعم . قال فكيف لى أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها لى وللخطائين إلى يوم القيامة . قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فصارف بها طعاما ولا شرابا الا يبكي إذا رآها وما قام خطيئا في الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليرؤا وسم الخطيئة .

وأخبرنا عبد الله بن حامد عن ثابت قال : كان دواود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تعالى تخلمت أوصاله ولا يشدها الا الأنين فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت .

وعن أبي عبد الله البجلي قال : ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه إلى السماء قط حتى مات ، وصلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

باب في ذكر خروج ابن داود طى إليه وما كان من أمرها

قال وهب وغيره من أهل الكتب : ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان ، فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الرىغ من بنى اسرائيل وذهبوا إلى ابن لدواود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل خطيئته وتوبته وضاعت

حقوق الناس وضعف أمر الملك ، فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن إلى نفسه ، فلما رأى ذلك دواود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال ، فأبشار قومه على ابنه أن يقتل أباه ، فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بأبن قتل أباه ؟ فقال له الابن وهل سمعت أنت بنى أذنب فلم تقبل توبته ؟ فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تبأشره أنت فانه لا يحمل في الآخرة حدوده منك ، فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين ، فلما تاب الله على داود ضارت الناس تأتية فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوفى حقه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فربض بها وكان الغلام ذاجمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله محالفا لأمر داود عليه السلام ، فحزن عليه داود حزنا شديدا وتكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقات العدو ففكر داود أن يقتله فتركه لأجل مجاهدة العدو ، فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه ، وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي إلى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع إلى قومه سنتين .

باب في قصة أصحاب السبت

قال الله تعالى - واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت - الآية . قال ابن عباس وذهب بن منبه : ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت ، وأمرهم أن يفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام ، فكان إذا خلا يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك ويخرجون من الماء خراطيمهم حتى لا يرى الماء من كثرتهم ، حتى إذا مضى السبت تفرقوا ووزن مقر البحر لا يرى منهم إلا القليل ، فذلك قوله تعالى - إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يستتون لأنهم كذلك نبؤهم - الآية .

سمعت أبا القاسم . قال سمعت أبي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجدد في كتاب الله الحلال لا يأثمك الا قوتا والحرام يأثمك جزا . قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل أيلة إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يستتون لأنهم ، قال فعدد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتمسحوا تلك الأنهار فيقبل اللوح بالحيتان إلى الحياض فلا تطبق الخروج منها لئلا يبعد همقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها ، وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشحوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ، قال وكانت الحيتان تأتيتهم

يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد ، فأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه إلى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء إلى يوم الأحد فأخذه فتشواه فوجد جارا له ربح الحوت فقال له يا فلان اني أجد في بيتك ربح الحوت فأنتكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني أرى الله سيعذبك ، فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبت الآخر جوتين ، فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقتل قلوبهم ونجسوا وطغروا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لأنهم قتلوا أنبياءهم ، فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحو من سبعين ألفا ثلاثة أصناف . صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه ، وصنف انتهوا الحرمة ، فكان الذين نهوا اثني عشر ألفا ، فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والمسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بمجدار ومكوا على ذلك سنين ، فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على العصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد ، فلما أبطلوا تسوروا عليهم الحائط فلما هم جميعهم قد مسخوا قرعة فذلك قوله تعالى - فلما نسوا ما ذكروا به آتيناهم الذين يهون عن السوء وآخذنا الذين ظلموا بضاب يثيب - أي شديد - بما كانوا يفسقون فلما اجتوا عما نهوا عنه قلنا لم كونوا قرعة خلستين - أي صاغرين نظيره قوله تعالى - لمن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود - يعني عصاة أهل آية - وعيسى ابن مريم - يعني كفار أصحاب السائدة - ذلك مما عصوا وكانوا يستنون - قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القرعة أنسابهم من الانس ولم تعرف الانس أنسابهم من القرعة فجعل القرد يأتي نسيه من الانس فيشم ثيابه ويكي ، فيقول له الرجل ألم تهكم فيقول القرد برأيه نعم . قال فتاة صارت الشاب قرعة والشيوخ خزائر فلما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ، ثم خرج المسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متعبرين ومسكوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ، ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا قد نفثهم في البحر ، فلما كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى إلى صورهم البشرية فدخلهم النار .

وروى أبو نصر عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بضاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قرعة ، ألم تسمع قول الله تعالى - ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى - الآية .

باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث

قال الله تعالى - وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غم القوم وحسنا
لحكمهم شاهدين

قال ابن عباس وقتادة : كان الحرث زرعاً ، وقال ابن مسعود وشريح : كان الحرث كرماً قد
تدلت عنايقده إذ نفشت فيه غم القوم رعته لئلا فأسدته ، والنفس بالليل والحمل بالتهار وما
جاء الرعي بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شيء . قال ابن عباس وقتادة :
إن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث ، فقال صاحب الزرع إن هذا
أفطنت غنمه لئلا تفوت في حرثي فلم يبق منه شيئاً . قال له داود اذهب فإن الغنم لك فأعطاه
رقاب الغنم بالحرث ، فمرا على سليمان فقال لهما ، كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو وليت
أمراً لتقضيت بغير هذا فأخبراً بذلك داود فدعاه فقال : له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما ؟ قال
كنت أدفع الغنم إلى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويذير صاحب الغنم
لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيته يوم أكل فيدفع إلى أهله
ويأخذ صاحب الغنم غنمه .

وقال ابن مسعود وشريح : إن راعياً نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الأغنام الكرم وهو
لا يشعر فأكلت القضايا وأفسدت الكرم ، فسار صاحب الكرم من الندى إلى داود فقضى بالأغنام
لصاحب الكرم لأنه لم يكن بين ثمن الأغنام وثمر الكرم تفاوت . قال فمرا بسليمان وهو ابن
إحدى عشرة سنة ، فقال لهما ما قضى بينكما داود فقضا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق
بالفرقين فعادا إلى داود فأخبراه بذلك : فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والآبوة إلا ما أخبرتني
بالي هو أرفق بالفرقين ، فقال سليمان تسلم الأغنام إلى صاحب الكرم ليتنفع بنسلها وصوفها
ومنافعها ويسلم الراعي في إصلاح الكرم إلى أن يموت كهيته ثم يتسلمه صاحبه وترد الأغنام إلى
صاحبها ، فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى - ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكمنا وعلمنا - قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم ينف الله داود في حكمه . قال الأستاذ
وهنا يدل على أن كل مجتهد مضيب .

باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الحاتم

قال أبو هريرة رضي الله عنه : أنزل الله تعالى كتاباً من السماء على داود عليه السلام غشوماً
بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة . فأوحى الله تعالى إليه أن سل عنها ابنك سليمان فإن هو
أخرجها فهو الخليفة من بعدك . قال فدعا داود عليه السلام سبعين قيساً وسبعين حبراً وأجلس
سليمان بين أيديهم وقال : يا بني إن الله تعالى أنزل على كتاباً من السماء فيه مسائل ، وأمرني أن
(١٧ - قصص الأنبياء)

أسألك عنها فإن أخرجتها فأنت الخليفة من بعدى ، قال ، سليمان : ليسأل نبي الله عما بداله وماتوفيقى لإبائه . قال داود يابنى ما أقرب الأشياء وما أبعدا ؟ وما آسى الأشياء وما أوحشا ؟ وما أحسن الأشياء وما أقبحا ؟ وما أقل الأشياء وما أكثرها ؟ وما القامعان وما الساعيان ؟ وما للشركان وما للتباغضان ؟ وما الأمر الذى إذا ركبته الرجل حمد آخره ؟ وما الأمر الذى إذا ركبته الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام : أما أقرب الأشياء فالأخرة ، وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا ، وأما آسى الأشياء فجد فيه روح ، وأما أوحش الأشياء فجد لاروح فيه ، وأما أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر ، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان ، وأما أقل الأشياء فاليقين ، وأما أكثر الأشياء فالشك ، وأما القامعان فالسما والأرض ، وأما الساعيان فالشمس والقمر ، وأما للشركان فالليل والنهار ، وأما للتباغضان فال موت والحياة ، وأما الأمر الذى إذا ركبته الرجل حمد آخره فالعلم عند الغضب ، وأما الأمر الذى إذا ركبته الرجل ذم آخره فالخدة عند الغضب . قال ففسكوا الخاتم فإذا جواب للسائل سواء على ما نزل من السماء ، فقال القسيسون والرهبان لانرضى حتى نسأله عن مسألة فإن أخرجها فهو الخليفة من بعدك ، قال سليمان عليه السلام : سلونى وماتوفيقى لإبائه ، فقالوا له ما التبيء الذى إذا صلح صلح كل شيء من الإنسان وإذا فسد فسد كل شيء من الإنسان ؟ قال هو القلب ، فقام داود فصعد للنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إن الله تعالى أمرنى أن أستخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفيما من هو أفضل منه وأعلم ، فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤسائه أسباط بنى اسرائيل وقال لهم . إنه قد بلغنى مقالتكم فأرونى عصيكم فأى عصا أثمرت فإن صاحبها ولى هذا الأمر بعدى ، قالوا قد رضينا فجاءوا بصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ، ثم جاء سليمان بصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسد بالأقفال وحرسه رموس أسباط بنى اسرائيل ، فلما أصبح صلى بهم الصلاة ثم أقبل ففتح الباب فأخرج عصيهم كما هى وأما عصا سليمان فقد أورت وآثمرت : قالوا فسلموا الأمر فى ذلك لداود عليه السلام ، فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به فى بنى اسرائيل فقال إن هذا خلقتى عليكم من بعدى .

قال وهب بن منبه لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال : يابنى إياك والمهزل فإن قومه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان وإياك والغضب فإن الغضب يستخف صاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء وإياك وكثرة الغيرة على أهلِكَ من غير شيء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برآء أقطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو التنى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وإياك وما يستند منه من القول والقمل وعود نفسك ولسانك الصديق والزم الاحسان فإن استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء

ولا ترد على عالم ولا تمساره في الدين وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شيء .

قالوا ثم إن سليمان بعد أن استخلف أخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ، ثم أن امرأته قالت له ذات يوم بأني أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلا أنك في مؤنة أني ، فلو دخلت السوق فعرضت لرزق الله لرجوت أن لا يخيبك الله ، فقال سليمان : إني ما عملت عملا قط ولا أحسنه ، ثم إنه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء ، فرجع فأخبرها فقالت غدا يكون إن شاء الله ، فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصياد ، فقال له : هل لك أن أعينك وتعطيني شيئا قال نعم . قال فأعانه فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين فأخذها وحمد الله تعالى ، ثم إنه شق بطن إحدى إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها ، فأخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وجاء بهما إلى منزله ففرحت امرأته بذلك ، فأخرج الخاتم ولبسه في اصبعه فمكنت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ، ثم لم يلبث أبوه أن مات فلما مات حمل للراة وأبأها إلى إسطنخر والله اعلم .

باب في ذكر وفاة داود عليه السلام

قال الشيخ أبو يزيد : سمعت الشيخ أبا عمرو القاراني يروي أن داود عليه السلام كانت له وصيفة تطلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تمام وقبل داود على ورده في العبادة ، فأغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام ، فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فإن صاحبها رجل غيور فخذ حذرك ، فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذنهم . قال فلما سمع داود ذلك وكان في الهرب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فأتاه ، فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ؟ فقال له أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن ، فقال له إذا فأنت ملك للموت قال نعم قال أفضحت داعيا أم ناعيا ، فقال بل ناعيا ، فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت إلي قبل ذلك وأذنتي لأستعد للموت ، فقال كم أرسلت إليك فلم تنسبه . قال ومن كانت رسلك التي أرسلت إلي ؟ فقال يادواود أين أبوك إيشا وأين أمك أين أخوك وأين جارك أين قهارمك أين فلان وفلان ، فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت أنهم رسل إليك وأن التوبة بملكك .

قال الأستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال الرء ينمي أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول للموت دونه ، وقد نظمه بعض الشعراء فقال .

وإذا حملت إلى القبور جنازة - فاعلم بأنك بعدها محمول

وإذا وليت أمور قوم مدة فاعلم بانك عنهم معزول
وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقد
مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام .

مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به

قال الله تعالى - وورث سليمان داود - يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان
لداود عليه السلام تسعة عشر ابناً .

وقال مقاتل : كان سليمان عليه السلام أعظم ملكاً من أبيه داود وأقضى منه ، وكان داود عليه
السلام أشد تعبداً من ابنه سليمان ، وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة
وكان ملكه ما بين الشام إلى إسطنخر وقيل أنه ملك الأرض كلها .

وروى مجاهد عن ابن عباس . قال ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان
عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالعمروذ بن كنعان وبختنصر .

باب في صفة حليته عليه السلام

قال وهب بن منبه وكعب الأجبّار : كان سليمان أبيض جسيماً وضيقاً جميلاً كثير الشعر يلبس
من الثياب البيض وكان خائفاً متواضعاً يخالط الساكين ويخالسهم ويقول مسكين جالس مسكيناً
وكان أبوه في أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على
نبينا وعليه وسلم .

باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه

من أنواع المناقب واللواهب وغير ذلك

قال الله تعالى - ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
للمؤمنين - وقال الله تعالى إخباراً عنه - رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي
إنك أنت الوهاب - ، فأجاب الله دعاه وأكرمه بمصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه قبله ولا بعده
فنهى تسخير الله له الريح كما قال عز وجل - فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب - أي
أراد بركة حمير .

قال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب الأخبار : كان سليمان عليه السلام رجلاً غزاه لا يكاد
يخمد عن التزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا آتاه حتى يذله ويقهره وكان إذا أراد
التزو أمر بمسكركه فيضرب له خشب ثم ينصبه له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والحيوانات

وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الحشب فحملتها حتى إذا أقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث أراد كما قال تعالى - ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر - وقال ابن اسحق ذكر لي أن رجلا نزل منزلا من ناحية البجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض أصحاب سليمان إما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيها وجدناه غدونا من إسطرخر قتلناه ونحن راعون ان شاء الله تعالى فباتون الشام . قال وكان فيما بلغني تمر بمعسكر الريح الرخاء تهوى به الى حيث أراد وإنها تمر بالزرعة فلا تحركها ، وأخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه بأسناده عن وهب بن منبه عن أبيه . قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بهرات فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى آتى الحراث وقال له اني سمعت قولك وأما زلت اليك ثلاثين مالا تقدر عليه ، ان تسيحبة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود ، فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي .

وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسغا في فرسخ ذهبا في ابرسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاث آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والفضة على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلم الطير بأجنحتها ثلاثين عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الراح ومسيرة شهر من الراح الى الصباح .

أخبرنا ابن فتحويه بأسناده عن محمد بن كعب القرظي . قال : بلغني أن عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور ، وكان له ألف بيت من القوارير على الحشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به ، فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والأرض اني قد زدت في ملكك أنه لا يشكم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح به اليك فأخبرتك به .

ومنها تعليم الله كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى - يا أيها الناس علمنا منطق الطير - الآية . قال ابن فتحويه بأسناده عن كعب الأخبار قال : صاح ورشان عند سليمان فقال أتندرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاخنة عند سليمان فقال أتندرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتندرون ما يقول ؟ قالوا لا قال انه يقول كما تدب تدان وصاح همد فقال أتندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله قال وصاح الطيطوى فقال أتندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جدي بهال قال وصاح خطاف فقال أتندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا نجهدوه

فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحى الذى لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا قال فانه يلحن العشارين والجداة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطا تقول من سكنت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازى يقول سبحان ربى الأعلى وبعمده والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والصفور يقول سبحان للذكور بكل مكان .

وأخبرنا ابن ميمون بإسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وإسناده عن صالح الروى عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلون » .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن على عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك اللوت واذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضى آل محمد واذا صاح الحطاف قرأ الحمد لله رب العالمين وبعد الصالحين كما يمدحها القارى .

وقال فرقد السنجى مر سليمان يلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويمل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال انه يقول أكلت نصف ثمرة فلى الدنيا العفاء .

وأخبرنا أبو عبد الله بن حامد بإسناده عن ابن مسعود عن أبيه . قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة فررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخها ؟ قلنا نحن فقال ردوها الى موضعها .

وروى أن قبرة باضت فى طريق سليمان عليه السلام فقال الله لى أننى لم أنهك أن تبغضى فى طريق سليمان الملك لو ركب الينا لحطم بيضنا ، فقالت الأنثى ويحك ان نبى الله أرحم بنا من ذلك ، فسمع سليمان قولهما فبث اليهما جنبا حين أراد أن يركب وقال اجلسا بيضهما تحت رجليك وإياك أن تبغضى بشئ فلما مر سليمان فى موكبهما قالت الأنثى لم أقل لك ان نبى الله أرحم بنا من ذلك ، فقال الله لى أننى عندى للملك هدية قالت وما عندك ؟ قال عندى جراحة ادخرتها لولدى فقالت الأنثى عندى ثمرة ادخرتها لولدى . قال فأخذنا الثمرة والجراحة ثم طارا حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره فى مجلسه فوضعاها بين يديه وسجدا له ففقا لهما ومسح بيده على رؤوسهما ، فيروى أن هذه القشرة التى على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام بإيها .

قال ومر سليمان بموكبه على غلة فقالت الغلة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم

سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو أعجب من هذه النملة ؟ قالوا بلى قال تقول
اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في النقي والفقر والعدل في الغضب والرضا .

وروى أن سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فمر بنملة عرجاء ناشرة
جناحها رافعة يديها وهي تقول : اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني
آدم ولا تقنا ، فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم .

وحكي أن نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا
البطش أما علمت أي أمة من أنت عبده ففتى على سليمان فلما أفاق قال اتقوني بها فأثوبها فأسألك فقالت
له جلدي رقيق ويدني ضعيف وأخذتني ورميتني ، فقال لها سليمان اجعليني في حل فاني لم أقصد ذلك
فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد
بجاهك إلا بذلت له قال قد فعلت ذلك قالت فانت في حل .

ومنها قصة وادي النمل قال الله تعالى - وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطيور
فهم يوزعون - أي يحبس أولهم على آخرهم - حتى اذا اتوا على وادي النمل - الآية قال الشعبي
وكعب وغيرهما من أهل الكتب : ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه
وكتابه في مركبه الذي هي له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخازن يحمل فيها تنانير الحديد وقصورا عظاما
يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون
وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوى بهم فصار من إسطرخ الى اليمن وتوغل
في البادية فسلك على مدينة الرسول ﷺ ، فقال سليمان هذه دار هجرة نبيي عث في آخر الزمان طوبى
لمن آمن به واتبعه ، ثم أتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما
جلوزه سليمان بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك ؟ فقال يارب هذان بنى من أنبيائك
وقوم من أوليائك مراعى فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الأصنام تعبد
حولى من دونك . قال فأوحى الله تعالى اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا لى وأنزل فيك
قرأنا جديدا وأبنت منك في آخر الزمان نبيا هو أحب الأنبياء الى وأجل فيك عبادا من خلقى
يبدوننى وأفرض على عبادى فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النور الى أوكارها ويغنون
اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان ، ثم أمر الله
سليمان عليه السلام أن ينزل عليه ويصلى فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة
خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشراف قومه ان هذا
السكان يخرج منه نبي عيسى وعيسى النصر على جميع من ناوأه ويكون السيف على رقبته من خالقه
وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه
وصدقه قالوا فكم بيننا وبين خروجه باني الله ؟ قال قريب من ألف عام . قال ثم ان سليمان مضى

حتى أتى على وادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل فقامت نملة تمشى وكانت عرجاء تسكوس وكانت مثل الذهب العظيم . وقال الشعبي : كانت ذات حناحين .

واختلفوا فى اسمها : فأخبرنى ابن ميمونة بإسناده عن الضحاك . قال كان اسم نملة سليمان طاحية وقيل خرمى فنادت لما رأت سليمان فى موكبه - يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - وكان لا يتكلم خلق إلا حمله الريح وألقته فى مسامع سليمان . قال مقاتل : فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدي - الآية .

وفى بعض الأخبار : أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال اتنوني بها فأبوء بها . فقال لها لم حذرت النمل هل سمعت أى ظالم ؟ أما علمت أى نبي عدل ؟ فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده ؟ قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولى وهم لا يشعرون مع أى ما أردت حطم النفوس وإنما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتنن ويشغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عطيني فقال له النملة هل علمت لم سمى أبوك داود قال لا ؟ قالت لأنه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا ؟ قالت لأنك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك أن تلحق بأبيك داود . ثم قالت أهدى لم سخر الله تعالى لك الريح ؟ قال لا ، قالت ليخبرك أن الدنيا كلها ربح - فتبسم ضاحكا من قولها - متعجبا - وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدي - الآية .

أخبرنى ابن ميمونة بإسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربعة من الدواب : المهدد والصدرد والنحلة والنملة .

ومنها قصة العتقاء فى أثبات القضاء والقدر . أخبرنا أبو محمد عبدالله بن حامد بإسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال : غاب سليمان الطير فى بعض عتابة فقال لها انك لتأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتى إلى منتهى علمه وقدره ، قال صدقت لاحيلة فى القضاء ، فقالت العتقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى ، قال إنه ولد الليلة غلاما بالغرب وجارية بالشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان فى أمتع المواضع بقدره الله تعالى وأهولها على سقاح فى جزيرة فى وسط البحر ، فقالت العتقاء يا نبي الله أوقد ولد هذان الولدان للذكور ان قال نعم الليلة ؟ قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم أبيهما ، قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العتقاء يا نبي الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تحدرين على ذلك قالت بلى ؟ فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العتقاء وكانت فى كبر الجمل عظما ووجهها وجه انسان ويدها يدا انسان وثنيها ثديا امرأة رأصا بها كذلك فحملت فى الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت

كل دار ومافيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من
المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في مجوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة
شجرة عالية لا يتألف طائر إلا يجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن
كأعظم ما يكون من شجر الأرض كثيرة الورق فأخذت لها وكرا في وسط الشجرة عجيبا واسعا
مضيئا وطينا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها
من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تغبر أحدًا بشأنها كي يتم أمرها وهي تقود إلى سليمان وتروح إلى
وكرها فلم سليمان بذلك ولم يسه لها فبلغ التلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو
بالصيد ويحب ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد
لم يزجره عنه حتى نال منه مئالا طويلا وأمرأ عظيما فقال يوما لأصحابه كل صيد البر وقلوته ومغازاته
قد نلت منه فلو ركبت البحر فأنا من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له للشيوخ من
وزرائه نعم مارأيت وهو أكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فأمر القلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه
وهيا السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والشرين والقلمان والجواري
والطباخين والحبازين والدواب والبراة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريد ويشتيه
من اللأهي وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد وتلذذ بالفرح ولا يعرف شيئا غير ذلك حتى
سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقها حتى قربت من جزيرة العقاء
والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركبت سفينته باذن
الله تعالى وأصبح التلام فرأى سفينته را كدة فأخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق
في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويلة لا يدرى أين منتهائها ولا عرضها واذا هو بشجرة
خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الأغصان والأوراق ورقها في عرض آذان القيلة تفوح برائح
الأقحوان ليس لها عريضة الساق فقال لأصحابه اني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله
ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبنى منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها
الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرسلها عندها وقال لأصحابه أقيموا هنا حتى أمضي وأبصر هذه الجزيرة
وهذا الجبل الذي في وسطها هل عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة
هو ورقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل
فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت إلى السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لأنها أخذت
صغيرة ولم تدري ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك ، فبينما هي متفكرة في
أمر السفينة اذا حس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت بينا وشمالا فلم تر أحدا
فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالتلام ورقته فتعجبت منهم للبرأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا
الى ذلك للوضع وان التلام لما بلغ أصل الشجرة نظروا بينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة

ورفعها في السماء وصار ينظر إلى أعصانها وكاس الجارية قد أخرجت رأسها لتتنظر إلى السفينة فحات منها التفاتة إلى أصل الشجرة فوقت بعينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنبية أنت أم أنسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فأفهمها لفته فقالت لا أدري ما تحول وما أنت إلا أنى أرى وجهك كوجهى وكلامك ككلامى وإنى لا أعرف شيئا غير العتقاء وهى أمى التى ربنتى وحضنتى وهى تأتىنى كل ليلة وتسمينى بنتها فقال لها الغلام وأين العتقاء فقالت هى فى نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تمدوك كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ثم تهيئى وتحدثى بكل ما يحكم به سليمان وإنه لملك عظيم على ما تصفه لى أمى العتقاء من ملكه وإنها تخبرنى أنه أحسن الناس وجها وأتم خلقا منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسبي دولته وإنى لمن طلقاه ومن يؤدى إليه الحراج وقدر سخر الله له الطير والريح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك ؟ قل وحدثك فى مثل هذا الوضع الذى لأنس فيه ولأحد وإن مثلك فى الدنيا عند الشجر وللدر وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش المعنى والرغد واللذة الحسنة مع الأزواج يتعاقون ويقتصمون ويتوالدون الأولاد مثل خلقك وخلقى أرأيت أن حاجت الريح فأزججتك من وكرك من يمنك أن تقضى فى البحر وإن وقت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزع الجارية من قوله قالت وكيف يكون معى أنسى مثلك يحدثنى بمثل حديثك وحضنتى بما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين أن الله أخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذى رحبكم وساقى اليك لأكون لك إلهما وصاحباً وأتيسا وإنى لمن أولاد اللوك فقالت له الجارية وكيف تصيرلى وأصير اليك وإن العتقاء هذه تروح وتجيء وتغضنى إلى صدرها بين جناحها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكائك على العتقاء ليلتك هذه فإذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدن وما شئتك فأخبريها بوحديثك فى نهارك ثم انظرى ما يكون من ردها عليك فأخبرني بذلك ففعلت وإن العتقاء رجعت إليها فوجدتها باكية حزينة ، قالت لها يا بنية مالك ؟ قالت الوحشة قتلتى وإنى لمن زهجة على نفسى من ذلك ، قالت لها يا بنية لا تخافى ولا تحزنى فإنى أستاذم سليمان عليه السلام أن آتية يوما ويوما لا آتية فيكون ذلك أنسا . فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها ، فقال لها أوتصبرين على ذلك ؟ لا ولكنى سأعمر من دوائى هذه فرسا وأبهر بطنه وأخرج ما فيه وأطيه بطيب مى وأدخل أنا فى جوفه وألقيه على رأسى سفينتى هذه فإذا جاءتك العتقاء تقولين لها أرى عجا أرى خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اختطفتها وحملتها إلى فكانت معى فى وكرى فأنظر إليها وأنس بها كأن أحب إلى من كوثك عندى نهارا وإمساكك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العتقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل إليه فى استئذانها إياه فى المقام يوما والتدو يوما ، قالت لها يا بنية إن نبي الله قد اشتغل عنى اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل إليه قالت لها إنى لأريد أن تتخلى عنه نهارا لمكان أخبار سليمان

وأخبار السليين ، وإنى أرى عجا في البحر أرى شيئا مرتفعا فهاهو ؟ قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيرة راكبين في البحر قالت لما الذى أراه ملقى على رأس هذه السفينة ؟ قالت دابة ميتة ألقوها قالت فاحتملها الى لأستأنس بها وأنظر اليها فاقضت العنقاء فاختطففت القرس وسكان الغلام في بطنها فحملتها الى عشا ، فقالت الجارية يا أماء ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أنتيك بمثل هذا منذ حين ، ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن القرس فلاعها ولا مسها واقضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعها من قبل الريح وأن العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم ، فجلس سليمان عليه السلام للطير في مرتبته ودعا برعاء الطير وأمرها أن لا تدع طيرا إلا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والفارات والقلوات والأمصار فحشروا اليه وأمر الشياطين فأحضرت كذلك ، وكذلك الانس كهيتهم ثم كل دابة تدب على وجه الأرض فاشتد الخوف وقالوا في انفسهم نشهد بالله أن نبى الله قد أمه أمر عظيم فأول سهم قد خرج في تقديم الطير سهم الحداة وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهم وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدعى على زوجها وكان قد جدد ولدها ، فقالت يابى الله انه سفدى حتى إذا احتضنت يضى وأخرجت ولدى حديثه فقال سليمان للذكر ماتقول فقال يابى الله انها لا تتمتع من الطير وهى نحوم البرارى فلا أدري هل هو منى أو من غيرى . قال فأمر سليمان بولدها فجاء به فوجد الشبه واحدا فألقه باله كرم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يحدك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهى إذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدى شهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك فى القدر فقالت يابى الله لى من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان فأين الشرط الذى كان بينى وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فالتفتى بها الساعة والخلق شهود لأعلم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقه حتى تأتى بها فمزت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع خفيف أجنتها فيأدر الغلام ويدخل جوف القرس فلما رأتها البنت قالت لها كالتزعرة ان لك شأنا إذ رجعت من ساعتك قالت لها أى لعمري ان لى شأنا . هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لأمر كان بينى وبينه فى أمرك وإنى لأرجو نصرى اليوم فيك قالت لها كيف تخملىنى قالت على ظهري قالت وهل أستقر على ظهرك وإنى أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزال فأسقط وأهلك قالت فى منقارى قالت فكيف أسبر فى منقارك قالت لها وكيف أسلم ولا بد لى من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معى وقد دعا بكفلىنى

البومة : فقالت لها أدخل في جوف هذا الفرس ثم ترفينه على ظهرك أوفى متفارك فلا أرى شيئا ولا أسقط ولا أنزع من شيء . قالت أصبت . قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس في متفارها وطارحت حتى وضعت الفرس بين يدي سليمان عليه السلام . فقالت يا بني الله هي الآن في جوف الفرس فأين الغلام ؟ فبسم سليمان طويلا ثم قال لها أؤمنين بقضاء الله وقدره وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أو من بالله وأقول إن المشيئة إلى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيئا ، ولكن من شاء الله أن يصكون سعيذا كان سعيذا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وإن الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح . وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تحمل يا بني الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان : الله اكبر أين البومة للتكفلة بالعنقاء ؟ قالت ها أنا يا بني الله . قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيتته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس .

فأما العنقاء ففزعت وذهبت وطارحت في السماء فأخذت نحو المغرب واختفت في بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر في وجه طير أبدا استحياء منه .

وأما البومة فاتهازت الأجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لي ولا سبيل إلى المعاش فهي اذا خرجت نهارا وبجتها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قدرية فهي تخضع لمعنا ، وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغييب .

ومنها تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالحيل الجياد العرب التي أخرجها له من البحر في قول أكثر أهل الأمر قال الله تعالى - إذ عرض عليه بالمشى الصافات الجياد - والصافات الحيل القائمة على ثلاث قوائم ، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن : بلغني أنها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة ، وقال الكلبي غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس . وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس ، وكان أبوه أصابها من العمالة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاته صلاة العصر ولم يسله أحد بذلك هية له ، فاعتم لذلك وقال ردوها على فردوها ففرقها وعقرها بالسيف وقرها إلى الله تعالى وبقي منها مائة فرس ، فما في أيدي الناس من الحيل العرب فهي من نسل تلك المائة .

وقال كعب : كانت الأفراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها

فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لأنه ظلم الخيل بقتلها . قال الحسن قلما عقر الخيل لأجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكاتها خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يندو من إيلياء فيقول في اصطخر ثم يروح منها فيبيت بيازل .

ويروى أن سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلی العصر بمدينة بلخ فحمله الريح وتظله الطير بجيحه وجنوده ، ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ، ثم جاوزها إلى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ، ثم خرج منها إلى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فزلفها أياما ، ثم غدا منها فقال بكسر ، ثم رجع إلى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام إلى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصناعات والعمد والرخام الأبيض والأسفر وفي ذلك يقول الشاعر :

واذكر سليمان إذ قال للمليك له قم في البرية فاحدها عن القند
وجيش الجيش اني قد أبحث لهم بناء تدمر بالأحجار والعمد
قال ووجدت هذه الآيات منقورة في سفرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام :

ونحن ولا حول سوى حول ربنا فروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان أمر رواحنا مسيرة شهر والقعدو لآخر
أناس سروا والله طوع نفوسهم لنصرة دين للنبي الطاهر
لهم في معالي الدين فضل ورافة وان نسوا يوما من خير معشر
مق ركبوا الريح المطيعة أسرعت مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظللهم طير صفوا عليهم مق رفرفت من فوقهم لم تخر

[رجنا إلى القصة] وقال قوم من العلماء : معنى قوله تعالى - فطقق مسحاً بالسوق والأعناق - حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بجسيم الصدقة وقال الزهري مسح سوقها وأعناقها من التبار . قال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال : وقال طي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم إن الله أمر للملائكة الوكيلين بالشمس حتى ردها على سليمان وصلی العصر في وقتها .

حدثنا أبو عبد الله عقيل الأنصاري بسنده عن طي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فأجبه عزاً لأوليائي وملكة لأعدائي وجمالا لأهل طاعتي ، قالت الريح : إلهي وسيدي ومولاي إني مطيعة قبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له : خلقتك عربيا وجعلت الجير معقودا بناصيتك والغمام مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح

فَأَتَتْ لَطْلُبَ وَأَنْتَ لَهْرَبَ ، وَسَاجِلَ عَلَى ظَهْرِكَ رَجُلًا يَسْبُحُونِي وَيَعْمَدُونِي وَيَكْبِرُونِي قَتْسَبُحِي
إِذَا سَبَحُوا وَتَهَلَّلُوا إِذَا هَلَّلُوا وَتَكَبَّرُوا إِذَا كَبَّرُوا » وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ
تَسْبِيحَةٍ وَتَعْبِيدَةٍ وَتَعَجِيدَةٍ وَتَكْبِيرَةٍ يَكْبِرُهَا صَاحِبُهَا فَتَسْمِعُهَا الْإِنْجِيهَ بِثَلَاثِهَا » قَالَ فَلَمَّا صَحَّتْ
لِللَّامِكَةِ صَفَتُهَا وَنَظَرُوا خَلْقَهَا قَالُوا رَبَّنَا عَنِ مَلَائِكَتِكَ نَسْبُحُكَ وَنَعْمَدُكَ لِمَاذَا لَنَا ؟ فَخَلَقَ اللَّهُ
لَهُمْ خَيْلًا بَلَقَا أَعْنَاقَهَا كَأَعْنَاقِ الْبَعِثِ ، فَلَمَّا أُرْسِلَ اللَّهُ الْقُرْسُ إِلَى الْأَرْضِ وَاسْتَوَتْ قَدَمَاهُ عَلَيْهَا
صَهْلٌ ، فَقِيلَ لَهُ بَوْرَكَتٍ مِنْ دَابَّةٍ إِذْ بَصُرَ بِكَ أَذَلَّ اللَّهُ لِلشَّرِكِينَ وَأَذَلَّ بِكَ أَعْنَاقَهُمْ وَمَسَلَّ بِكَ
آذَانَهُمْ وَأَرْعَبَ بِكَ قُلُوبَهُمْ ، فَلَمَّا عَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَمَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَالَ لَهُ اخْتَرْ مِنْ خَلْقِي
مَا شِئْتَ فَاخْتَارَ الْقُرْسُ قَتِيلَ لَهُ اخْتَرْتُ عَزْكَ وَعِزَّ وَلَدِكَ خَالِدًا مَا خَلَدُوا وَبَاقِيًا مَا بَقُوا بِرُكْنِي عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِمْ مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ وَمِنْهُمْ .

ومنها قوله تعالى - وأسلنا له عين القطر - أذنبه له عين النحاس أسبلت ثلاثة أيام كما يسبل
للنساء وكانت بأرض اليمن وإنما ينضع الناس اليوم بما أخرجه الله لسليمان عليه السلام .
ومنها تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشیاطین يعملون له ما يشاء كما
قال الله تعالى - ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب
السعير - وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكا يده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه
ضربة أحرقتة ، فلما عملت له الشیاطین بأمره وأحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير
والصابون وأشياء كثيرة واحضروا له نهر الملك وألقوا ترابه بين خاتمين وقصر شيرين وبما عملوا
له القيامة كما قال الله تعالى - ومن الشیاطین من ينصرون له - الآية وقد تعالى - والشیاطین
كل بناء وغواص - وكانوا ينصرون في البحار ويستخرجون أنواع الآلی والنمل والرجان وسائر
الجواهر البحرية ، وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن
وهم أول من فعل ذلك .

حديث القبة

قال وهب بن منبه : بينا سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس من
يمينه والجن من شماله والطير تظله إذ نظر إلى عظم أمواج البحر فدعته نفسه أن يعلم ما في قعر
البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ، ثم قعد على كرسى ملكه ثم دعا رأس النواصين فقال له :
اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختر له مائة رجل فقال له اختر لي من المائة ثلاثين فاختر له ثلاثين
فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختر له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختر له ثلاثة
فقال لواحد منهم غص حتى تنظر إلى قعر البحر وتأتيني بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يا بني الله فغاص
البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت ؟ قال يا بني الله ما رأيت الا أمواجا وحيثا غير آني

رأيت ملكاً عظيماً فقال لي أين تريد قلت له إن نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع إليه فاقراً عليه مني السلام وقل له إن قوماً ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاماً فعاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجبلجبل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع إليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولما عما كان قصد ، قال : أينما هو على شاطئ البحر إذ رأى قبة من زجاج تضربها الأمواج في لجة البحر فعارضها وقال للنواصين غوصوا في أثرها ففأصوا فأخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر افتتح لها بابان بمصرعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يابني من الجن أنت أم من الانس ؟ قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يابني الله كانت لي والدة وكنت من أير الناس بها أطعمها وأسقيها يدي ولا أتذكر شيئاً من صنائع البر الاصغته بها فلما حضرته الوفاة سألتها أن تدعولي فرفعت رأسها إلى السماء وقالت يارب قد عرفت برّ ولدي في فارقته العباد في موضع لا يكون لإبليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفتها فخرجت يوماً إلى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعنتي نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتزاحرت الأمواج بها وكان هذا آخر عهدى يابني الله فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك ؟ فقال يابني الله إذا كان الليل وجاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه إلي فأأكله فهو يقيني من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر قال يابني الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فاذا رأيت الخيط الأبيض زائدا علمت أنه النهار وإذا رأيت الخيط الأسود زائدا علمت أنه الليل فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة ؟ قال لا يابني الله إن تشأ تأذن لي أن أعود إلى قبتي فأذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاحرت به الأمواج فكان آخر العهد به .

ومنها قوله تعالى - يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب - يقال إنها الخياض كانت تسع الخفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه - وقدر راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحدة عشرة جزر .

قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء

وما حملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج إليه من الساكن والقباب والمرافق أسفلها أغلظ من الحديد وأعلاها رقي من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفاته وقماته والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الأعلى قبة يضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الناجي المسكر كله يتلا شمعاه مد البصر وبها من الأركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها

عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا عملها الرج إلى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفي أسفلها مرابط وإسطبلات وأواري وأواخي لحيله ودوابه . وبما عملوا له كرسى ملكه .

صفة كرسى سليمان عليه السلام

قال الله تعالى - وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب - يروى أن نبى الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وهت قال فعلاوا له كرسيا من أنياب الفيلة وفصوصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شحاريغها بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الأخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الأحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظل عرش الكروم والنخل الكرسى قالوا وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى ورجله فيها ويدور دوران الرمح السرعة وتشتت تلك النسور والطاويس أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما وضربان الأرض بأذناهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعد بها سليمان فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران الفئدان على النخلتين للسك والعنبر يفتانها عليه ثم تناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسى التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء قال وتجلس عظام بني إسرائيل على كراسى الذهب والفضة القصصة بالجواهر وهى ألف كرسى على يمينه وتجيء عظام الجن فيجلسون على كراسى الفضة عن يساره وهى ألف كرسى حافين به جميعا ثم تظلم الطير وتقدم الناس إليه للقضاء فإذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لأقامة الشهادات دار الكرسى يحدج مافيه وما حوله دوران الرمح للسرعة . قال معاوية لو هب بن منبه ما الذى كان يدرك ذلك الكرسى ؟ قال يلبان من ذهب وذلك الكرسى مما عمله صخر الجن قالوا إذا ناز الكرسى بسط الأسدان أيديهما وضربان الأرض بأذناهما وتشتت النسران والطاويسان أجنحتها فتفرع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون إلا بالحق ، فهذا شأن كرسى سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه ، فلما توفى سليمان عليه السلام بحث مختصر فأخذ ذلك الكرسى وحمله إلى أنطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الأسد يده اليمنى ف ضرب ساقه ضربة شديدة دقاها ورماء فحمل مختصر فلم يزل يبرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسى بأنطاكية حتى غزا ام ملك من الملوك يسمى كدش بن سداس فهزم خليفة مختصر وود الكرسى إلى بيت القدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به

موضع تحت الصخرة فتاب ولم يعرف خبره ولا يدري أين هو والله أعلم . ومنها بيت القدس
صفة بنيانه وبدء أمره

قال الله تعالى - سبحانه الذي أسرى ببنده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - الآية
وقال تعالى - ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين - قيل بالمياه والأشجار والثمار
وقيل إن كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التي يبيت المقدس يهبط من السماء إليها ثم
يتفرق في الأرض وذلك قوله تعالى - باركنا فيها للعالمين - .

وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك
النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان على أهل الجنة إلى القيامة »
وأما بدء بناء بيت المقدس ، وضفة بنائه على ما ذكره أهل البصرة بالسيرة هو أن الله تعالى بارك في
نسل إبراهيم حتى جعلهم في السكرة غاية لا يحصون ، فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم
مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد
بنى إسرائيل كم هم فأمر بمدم وبعت بذلك عرفاء وشباء وأمرهم أن يرفعوا إليه ما يبلغ من
عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى إليه
ياد داود قد علمت أنى وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وآتم أمرى بأن أبارك له في
ذريته حتى يصيروا بعد نجسهم أنباء وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم
إنه لا يحصى عددهم غري وإنى قد أقسمت لأبتلينهم ببيلة يقل منها عددهم ويذهب عنك إعجابك
بهم وبكثرتهم فاختاروا إما أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة
أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بنى إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى إليه وخبرهم فيه
فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير أن الجوع لاصبر لنا عليه وتسلط العدو
أمر فاضح فإن كان ولا بد فالموت لأنه يبدى لا يد غيره فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا
وتحفظوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالبراري . والأهلين
وأمرهم أن يضجوا إلى الله تعالى ويتضرعوا إليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله إليهم الطاعون فأهلك
منهم في يوم وليلة ألوفاً كثيرة لا يدري عددهم ولم يفرغوا من دفنهم إلا بعد موتهم شهر فلما أصبحوا
في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجداً لله تعالى يبتهل إلى الله تعالى ويقول : يارب أنا
أكل الحلال الحامض وبنو إسرائيل يضرسون يعنى أذنبت وبنو إسرائيل يعاقبون فما كان من
شئ ففى أنزله واعف عن بنى إسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورحمهم
للموت فرأى داود عليه السلام لللائكة سالين سيوفهم فقدموها وارفعوا في سلم من ذهب في
(١٨ - قصص الأنبياء)

صخرة بيت المقدس إلى السماء ، فقال داود لبني إسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال أمركم أن تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذا كر لله تعالى فأخذ داود في بنائه فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فقير يخبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبني إسرائيل إن لي فيه موضعا أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن تحجبوني عن حق فقالوا يا هذا ما من أحد من بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حق وأنتم لاتعرفون حقكم فقالوا له أما ترضى وتطيب نفسك وإلا أخذناه منك كرها فقال لهم آتجدون هذا في حكم الله وحكم داود ، قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال أرضوه فقالوا بكم تأخذ منه يا بني الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زدني يا بني الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يا بني الله فأنما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطيكه قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنباً قال نعم فقال الرجل أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله مني ولكن ابن لي حوله جدارا مشرقا ثم تملؤه ذهباً وإن شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني إسرائيل وقال لهم هذا هو النائب الخالص ثم قال لداود يا بني الله لأن يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب الى من كل شيء وهبت لي ولكني كنت اخترتكم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود ، وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخيار بني إسرائيل حتى رفعوه قامة وهجزوا فأوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفك الدماء ولست يأنيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضى أتعانه على يديه ويكون صيته وذكره وأجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا إلى أن توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان فأمره الله تعالى بأتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الأعمال وخص كل طائفة بعمل يعمل لها وأرسل للجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبلور الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ريبا لكل ريب منها سبط من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منها يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق ينوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدر وفريق يكطمون أنواع الرخام وفريق ينوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فأتى بشيء من ذلك لا يحصى إلا الله تعالى ، ثم إنه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنقيتها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وتنقيتها فكانوا يمالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلاتها فكره سليمان تلك الأصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا

يا بني الله ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علما من صخر الغريرت فأرسل اليه من يأتيك به قطع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان إذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان إلا انقاد إليه باذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو في بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر إليه كاد أن يصق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فنأل سليمان رسله عما أحدث الغريرت في طريقه فقالوا يا بني الله إنه كان يضحك في بعض الأخايين من الناس فقال له سليمان ما رزيت بتمردك على وترك الجيء إلى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يا بني الله إني لست أسخر منهم غير أن ضحكى كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى في طريقى فقال له سليمان وما ذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يسقيها وجرة يريد أن يستقى بها فسقى البغلة وملا الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشد البغلة بأذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند إسكاف يستعمله في إصلاح خف له فسمعت يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بمجوز تسكنهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن في موضع فرائشها ذهب كثيرا في الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان به داء فيما قيل فأكل البصل فبرا من دائه فصارت يطلب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة إلا أمره بأكل البصل وإنه لأضر شيء حتى إن ضرره يصل إلى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الأسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الأدوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يؤزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد حاسوا يتهلون إلى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فمنهم قوم ققاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الدين كانوا من قبل وغشيت الدين جاءوا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر ، فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولائك في البحار شيئا ينعت لى هذه الجواهر قتلين ويسهل نحتها وتحميها بلا صوت ؟ قال نعم يا بني الله أعرف حجرا أيضا كاللبن يقال له الساموار غير أنى لا أعرف معدنه الذى هو فيه وليس في الطير شيء أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن تجعل في صندوق من تلك الجواهر لانه يأتي بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يقبضه ليصل إلى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب أن تضم في صندوق من حجر منها يوما وليلة فحجب عن أفراخه ثم مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فتقب به الصندوق حتى وصل إلى أفراخه فوجه سليمان مع العقاب فقرأ من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم أن فيه الكفاية واستعمل ذلك في أدوات الصنائع فسهل عليهم نحتها من

غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وتقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا
فبنى سليمان السجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده من الما الصافي وسقفه باللواح
المطوهر الثمينة وفضى سقفه وحيطانه باللاقي واليوافيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه باللواح
المبروز فلم يكن يوجد يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك للسجد وكان يضيء في
الليل كالقمر في ليلة البدر ، فلما فرغ منه جمع اليه أجار بنى اسرائيل وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وكل
شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً لم يتخذ في الأرض قط أعظم
عيد من ذلك اليوم ولا أطعمة أكثر منه فذبح فيه من الجزر ألف جزور ومن البقر خمسة وعشرين
ألفاً معلوفة ومن الغنم أربع مائة ألف شاة . قالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى
بيتاً وطين حائطه بالجص وصقله فكان إذا دخله البار استبان خياله في ذلك الحائط أبيض وإذا
دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط أسود فارتفع من ذلك كثير من الناس عن الفجور
والحياة ونصب في زاوية من زوايا السجد عما أبوس فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره
منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده ، فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قرباناً على
الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منامتك علي وجلتني خليفتك على أرضك وأكرمتني
به من قبل أن أكون شيئاً فلك الحمد ، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا السجد خالصاً أن لا يدخله أحد
يصل فيه ركعتين مخلصاً فيهما الا يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولا يدخله مذنب إلا ثبت عليه
ولا خائف الأمته ولا سقيم الاشقيته ولا مجلدب الاخصبته وأغنيته ، وإذا أجبت دعوتي وأعطيتني
طلبتي فاجعل علامته أن تقبل قرباني . قال : فزلت نار من السماء فسدت ما بين الحاققين ثم امتد
منها عنق فاحتل القربان وصعد به إلى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام إلى
أن غزا بختنصر بنى اسرائيل فحرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب وقل جميع ما فيه
من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى أرض بابل ، وكان بيت المقدس خراباً إلى أن بناء السلون
في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره والله أعلم .

باب قصة بلقيس ملكة سبأ والمهدد وما يتصل به

قال الله تعالى - وثقده الطير فقال ما لي لأرى المهدد أم كان من النابيين - الآية ، قالت العلماء
بأخبار القدماء : إن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى
أرض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والنبور والوحش ما بلغ عسكره
مائة فرسخ وأمر الرمح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وقرب القرابين وقضى
لنفسك وبشر أهله بمخرج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم انفسيد الأنساء وخاتم النبيين وأن
ذلك مثبت في بزورهم ، ثم أحب ان يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن يؤم بهم

سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بحصرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتقوى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده ، فينقر الأرض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلبونه كما يسلبخ الأهاب يستخرجون الماء . قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الأزرق كيف يصبر الماء من تحت الأرض ولا يصبر الفخ اذا غطى له بقدر أصبع من تراب ؟ قال ويحك اذا جاء القدر عمى البصر . وروى قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « أنها كم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء » فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعد ، ثم إن الهدهد لما جاء قال - وجئتكم من سبأ بنبا يقين إني وجدت امرأة تملكهم - الآية وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع إلى نحو السماء ونظر إلى طول الدنيا وعرضها ونظر عينها وشمالا فرأى بستان بلبقيس فمال إلى الحفرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت وإلى أين تريد ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان ابن داود ؟ قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وإن لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس فونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقبيل هو القائد بلقة أهل اليمن فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها قال فاني أخاف أن يتعدنى سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء فقال الهدهد الجناني إن صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع إلى سليمان إلا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد ، وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لانهم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لانهم تفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعد .

قال ابن عباس في بعض الروايات عنه : وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته الى موضع فنضب عند ذلك سليمان وقال - لأعذبه عذابا شديدا أولا ذبحه - واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو ؟ فقال أكثر المفسرين : كان عذابه أن يتنف ريشه وذنبه ويدعه محطاً ثم يلقيه في بيت النخل فتلدغه . وقال الضحاك : لأتفنه ولأشدن رجله ولأشمسه وقال مقاتل : لأطليه بالقطران ولأشمسه ، وقيل لأودعته القفص ، وقيل لأفرق بينه وبين الله . وقيل لأمنعه من خدمي - أوليتيني بسلطان مبین - أي حجة واضحة .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : كل سلطان في القرآن حجة ، قال ثم دعا القاب سيد الطيور

فقال له عليّ بالهدهد الساعة ، فرفع العقاب نفسه ذون السماء حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا ، فاذا هم بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريد به فلما رأى الهدهد أن العقاب يريد به سوء ناشده الله وقال بحق الذي قواك وأقدرك عليّ إلا رحمتي ولا تعرض لي بسوء ، قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما اتهايا إلى المعسكر تلقاهم النسر والطير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال ، فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى إنه قال - أوليا تينى بسلطان ميين - فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه ، فقال العقاب قد أتيتك به يانبي الله ، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وألقى ذنبه وجناحيه يحجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده إلى رأسه فجبذها وقال أين كنت لأعذبك عذابا شديدا فقال له الهدهد يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله ، فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعقا عنه .

أخبرني الحسين بن محمد الثقفي بإسناده عن عكرمة فقال : إنما صرف سليمان عن ذبح الهدهد به بوالديه ثم سأله ما الذي أبطأك عنى قال الهدهد ما أخبر الله به - أخطت بما لم تحط به - أى علمت ما لم تعلم به - وجئت من سبأ بنبا يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء - واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهدهاذ ، وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن الحارث ابن قيس بن صنعاء بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان أبو بلقيس الذي يسمى البشرخ ويلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفوآلى وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان أحد أبوى بلقيس جنيا » قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاخاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ، ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فأراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه وعرضت نفسها عليه فأجابها الملك الى ذلك ، وقال مامنى أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجالى وقومى واخطبني منهم فجمعهم وخطبها منهم ، فقالوا لانراها تفعل هذا . فقال إنما هي التي ابتدأتني وإنى أحب أن تسمعوا قولها فتشهدوا عليها ، فلما جاءوها وذكروا لها ذلك قالت نعم إني أحبيت الولد ولم أجه منذ كنت أرغب عن هذا والساعة قد رضيت له

فزوجها منه ، فلما زفت اليه خرجت في أناس كثير من خدماها وحشمها حتى غصت منازلهم ودوره بهم ، فلما جاءت سقته المحر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها ، فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب داره علموا أن تلك الناكحة كانت مكرما وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والبار ماقتله ولكن رأيته قد عم فساده فأخذتني الحمية ففعلت به ما فعلت فملكوها واستتب أمرها في المملكة . وروى ابن ميمونة بأسناده عن الحسن بن علي عن أبي بكر . قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصر او عرشا .

صفة القصر الذي بنته بلقيس

قال الشعبي : روى أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فأمرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل أسطوانتين عشرة أذرع ، ثم جعلت فيها سقفا منظومة بالواح الرخام والأحجار بعضها الى بعض بالرخاص حتى صارت كأنها لوح واحد ، ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء وفيها بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرسعة بألوان الجواهر الاربعة وجعلت فيه : أى في باب ذلك القصر ممادى الى المدينة برجاً من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر ، وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم .

صفة عرشها

كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت المحر والزمرذ الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر ، وله أربع قوائم ، قائمة من ياقوت أحمر ، وقائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة من زمرد أخضر ، وقائمة من در أصفر وصفائح السرب من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب منقوش ، وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراع في الهواء فذلك قوله عز وجل - وأوتيت من كل شيء - أى بما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة - ولها عرش عظيم - أى سرير ضخم حسن - وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله - وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يسجد آباءى للساكنون ، قالوا كانوا يسجدون إله السماء ، قالت وأين هو ؟ قالوا هو في السماء وعلمه في الأرض ، قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيئا أشد من نور الشمس فهم أولى ما يتبني لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت .

قال : فلما قال ذلك الهدهد لسليمان . قال له سليمان - سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين
ثم ان الهدهد دهم على الماء فاحتفروا الركيا وهي الآبار التي لم تطو بطن كل واد فروى الناس
والدهاب . وكانوا قد عطشوا ، ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس
ملكه سبا بسم الله الرحمن الرحيم - السلام على من اتبع الهدى - أما بعد - أن لا تعلموا على
واتوفى مسلمين - قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئا
وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله إجملاء ، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة السلام كانوا يكتبون
جملا ولا يطيرون كتابا ولا يكتبون ، قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك واختمه بخاتمه ، وقال
للهدهد - اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم - وكن قرينا منهم - فانظر ماذا يرجعون -
أى يردون من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب وآتى به الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب
من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الأبواب وكانت اذا رفدت غلقت الأبواب
وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على
ظهرها فألقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة ، وقال مقاتل . حمل الهدهد الكتاب بمقار
وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فألقى
الكتاب في حجرها ، وقال وهب بن منبه : كانت لها كوة ، يعنى طاقة مستقبل للشمس تقع
الشمس فيها حين تطلع ، فاذا نظرت اليها سجدت لها ، فجاء الهدهد الى تلك الكوة ففسدها
بحناجه فارفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها
قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عريية من قوم تبع بن شراجل الحميري ، فلما
رأت الحاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن للذي أرسل هذا الكتاب
هو أعظم ملكا منها ، وقالت إن ملكا تكون رسله الطير الملك عظيم قمرات الكتاب وتأخر
الهدهد غير بعيد ، ثم إنها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت اللؤلؤ من قونها وهم
اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب ، فاذا
حزبها أمر أسفرت عن وجهها ، فلما جاءوا وأخذوا بحالهم ، قالت لهم بلقيس : إني ألقى الى
كتاب كريم : أى شريف لشرف صاحبه ، وقال الضحاك : سمته كريما لأنه كان محتوما بدلا
عليه ما أخبرني به أبو حمزة الوراق بإسنادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« كرم الكتاب ختمه » وقيل سمته كريما لأنه مصدر يبسم الله الرحمن الرحيم ، فذلك قوله تعالى
- إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلموا على واتوفى مسلمين - ثم قالت - يا أيها
للؤلؤ أنتوني في أمرى - وأشيروا على فيما عرض لى - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون - أى
تخضرون ، فقالوا عجيبين لها - نحن أولو قوة وأولو بأس شديد - عند الحرب - والأمر إليك
فانظري ماذا تأمرين - تجدنا لأمرك طائعين ، فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب

- إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة - أي أهانوا أشرفها وكبرائها لكي يستقيم لهم الأمر فصدق الله قولها ، فقال - وكذلك يفعلون - أنشدني أبو القاسم الجنيدي في هذا المعنى . قال أنشدني أبي في معناه :

ان الملوك بلاء حينما حلوا فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تأمل من قوم اذا غضبوا جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم واستتقوك كما يستتقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ان الوقوف على أبوابهم ذلة

قال الله تعالى مخبرا عنها - وإني مرسله اليهم بهدية - وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الأمر وساسته - إني مرسله اليهم - الى سليمان وقومه بهدية لمعانته عن ملكي وأخبره بها أملك أم نبي ، فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف ، وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا أن تتبعه على دينه ، ثم إنها أهدت اليه وصفاء ووصائف . قال ابن عباس : ألبسهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الأنثى ، وقال مجاهد : ألبست القلمان لباس الجوارى وألبست الجوارى لباس القلمان . واختلفوا في عددهم ، فقال الكلبي عشرة جوار وعشر غلمان ، وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة ، وقال مجاهد مائتا غلام ومائة جارية ، وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية ، وأرسلت اليه أيضا بصفايح الذهب واختلفوا في كفيتها وعددها .

أخبرني ابن ميمونة أيضا بأسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى - وإني مرسله اليهم بهدية - قالت أهدت له صفايح الذهب في أوعية الديباج ، فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فمحوه له الأجر بالذهب ، ثم أمر به فألقى في الطريق في كل مكان فلما جاءوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان ، قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصرق أعينهم ما جاءوا به ، وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال وهب بن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام ، فألبست الجوارى لباس القلمان الأقيسة والمناطق ، وألبست القلمان لباس الجوارى ، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب ، وفي أعناقهم أطواقا من ذهب ، وفي آذانهم أقراطا وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر ، وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والقلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون ، وبشت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالهر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا بالسك والعنبر والعود والألنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة عجيبة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها يقال له النضر بن عمرو وضمت اليه رجلا من قومها أصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية ، وقالت

في الكتاب : إن كنت نيا فسير بين الوصاف والوصفاء وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها
 واثب المرة ثوبا مستويا وأدخل خيطا في الحرزة ، ثم أمرت بلقىس الغلمان ، فقالت لهم : إذا
 كلمكم سليمان فكلّموه بكلام فيه تأنيث وتخفيف يشبه كلام النساء ، وأمرت الجوارى أن يكلموه
 بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم أتتها قالت للرسول : انظر الى الرجل اذا دخلت عليه ،
 فان نظر اليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولك منظره فأنا أعز منه ، وإن رأيته رجلا بشاشا
 لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا ، فلما رأى المهدد
 ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب
 والفضة ففعلوا ذلك ، ثم أمرهم أن ييسطوا له من موضحة الذي هو فيه الى تسع فراسخ مبدانا
 واحدا بلينات الذهب والفضة ، وأن يحملوا حول الليدان حيطانا مشرقا من الذهب والفضة ففعلوا
 ذلك ، فقال لهم : أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا : يا بني الله إنا رأينا في بحر كذا
 دواب مختلفة ألوانها ، لها أجنحة وأعراف ونواص ، قال : سليمان : طي بها الساعة فأتوه بها ،
 قال : شدوها عن عيني الليدان وعن يساره طي لينات الذهب والفضة ، وألقوا لها علوه فيها ،
 ثم قال الجن : طي بأولادكم فاجتمع خلق كثير فألقاهم فيها عن عيني الليدان وعن يساره ، ثم عد
 سليمان في مجلسه طي سريره ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره ، وأمر الشياطين
 أن يصطفوا صفوا فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسيباع والطيور
 والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره ، فلما أقبل القوم ودنوا من الليدان ونظروا
 الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث طي لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم
 أنصهم ورموا بها معهم من الهدايا .

وفي بعض الروايات أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الليدان بلينات الذهب والفضة وأمرهم
 أن يتركوا في طريقهم طي قدر اللينات التي معهم ، فلما رأت الرسل موضع اللينات خاليا وكل الأرض
 مفروعة خافوا أن يهيمهم بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان .

قال : فلما جئنا الى الليدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب فزعزعوا معهم ، فقيل لهم :
 يجوزوا فلا خوف عليكم . قال : فكانوا يعمرون طي كرددوس كرددوس من الجن والإنس والطيور
 والسيباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حثا بوجه
 طلق ، وقال : ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطوه كتاب الملكة ، فلما نظر
 اليه وقرأه ؟ قال لهم : أين الحقة تأتي بها فحركها ، فبهاه جبريل عليه السلام فأخبره بما في
 الحقة . قال : إن فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة متقوية معوجة الثقب . فقال له الرسول : صدقت
 فاتمب المرة وأدخل الخيط في الحرزة ، قال سليمان عليه السلام : من لي بثمنها فسأل الإنس فلم

يكن عندهم علم ذلك . ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ، ثم سأل الشياطين ، قالوا له : أرسل الى الأرضة فأرسل اليها ، فلما أتت أخذت شعرة في فيها ومرت في الخزة حتى خرجت من الجانب الآخر ، فقال لها سليمان : سلى حاجتك . قالت : أن تصير رزقي في الشجر ، قال لك ذلك ، ثم قال : من لهذه الخزة يسلكها بالحيط ؟ قالت : دودة يضاء أنالها ياني الله ، فأخذت الدودة خيطا في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر ، فقال لها سليمان ما حاجتك ؟ فقالت أن تصير رزقي في القواكه . قال لها لك ذلك ، ثم انه ميز بين الجوارى والظلمان بأن أمرهم أن يفتلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بأحدى يديها ثم تمسكه في اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه والعلام يأخذه من الإناء بيديه ويضرب به وجهه ، وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والعلام على ظهر الساعد ، وكانت الجارية تصب للماء صبا وكان العلام يحذر للماء على ساعده جسدا فيز بينهم بذلك ، ثم رد سليمان الهدية كلها ، وقال - أعمدونى بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أبتهم هديتكم فخرحون - لأنكم أهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك ، وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنتني منها وأعطاني ما لم يعط أحدا من العالمين فيها ، ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ، ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم - ارجع إليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لأقبل لهم بها ولنخرجهم منها أفلة وهم صاغرون - إن لم يأتوني مسلمين . قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها . قالت : والله ما هذا بملك ومالنا به من طاقة ، فبعثت الى سليمان عليه السلام إلى قاعدة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك . ثم ان بلقيس أمرت برشها فصب في سبعة آيات : بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ، ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا تخلص إليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ، ثم إنها أمرت مناديا ينادى في أهل مملكته ليؤذنهم بالرحيل ، ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن ، تحت يد كل قبيل مائة ألف مقاتل . قال ابن عباس . وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيا لا يتأذى بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه ، فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رجلا قريبا منه ، فقال ما هذا ؟ قالوا بلقيس يا رسول الله . قال : أو قد نزلت منا بهذا المكان ؟ قالوا نعم .

قال ابن عباس : وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان على جنوده وقال : - أيكم يأتي بي برشها قبل أن يأتوني مسلمين - أي طائعتين خاضعين .

واختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار العرش ، فقال أكثرهم لأن سليمان علم أنها اذا أسلمت حرم عليه مالها ، فأراد أن يأخذ سريرها قيل ان يحرم عليه أخذه بإسلامها

وقال قتادة : لأنه أحبه صفته لما وصفه المهدد فلراد أن يراه قبل أن يراها ، وقيل ليربها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها - قال عفريت من الجن - وهو المارد القوى - أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك - أي مجلسك الذي قضى فيه . قال ابن عباس : كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه إلى نصف النهار .

واختلفوا في اسمه ، فقال وهب : أنه كودي ، وقال شعيب : أنه كوفان - وإن عليه لقوى - أي قوى على حمله - أمين - على ما فيه من الجواهر . قال سليمان : أريد أسرع من هذا ، - يقال الذي عنده علم من الكتاب - . واختلفوا فيه ، قال بعضهم : هو جبريل عليه السلام . وقال آخرون : ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام . وقال آخرون : بل كان رجلا من بني آدم : ثم اختلفوا فيه فقال أكثر القسرين هو آصف بن برخيا بن نعيم بن ملكيا وكان صدوقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

أخبرنا ابن ميمونة بإسناده عن ابن عباس قال إن آصف قال لسليمان حين صلى وقعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهي طرفك ، قال لد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين فبعث الله للملائكة فعملوا السرور من تحف الأرض يحدون الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرور فنجع بين يدي سليمان .

واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش ، فروى عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا : يا حي يا قيوم ، وروى عن الزهري قال : دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلها وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت اتقني بعرشها . وقال مجاهد : يا ذا الجلال والإكرام .

حدثنا ابن ميمونة بإسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح ، وكان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر مساكن الأرض وهل يعبد الله أو لا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فلما هو بالعرش قد جل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد إليه طريقه ، وإسناده من مجاهد قال : حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبي بردة أن اسم الذي عنده علم من الكتاب أسطوم . وقال قتادة : اسمه مليح ، وقال محمد بن النكدر : إنما هو سليمان آتاه الله علمها وقها قال له عالم من بني إسرائيل - أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طريقك - فقال سليمان هات ، قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك ، فإن دعوت الله وطلبت منه كان عندك . قال صدقت ففعل ذلك فعجب بالعرش في الوقت ، فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده ههولا من إليه من مآرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة - قال هذا من فضل ربي ليأتوني أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه - أي لم يرفع بذلك إلا حسه حيث استوجب

شكروه لتمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة - ومن كفر
فاندرى غنى - عن شكره - كريم - الفضال عمن يكفر نعمته ، فقال سليمان عليه السلام
- نكروا لها عرشها - أى زيدوا فيه واتصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه - تنظر
أتهتدى - الى عرشها فتمرفه - أم تكون من الجاهلين - الذين لا يهتمون اليه أراد أن يختبر
عقلها ، وانما حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم
أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفتش اليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير
سليمان وفدريته من بعده فأرادوا أن يزهده فيها فأساءوا الثناء عليها وقالوا له ان فى عقلها شيئا وان
رجلها كحافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتكثير عرشها وينظر الى قدميها بيناء الصرح ، فلما
جاءت بلقيس - قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو - فشبهته به وكانت قد تركته خلفها فى بيت
سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقرب بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها .

قال الحسين بن الفضل : شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابهم على حسب سؤالهم ، ولو قالوا لها
هذا عرشك لقاتل بهم ، فقال سليمان : وأوتينا العلم بابتلائها ومحبتها طائفة من قبلها : أى من قبل
عبيها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره ، وقال بعضهم هو من قول
بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه
السلام بالآيات المتقدمة من قبلها : أى من قبل هذه الآية - وكنا مسلمين - أى متقادين
لك مطيعين لأمرك من قبل أن جشاك ، فلما رافق سليمان عليه السلام قيل لها ادخلى الصرح
وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا له صرحا : أى قصرا من زجاج
كأنه الماء يانضا وأجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ، ثم وضع سريره فى صدره ، وجلس
عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، وانما أمر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض
قد سخر الله لسليمان ماسخرا وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا تنفك من العبودية
والسخرة أبدا ، فأرادوا أن يزهده فيها ، فقالوا ان رجلاها رجل حمار وانها شعراء السابقين
لأن أمها كانت جنية فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقها فامر ببناء الصرح .
وقال وهب بن منبه : انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعاينها بذلك كما فعلت هى بتوجيهها
إليه الوصائف والوصاف ليعين بين الله كره والأنثى فلما جاءت بلقيس ، قيل لها ادخلى الصرح ،
فلما رآته حسبته نجة وهى معظم الماء فكشفت عن ساقها لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان عليه
السلام : فإذا هى أحسن الناس ساقا وقدميا إلا أنها كانت شعراء السابقين ، فلما رأى سليمان ذلك
صرف بصره عنها ونادى ما هذا صرح حمرد من قوارير وليس بماء ، فلما جلست قالت له يا سليمان
إنى أريد أن أسألك عن شيء قال سلى قالت أسألك عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء ،
وكان سليمان إذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الإنس ، فان كان عندهم علم ذلك وإلا سأل الجن

فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك ، فقالوا ما أهون ذلك أؤمر بالحبل أن
تجرى ثم املأ الآية من عرقها ، فقال لها سليمان عرق الحبل ، فقالت صدقت ، ثم قالت أخبرني عن
كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخرّ ساجدا وضيق ققامت عنه وتفرقت جنوده فجاءه
جبريل عليه السلام ، وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما سألتك قال يا جبريل ربى أعلم بما قالت ،
قال فان الله يأمرك أن تعود إلى سريرك فترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وجنودها
فتسألهم عما سألتك عنه فضل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا . قال لها
عماذا سألتني قالت عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فأجبت . قال : وعن أى شيء سألتني
أيضا ، قالت ما سألتك عن شيء إلا هذا فسأل الجنود ، فقالوا مثل قولها وأنسأهم الله تعالى ذلك
وكفى الله سليمان الجواب ، ثم إن سليمان دعاها إلى الاسلام وكانت قد رأت حاله المهدد
والمهدة والرسد والعرض والصرح فأجابت وقالت ربة إنى ظلمت نفسى بالكفر وأسلمت مع
سليمان لله رب العالمين .

واختلف العلماء : فى أمرها بعد الاسلام . فقال أكثرهم لا أسلمت بلقيس أراد سليمان أن
يتزوجها فلما لم ينكح كره لا رأى من شدة كثرة شعراقتها وقال ما أتبع هذا فيأى الإنس عما
ينهي ذلك فقالوا للموسى ، فقالت المرأة ما نسئ حديد قط فكره سليمان للموسى ، وقال إنها تقطع
ساقها فسأل الجن ؟ فقالوا لا نندرى ، ثم سأل الشياطين تشكروا عليه وقالوا لا نندرى ، فلما ألح عليهم
قالوا نحن نجتالك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فانخذلوا لها التورة والحمام .
قال ابن عباس : انما أول يوم رؤيت فيه التورة فاستنكحها سليمان عليه السلام .

أخبرني ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول من
انخذ الحمامات سليمان عليه السلام . فلما انصق ظهره بالجدار . قال أواد من عذاب الله تعالى ،
قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن
ثلاثة حصون لم ير الناس مثلهما ارتفاعا وحسنا وهى سليمان وعمدان وبنون ، ثم إن سليمان كان
يزورها فى كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقم عندها ثلاثة أيام ثم يكر من الشام إلى
اليمن ومن اليمن إلى الشام .

وروى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه . قال سليمان بلقيس : لما
أسلمت وفرغ من أمرها اختارى رجلا من قومك حتى أزوجهك إياه ، قالت ومثل ينكح الرجال
بأنى الله ، وقد كان لى فى ملكى وقوى من السلطان ما كان . قال نعم انه لا يكون فى الاسلام إلا
ذاك ، ولا ينبغي لك أن تحرمى ما أحل الله لك ، قالت زوجنى إن كان ولا بد من تبع الأكرملك
عمدان فزوجه إياها ، ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوجة أمير
جن اليمن فقال له اعمل لى تبع ما استملك فيه قال فصنع لى تبع الصانع باليمن ، ثم لم يزل

بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام . قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يامشر الجن ان سليمان بنى الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالسند يعنى خط الحجرية نحن بنينا سلحين وابنيين وبنينا صرّواح ومرواح وفنقون وهندة وهندية ودلوم ، وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذى تبع ولولا صارخ تهامة لما رفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا واقتضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم .

باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أباً وزوجته الجرادة وخبر الشيطان الذى أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه

قال الله تعالى - وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب - وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر ، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يتمتع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فعلمته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبي مافيها فأصاب فيها أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نساؤه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا ينهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان ، فقال لها وعك ما هذا الحزن الذى لا ينهب والسمع الذى لا يرقأ ؟ فقالته إني أذكر أبى وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزننى ذلك ؟ فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله ، قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرت أصابنى ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين بصورون لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراه بكرة وعشة لرجوت أن ينهب ذلك حزنى ويسلى عن بعض ما أجعد فى نفسى ، فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنسرك منه شيئا فتثقل لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنوه فأزرتة وقصته وعمته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبسها ، ثم إنهما كانت اذا خرج سليمان من دارها تمشى اليه فى ولائها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه فى ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم شيء من ذلك أبوين صباحا قبلت ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى نعمة أراد دخول بيته دخل حاضرأ أم غائبا فأبانه ، فقال يا بنى الله كبرنى ودق عظمى وقد عمرى

وقد حان الذهاب منى ، وقد أحيت أن أقوم مقاما قبل اللوت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأتى عليهم بلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم ، فقال ما فعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأتى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان ؟ حكمتك فى صفرك وأورعك فى صفرك وأفضلك فى صفرك وأحكم أمرك فى صفرك وأبعدك من كل ما يكره فى صفرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأنتيت عليهم خيرا فى كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتى أنتيت على خير فى صفرى وسكت مما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى ؟ فقال له إن غير الله يعبد فى دارك أربعين صباحا فى هوى امرأة ، قال سليمان فى دارى قال نعم فى دارك ، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد علمت أنك ما قلت ما قلت إلا عن شيء بلفك ، ثم إن سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولادها ، ثم نه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهى ثياب لا يفزلها إلا الأ بكر ولا تمسها امرأة ذات دم قلبها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد فقرش ، ثم أقبل تالبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتعمك فيه بشابه لذل الله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ، ويقول فيما يقول رب ما كان ينبى لآل داود أن يبدوا غيرك وأن يقرؤا فى دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أسمى ، ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان اذا دخل منزهة أو أراد قضاء حاجة أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر ، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو متطهر لأن خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما من الأيام عندها كما كان يضعه عند دخول منزهة ، فأماها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرأ فظنته سليمان لأنها لم تذكر منه شيئا فقال يا أمينة خاتمى فناولته إياه فجعله فى يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فصكت عليه الطير والجن والانس والشياطين ، فخرج سليمان فأتى الى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهودا منه عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمى فقالت ومن أنت ؟ قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخليفة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدابر من دور بنى اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونوه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأى شيء يزعم يقول إنه سليمان ، فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيطان لأصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم صمكتين فاذا أسمى باع إحدى الصمكتين بأربعة وشوى الأخرى قيا كلها لمكت كذلك أربعين صباحا

عدة ما كان ذلك الوثن يبدى في داره ، فأنكر آصف بن برخيا وعلماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين يوما فقال آصف يامعشر بني اسرائيل هل رأيتم من اخلاف حكم سليمان ما رأيتم ؟ قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نساءه فأسالهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نساءه فقال لمن ويحكم هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه قلنا أشد ما يدع امرأته منا في دمها ولا يقتل من جنابة فقال آصف إنا لله وإنا اليه راجعون إن هذا هو البلاء المبين ، ثم إنه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فلما مضت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ثم مر في البحر قذف الحاتم فيه فابتلته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان النساء أعطاه السمكين وكان من جملة السمكة التي ابتلعت الحاتم فعمل سليمان سمكة فباع التي ليس في بطنها الحاتم بالأرغفة ثم عمد الى السمكة الأخرى فشققها ليشوبها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فمكث عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم أن الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال اتوني بصخر المارد فطلبت الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والراسن ثم أمر به قذف في البحر فهذا حديث وهب بن حبه .

وقال السدي : في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي أثير نساءه وآمنهن عنده وكان إذا أراد أن يأتي حاجته أودخل منهنه نزع الحاتم ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الأيام وقالت له إن أخى بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقتضى له إذا جاءك فقال نعم ولم يفطر . بتلى بقوله فأعطاه خاتمه ودخل الخمدع فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الحاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بصد فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذني ؟ فقال لا ، فخرج من مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماءهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فدكروا لهن ما أنكرنا قتلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأسأه أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك ، قال فأقبلوا بمشون حتى أتوه وأحدثوا به وأخذوا بحبالهم ثم إنهم نضروا التوراة قردوها فلما قرءوا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الحاتم منه في البحر فابتلته الحوت ، قال وأقبل سليمان على جأته التي كان فيها حتى انتهى الى صيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم ، وقال إني سليمان بن داود أقام اليه بعضهم فضر به بصاء فشبهه فقال دمه وهو على شاطئ البحر (١٩ - خمس الأنبياء)

فلام الصيافون صاحبهم الذي ضربوه وقالوا له بشما صنعت حيث ضربته ، فقال إنه زعم أنه سليمان ابن داود فأعطوه سمكين ممن ضرب عندم فلم يشخه ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يفسلهما فوجد خاتمه في بطن إحداهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاده وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاءوا يفتنرون إليه مما صنعوا ، فقال ماؤاخذكم على عدوانكم ولألوكم على ما كان منكم هذا ما كان لا بد منه ثم جاء حتى آى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فأتى به فجلسه في صمعوى من حديد ثم أطبقه وأقلع عليه بفعل وختمه بخاتمه ثم أمر به فألقى في البحر وهو فيه كذلك إلى الساعة .

وفي بعض الروايات : أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاد عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة ، فقال آصف لسليمان إنك مفتون بذاك الخاتم لا يمتصك أربعة عشر يوما ففر إلى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم بمقابك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرك إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك ففر سليمان هاربا إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وإن الجسد الذي قال الله تعالى - وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب - هو آصف كاتب سليمان ، وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعمله يسير بسيرته ويصل جملة أربعة عشر يوما إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائبا إلى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت

وقيل سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد الجعفي بإسناده عن سعيد بن السيب : أن سليمان ابن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام ، فأوحى الله إليه ان يا سليمان احتجبت عن عبادى ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تتصف مطلوبوا من ظالم ، وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما روينا ، وقال في آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليلسط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالباشرة وكيف يتمه ذلك أحد ، وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح ، وهذا القول أصح الأقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب إلى التقوى . وقال بعض المفسرين : كان سبب فتنة سليمان أنه أمر أن لا يزوج امرأة الأمن بنى اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فموجب على ذلك .

وقيل إن سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أعجب بها وعرض عليها الاسلام فابتنمت فتزوجها سليمان فقالت له إن أكرهتنى على الاسلام فقلت نسي فخاف سليمان أن يختل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من لا قوة أربعين صباحا في خفية من سليمان إلى أن أسلمت فموجب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما .

وقال الشعبي في سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض

إن عاش له ولد لم تنفك عما نحن فيه من البلاء والسحرة فسيئنا أن نقتل ولده أو نخبله فعمل سليمان ذلك فأمر السحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا ابنه في السحاب فأمن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا له ثم أناب والله تعالى أعلم.

باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية . قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور ورايات وغير ذلك ومذهب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث أحب . قال فتزيههم إبليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم ؟ قالوا مالنا طاقة لما نحن فيه ، فقال إبليس تنهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيئا قالوا نعم ، قال فأنتم في راحة ، قال فأبانت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم إبليس ، فقال كيف أنتم ؟ فشكوا إليه وأخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم إبليس أنتمون بالليل ؟ قالوا نعم قال فأنتم في راحة ، قال فأبانت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل . والنهار فتزيههم إبليس فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار وأنهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم ؟ قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم إبليس وما يشاء فله قالوا نعم قال فتوقفوا الفرج وقد بلغ الأمر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام .

قال ابن عباس وغيره : كان سليمان عليه السلام يحجب في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك أنه لم يكن يوما يصح فيه الاتيت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لأي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت تثبت لئرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وإن كانت لمواء كتب عليها لكذا وكذا فينما هو يصلي يوما إذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الحرنوبية قال ولأي شيء نبتك قالت لحراب هذا للسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخبره وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكى وخراج بيت المقدس فتزعها وغرسها في حائط له . ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يملكون التيب ، وكانت الجن تخبر الانس أنهم يملكون من التيب أشياء وأنهم يملكون ما يكون في غد ، ثم إن سليمان دخل الحراب فقام يصل متكئا على عصاه فمات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم . وقال عبد الرحمن بن زيد : قال سليمان ملك الموت إذا أمرت بي فأعطني . قال فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقي لك سورة فعدا

الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت قبض روحه وهو متكئ على عصاه .

وفي رواية أخرى أن سليمان عليه السلام ، قال ذات يوم لأصحابه : إن الله تعالى آتاني من الملك ماترون ومامر على يوم في ملكي صاف من الكدر ، وقد أحيت أن يكون لي يوم واحد يصفوني إلى الليل ولا أغم فيه ولكن ذلك اليوم غدا ، فلما كان من الغد دخل قصره وأمر اخلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئا يسوؤه ، ثم أخذ الصا يده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر إلى عماليكه إذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير إذن ، وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتني حين دخلت قصرى بغير إذن ، قال أنا الذى لا يحجبني حجاب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن ، فقال له سليمان فمن أذن لك في دخوله فقال له ربى ، قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت ، فقال له أنت ملك الموت ؟ قال نعم ، قال فيم جئت ؟ قال لأقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفوني ولا أسمع فيه ما ينعني ، قال يا سليمان إنك أردت يوما يصفوك فيه عيشك حتى لا يمشك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له . قال فاقبض كما أمرت قبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان ، وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه ، قال بعض الشياطين لصاحبه إن كنت جليدا فادخل من الباب الذى بين يديه واخرج من الباب الذى خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق لمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع فوقه بالبيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتا فنزع فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهى الصا ملئة الحبشة قد اكثتها الأرض فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرض على الصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النعم فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يصلون بين يديه وينظرون إليه ومحسبون أنه حي ولا يتكبرون احتسابه عن الخروج إلى الناصرة لطول سلامته قبل ذلك .

وفي رواية ابن مسعود : لكانوا يداونون له بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم القيب فلو أنهم علموا القيب لحملوا موت سليمان ولم يلثوا في العناء والحداب سنة يصلون له ، ثم إن الشياطين قالوا للأرض لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بالطيب الطعام ولز كنت تفرين الماء لسقيناك أحلب الغراب ، ولكننا نقتل اليك الماء والطين شكرا لك فالتى يكون في جوف الحطب فهو ما تأميا به الشياطين والشياطين تسكن إليها ، فذلك تم له

تعالى - فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا ذابة الأرض تأكل منسأته - الآية .
قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه . ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رجيم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة . ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رجيم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة : ثم ملك بعده ابنه أسابن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتره عرق النساء قطع فيه للولوك لضغفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم ققصدوا البحر حتى إذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والأمواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الأمواج حتى ألفت أبقالهم وأموالهم وسلبهم إلى محلة بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تزورهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الأصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيته وسلط عليهم مختصر .

مجلس في قصة مختصر وما يتصل به

وخبر شعيا واريما وداثيل وعزر عليهم وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام
قال الله تعالى - وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب - إلى قوله عز وجل - وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا -

قصة شعيا عليه السلام

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والأخبار : كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل من أحداثهم ومأثم فاعلون بعده كما قال الله تعالى - وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا - إلى قوله - حصيرا - فكانت بنو اسرائيل يركبون الأحداث والنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تطقفا عليهم واحسانا إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى سديقة وكان الله تعالى إنا ملك ملكا من ملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا يتوكل عليهم كتابا وإنما يأمرهم أن يأمرهم بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والسكرات والنساء إلى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعيا بن أمصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعيا هو

الذي بشر بيت المقدس حين شكا إليه الحراب فقال أشر فانه يأتيك رآكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا ، فلما انقضى ملكه فيهم عظمت الأحداث الزديثة وشعاء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في سبائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء إليه شعاء فقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في سبائة ألف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هاجم الناس وفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يا بني الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبمدونا سنجاريب وجنوده فقال النبي لم يأت وحي ، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى شعاء عليه السلام أن ائت ملك بنى اسرائيل فأمره أن يوصى بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعاء صديقه فقال ان ربك قد أوحى إلى أن أمرك أن توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على مملكك من أهل بيتك فانك ميت ، فلما قال ذلك شعاء لصديقه أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي وتضرع إلى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدس يارحم ياروف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بتيق وفعلى وحسن قضائي في بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى سرى وعلا نيق لك ، ثم ان الله استجاب دعائه ورحمه وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى إلى شعاء وأمره أن يخبر صديقه الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخرج خمسة عشرة سنة وأجابه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعاء إليه وأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع واقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمز من تشاء وتنزل من تشاء عالم الثيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعاء أن قل للملك صديقه أن يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيبسطه على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعاء سل ربك أن يجعل لنا علما بجار هو صانع بمدونا هذا فقال الله لشعاء قل له إنى كفيتك عدوك هذا وأجيتك منه وأنتهم سيصبحون موتى كلهم الاسنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم حارح يصرخ على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل قد كفناك الله عدوك فأخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك القيس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مغارة أحدهم يختصر فجعلوه في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رأهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بك ألم يقتلكم بحوله

وقوته ونحن وأتم غفلون فقال له سنجاريب قد أتاني خبر ربكم ونصرته إياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلم أطلع مرشدا ولم يلقى في الشقوة إلا قلة على فلو سمعت وعقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وطى من معى قال: فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بما شاء إن ربنا لم يبق ومن معك لكرامتك عليه ولكن إنما أبلاك ومن معك لتزدادوا نقاوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ونهبوا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وعن معكم ولدمك ومن معك أهون عند الله من دم قرادة لو قتلت . ثم إن ملك بنى اسرائيل أمر أمير جيشه قحظ في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت القدس وإيلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعر لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمرهم الملك إلى سجن القتل فأوحى الله إلى شعيا أن قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينثروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يلقوا ببلادهم فبلغ شعيا الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينثروا من وراءهم حتى قموا بابل فلما قموا جمع سنجاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهاته وسحرته يملك قد كنا قص عليك خبرهم وخبر نبهم ووحي الله إليه فلم تظننا وهي أمة لا يستطيعها أحد وكان في أمر سنجاريب عما خوفوا به ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده مختصر وكان ابن ابنه وكان مختصر يعمل كما يعمل جده وقضى قضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد ونبيهم شعيا فيهم لا يرجون إليه ولا يقبلون قوله فلما فصلوا ذلك قال الله تعالى لشعيا عليه السلام قم في قومك يوحى على لسانك فلما قام النبي أطلق الله لسانه بالوحي فقال باسماء اسمى وبأرض أنصى فإن الله أراد أن يقضى شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واسطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالنم الضائعة التي لا راعى لها فأوى شاربها وجمع ضالها وجبر كثيرها وداوى مرضها وأسمن هزيلها وحفظ صبيها فلما فصل ذلك بطرت فتاطحت كباشها قتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر إليه كسر فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أجهام الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وإن الحمار يذكر الأرى الذى يشبع عليه فيراجعه وإن الثور يذكر للسرحة الذى يروح فيه فينتابه وإن هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الأبواب والعقول ليسوا يقر ولا حمير أنى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون فى أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لامهران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأبنت عليها غرسا من الزيتون والرمان والتخيل والأعاب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستخفظه إذا رأى حفيظا

قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلوعها خرنوبا فقال بثست الأرض هذه نرى أن يهيم
 جدرها وقصرها وبيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لاعمران
 فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمى وان القصر شريق وان النهر كتابى وان القيم نبي
 والقراس هم وان الخرنوب الذى أطلع القراس أعمالهم الجيئة وانى قضيت عليهم قضاءهم على
 أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فمرهم يتقربوا إلى بذي البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا
 آكله ولكن يتقربون إلى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمها فأيديهم مضمومة منها
 وبناتهم مزملة بدمائها ، ويشيدون لى البيوت وللساجد ويظهرون أجوافها وينجسون قلوبهم
 وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لى إلى تشيد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى إلى تزويق
 للساجد ولست أدخلها وإنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح ، ولتكن معلما لمن أراد أن يصل
 فيها ويقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألقنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقها
 فاعمد إلى عودين يابسين ثم أنهما وهم فى أجمع ما يكون قتل للعودين إن الله يأمر كما أن تكونا
 عودا واحدا ، فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على
 أن أولف بين العودين اليابسين ، فكيف لا أقدر على ألقتهما ان شئت أم كيف لا أقدر على أن ألقه
 قلوبهم وأنا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامتنا وصلينا فلم تتور قلوبنا وتصدقنا فلم تترك
 صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الجمال وبكىنا بمثل عواء الثئاب فى ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا
 قال الله تعالى فسلمهم ما الذى يعنى أن أستجيب لهم ألت أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب
 المحبين وأرحم الراحمين أذات يدي قلت ، كيف ويدى مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء مفاتيح
 الخزان عندي لا يفتحها غيرى أم يقولون رحمى ضاقت فكيف ورحمى وسعت كل شئ وإنما
 يترامح للترامحون بفضل ، أم يقولون البخل يعترى ، أولست أكرم الأكرمين وأنا القناح
 بالحيرات ، ألت أجود من أعطى وأكرم من سئل ؟ ولو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم
 بالحكمة التى نور فى قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لأبصروا ويتقنوا أن أنفسهم هى
 أعدى العداة لهم ، وكف أرفع صيامتهم وهم يلبسونه بالزور ويتقنون عليه بطعمة الحرام ، أم
 كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاعة تركزن إلى من يحاربني ويتك عارمى ، أم كيف تزكو عندي
 صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وإنما أجزي عليها أهلها النصوين ، أم كيف أستجيب لهم
 دعاء وإنما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد إنما أستجيب قول المستضعف للسكين ، وان
 من علامة رضى رضا للسكين ولورحموا الساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا الظلوم ونصروا النصوب
 وعالوا الغائب وأدوا إلى الفقير واليتيم والأرملة والسكين حقه ، ولو كان ينبغى لى أن أكلم البشر
 إذا بكلمتهم وكففت أذانهم وكنت نور أبصارهم وسمع أذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم
 وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لا سمعوا كلامى وبلغتهم رسالى إنما أقول

منقولة وأحاديث متواترة وتأليف فيما يؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أن لو شاءوا أن يأتوا
حديث مثله لفعلوا وأن يطلعوا على علم الغيب بما توحى إليهم الشياطين إذا طلعوا ، وكلهم يستخفى
بالذي يقول ويسر وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يبدون وما يكتُمون
وأنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء بينته على نفسي وجعلت له أجلا موجلا لا بد
أنه واقع ، فإن صدقوا فيما يشتعلون من علم الغيب فليخبروك متى أقنعه وفي أى زمان يكون وإن
كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضى فاني مظهره على الدين
كله ولو كره للشركون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي
أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والأرض بأن أجعل النبوة
في الأحرار وأجعل الملك في الرءاء وأجعل العز في الأذلاء والقوة في الضعفاء والنعى في الفقراء والثروة في
الأقلاء والدائن في الفلوات والآجام في الفاوز والترى في التيطان والعلم في الجهلة والحكم في الأسيين
فسلهم ممن هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من أنشئه ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره ، فاني باعث
لكم نبيا أميا لا أعمى من العميان ولا ضالما من الضالين ليس يفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الأسواق
ولا متزى بالقحش ولا قولا بالجنأ ، أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم ، أجل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته والفضو والمعرف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم
به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخلة وأشهر به بعد السكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر
وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة وأهواء مشتتة وألصق متفرقة ، وأجل أمته خير أمة
أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي : يصلون قياما وقعودا
وركوعا وسجودا ومقاتلون في سبيل الله صفوا وزحفا ومخرجون من ديارهم وأموالهم ابتداء
رضوان الله ، ألهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم
ومساجدهم ومقابرهم ومثامهم يكبرون ويهللون ويقسسون على رؤوس الأشراف ويظهرون على
الوجوه والأطراف ويقعدون الثياب في الأنصاف قربانهم دعاؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان
بالليل ليوث بالتهار - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - فلما فرغ نبهم شيئا
من مقاتله غمدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقبته شجرة فاعلمت له فدخلها فأدركه الشيطان
فأخذ بهذبة من ثوبه فأرأى لها فوضعا للنشر في وسطها ففتشوها حتى قطعوها وقطعوه وهو
في وسطها والله أعلم .

قصة أرمياء عليه السلام

فلما خلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شيئا رجلا منهم يقال له ناشة بن أموس وبعث الله

اليهم الخضر نيبا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر أرمياہ بن خلفياہ ، وكان من
سبط هرون بن عمران ، وانما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهر
خضراء فقال الله تعالى لأرمياہ حين بثه الى بنى اسرائيل : يا أرمياہ من قبل أن أخلقك اخترتك
ومن قبل أن أسورك في بطن أمك قدستك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ،
ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ولأمر عظيم اجتيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم أحدانهم
وادعهم الى . فقال أرمياہ إني ضيف إن لم تقوني عاجز إن لم تصرنى ، فقال الله تعالى أنا ألهمك
قيام أرمياہ فيهم خطيا ولم يدر ما يقول ، فألمهه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم
فيها ثواب الطاعة وعقاب العصية . وقال لهم في آخرها إن الله قال : فاني أحلف بعزتي وجلالي
إن لم يبتوها لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأزعج من
قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل للظلم . ثم أوحى الله تعالى الى أرمياہ عليه السلام إني معك
بنى اسرائيل يياث وياث هم أهل بابل وهم من ولد ياث بن نوح ، فلما سمع أرمياہ بكى وصاح
وشق ثيابه وحشا الرماد على رأسه ، فلما سمع الله تضرع أرمياہ وبكاه ناداه يا أرمياہ أشق
عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بنى اسرائيل مالا أسريه ، فقال الله
تعالى وعزتي وجلالي لأهلك أحدا من بنى اسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك ، ففرح
أرمياہ بذلك وطابت نفسه وقال والذي بث موسى بالحق لأرضي بهلاك بنى اسرائيل ثم آتى الملك
فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال : إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن يرحمنا
فبرحمته ، ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا في الشر وذلك
حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا ، فسلط الله عليهم مختصر
فخرج في مائة ألف راية يريد أهل بيت القدس ، فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك آتى الملك الخبر
فقال للملك لأرمياہ أنت زعمت أن الله أوحى اليك ، فقال أرمياہ إن الله لا يخلف اليعاد وأنا به
واتق ، فلما قرب الأجل وأراد الله هلاكهم بث الله الى أرمياہ ملكا قد تمثل له في صورة رجل
من بنى اسرائيل ، فقال له ياني الله إني أستفيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم أزل اليهم حسنا
ولا يزيد اكرامى إليهم إلا استخفافا بي فأنت فيهم ، فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم
وأبشر بهير فانصرف الملك ، فلما مكث الا أياما ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقهق بين يديه
فقال له أرمياہ أو ما ظهرت أخلاقهم لك بعد ؟ قال ياني الله والذي بثك بالحق نيبا ما أعلم كرامة
يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمة الا قدمتها اليهم وأفضل . قال أرمياہ عليه السلام ارجع الى
أهلك فأحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد
نزل بختنصر وجنوده حول بيت القدس بأكثر من الجراد ففرع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم
فقال ملكهم لأرمياہ ياني الله أين ما وعدك الله به ؟ قال إني برى لواتق ثم أقبل الملك على أرمياہ

وهو قاعد على جدار بيت القدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده قفعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيتك فى شأن أهل مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم بأن لهم أن يقتلوا من الذى هم فيه فقال له يابى الله كل شيء كان يصيغى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أى عمل رأيتم ؟ قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فضبت لذلك وأتيتك لأخبرك ، وإنى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الامادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم ، فقال أرمياء ياملك السموات والأرض ان كانوا على حق وصواب فأبقيهم وان كانوا على سخطك وعمل لا يرضاه فأهلكهم . قال فما خرجت الكلمة من فم أرمياء تماما حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت للقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحشا الرماد على رأسه وقال : يا ملك السموات والأرض أين معاذك الذى وعدتني ؟ فنودى إنه لم يصهم الذى أصابهم إلا جثياك ودعائك فاستيقن أرمياء عليه السلام أنها قتياله وان ذلك السائل كان رسول ربه فصار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختصر وجنوده بيت للقدس ثم امر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت للقدس قذفوا فيه التراب حتى ملئوه ثم انصرفوا إلى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم ان يجمعوا ما كان فى بيت للقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي ، فلما أراد ان يقسم الغنائم فى جنده . قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء النسيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان هانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه يئامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط رويلا ولاوى ابني يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل جملهم بختصر ثلاث فرق ثلثا أقره بالثام وثلثا سبي وثلثا قتل وذهب بأواني بيت للقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالقلبان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الأولى التى أنزلها الله على بنى اسرائيل بأحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى - فاذناباء وعد أولاهما بشنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديد - يعنى بختصر وجنوده . وكان بدء أمر بختصر على ماروى حجاج من ابن جريج على بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بشنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديد بكى وفاقت عيناه وأطيق للصحف ثم انطلق إلى للسجد ، وقال يارب أرني هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فأرى فى المنام انه مسكين يبابل يحمله بختصر فانطلق بمال وأعبده له وكان رجلا موسرا ، فقيل له أين تريد ؟ قال أريد التجارة ، ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكرهاها ليس فيها أحد غيره فحمل يدغوالساكين وتلطف بهم حتى

لا يأتبه أحد مسكين الأعطاء ، فقال هل بقي مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفتح آل فلان مريض
يقال له بختصر ، فقال لفلانة انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه ، فقال له ما اسمك ؟ قال بختصر
فقال لفلانة اخلوه فقله اليه ومرضه حتى يرى فكساه واعطاه ثقفة ، ثم أذن الاسرائيلي في
الرحيل فبكي بختصر ، فقال الاسرائيلي مايكيك ، فقال أبكي لأنك فعلت معي ما فعلت ولا أجد
شيئا أجازيك به ، فقال جزائي شيء يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت للقدس
أعطيتني ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أنتهزي بي ولا يمنعني ان يعطيه ماسأله إلا انه يرى انه يستهزي
به قال فبكي الاسرائيلي ، وقال قد علمت ما يمنعك ان تعطيني ماسألتك إلا الله تعالى يريد ان ينفذ
قضاءه فكتب له كتابا وضرب النهر ضرباته ، فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا الطليعة
الى الشام قالوا ماضرك لو فعلت قال لمن ترون قالوا فلانا فبعت رجلا وأعطاء مائة ألف فخرج بختصر
في مطبخه لم يخرج إلا ليا كل في مطبخه ، فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الأرض
فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شيء وكان بختصر دخل الشام ولم
يزل يجلس مجلس اهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم ان تزوا يا بابل فلو غزوكموها لنتم منها
شيئا كثيرا فقالوا إنا لأحسن القتال ولا نقاتل حتى انتقد مجالس اهل الشام وتعرف سرائرهم ثم إن
الطليعة رجوا فأخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختصر رجع معهم فجعل يقول لفرسان الملك لودعاني
الملك لأخبرته غير الخبر الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك إلى الملك فدعاه فأخبره بالخبر ، وقال إن فلانا
لما رأى أكثر أهل الأرض كراها ورجالا جلدا كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء وإني لم ادع مجلسيا
بالشام الا جلست فيه أسأل اهل قلعتهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير ،
قال صاحب الطليعة لبختصر فضحتي لك مائة ألف دينار وترجع مما قلت ، فقال له لو أعطيتني بيت
مال بابل ما رجعت مما قلت ثم ضرب النهر ضرباته ؟ فقال الملك لوبشنا جريمة خيل الى الشام فان
وحدوا مساغا ساغوا والا أسكوا ما قدروا عليه ؟ فقالوا ماضرك لو فعلت ذلك قال لمن ترون
قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعا بختصر فبعته ، ثم انتخب معه أربعة آلاف
من فرسانهم فانطلقوا فجالسوا خلال الديار فسوا ماشاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون
الملك فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلهم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فأهلوا حتى جاء
بختصر بالسبي وما معه قسمه بين الناس ، فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك منه ، فهذه القصة
الأولى فلنكوه على أنفسهم .

وقال السدي بأسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت للقدس وهلاك
بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختصر ، وكانوا يصدقون فتصدق
رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى زل في بيت أمه وكان قد ذهب يختطب فجاء وعلى رأسه حزمة
حطب فألقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما

وشراها فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي انا أحب ان تكذب لي أمانا إذا أنت ملكت يوما من الدهر ، فقال بختصر أنسخر مني قال لا أسخر منك ، ولكن ما عليك أن تجعل عندي لك يدا فكلته أمه ، فقالت ما عليك ان كان وإلا لم ينقصك شيئا فكتب له أمانا ، فقال أرايت ان جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفةك على قبة فأعرفك بها فكتب له أمانا وأعطاه إياه ، ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكره يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدنى مجلسه ويستشيريه في أمره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هوى أن يتزوج بنت امرأة له هذا قول السدي . وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهما السلام في اثني عشر من الحواريين يملكون الناس وكان فيما نهام عنه نكاح بنت الأخت قال ، وكان للمكهم ابنة أخت تعبجه ويريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث في مقتل يحيى ابن زكريا عليهما السلام .

رجعنا الى حديث السدي : قال فسأل يحيى عن نكاحها ، فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها ففقدت على يحيى حين نهاء أن يتزوج ابتها فعمدت حين جلس للملك على شرايه فألبست ابتها ثيابا حمرًا راقا فاخرة وطيبها وألبستها من الحلى شيئا لاقية له من غايته وأبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها ان تسقيه الخمر وان تعرض له فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ويكون الذي تسأله ان يأتي برأس يحيى بن زكريا في طشت فعملت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتعرضه فلما أخذ من يدها الثراب راودها عن نفسها فقالت لا أقبل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني ؟ قالت أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتين برأسه في طشت فقال وعحك سلمي غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيى فأتى برأسه فجعلت الرأس تنكلم حتى وضعت بين يديه وهي تقول إنها لا تحل لك ، فلما أصبح الملك واذا دم يحيى ينزل فأمر بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب ينزل فألقى عليه أيضا وارضع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك ينزل فيبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد ان يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأناه بختصر وكله ، وقال إن الذي أرسلت تلك المرأة ضعيف وإن قد دخلت المدينة وممعت كلام أهلها فأبعثني فيبعث بختصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورأى أهلهم تحصنوا في مدائنهم فلم يطيعهم ، فلما اشتد عليهم القام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بني اسرائيل وقالت ابن أمير الجند فأتى بها اليه فقالت له بلني انك تريد الرجوع بحمدك قبل ان تفتح هذه المدينة . قال نعم قد طال مقامي وجاع أصحابي فليست أستطيع القيام فوق الذي كان مني قالت أرايتك ان ذلك على فتح المدينة تعطيني ما أسألك وتحتل

من أمرك بقتله وتكف عمن أمرك بالكف عنه ؟ . قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أقسام ثم اقسم على كل زاوية ربما ثم ارضوا أيديكم الى السماء ونادوا ياربنا دلنا على من اقل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فنيقسط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقل على هذا اللهم حتى يسكن فقتل عليه سبعين الفا حتى سكن ، فلما سكن اللهم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبى لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله ، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفة فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف ، وقال من طرح عليه جيفة فله جزية في تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسرايهم .

قصة دانيال عليه الصلاة والسلام

وذهب دانيال وقوم من اولاد الأنبياء وذهب معه رأس جالوت ، فلما قدم بختصر ارض بابل وجد سنجاريب قدمت فملك مكانه واستقام له الأمر وثبت على ذلك مدة ، ثم ان بختصر رأى رؤيا عجيبة فأنزع عنه فسال عنها السحرة والكهنة فضجروا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع اصحابه وقد احبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهديته ، فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت إلى وإن صاحبكم قد رأى رؤيا فقله على لأعبرها له فجاء السجن وأخبر بختصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه احد إلا سجد له فأثابوا به مقام بين يديه . ولم يسجد له ، قال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له إن لى رباً آتانى العلم والحكمة وامرنى ان لا اسجد إلا لله فخشيت ان سجنت لغيره ان يزرع منى العلم الذى آتانى ويهلكنى فأعجب به وقال نعم ما فعلت وقد احسنت حيث وفيت بهمه واجللت علمه ، ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تفسيرها قال نعم قال فأخبرنى فأخبره برؤياه التى رآها قبل ان يخرج بهائم عبرها وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد بأسناده عن وهب بن منبه يقول : ان بختصر رأى فى منامه صنبا رأسه من ذهب ومصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فضة ، ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ، ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين الشرق والغرب ، ورأى شجرة اصلها فى الأرض وفرعها فى السماء ، ثم رأى رجلا يسده فأس وسمع مناديا ينادى اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها وتفرق النوايا والسباع من تحتها وارتك اصلها قائما فغيرها له دانيال عليه السلام ، فقال : اما الصم الذى رأيت رأسه من ذهب فأنت الراس الذهب وانت افضل للولك ، وأما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك ، وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد ابنك ، وأما ما رأيت من الفخذه الذى من حديد فتفرق فرقتان فى فارس تكونان أشد للولك ، وأما الفخار فآخر ملكهم يكون دون الحديد ، وأما الحجر الذى رأيت

فد وقع من السماء ورثا حتى ملأ ما بين الشرق والغرب فبني بيته الله في آخر الزمان فيفرق
ملكهم كلهم ويرثو ملكه حتى يملأ ما بين الشرق والغرب ، وأما الشجرة التي رأيت والطير
التي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله ثلاثا نسرا
عظبا تملك الطيور ، ثم يردك الله ثورا تملك الدواب ، ثم يردك الله أسدا تملك السباع
والوحوش وتكون منذ مضحك الله على ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان
حتى تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، وهو يقدر على الأرض ومن عليها ، وأما ما رأيت
من أن أصلها قائم فان ملكك قائم ، فسل وهب بن منه أ كان مؤمنا أم لا ، قال وجدت أهل
الكتاب قد اختلفوا في ذلك ، فمنهم من قال مات مؤمنا ، ومنهم من قال مات كافرا لأنه حرق
بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل الأنبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ
نوبته ، قالوا فلما عبر دانيال لبختصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل
عليه ويستشير في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأجهم اليه فحسده الجوس على ذلك فوشوا
به وأصحابه الى بختصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه ما يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك
فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود فخذ لهم
واقوا فيه وهم ستة والتي معهم سبع ضاريا كلهم ، ثم قال انطلقوا لنا كل وثئرب فذهبوا
فأكلوا وشربوا . ثم إتهم رجوا فوجدوم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يحدش
منهم أحدا ولم يشكهم شيء ووجدوا معهم رجلا زائدا فوجدوم سبعة ، فقالوا ما بال هذا
السابع ، وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من اللاتكة فلطم بختصر لطمه فصار
في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ، ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه . قال السدي :
فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم الجوس أيضا وشوا بهم ثانية
وقالوا لبختصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختصر
طعاما وشربا فأكلوا وشربوا منه ، ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطرزان
فان قال أنا بختصر قتلته كذبت ان بختصر أمرني فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من
قام من القوم يريد البول بختصر قام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب خفي عليه ،
قال له أنا بختصر ، فقال كذبت ان بختصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه قتله .
وأما محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختصر غير ما قال السدي ، وذلك أنه قال بأسناده : لما أراد
الله هلاك بختصر . قال لمن كان في يده من بني اسرائيل أرايت هذا البيت الذي خربت وهؤلاء
الناس الذين قتل من هم وما هذا البيت ؟ فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء
أهلها كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتمردوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوم بدنيهم . قال
فأخبروني ما الذي يطلع في الى السماء وأطلع عليها فأقتل من فيها وأخذها ملكا فاني قد فرغت من

الأرض وما فيها ، قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق ، قال لضمين أو لأقلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا ، سمع الله تعالى عليه قدرته ليزيه ضعفه وهو أنه بموضة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عنت بأم دماغه ، فما كان يمر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه ، فلما عرف الموت قال لحاصته من أهله إذا أنا مت فتقوا رأسي وانظروا ما الذي قلني ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البوضة عانة بأم دماغه ليزي الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقي في يده من بني اسرائيل ورحمهم وردهم الى اوطانهم والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ، فيزعمون أن الله أحيا للؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ، ثم أنهم لما رجعوا الى الشام وجدوا مختصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لحن عزيز وسند ذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى ، وكان عمر مختصر أيام مسخه نيفا وخمسةائة عام وخمسين يوما ، فلما مات مختصر استخلف ابنه فلسطين وكانت آنية بيت المقدس التي حملها مختصر الى بابل عنده وكان نجسها بلعوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال ، فبينما فلسطين قاعد ذات يوم إذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكبت ثلاثة أحرف يشهده ، ثم قامت فصب من ذلك ونجسها بآويله ، قال دانيال - بسم الله الرحمن الرحيم - وزن فخف ووعد فأجز وجمع ففرق ، قال أما قوله وزن فخف ، أي وزن حملك في اللباز فخف ، ووعد فأجز : أي وعد ملكك بالحزب فأجز اليوم ، وجمع ففرق : أي جمع لك ولو ملكك من قلك ملكا عظيما ، ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث إلا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل الى أن مات بالسوس والله أعلم .

خبر وفاة دانيال عليه السلام

قال أهل الأخبار : لما فتح الله السوس على يد أبي موسى الأشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة فتم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزانين فيأخذ ما فيها حتى أتى الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرماس ، فقال أبو موسى الأشعري لأهل السوس ما في هذه الخزانة فأتوا أراها مخومة بالرماس ، فقالوا له أيها الأمير ليس فيها شيء من حاجتك ، فقال لا بد لي أن أعلم ما فيها فالتحقوا بابها حتى أنظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فإذا هو بمجر طويل محفور على مثال الخوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأ كفان منسوجة بالذهب ورأسه مكتوفة . قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ، ثم إنهم شهبوا أنه فإذا هو يزيد على شبر ، فقال أبو موسى لأهل السوس وعلمكم من هذا الرجل ، قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق إذا حبس

عنهم الطر استسقوا به فيستقون فأصابنا من قحط الطر ما كان يصيب أهل العراق فأرسلنا إليهم وسألناهم أن يذفوه البنا حتى نستقنى به فأبوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا ووحملناه إلى بلدنا هذا ، ثم استقينا به فسقينا فرأينا من الرأي أن لانرده إليهم فلم يزل مقبلا عندنا إلى أن أودركه اللوت فمات فهذه قصته وحاله . قال فأقام أبو موسى الأشعري بالسوس وكتب إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر ذلك الرجل الليث ، فلما وصل الكتاب ، قرأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا أكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فمما وجد عند واحد منهم عنه ، قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه . ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبى غير مرسل كان في قديم الزمان مع مختصر ومن كان بعده من الملوك وجعل علي بن أبي طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من أولها إلى آخرها إلى وقت وفاته ، ثم قال اكتب إلى صاحبك وأمره أن يصلى عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس ، فكتب عمر إلى أبي موسى بذلك ، فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم إلى موضع آخر ، ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التي كانت عليه ، ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ، ثم أمر بقبر فحضره في وسط النهر ، ثم دفنه وأجرى عليه النهر ، فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجرى عليه إلى يومنا هذا والله أعلم .

قال الأستاذ رضى الله عنه : فهذا الذى ذكرت جميع أمر مختصر الذى جاء في التفسير إلا أن رواية من يروى أن مختصر هو الذى غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند أهل السير والأخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك أنهم يجمعون على أن مختصر إنما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبهم شعيا وفي عهد أرميا عليه السلام وهى الواقعة الأولى التى قال الله تعالى فيها - فإذا جاء وعد أولاهما بشنا عليكم عبادا لنا أولى بأش شديد فجابسوا خلال الديار - الآية ، معنى مختصر وجنوده ، قالوا ومن عهد أرميا وتخريب مختصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة وإحدى وستون سنة ، وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب مختصر بيت المقدس إلى آخر عمراته في عهد كرين بن حرسوبن شير بن أصهيل يابل من قبل بهمن اسفنديار بن يستاف سبعين سنة ، ثم من بعد عمراته إلى ظهور الاسكندر إلى بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها إلى مملكته ثمان وثمانون سنة ، ثم من بعد ملكة بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة ، وإنما الصحيح في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار : قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد إليها ملكها بعد اخراب مختصر إياها وسيبهم منها فجابسوا يحدثون الأحداث بعد مهلك عزيز عليه السلام ، فبث الله فيهم الأنبياء ، ففرقا يكذبون

وفرقا يقتلون حتى كان آخر من بث الله ابيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
وكانوا من آل داود عليه السلام فبث زكريا وقتل يحيى بسبب نبه الملك عن نكاح تلك المرأة
فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بث الله عليهم ملكا
من ملوك بابل يقال له [كرموس] فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ، فلما دخل
عليهم أمر رئيسا من رموس جنوده يقال له [بنورازادان] صاحب القتل ، فقال له : إني قد
جلبت بالمهم لأن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط
عسكري إلا أن لا أجد أحدا أتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، ثم إن بنورازادان
دخل بيت المقدس فأقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يسيل فسألهم
منه ، فقالوا : هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فذلك هو يسيل كما تراه ، ولقد قربنا منذ
ثمانمائة سنة القربان قبل منا الا هذا . قال : ما صدقتموني الخبر ، فقالوا له لو كان أول دماننا
قبل منا ولكنه قد انقطعت منا للوك والأنبياء والوحي فذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازادان
على ذلك الم سبعمائة وسبعين رئيسا من رموسهم ، فلم يهدأ لهم فأمر بسبعة آلاف من بينهم
وأزواجهم فذبحهم على الم فلم يهدأ ، فلما رأى بنورازادان لهم لا يهدأ قال لهم : ويلكم
يا بني اسرائيل اسدقوني قبل أن أتنيكم واسبروا على أمر ربكم ، فلقد طلبنا ملككم
في الأرض فتصلون فيها ما هتج ؟ اسدقوني قبل أن لا آرك منكم تافع نار لا أبقى ولا ذكر إلا
قتله ، فلما رأوا الجدد وعدة القتل صدقوه الخبر ، وقالوا : إن هذا دم نبي منا كان ينهانا عن
أموال كثيرة من سخط الله ، فلو أننا ألغناه فيها لكان أرعد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه
وقتلناه فهذا دمه يسيل فقال بنورازادان : ما كان اسمه ، قالوا يحيى بن زكريا : قال : الآن
صدقتموني بمثل هذا يتضم منكم ربكم ، فلما رأى بنورازادان أنهم صدقوه خروا ساجدا ،
وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش كرموس وأبقوا من بقي
من بني اسرائيل ، ثم قال : يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما
قتل منهم من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا من قومك فهذا دم يحيى بن زكريا
بإذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ، ثم قال آمنت باللهي آمنت به بنو اسرائيل
وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره ، فأوحى الله تعالى إلى رأس من رموس بقية الأنبياء أن
بنورازادان حنون صدوق ، وحنون بالبرانية : حديث الايمان ، ثم إن بنورازادان قال
لبنى اسرائيل : إن مندو الله كرموس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري
وإني لست أستطيع أن أصيبه ، فقالوا له اتسل ما أمرت به فأمرهم ففزعوا حسدا ، ثم أمر
بأموالهم من الحيل والبنال والخير والإبل والبقر والتم ففزعوها حتى سلك بهم في العسكر ، وأمر
بقتل الذين كانوا قتلوا قبل ذلك ففزعوها على ما تكل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كرموس

الا أن ما في الخندق من بني إسرائيل، فلما بلغ الدم إلى عسكره أرسل إلى بنو رازادان: أن ارفع عنهم القتل فقد بلغت دماؤهم، ثم انه انصرف عنهم إلى بابل وقد أفتى بني إسرائيل أوكد أن يفتنهم وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى - وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين - الآيات فكانت الوقعة الأولى لبختنصر وجنوده، ثم رد الله لهم الكرة. وكانت لهم الديانة والرياسة، وكانت الوقعة الأخيرة لكردوس وجنوده، فلم تم لهم من بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها إلى الروم واليونانية إلى أن تناسل بنو إسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك، وأحدثوا الأحداث، واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود، فسلط الله عليهم بلطوس ابن اسنايوس فخرّب بلادهم وطردهم عنها، ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة، وضرب عليهم اللثة، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم الضمار والدلة والجزية والملك في غيرهم، وبقي بيت المقدس خرابا إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره، والله أعلم.

باب في ذكر الكندي مر على قرية وهي خاوية على عروشها

قال الله تعالى - أو كاندى مر على قرية وهي خاوية على عروشها - الآية. واختلفوا في ذلك للمار من كان فقال عكرمة وقادة والريبع بن أنس والضحاك والسدي: هو عزيز بن شرحبيل وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير: هو أرمياء بن خلفاء، وكان من سبط هرون بن عمران، وهو الخضر. واختلفوا أيضا في القرية التي مر عليها، فقال عكرمة ووهب وقادة والريبع: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة. وقال السدي: هي سلماباد. وقال السكبي: هي دير سايرا باذ، وقيل دير هرقل، وقيل هي قرية العنب، وهي على فرسخين من بيت المقدس، وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب ابن منبه أن مختصر لما وطى الشام وخرّب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل وسباهم طار أرمياء حتى خالط الوحوش، فلما ولي مختصر عنهم راجعا إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرمياء على حمار له ومعه عصير عنب في دركوة وسلّة تين حتى غشى إيلياء، فلما وقف عليها وعابن خرابها قال - آي يحيى هذه الله بعد موتها -، ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد، وألقى الله تعالى عليه النوم، فلما نام نزع منه الروح مائة عام، ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه البصيرة فلم يره أحد، وذلك ضحى ومنع الله للسباع والطير عن لحمه، فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له [يوشك] فقال له ان الله يأمرك أن تنفر بقومك وتصر بيت المقدس وإيلياء وأرضهما حتى يعودا أعمر ما كانا فأتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثة ألف^(١) عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى مختصر بعموضة

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثة ألف الخ، كذابا لأصل وهو مما لا يمكن عادة كالا يغني اه مصححه

دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بنى اسرائيل ولم يمت منهم جيبا أحد يابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فصرروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كاحسن ما كانوا عليه ، فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حمارة فاذا عظامه متفرقة يبيض تلوح ومع صوتا من السماء : أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ، ثم نادى ثانية : إن الله يأمرك أن تكنتى لحما وحما وجلدا فكان كذلك ، ثم نادى إن الله يأمرك أن تحيا فقام حمارة ينهض باذن الله تعالى ، وعمر الله أرميا فهو الذى يوجد في القلوات .

أخبرني ابن فتحويه الحافظ بأسناده عن وهب قاله : ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرميا الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه . وقال الذين قالوا ان للاركان عزيرا : إن مختصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجسده ، وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فأقدمه مع سببا بنى اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود ، فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمارة حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم يرفها أحدا وطامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فحرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل الصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال - آنى يحيى هذه الله بعد موتها - لم يشك في البعث ولكن قالها تسجيلا ثم ربط حمارة بحبل جديد وثام - فأماته الله مائة عام ثم بعثه - فأثاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت - قال لبثت يوما أو بعض يوم - وذلك أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيوبة الشمس فقال لبثت يوم وهو يرى أن الشمس قد غربت ، ثم انفت ف رأى بقية الشمس ، فقال أو بعض يوم ، فقال له جبريل عليه السلام : بل لبثت مائة عام - فانظر إلى طعامك - يعنى التين وشرايك - يعنى عصير العنب - لم يقسسه - يعنى لم يتغير - وانظر إلى حمارك - . قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يمت حمارة فأحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حمارة قائما كهية يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة ، وتهدير الآية على هذا القول وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف تنشزها وقال آخرون أراد به عظام حمارة كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى - ولنجعلك آية للناس - أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت . وقال الضحاك هو أنه جاد إلى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وهماز وهو أسود الرأس والحية .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ بأسناده عن ابن عباس قال : لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حمارة حتى أتى محله فأنكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه

حتى أتى منزله فإذا هو بجوز عياء مقعدة قد آتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة له فخرج عنهم عزير ، وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته ، فلما أصابها الكبر أصابها الزمانة فقال لها عزير : يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة أحدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس . قال فأتى أنا عزير ؟ قالت سبحان الله فإن عزيرا قد قعدناه منذ مائة سنة ولم تسمع له بذكر ، قال فأتى أنا عزير كان الله قد أماتني مائة سنة ثم بشى . قالت فإن عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للبرى وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيماتيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد على بصرى حتى أراك فإن كنت عزيرا عرفتك . قال فطعا ربه ومسح يده على وجهها وعينها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ، ثم أخذ يدها وقال لها قومي بأذن الله تعالى فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة كما نمت نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته ، فقالت أشهد أنك عزير . ثم انها انطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم في أقبنتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها ، فقالت أنا فلانة مولاكم دعالى ربه فرد على بصرى وأطلق رجله وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بشى . قال فنهض الناس وأقبلوا اليه فقال ابنه : كانت لأنى شامة سوداء مثل الحلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فإذا هي بحالها فعرف عند ذلك أنه عزير عليه الصلاة والسلام

باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه

قال الله تعالى - وقالت اليهود عزير ابن الله - . روى عطية العوفي عن ابن عباس قال : قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم ، فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضا فاستطلعت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزير قد أمر علماءهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله هو وإياهم وابتهل أن يرد إليه ما نسخ من صدره ، فبينما هو يصلى مبتهلا إلى الله إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فنادى إليه الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن في قومه ، وقال : يا قوم قد آتاني الله التوراة وردّها إلى فطلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ، ثم إن التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله ، فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا لأنه ابن الله .

قال السدى وابن عباس في رواية عمار : انما قالت اليهود هذا لأن الصلابة ظهرت عليهم فقتلوه وأخذوا التوراة وهرب علماءهم الذين بقوا ودفنوا التوراة في الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال

والوحوش ، وجعل يتعبد في ردوس الجبال ولا يغالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد ، وجعل يبكي ويقول يارب تركت بني اسرائيل بغير عالم وجعل يبكي حتى سقطت أشفار عينه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهي تبكي وتقول : يا معلم يا مكسياء فقال لها عزير : يا هذه اتقي الله واسبري واحتسي ، أما علمت أن الموت سيل الناس ، ثم قال لها وعحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تدبه ، فقالت الله تعالى . قال فان الله عز وجل حي لا يموت أبدا . قالت يا عزير فمن كان يعلم المعلم قبل بني اسرائيل قال الله تعالى . قالت فلم تبكي عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت ، فلما علم عزير أنه قد خسم ولي مدبرا ، فقالت له : يا عزير إني لست امرأة ولكني الدنيا ، أما إنه سينبئ لك في مصلاك عين وتبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيئا فاعطاك فخذ منه ، فلما أصبح نبت العين في مصلاه ونبت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال له انتح فاك ففتح فاه فالتقى فيه شيئا كهية القوارير ثلاث مرات ، ثم قال له ادخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أملك . قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا يزيد في علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بني اسرائيل قد جتكم بالتوراة ، قالوا يا عزير ما كنت كذابا فربط على كل اصبع له قلما وكتب بأصابه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فأحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها ، فقالوا ما أعطى الله له هذا إلا لأنه ابنه ، وقال السكبي : ان يختصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير إذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدرك أنه قد قرأ التوراة ، فلما مات مائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية فأقام عزير وقال أنا عزير فكذبوه ، وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها ، وقال هذه التوراة ، ثم ان رجلا قال : إن أبي عدني عن جدتي أن التوراة جعلت في خاية دفنت في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخاية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فسيجوا ، وقالوا ان الله تعالى لم يخذف التوراة في قلب رجل واجد منا بعد ما ذهب من قلوبنا إلا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله .

مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور

قال الله تعالى - وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بها قوم آخرين - الى قوله - حصيدا خادمين - قال هشام محمد بن السكبي وغيره . كان بدء نزول العرب أرض العراق وانماهم الحيرة

والأنبار منزلا أن الله تعالى أوحى إلى يوحنا بن برخيا بن رزاييل بن سنسبل وسنسبل هذا هو أول من أخذ الطفيل كان من ولد يهوذا بن يثوب أن اتت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا علق ليوتهم ولأبواب وبطأ بلادهم ويقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم لسكرهم بي وأخذ الآلهة دونى وحكديهم أنبياء ورسل وذلك بعد قتل أهل حضور وهي بلدة باليمن بث الله فيهم نبيا فأقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر يابل فأخبره بما أوحى الله تعالى إليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فأوحى الله تعالى إلى يوحنا إنى قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لأتقم به منهم فطيك بمعد بن عدنان الذى من ولده النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه في آخر الزمان وأتقم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الأرض حتى سبق بختنصر فلقى عدنان وقد تلقاه فنظر إلى معد ولحد يومئذ اثنتا عشرة سنة فعلمه يوحنا على البراق وأردفه خلفه فاتيا إلى أرض نجران من ساعتها ، قالوا ووثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتياز فجمع من ظفره منهم فبنى لهم ديرا على نجف وحسنه ، ثم ضمهم فيه قبيدوا ووكل بهم حرما وحفظه ، ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه الطوائف منهم مسلمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا ، فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فأقبل منهم وأحسن اليهم . قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الترات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأتخن فيهم بالقتل والأسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه من العرب وبختنصر بنات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء بالثارات الأنبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فسدموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى - فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون - أى يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف ، وقتلت لهم الملائكة - لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترقت فيه وما كنكم - الآية ، فلما عرفوا أنه واقع بهم اتقروا بالذنوب - قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم - فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى - فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين - ثم رجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا العرب فأقامهم في الأنبار قبيل أنبار العرب واتقم إليه المستأمنون من العرب وخلق بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب وابتقوا لأنفسهم بلدين فسموا إحداهما الأنبار والأخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا في حياة بختنصر ، فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بني اسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الأنبياء معه .

مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام

وذكر بعض مواظبه وحكمته ووصيته لابنه

قال الله تعالى - ولقد آتينا لقمان الحكمة - يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الأمور .
واختلفوا في نسبة فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو
أزر أبو ابراهيم عليه السلام ، وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام ، وقال مقاتل كان ابن
خالة أيوب ، وقال الواقدى كان قاضي بني اسرائيل ، وقال آخرون كان عبدا ، وقال مجاهد كان
لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين ، وروى الأوزاعي عن عبد الرحمن بن حرمة
قال جاء أسود الى سعيد بن السيب يسأله ، فقال له سعيد بن السيب لا تعجز من أجل أنك أسود
فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من السودان مصر ذا مشافر .

حدثنا الامام أبو منصور الخشاي لفظا بإسناده عن سعيد بن السيب أن لقمان عليه السلام
كان عبدا حبشيا نجارا .

وأخبرني ابن قتيويه . بإسناده عن سعيد بن السيب أن لقمان عليه السلام كان خياطا ، واتفق
العلماء أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة فانه كان يقول : ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول ،
حدثنا أبو منصور الخشاي عنه بإسناده أنه قال كان نبيا . قال بعضهم خير لقمان بين النبوة
والحكمة فاختر الحكمة .

وروى نافع عن عبد الله بن عمر . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «حقا أقول لم يكن
لقمان نبيا ولكن كان عبدا عضمه الله تعالى كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه
بالحكمة » وذلك أنه كان ناعما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في
الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فأجاب الصوت فقال . ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان
عزم على فسمعا وطاعة فاني أعلم انه إن فعل بي أعانني وعصني ، فقالت الملائكة لم يلقمان ؟ قال لأن
الحاكم بأشد للنازل وأكدرها ينشأ الظلم من كل مكان إن أصاب ، فأرجو ان ينجو وان أخطأ
أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا خيرا من ان يكون شريفا ، ومن تغير الدنيا على الآخرة
بتمت الدنيا ولا تبقى له الآخرة ، فتصعبت للملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فاتبه
فحكم بها ، ثم نودي داود بعده قبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك
ومفواؤه عنه ، وكان لقمان يوارزه بحكمته ، فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف
عنك البلاء ، وأعطى داود الخلافة وابتلى بالبليّة والفتنة .

باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن

قال الله تعالى - ولقد آتينا لقمان الحكمة ، وقال أيضا - وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم - الآيات .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده ، قال فبعثه مولاه مع رفقة له إلى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاءوا وليس معهم شيء وقدأكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان ، فقال لمولاه إن ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاستقى وإياهم ماء جميعا ، ثم أرسلنا لتقدقه ففعل فجعلوا يتقايشون الفاكهة وجعل لقمان يتقايا ماء هيا فصرف صدقه من كذبهم ، قال فأول ما روى من حكمته انه بيناهو مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس ففاداه لقمان إن طول الجلوس على الخلاء يتبع منه السكبد ويورث الباسور وتضعف الحرارة الى الرأس فاجلس هونا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش ، قال وسكر مولاه يوما فخطأ أقواما على ان يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خباثتك قال أخرج كرسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتوني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان إن لها مواد فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع ان نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن خالد الربي قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة ، فقال اتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ، فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ، ثم قال له اذبح لنا شاة فقال اتنى بأخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب ، فقال له أمرتك ان تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك ان تأتيني بأخبثها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب ، فقال له إنه ليس بأطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا .

وأخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن محمد بن عجلان قال : قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس .

وأخبرنا عبد الله بإسناده عن أبي هريرة قال : مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له أليس العبد الأسود الذي كنت راغيا بموضع كذا وكذا ؟ قال بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعينني .

أخبرني الحسين بن محمد عن أبيه ، قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كلاما للزرع . وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلتقاء غلامه في الطريق فقال له ما فعل أبي ؟ قال مات . قال الحمد لله

ملكك أمرى . قال فافعلت أمرأتى ؟ قال ماتت . قال جدد فراشى . قال ما فعلت أخفى ؟ قال ماتت ،
قال استرت عورتى . قال ما فعلت أخى ؟ قال مات قال اقطع ظهرى .
أخبرنا الحسين بن الحسن بن محمد بإسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس أشرف ؟ قال
الذى لا يبالي أن يراه الناس ميتا . وقيل للقمان ما أقبح وجهك . قال تعيب بهذا على الناس
أو على الناس .

وروى المحاربي عن سفيان الثوري قال : قال لقمان لابنه إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها
ناس كثيرون فلتكن سفيتك فيها تقوى الله وليكن حشوها إيمانك بالله وشراعها التوكل على الله
فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا . يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون يا بني
خذ من الدنيا بقة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بأخرتك . ولا ترفضها فتكون عيالا على
الناس وصم صيما يقطع شهوتك ولا تصم صيما يمنعك عن الصلاة فإن الصلاة عند الله أعظم من
الصوم . يا بني لاتعلم العلم لتباهى به العلماء وتمارى به السفهاء أو ترائى به في المجالس ولا تترك
العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة . يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوما يذكرون الله
فاجلس إليهم فإنك إن تك عالما ينفعك علمك ويزيدك علما وإن تكن مستاهلا يملوك ولعل الله
أن يطالعهم برحمته فتعلم معهم وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس إليهم فإنك إن
تكن عالما لا ينفعهم علمك وإن تكن جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يطالعهم بالعقوبة
فتعلم . يا بني لا تضع برك إلا عند زاعجه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس
بين البار والفاجر خلة . ومن يحب للراء يشتم ومن يدخل مداخل سوء يتهم ومن يقارن قرين
السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم . يا بني كن عبدا للأخيار ولا تكن خليلا للأشرار . يا بني
كن أميناً تكن غنيا ولا تر الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر . يا بني جالس العلماء وزاحمهم
بركبتك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم ، والطف بهم في السؤال إذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك ،
يا بني لا تطلب من الأمر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فإن ذلك يقل الرأي ويزري بالعقل ، يا بني
إن تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا . يا بني إذا سافرت فلا تأمن على دابتك فإن ذلك سريع في إدارها
وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون في محل يمكنك فيه التقيد وإذا قربت من المنزل فأنزل
عن دابتك وسر ثم ابدا بملفها قبل شمسك وإياك والنهر في أول الليل ، وعليك بالتحريس
والادلاج من نصف الليل إلى آخره . وسافر بسيفك وخفك وحماتك وكسائك وسقائك وإبرتك
وخيوطك وعجزك وتزود من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك ، وكن لأصحابك موافقا موافيا إلا
في مصيبة الله ، يا بني إياك والتعنع فإنه بالنهار شهرة وبالليل رية . يا بني لاتأمر الناس بالبر وتنسى نفسك
فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه . يا بني لاتعقرن من الأمور صفارها إن الصفار
غدا يصير كبارا . يا بني إياك والكذب فإنه ضد دينك وينقص عند الناس مروءتك فمنذ ذلك ينهب

حيائك وبهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك إذا حدثت ولا تصدق إذا قلت ولا خير في العيش إذا كان هكذا . يا بني إياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الحال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الأحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فإن من حسن خلقه وأظهر بشره وبسطه حظى عند الأبرار وأحبه الأخيار وجانبه القجار . يا بني لا تعلق نفسك بالمحوم ولا تشغل قلبك بالأحزان وإياك والطمع وارضى بالقضاء واقع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وإن أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في أيدي الناس فإن ما بلغ الأنبياء الصديقون ما بلغوا إلا بقطع طمعهم عما في أيدي الناس . يا بني إن الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقديقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تفتيرا ولا تعطه تبذيرا . يا بني ألزم الحكمة تكرم بها وأعزها تمزيها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل . يا بني للحاسد ثلاث علامات يفتاب صاحبها إن غاب ويتعلق إذا شهد ويشت في بالمصيبة . ثم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه أنم والله أعلم .

مجلس في قصة بلوقيا

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحزقي بإسناده عن عبد الله بن سلام الأسرائيلي قال كان في بني إسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان إماما لبني إسرائيل وكان قد عرف نعمت النبي عليه السلام وأمته في التوراة فنبأهم وكنتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني إسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والإمامة والقضاء في يده ففتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا ثقيل من حديد فسأل الحزان عن ذلك فقالوا لا ندري فأحتال على القفل حتى فكه فإذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فإذا فيه أوراق فيها نعمت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالسك ففكها وقرأ ما فيها على بني إسرائيل ثم انه قال الولد لك يا أبت من الله فيما كتبت وكنتم من الحق عن بني إسرائيل فرده إلى أهله فقال بنو إسرائيل يا بلوقيا لولا أنك إمامنا وكبرنا لنبتنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا خير إنما تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعمت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم فلوقيا من الأحياء فاستأذنها في الخروج إلى بلاد الشام وكانوا يومئذ يبلاد مصر فقالت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير إذ انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا هو بجيات كأمثال الأبل عظما وفي الطول ماشاء الله وهن يقلن

لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما رأته قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك ؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل قتلن وما اسرائيل قال من ولد آدم قتلن سمعا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل . قال فقال لهم بلوقيا أيها الحيات من أنتن قتلن نحن من حيات جهنم ونحن نغضب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا قتلن إن جهنم تغور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا إلى ههنا ثم نعود إليها فنشده الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درب من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سراق من سراقها إلا وقد كتب الله عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال بلوقيا أيها الحيات هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن قتلن إن في جهنم حيات تدخل إحداها في أنف إحداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمتها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فإذا هو بحيات كأمثال الجنود والسوارى وطى متن إحداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فإذا فطخت صرفت تحت الأرض خوفا منها قال فلما رأيتها ورأته قالت أيها المخلوق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فأخبرني أيها الحية من أنت قالت أنا موكة بالحيات واسمى تملينا وكولا أي موكة بهن قتلن بنى آدم كلهم في يوم واحد ولكني إذا صرفت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الأرض ولكن يا بلوقيا إن لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فأقرته مني السلام ثم مضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأتى بيت القدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فأتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الخير يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها تملينا فإن قلدت أن أصيدا رجوت أن أنال منك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة إلى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه ، فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك للكان مقام عفان وأخذ تابوتا من حديد ومملو فيه قدحين من فضة في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى اتنيا إلى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتبعيا فجمعت الحية ثبني الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت وثابتت مقام عفان ودب إلى التابوت ديبيا خفيقا فأغلق عليها باب التابوت وحسنه وأخذها ومرا جميعا فلم يمرأ بشجرة ولا نبت إلا كلهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرميل فقالت يا عفان من يأخذني وقطعني ويدقني ويصر مائي ودهني ويطلني به قسيه فإنه يغوض البحر السبعة فلا يبتل قدماء ولا يفرق ، فقال عفان إليك له طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر مائها وأخرج دهنها وجعل في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والأرض وهي تقول يا بنى آدم ما أجراكم على ربكم ولن تصلوا إلى ما تريدون قال فنهب الحية وسار عفان وبلوقيا إلى البحر فطلبا أقدامهما ثم دخلا في الميم ومشيا في الماء كأعما كانا عشيان

على الأرض حتى قطعنا البحر الأول ثم الثاني فإذا جبل في وسط البحر ليس بعال ولا متدان
تراه كالكسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير عتاب مستلق
على قفاه ذو وفرة واضح يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى
رأسه تين وخامه بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في خامه وكان خامه
من ذهب ونصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الأعظم
وكان عند عفان علم من الكتاب ، فقال بلوقيا من هذا البيت يا عفان ؟ فقال هذا سليمان بن داود
نريد أن نأخذ خامه ونملك ملكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقال
بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فأعطاه إياه على ما سأل
ولا ينال ملك سليمان إلى يوم القيامة لهطائه ؟ فقال عفان يا بلوقيا اسكت إن الله معنا ومعنا اسم الله
الأعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الحاتم من يد سليمان من أصبعه فقال
التين ما أجزأك على ربك إن غلبتنا بأسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرته الله تعالى ، قال فكلما
رفع التين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تشمل شخات التين فهما شيئا ودنا عفان من السرير
لينزع الحاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول جبريل عليه السلام من السماء ، فلما نزل
صاح بهما صيحة ارتجعت الأرض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتططمت
حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ورفع
التين فخرج من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فماتت
النفخة بهي إلا أحرقت ولا بماء إلا سخته وأغلته ، وإن بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله
الأعظم فلم ينله مكروه . ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجزأك
على الله ، فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله ؟ فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين ، فقال بلوقيا
يا جبريل إنما خرجت جبا لحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمد . قال فبذلك
نجوت . ثم سعد جبريل عليه السلام إلى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل
الطريق الذي جاء منه وأخذ في طريق أخرى فسار ومضى ستة أبحر ووقع في السابغ فإذا هو
بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان . فقال بلوقيا
ما أشبه هذا للكان بالجنة على ما وصفت . قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها ،
فقال الشجرة يا خاطي يا ابن الخاطي لا تأخذ مني شيئا فيق مشجبا ، وإذا بهذء الشجرة قوم
يتراكتون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطنن فلما رأوا بلوقيا
أحاطوا به وأحذقوا من ورائه وهو باه سوء ، قد ذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا
سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا ابن نوح
آدم فقالوا ما اسمك ؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل ، فقالوا لعرف آدم ولا نعرف إسرائيل

غما الذي أوقفك الينا ، فقال إني خرجت في طلب نبي يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وإني قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الأحوال كذا وكذا ، فقالوا يابلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ، ثم نزلنا الى الأرض وقتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نفزوم ونجاهدكم الى يوم القيامة ولنا نفوت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا ، فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخرا ياصخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان ؟ قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنه وخلق منها خلقين خلقا في سمائه سماه جبلت وخلقا في أرضه سماه تمليت ، فأما جبلت فانه خلق في صورة أسد وتمليت في صورة ذئب ، وجعل الأسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الأسد بمنزلة ذنب الحية ، وأمرهما أن ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الأسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ، ثم أمرهما أن يتناكحا فعملت الذئب من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلمنه أبوه وهو إبليس وكان اسمه الحارث وكنيته أبومرة فهذا أول خلق الجن يابلوقيا ، وإن دوابنا لا تثبت مع الانس ولكنني أجعل فرسي وأبرقه حتى لا يعرف من راكبه وأركب عليه على اسم الله تعالى فإذا انتهت الى أقصى أعمالي على ساحل بحر كذا وكذا فإذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش في حفظ الله راعدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما ، وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يابلوقيا منذ كم فارتك الملك ؟ قال فارقته من غدوة قال ما أسرع ما جئت قد أتيت فرسنا فقال بلوقيا ما مدت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا. قال بل ولكن فرسنا أحسن بك وبمزلتك وتهلك فطار ما بين السماء والأرض ليربح نفسه منك فكم تراه جاب بك ؟ قال خمس فراسخ أو أكثر قال بل جاب بك في هذه الليلة مسيرة مائة وعشرين سنة ، وكان يطير بك بين السماء والأرض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم . قال فحلوا عنه السرج واللجام والبرقع فإذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان اهتضا وتسكرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال ، قال بلوقيا هذا والله لمجيئ فقالوا عجائب الله لا تنفص ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق ؟ قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما معك ؟ قال اسمي يوحايل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين ؟ قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ، ولو سبق النهار الليل أضأت السموات والأرض ولم يكن الليل أبدا ، ولو سبقت الظلمة

النور لأظلمت السموات والأرض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض و سطر اسود ، فاذا رأيت السواد ينقص تهتت الظلمة وإذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة وإذا رأيت السطر الأبيض يزداد زدت النهار وإذا انتقص تهتت فذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ، ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الأرض وقدماء تحت الثرى وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فلم عليه بلوقيا فقال له الملك بمن أنت وما اسمك ؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ، ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال عحايل قال فما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء ؟ قال أحبس الريح يميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها ويدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لأن في السماء ريحا تسمى الهائمة ولو أرسلتها لنسفت من في السماء ومن في الأرض . قال فلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الأسد والرابع رأسه كرأس الانسان ، فأما الملك الذي رأسه كرأس الثور ، فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كيلا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتن ، واجعلني من أهل شفاعتي يا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وأما الذي رأسه كرأس الأسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من أهل شفاعتي يا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وأما الذي رأسه كرأس الانسان ، فانه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم ارحم اللسنتين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من أهل شفاعتي يا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وإن جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى - ق - والقرآن المهيد - فلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من أنت ؟ قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد ؟ قال خرجت في طلب نبي من العرب يقال له محمد ولست أرى أثره ولا أدرى بأى بلاد أنا فقال له الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي حزقيايل قال وما تصنع ههنا قال أنا أمين الله على جبل قاف وفي يده وتر مرة يتقدمه ومرة يحمله وعروق الأرض كلها مشدودة عليه والوتر في كفه قال فاذا أراد الله أن ينطق على عباده أمرني أن أمد الوتر وأشدّه وأوثق عروق الأرض فتضيق الدنيا على العباد وإذا أراد الله أن يوسع عليهم أمرني أن أرخي الوتر فأتق عروق الأرض فتتسع الدنيا على العباد وإذا أراد الله أن يخوف قوما أمرني أن أحرك عروق تلك الأرض فمن

أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك ما وراءك قاف قال وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها في كل دنيا أربعمائة ألف باب في كل باب أربعمائة ألف ضف مثل الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور أرضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها للملائكة لا يعرفون آدم ولا إبليس ولا جهنم وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ألهموا ولذلك خلقوا وبه أمروا إلى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم أيها الملك قال حجب ووراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا أخبرني أيها الملك على أي شيء هذا الجبل موضوع قال بين قرني نور واسمه بهموت وهو أبيض رأسه بالشرق ومؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الأرضون وكم البحار ؟ قال الأرضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هي ؟ قال تحت الأرض السابعة ، فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبده كبد الثور وهما يقولان لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقال بلوقيا أيها الخلق الخلق بمن أنت وما اسمك ؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل من ولد آدم فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها . قال كيف تعرفون محمداً وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم وإسرائيل ، فقال بلوقيا افتح لي الباب حتى أجوز فقالا لا نحسن فتحه وإن الله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه . قال فأمر الله تعالى جبريل فنزل إليه وفتح له ، ثم قال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله ، ثم جاز بلوقيا حتى انتهى إلى بحرين بحر مالخ وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالخ جبال من ذهب وفي البحر العذب جبال من فضة وبينهما ملك على صورة الغلة ومعه ملائكة على تلك الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام ، وقالوا من أنت فأخبرهم بقصته ، ثم قال لهم بلوقيا من أتم : قالوا نحن أمنا الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان ، فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الأحمر ؟ قالوا هذا كنز الله في الأرض فكل ذهب يظهر في الأرض من هذا الجبل الأحمر وكل ماء في الدنيا من ماء عذب أو ملح إنما هو من ماء هذين البحرين وماؤهما إنما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله للملائكة والجبل الأبيض من فضة وهو كنز الله ، وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ، ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى بحر عظيم ، فإذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم يقضى بين الحيتان . فلما نظر إلى بلوقيا . قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فسلم عليه بلوقيا ، ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ، ثم قال له يا بلوقيا إن لقيت محمداً

فأقره منى السلام ، فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم إنه قال : أيتها الحيتان إني جائع عطشان وماء هذا البحر مالخ وما أجد ما أكل وما أشرب . قال : فقال الحوت الأعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما إذا أكلته تسير أربعين سنة لا تعب ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فأطعمه ذلك الحوت قريبا أيمن فأكله ومضى حتى بلغ العمران ، ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجرى على الماء كأنه البدر ، فقال له بلوقيا ، من أنت فقال : سل الذى خلفى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوءه كضوء القمر ، فقال له بلوقيا من أنت ؟ قال سل الذى خلفى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القبر يلوح فى آخر الشمس ، فقال له بلوقيا أنشدك الله إلا ما وقعت على فوق ، وقال لبلوقيا لماذا تستحلفنى . قال خشيت أن تفوتنى كما صدر من أصحابك الماضين ثم قال له من كان الأول . قال اسرافيل صاحب الصور . والثانى ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى . فقال له بلوقيا لماذا تصنعون فى هذا اليم . قال حية من حيات البحر قد أدت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وإنا أمرنا أن نسوقها إلى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة . قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها ؟ قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة ، فقال بلوقيا أياكون فى جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم إن فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية فى أنف إحداهن ولا تشر بها وتخرج من فيها ولا تشر بها من عظم خلقها قال فلم بلوقيا ومضى إلى جزيرة أخرى فاذا هو بظلام أيمن أمره بين قبرين فلم عليه بلوقيا ، وقال له يا شاب من أنت وما اسمك ؟ قال اسمى صالح . قال فما هذان القبران . قال أحدهما قبر أبى ، والآخر قبر أمى ، وكنا صالحين فماتنا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة ، فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعينه من ياقوت وبقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرد وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوى فلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر ؟ قال أنا من طيور الجنة وإن الله تعالى قد بعثنى إلى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة وإنى كنت معه حين لقي حواء وأباح الله له الأكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وطائر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة ، فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص ، فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفأكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد ؟ فقال معى أبو العباس يأتينى أحيانا قال ومن أبو العباس . قال انظر عليه السلام ، فلما ذكره انظر إذا به أقبل وعليه ثياب بيض فلما خطا خطوة إلا نبت الخشيش تحت قدميه . قال فلم على بلوقيا وسأله عن حاله ، فقال بلوقيا طالت غيبتى وأريد الرجوع إلى أمى . فقال انظر بينك

وبين أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة شهر ، فقال الطائر إن كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة يوم ، فقال الخضر عليه السلام فأنا أردك إليها في ساعة واحدة . ثم قال غمض عينيك فمضيهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فإذا هو جالس عند أمه فسألها من جاء بي إليك قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض فوضعك قداهي ثم إن بلوقيا حدث بني إسرائيل بما رأى من الصائب والأخبار فأثبتوها وكتبوها إلى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البحر والبر سهلاً وجبلاً والله أعلم .

مجلس في ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام

قال الله تعالى - وسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً -

باب في نسبه واقبه

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيليش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومي بن لطيف بن يونان بن يافث ، ويقال نسبه ينتهي إلى العيص بن اسحق ابن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا بن دارا ، وذلك أن دارا الأكبر بن بهمن بن اسفنديار بن يستاف كان تزوج أم اسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلاله وانها حملت إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحال في زوال ذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله ، فأنهت نفسه عنها لبقية نتنها وعطفها فربها على أهلها وقد علفت منه فولدت له في أهلها غلاماً فسماه باسم الشجرة التي غسلت بمائها سندروس فهذا أصل اسمه ، ثم خفت قليل اسكندر وكفى بذي القرنين واختلفوا في سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لأنه ملك الروم وفارس وقيل لأنه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم ، وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف للشرق والغرب ، وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر وقيل لأنه كان له نوابتان حستان والنوابة تسمى قرناً ، وقيل لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لأنه كان اعرض في وقته قرنان من الناس وهو حي ، وقيل لأنه كان إذا حارب قاتل يديه وركابه جميعاً وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لأنه دخل النور والظلمة والله أعلم .

باب في قصة ذكر أمره وسبب استكمال ملكه

قال الله تعالى - إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سبباً - وقال قوم كان فيليب اليوناني أبو الاسكندر ملك اليونانيين ، فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الأصغر وكان أبو هلاثة جد الاسكندر لأمه ملكاً من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاة جميعاً إلى ملوك الفرس وكانت الاتاة التي كان أبو الاسكندر يؤدها إلى ملوك الفرس يضة من ذهب ، فلما ملك الاسكندر وكان رجلاً ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم قهرهم واستجمع له ملك الروم ، ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأفس بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الأصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الحراج والاتاة عن نفسه وعن ملك الروم ، فكتب اليه دارا بن دارا قصة الحراج والاتاة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابه الاسكندر اني قد ذهبت تلك السجادة التي قد كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها ، فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في امتناعه عن حمل الحراج اليه وبث اليه بصولجان وكرة وقبزي سسم ، وأعلمه فيها كتب به اليه أنك صبي وأنه ينبغي لك أن تلعب بالصولجان والكرة التي بثت بهما اليك ولا تقلد الملك ولا تلبس به ولا تستعصى والا بشت اليك من يأتي بك في وثاق ولو كانت جنودك بسند حب السسم الذي بثت به اليك ، فبث اليه الاسكندر في جواب ذلك : اني قد فهمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت في كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضمنت الكرة إلى الصولجان وشئت الكرة بأرض واني محتو على ملكك وأضيفه إلى ملكي وأضيف بلادك إلى بلادي ، واني نظرت إلى السسم الذي بثته إلى كظري إلى الصولجان والكرة وبثت إلى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه في الجواب انما بشت اليك بذلك لأن جنودي مثل ذلك ، فلما وصل إلى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضاً تأهب لقاته ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلي الخزر واقتلأ أحد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فغرض له فرسان من قرايته وأهل بيته وجمته ، وقبل ان أحدهما كان صنيعة ، فطشناه فأردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما إياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيراً ولا يقتل ، فأخبر بشأن دارا فأسرع حتى وقف عليه فراه يهود نفسه فزلق اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وأن الذي أصابه لم يكن قط براه وانما غدر به جهاته ، ثم قال له سلبني مما بدا لك فأسخطك به فقال له دارا ان لي اليك حاجتين : أحدهما أن تنضم لي من الرجلين اللذين فكابي وسامهما وبلادهما . والثانية أن تتزوج ابنتي ووشك ، فأجابه إلى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على

ملك موغش اهل بلده ، وتزوج ابنته روشك ، وكان ملك دارا أربع عشرة سنة ، فلما قتل
اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا ، وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا .

باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا

ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق

قالت العلماء بأخبار القدماء : لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد ، فهم
ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من بيوت الأوثان وقتل الموازنة
وأحرق كتبهم ودعا الناس إلى الاسلام والتوحيد .

قال المرتضى في سبب احراق كتبهم . ان الجيوش جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب
بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثني عشر ألفا فأحرقوها لحصول ذلك الذهب
وبني اثنتي عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ، ومدينة بأرض
أصفهان بنيت على مثال الجنة ، ومدينة بأرض اليونان يقال لها هيلاقوس ، ومدينة بأرض
بابل لزوجه روشك بنت دارا ومدينة الاسكندرية . ثم إنه رأى في منامه أنه أخذ تفرق
الشمس ورأى في منامه أنه يسير إلى آفاق الأرض شرقا وغربا .

واختلف العلماء في نبوته فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أدري أكان
ذو القرنين نبيا أم لا » فلو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسئلة تكلفا ، ثم اختلفوا
بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وإنما كان عبدا صالحا ومملوكا عادلا فاضلا ، وقال آخرون بل كان
نبيا غير مرسل ، والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل ، لما روى وهب وغيره من
أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره
وكان اسمه الاسكندر . وقال كان اسمه عباسا وكان عبدا صالحا ، فلما استحكم ملكه
 واجتمع أمره أوحى الله تعالى إليه يا ذا القرنين اني قد بعثت إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين
 وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك واني باعثك إلى أمم الأرض كلهم وهم سبع أمم
 مختلفة السنتهم . منهم أمتان بينهما عرض الأرض وأمتان بينهما طول الأرض وثلاث أمم في وسط
 الأرض وهم الانس والجن وأجوج ومأجوج ، فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض
 فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بجبالها يقال لها منسك وهي عند مطلع
 الشمس ، وأما الأمتان اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل
 والأخرى بجبالها في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل ، فلما قال الله تعالى له ذلك قال
 ذو القرنين إلهي انك قد تدبقتني إلى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فأخبرني عن هذه الأمم التي قد
 بعثتني إليها بأى قوة أكابرهم ، وبأى جمع وحيلة أكابرهم وبأى صبر أقاسيمهم وبأى لسان

أناطقهم ، وكيف لي بأن ألقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم ، وبأى بصر أقدم وبأى حجة أخاصهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب أحكم أدبر أمرهم ، وبأى قسط أعدل بينهم وبأى حلم أصبرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أثنى أمورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطوهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أولئهم وليس عندى يا إلهى شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقوين عليهم وأنت الرؤوف الرحيم لا تكلف نفعا إلا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تنقها بل أنت ترحمها ، فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك سمعك ومذكرك فتسمع وتنبى كل شئ ، وأشرح لك فهمك فتفقه كل شئ ، وأبسط لك لسانك فتتطق بكل شئ وأفتح لك بصرك فتتقذ كل شئ وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شئ وأشد لك عضدك فلا يهولك شئ وأشد لك ركك فلا يفلبك شئ وأشد لك قلبك فلا يفزعك شئ وأشد لك يديك فتسطلو على كل شئ وأشد لك وطأك فتهلك كل شئ وألبسك الهية فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوط بك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يقل وقال لابد من طاعة الله تعالى ، ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعائة ذراع وعرضه مائتى ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله فى السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السورى . قالوا كيف نصنع ؟ قال إذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد ، فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على المور قدره وعلى القتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم مكمون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتى ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ، ثم تدعون للساكين لنقل التراب فيسارعون إليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيئا فهو له ، ففعلوا ذلك فأخرج الساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واجتفى الساكين ، فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد فى كل جند عشرة آلاف ، ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن حند دارا ستمائة ألف ، ومن الساكين أربعون ألفا ، ثم انطلق يوم الأمة التى عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى - حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تقرب فى عين حمئة - أى ذات حمأ ، ومن قرأ حامية بألف من غير همز فعنه جاره .

أخبرنا عبد الله بن حامد الأصمهانى بإسناده عن ابن عباس قال : أقرأنيها أبى بن كعب كما أقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة ، وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية

إذ قرأ هذه الآية وجدها تقرب في عين حامية فقلت ما ترونها الاحمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف ترونها ؟ قال أترؤوها كما قرأتها يا أمير المؤمنين . قال ابن عباس فأطلت الجبال معهما فأرسل معاوية إلى كعب فجاهه فقال له . أين تجدد الشمس تقرب في التوراة يا كعب . قال أما العربية فأتم أعلم بها مني ، وأما الشمس فاني أجدها في التوراة تقرب في ماء وطين ، وأنت ذلك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع :

قد كان ذو القرنين قبل مسلما ملكا تدين له السلوك وتسجد

بلغ الشارق والغارب يتسمى أسباب أمر من حكم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرم

قال معاوية ما الخلب يا كعب ؟ قلت الطين بكلامهم قال فما الثأط قلت الحمأة قال وما الحرم قلت الأسود فندما رجلا قال اكتب ما يقول .

فلما بنى مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصى الا الله تعالى وقوة وبأس لا يطيقه إلا الله تعالى ورأى السنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى - وجد عندها قوما - يعني ناسا فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فغضب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، فعند إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أنفوسهم وأنوفهم وآذانهم وأجوانهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب ، فلما خوفوا صاحوا وتغيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويده وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض اليمنى التي يقال لها هاويل ، وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطئ . إذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه حتى إذا انتهى إلى بحر أو بحارة هبأ سفنا من ألواح صغار مثل النمل فيلحمها في ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الأمم وتلك الجنود وإذا بلغ البحار والأنهار فتفهم ثم يدفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يكثر بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل ففعل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم ففعل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الأمتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الأرض اليسرى وهو يريد تاويل وهي للأمة التي بحال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيها قبلها فذلك قوله تعالى - حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا - وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه نساء

وكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى ما يشتهيهم وحروثهم .
وقال الحسن كانت أرضهم أرضا لا تحتل البناء وكانوا إذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء
فلذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما فرعى البهائم . وقال ابن جرير جاءهم مرة جيش للفرج على
طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما تبرح حتى تطلع الشمس ففراها ، ثم إنهم قالوا ما هذه العظام
فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا ههنا . قال فلنهبوا هارين في الأرض . وقال
الكلبي هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عمأة عن الحق . قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية
قال وجدت رجلا يسمر قد يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون ، فسألت بعض من
سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس . قال خرجت حتى جاؤت
الصين ثم سألت عنهم ، ف قيل لي إن بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومى
وليتي حتى صبحتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويكثف الأخرى ، وكان صاحبي يحسن لسانهم
فسألهم فقالوا له إذا تنظر كيف تطلع الشمس . قال فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيفة الصلصلة
ففتش على فوقعت ، فلما أفتت قت وهم يمسحون على بالهمن ، فلما طلعت الشمس على الماء إذا
هى على الماء كهيفة الزيت وإذا طرف السماء كهيفة القسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سرايا لهم أنا
وصاحبي ، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجمعوا يصطادون السمك ويلتجرون في الشمس
فينضج والله أعلم .

باب في صفة سد ذى القرنين وما يتعلق به

قال الله تعالى - حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا -
قالت العلماء بأخبار القدماء : لما فرغ ذو القرنين من أمر الأمم الذين هم في أطراف الأرض ، وطاف
للشرق والغرب عطف منها على الأمم التي في وسط الأرض من الجن والأنس وأجوج ومأجوج
فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة سالحة من الانس : ياذا
القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم
ياكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تقتربها السباع ولا يكون حشرات الأرض
كلها من الحيات والقارب وكل ذى روح ، خلق الله في الأرض ، وليس لله خلق ينمون نعام
ولا يزدادون كزيادتهم ، فإن أنت أطلعت على ما ينمو من نعامهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملاؤن
الأرض ويخرجون أهلها منها ويظهرون عليها ويضدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم
الا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نعمل لك خرجا أى جملا وأجرا
على أن نجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون إلينا . فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى
أى قوائى عليه خير من خراجكم فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا

وما تلك القوة ؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة . قالوا وماتلك الآلة ؟ قال آتوني زبر الحديد أى قطعه واحدها زبرة وآتوني النحاس ، فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس مايسع هذا العمل ؟ قال سأدلكم على معادنهما . قالوا فبأى قوة قطع الحديد والنحاس ؟ فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون ، وهو أشد ماخلق الله فى الأرض يياضا وهو الذى قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ، ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فبعله كالطين والملاط لتلك الصخور التى هى من الحديد ثم بنى ، وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير انه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ، فلما أنشأ فى عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه . قال انفقوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس اللدباب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برهجرة من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد وغبرته ، فصار سدا طويلا عظيما حصينا قال تعالى - فما استطاعوا أن يظهروه - أى يملوه - وما استطاعوا له نقبا - .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلا قال يابنى الله قد رأيت سدا بأجوج ومأجوج قال انعتلى ، قال كالبرد المبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته ، ويقال إن موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الأرض بينه وبين الحزر مسيرة اثنين وسبعين يوما ، وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى فى المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان فى خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة ، وأعطاه مائتي بقة تعمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسماعيل صاحب أرمينية وكان بفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الأزالى طلجند فى بلاد شاه ملك الحزر ، فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منقطة الريح ، وكانوا قد حملوا معهم شيئا يشمون من الرائحة الذكية ، فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب تنن الريح ماهو ؟ فقالوا مات ههنا قوم ، ثم ساروا فى مدن خراب عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها بأجوج ومأجوج فخرَّبوها ، ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرءون القرآن ولهم مكاتب ومساجد ، فقالوا لنا من هؤلاء القوم ؟ قلنا رسل أمير المؤمنين ، فقالوا ومن هو أمير المؤمنين ؟ قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا : شيخ أوثاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ، ثم فارقوهم وساروا إلى جبل أملس

ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضاداته مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس في سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين علو كل واحدة مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المسمى النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر ، وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شوافة قرص مبنى بعضها الى بعض منظومة كل واحدة في صاحبها اذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا قائمتاهما في دورهما على قدر الدربند ، وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الأرض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى القلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة النجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع سوى مافي العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع . وهذا كله بذراع السواد ، ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزية من حديد وزن كل واحدة خمسون مئاة فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يعدوا في الباب حدثا ، فاذا ضربوا أصغوا اليه بأذانهم فيسمعون من داخل دوبا ، وبالتقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب في أحدا الحصنين آلة البناء التي بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد الترقى بعضه ببعض من الصدا واللثة ذراع ونصف في عرض شبر ، وسألنا هل وراء ذلك أحد من أهل يأجوج ومأجوج ؟ فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأى العين شبرا ونصفا . قال فلما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء على نواحي خراسان فعدلنا اليها فوقنا الى القرب من ممر قد على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زدودنا الطعام ، ثم سرنا الى عبدالله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي بمائة درهم ، وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سمر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم .

باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : كان ذو القرنين قد ملك ما بين الشرق والغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفايل يأتيه ويؤزره ، فبينما هما ذات يوم يتحدثان

إذ قال له ذو القرنين يارفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال ياذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا إن في السماء من اللاتكة من هو قائم لا يجلس أبدا ، ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ، ومن هو راكع لا يستوى قائما أبدا يقول سبحان القدوس رب اللاتكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ، ثم قال إني أحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربي حق عبادته ، فقال رفائيل أوتحب ذلك ياذا القرنين ؟ قال نعم . قال رفائيل فان لله عينا في الأرض تسمى عين الحياة فلما من الله عز وجل أن من يشرب منها شرية لا يموت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت ، قال له ذو القرنين هل تعلمون أتم موضع تلك العين ؟ فقال لاغير أنا تتحدث في السماء أن لله في الأرض ظلة لا يطرؤها إنس ولاجان فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلة فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيها قرآنهم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الأحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء أن الله وضع في الأرض عينا سهاها عين الحياة ، قالت العلماء لا ، فقال عالم من العلماء اني قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الأرض ظلة لم يطأها إنس ولا جان ووضع فيها عين الخلد ، قال ذو القرنين أين وجدتها ؟ قال وجدتها في الأرض التي على قرن الشمس فبحث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والأشراف من الناس وللوك ، ثم صار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلة فاذا هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل ففكر هناك ثم جمع علماء عسكره ، فقال اني أريد أن أسألك هذه الظلمة ، قالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والأنبياء لم يَطْأُوا هذه الأرض فلا تطأها فانا نخاف أن يفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الأرض ومن عليها ، فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم أنك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتبناك ولكننا نخاف من الله تعالى فسادا في الأرض ومن عليها ، فقال ذو القرنين لا بد من أن أسلكها قالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أي الدواب بالليل أبصر ؟ قالوا الحيل قالوا أي الحيل بالليل أبصر ؟ قالوا الاناث قال وأي الاناث أبصر قالوا البكارى قال فأرسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنقى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجهه مقدمته في التين وبقى ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا مني معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك إنا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يصير بضنا بضنا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خريزة حمراء وقال له حيث يصيكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين صاحت قال فسلر الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين

فبينما الحضر عليه السلام يسير إذ عرض له واد فظن الحضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك ، فقام على شفير الوادي ومكث طويلاً ثم أجابته الخرزة فطلب صوتها فاتتهى إليها فاذا هي على جانب العين فنزع الحضر ثيابه ثم دخل العين فإذا ماؤها أشد يابضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الحضر الى صوتها الى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله ، وإن ذا القرنين مرّ فأخطأ الوادي فسلخوا تلك الظلمة في أربعين يوماً ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والأرض حمراء رملة خشخاشية فاذا هم بقصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بفسكه ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا وإذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموماً بأفقه الى الحديدة معلقاً بين السماء والأرض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين . قال من هذا ؟ قال أنا ذو القرنين ، فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفالك ما ورائي حتى وصلت اليّ ، ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل ، فقال هل كثير بناء الجص والآجر في الأرض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ، ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور في الأرض ؟ قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديداً ، فقال الطائر لا تخف حدثني . قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعد ؟ قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا ، فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسل كما هو ذا القرنين وهو خائف وجل لا يدري على ما بهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح محدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه ، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا ؟ قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وإني منتظر أمر ربّي يأمرني أن أنفخ في الصور ، ثم ان صاحب الصهد أخذ شيئا من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبع وان جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ووزل حتى آتى الى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله له وما أورده عليه ، وما قال له صاحب الصور ، ثم جمع علماء عسكره وقال أخبروني ما هذا الحجر وما أمره ؟ فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور ؟ فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبع وان جاع جعت ، فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فقال بالآلف جميعا فقالت العلماء انقطع علنا دون هذا لانعرف أسحر هذا أم علم لانعلمه ، فقال الحضر عليه السلام

وكان واقفا أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الليزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذوالقرنين فوضعه في إحدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجاره فوضعه في الكفة الأخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذوالقرنين ثم رفع الليزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه ألف حجر فلما استقل به ، فقال الخضر عليه السلام : أيها الملك إن سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وإن الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وإنه ابتلاني بك وابتلاك بي ، فقال ذوالقرنين صدقت فأخبرني ماهذا الحجر ؟ فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن الله تعالى مكن لك في الأرض فأعطاك منها مالم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها مالم يوطئ لأحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله مالم يطاء إنس ولاجان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يمضي عليه التراب ولا يملأ جوفه إلا التراب فبكى ذوالقرنين ، ثم قال صدقت ياخضر في ضرب هذا المثل لاجرم لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ، ثم انه انصرف راجعا حتى إذا كان في وسط الظلمة وطى الوادى الذى فيه الزبرجد ، فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ما هذا الذى تحتنا أيها الملك ؟ فقال ذوالقرنين خذوا منه فان من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئا ومنهم من تركه ، فلما خرجوا من الظلمة ونظروه إذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ماترك منه شيئا حتى كان يخرج به الى الناس لأنه كان راغبا في الدنيا ولكنه ظفر وهو زاهد في الدنيا لاحتاجة له فيها » ثم انه رجع الى العراق ومك ملك الطوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات ، قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا في أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك ، قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكك اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ، وكانت الملكة في حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبنى اسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام والله أعلم .

مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة . قال محمد بن إسحق وغيره من أهل الأخبار : عبرت بنو إسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الأحداث ويسود الله عليهم بفضلهم ورحمته ويبحث فهم الرسل ففرقا يكذبون وفرقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بحث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام .

نسب زكريا عليه السلام

هو زكريا بن يوحيا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور بن سلوم بن هفاسط بن آيا بن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام .

باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها

قال الله تعالى - إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محررا - الآيات ، قال القسرون هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام ، وعمران . قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبى موسى إذ بينهما ألف وثمانمائة سنة ، وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأخبارهم وملوكهم . وقال ابن اسحق هو عمران بن سام بن أمور بن يشان بن حزقيل بن أحرشف بن بؤم بن عزازيا بن امصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض بن يهوشافاط بن رادم بن آيا ابن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام . وكانت القصة فى ذلك أن زكريا بن يوحيا وعمران ابن ماثان كانا متزوجين بأختين إحداهما عند زكريا بن يوحيا وهى ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الأخرى عند عمران وهى حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أبست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فينهاى فى ظل شجرة إذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتمحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على إن ورزقتى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدته وخدمه نفرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحورت مافى بطنها ولم تعلم ماهو . فقالت - رب إنى نذرت لك مافى بطنى محررا - أى عتقا عن الدنيا وأشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبسا عليه مفرقا لعبادة الله ولخدمته فتقبل من الكائن إنك أنت السميع العليم . قالوا وكان المحرر اذا جرر ونذر جل المحرر والنذور فى الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يريح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء . وإن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقائه من السدة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني إسرائيل وعلمائهم إلا من فى نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا إلا القلمان ، وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصحبها

من الحيض والأذى فحررت أم مريم مافي بطنها . فلما فطمت ذلك قال لها زوجها عمران : ويحك ماذا صنعت ؟ أرايت ان كان مافي بطنك أنثى والأنثى عورة لاتصلح لذلك فوقما جيما في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم . فلما وضعتها اذاهى جارية . فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى - رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى - أى في خدمة الكنيسة والعبادة فيها لمورثتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والأذى - وإني سميتها مريم - وهى بلقمتهم العابدة والخدمة وكانت مريم عليها السلام أجل النساء وأمثلهن في وقتها .

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبيبك من نساء العالمين أربع : مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم » - وإني أعينها - أى أجبرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم - . أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده وأخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن هرون بإسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مولود إلا والشيطان يمسح حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة اقرءوا ان شئتم - وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم - .

وأخبرنا شعيب بن محمد بإسناده عن قتادة قال : كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصاب الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شيء ، قال وذكروا لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى - فتقبلها ربها بقبول حسن - الماء راجعة إلى النذيرة أى فتقبل الله النذيرة أى مريم من حنة - وأنبتها نباتا حسنا - يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اللدة البسيرة كما ينبت الولود في اللدة الطويلة . وقال ابن جرير : وأنبتها ربها في غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة . قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها إلى السجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت القدس كما يلي الحجة أمر الكعبة . فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منك لأن عندي خالتها فقالت له الأحبار لاتفضل ذلك فانها لو تركت لأحق للناس وأقربهم اليها لتركنا لأنماها التي ولدتها ، ولكننا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا إلى نهر جارد . قال السدي هونهر الأردن فآلقوا أقلامهم أى سهامهم وقيد أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتمع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في الماء قاله ابن اسحق وجماعة . وقال السدي : بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهبهم وقرعهم زكريا عليه

السلام ، وكان رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى - وكفلها زكريا - ضمها الى نفسه وقام بأمرها ، وقال ابن اسحق : فلما كفلها زكريا ضمها إلى خالتها أم يحيى ، واسترضع لها حتى اذا نشأت وبليت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى غرفة فى المسجد وجعل بابها إلى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد إليها غيره ، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها فى كل يوم ، وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة فى غير حينها فأكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فيقول لها - آتى لك هذا - فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا ؟ فتقول هو من عند الله . قال الحسن : وكانت وهى صغيرة يأتيها رزقها .

- وقال محمد بن اسحق : ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها . ثم خضع زكريا عن حملها فخرج إلى بنى اسرائيل وقال يا بنى اسرائيل تطعون والله أنى لقد كبرت وضعت عن حمل ابنة عمران فأبيكم يكفلها بعدى ؟ . فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافسوها بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتعارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم على رجل صالح فحمار من بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها . قال فمرت مريم فى وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فإن الله سيرزقنا فحمل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهى فى الكنيسة آتاه الله تعالى وكثره فبدخل إليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس يقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها - يا مريم آتى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب - .

أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يصب فى بيت أحد منهن شيئا فأتى فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فأنى جائع ؟ قالت لا والله بأبى أنت وأمى . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعت فى جفنة وغطت عليه وقالت لأوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين إلى شبة من طعام فبعثت حسنة وحسنا إلى جدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت بأبى أنت وأمى يا رسول الله قد آتانا الله بهىء فضيائه لك قال فهلبنى به فأبى به فكشف عن الجفنة فاذا هى مملوءة خبزنا ولحما فلما نظرت إليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه ، فقال عليه الصلاة والسلام من أين لك هذا يا بنية - قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب - فحمد الله رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل فانها كانت إذا رزقها الله رزقا حسنا فمثلت عنه ؟ - قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم جميعا حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضى الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا ، وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقي بركة من الله تعالى :

باب فى مولد يحيى بن زكريا عليه السلام

قال الله تعالى - هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء - قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال ان الذى قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة فى غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا على الكبر فطمع فى الولد وكان أهل بيته قد اتهموه وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهناك أى فعند ذلك دعا زكريا ربه - قال رب هب لى - أى أعطنى - من لدنك ذرية طيبة - نسلًا طيبًا صالحًا رضى - إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة - يعنى جبريل وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القران ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فينبأ هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون أن يأذن لهم بالدخول إذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففرغ منه فناداه وهو جبريل عليه السلام - يا زكريا إن الله يشرك يحيى - ، واختلفوا لم سمي يحيى . قال ابن عباس لأن الله تعالى أحياه . عقر أمه ، وقال قتادة وغيره لأن الله تعالى أحياه قلبه بالإيمان والنبوة ، وقال الحسن بن الفضل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمصيبة دليله ما أخبرنى به الحسن بن فتحويه بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يلقى الله عز وجل إلا قدم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل » . قال الأستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيدي يقول سمى بذلك لأنه استشهد والشهداء أحياه عند ربهم يرزقون . قال النبي صلى الله عليه وسلم « من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة » . قال وسمعت أبا منصور الجشاوى يقول . قال عمر بن عبد الله القدسي أوحى الله الى إبراهيم الخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك أنى يخرج منك عبدا لا يهم بمصيبة اسمه حتى ينهى له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى عليه السلام فسمى كله لأن الله تعالى . قال له من غير أب كن فكان فوقه عليه اسم الكلمة لأنه بها وجد يحيى أول من آمن بجيسى وصدقه ، وذلك أن أمه كانت حاملا

به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى ، فقالت لها : أم يحيى يا مريم أحامل أنت ؟ فقالت لماذا تقولين هذا ؟ قالت إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه له وإيمانه به ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ، ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى إلى السماء وسند كره . قال سعيد بن المسيب - سيدنا - : السيد النقيع العالم ، وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل ، وقال الضحاك السيد الحسن الخلق ، وقال عكرمة الذي لا يفتض ، وقال سفيان الذي لا يحمده - وحسورا - قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقرهن فقول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات ، وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا بقاء له ، ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فتحونه بإسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ابن آدم يلقي الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيذا وحسورا ونبيا من الصالحين » ثم أوما النبي صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدي الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الأباطيل ، قالوا قلنا نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أى ياسيدي ؟ قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل إنما قال زكريا يارب الله لا لجبريل أنى يكون لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغت الكبر وامرأتى عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولادة ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب - كذلك الله يفعل ما يشاء - فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا في وحيه أم إنكارا لقد برته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الأسماء فكيف الأنبياء فالجواب عنه ما قاله عكرمة والسدي أن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان ، فقال يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله وإنما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحا إليك خفية كما نادته خفية وكما يوحى إليك في سائر الأمور فقال ذلك دفعا للوسوسة ، وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وإنما شك في كيفية والوجه الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد : أى كيف يكون لى ولد أتجعلنى وامرأتى شايعين أم نرزقه كذا على كبرنا أم ترزقنى من امرأة غميرها من النساء ، فقال ذلك متخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن - قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام - وتقبل بكلمتك على عبادتى وطاعتى لا أنه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه بدل عليه قوله تعالى - واذكر ربك كثيرا وسبح بالعنى والابكار - بهذا قول قوم من أهل العلم . وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه ، ولم يقدر على

الكلام ثلاثة أيام إلا رمزا أى إشارة وعلى هذا أكثر المفسرين . قال عطاء : أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا ، فواله يحيى بن زكريا عليه السلام ، وفى بعض الأخبار أنه لما ولدته يحيى رفع إلى السماء فتندى بأنهار الجنة حتى فطم ثم أنزل إلى أبيه وكان يرضى البيت لنوره وحسن وجهه وجماله .

باب فى صفته وحليته عليه السلام

قال كعب الأحبار : كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الأصابع طويل الأتف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير التمرة قويا فى طاعة الله تعالى ، وقد ساد الناس فى عبادة الله وطاعته .

[فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده] قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . قيل إن يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب ، فقال لهم ما للعب خلقت . وقال آخرون إنه نبى صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم فى أعيادهم وجمعهم ويدعوهم إلى الله تعالى ، ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى إلى بنى اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال ، وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وقال مثل الشريك كمثل رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون إليه فضل الربح ، فعمد العبيد إلى فضل الربح فدفصوه إلى عدو سيدهم ، وأمرهم بالصلاة فقال إن مثل الصلّى كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته ، وأمرهم بالصدقة وقال مثله كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤذى الهمم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق ، وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فإذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان ، وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل إليه وتستره .

وأما سيرته فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس ، فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والراهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف وإذا هم قد جرحوا تراقيمهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها إلى سوارى المسجدين فلما نظر إلى ذلك أتى أمه فقال يا أماه انسجى لى مبرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى أتى إلى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الأحبار والراهبان ، فقالت له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام فأقره على ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيى فقال له زكريا يا بني ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت

حي صغير فقال له ياأبت أما رأيت من هو أصغر مني ذاق الموت قال بلى فقال لأمه انسجي لنا مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل بعد الله مع الأحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم إلى ماقد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أتبكى على ماقد نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت على النار اطلاعة لتدريعت مدرع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدأت للنظرين أضراره فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبلت زكريا واجتمع الأخبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بني إنما سألت ربّي أن يهبك لي لتقرّ بك عيني ، قال أنت أمرتني بذلك يا أبت ، قال ومتى قال ألسن القائل إن بين الجنة والنار عقبة كئودا لا يقطعها إلا الباكون من خشية الله تعالى قال بلى قال فجاء واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته أمه فقالت أتأذن لي يا بني أن آخذ لك قطعتين من لبد يواريان أضرارك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فأخذت له قطعتي لبد يواريان أضراره وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيّه ثم أخذهما فصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم ان هذا ابني وهذه دموع عينيّه وأنت أرحم الراحمين ، وكان زكريا إذا أراد أن يعظ بني اسرائيل التفت يمينا وشمالا فإذا رأى يحيى لم يذكركه ولا نارا فجلس يوما يعظ بني اسرائيل وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة وجلس في غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول حدثني حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن في جهنم جبلا يقال له السكران في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قائمه مائة عام في ذلك الحب تواريت من نار في تلك التوايت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلته عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومي فأطلبني يحيى فاني قد تخوفت أن لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فمرت بفتيان من بني اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين ؟ قالت أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه ففقت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعى غنم فقالت يراعى هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم : ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه ، فقال تركته الساعة على عقبة كئودا ناقما قدميه في الماء رافعا بصره إلى السماء يقول وعزتك يا مولاي لا أدوق بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلي منك فأقبلت أمه فلما رآته دنت منه فأخذت برأسه فوضعت بين يديه وتناشدته بالله أن ينطلق معها إلى المنزل فانطلق معها إلى المنزل فقالت له هل لك أن تطلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه ألين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى فذهب به النوم فلم يرق لصلاته فتودى في منامه يا يحيى أردت دارا خيرا من داري وجوارا

خيرا من جوارى ، فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرتي وعزتك لأستظل بظل سوى بيت المقدس ، ثم قال لأمه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني للمهالك ، فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه للمدرعة وتعلقت به ، فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدى قد كشفه عن قناع غفلكه ولن ينفع بالعيش ، فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الأحبار والرهبان حتى كان من أمرهما كان والله أعلم .

باب مقتله عليه السلام

اختلف العلماء في سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للأنبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس ، وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة وجهك ، وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة إن الزناة يوقعون يوم القيامة وريحهم أنثن من الحيف فأمرت يحيى فسجن وكان قد حبس رجلا من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يختلج اليها بالليل ، فلم يها وبه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجعلت يبتا لها واستقبلت به زوجها فقال لها لم فعلت ذلك ؟ قالت وجب لها عليك حق ، فقال سلى ماشئت ، قالت البنت استوهبت منك أهل الحبس أصنعهم ماشئت فظن أبوها أنها ترحمهم وتسترحمهم ، فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن ففرضوا عليها ، فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذت رأسه في طشت ثم حملت الطشت إلى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لادبعتهم لك قال وماهو ؟ قالت يحيى بن زكريا ، قال هلكت وأهلك أبو بك ، فغضب الله ما بهم من النعم ، وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبوها وسلط عليهم الكلاب والسيباع حتى أكلتهم .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر من الخواريين يعلمون الناس ، قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الأخ ، وكان للمكهم بنت أخ تصعبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها ، فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الأخ قالت لا يبتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك تقول حاجتي أن تدبج يحيى بن زكريا ، فلما دخلت عليه سألتها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تدبج يحيى بن زكريا ، فقال سلى غير هذا . فقالت ما أسألك الا هذا . فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فنهبت من دمه قطرة فلم تزل تحمل حتى بعث الله عز وجل مختصر عليهم . فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فالتقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على من واحد ليسكن قتلهم فسكن .

وقال السدي بأسناده : كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره

في أمره ولا يقطع أمرا دونه وأنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت إلى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلى وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها إلى الملك وأموتها أن تسقيه وأن تتعرض له فإذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سأله أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ، ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما سألك قال وما تسألني ؟ قالت أن تبعث إلي برأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت . قال ويحك سألني غير هذا قالت ما سألك الا هذا ، فلما أبت عليه بعث إليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي ، وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجاريب ومختصر كما قدمنا ذكره في أخبار مختصر .

وقالت علماء النصارى : الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هردويا كانت امرأة أخ له يقال له فيلقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى وأعلمه أنها لا تحل له ، فسألت المرأة هيردوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا .

قال كعب الأحبار : كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فأحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه جاشديدا فأرسلت إليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها إنه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه ، فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لي أن أقتله ولا يخبر الناس أني قد راودته فلم يزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا ، فأرسلت إليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه ، فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الأرض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام .

ذكر مقتل زكريا عليه السلام

قال كعب الأحبار : فلما سمع زكريا أن ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا في الأرض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الأشجار فنادته شجرة يانبي الله الى ههنا فلما أتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف رداءه فأخرجه من الشجرة ليصدقه اذا أخبرهم ، فذلك تصنع اليهود الحيوط في أطراف أردنتهم لا يدرون لما أمروا بذلك وأخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ماتلتمسون ؟

قالوا نلتبس زكريا فقال ابليس انه دخل في هذه الشجرة ، قالوا لا نصدقك قال فاني إن أريتم علامة تصدقوني بها ؟ قالوا فأرنا إياها فأراهم طرف رداثة فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط عليهم أخبث أهل الأرض عليا بجوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيى وزكريا قتل عظماء بني اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين ألفا .

وقيل ان السبب في قتل زكريا أن ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف بعريم زكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الأشجار فنشبه له الشيطان في صورة راع فقال يازكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هذب رداثة منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا ياراعي هل رأيت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هذب رداثة ، قطعوا الشجرة مع زكريا وقلعوها فلقنوا بالمنشار طولا فبحث الله الملائكة فسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه ، وفي الخبر أن الشمس بكت على يحيى أربعين صباحا وكان بكائها ان طلعت وغربت جمرا ، ويروي أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم إلى الجنة والله أعلم .

مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به

قال الله تعالى - واذا ذكر في الكتاب مريم إذ انتبخت من أهلها مكانا شرقيا - قالت العلماء بأخبار الأنبياء : لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليانه خدمة الكنيسة وكانت مريم إذا قد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق إلى المنارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة ، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشد حرا فذ ماؤها ، فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال إن عندي فضلا من ماء أكتفي به يومى هذا إلى غد قالت ولكنى والله ما عندى ماء . فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المنارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بشى اليك لأهب لك غلاما زكيا قالت - انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا - أى مؤمنا مطيعا ، قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت أن التقي ذو رحمة وخشية وهى تحسبه رجلا من بني آدم . قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد مضوء الوجه جعد الشعر سوى الخلق . قالت الحكماء انما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدير على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفرغت

وخرت منه ولم تقدر على استماع كلامه ، فلما استعازت منه مريم - قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو طى هين - الآية ، فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفع في جيب درعها وكانت قد وضعت عنها ، فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ، ثم ملائت قلبها وانصرفت إلى المسجد .

وقال السدى وعكرمة : ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فيبينا هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أى مشرقا لأنه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة .

قال الحسن إنما اتخذت النصارى للشرق قبله لأن مريم أتت مكنانا شرقيا فأخذت فضربت من دونهم حجابا أى سترا ، وقال مقاتل جلست الجبل بيننا وبين قومها فيبينا هي كذلك في تلك الحالة إذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفع في جيب درعها . قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يلبيان معالجته بأنفسهما ونجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار ، فلما رأى الذى بها استعظمه واستغظمه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهما ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تعب عنه ساعة واحدة وإذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلها فكان أول كلامه إياها أن قال لها انه قد وقع في نفسى من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فقلبنى ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشقى لصدرى ، فقالت له قل قولاً جميلاً قال لها أخبرينى يا مريم هل نبت زرع بغير بذر ؟ قالت نعم . قال فهل نبتت شجرة بغير غيث ؟ قالت نعم . قال فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر إنما يكون من الزرع الذى أنبت من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقعدة جعل الفيت حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالنساء ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ، قال يوسف لها لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون ، فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وإسماءه من غير ذكر ولا أنثى . قال بلى . فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذى بها شيء من أمر الله وأنه لا يسهه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كثرتها لذلك ، ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفأها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها

وتوت بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت القدس .

وسمعت من الثقات : أن قيرداود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان ، وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق إلى الله تعالى ، ثم قتل من هذه إلى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت القدس يدعون أن عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها ، وبعد ثلاثة أيام عرج به إلى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وأنه ينزل فيها والله أعلم .

باب في ذكر ميلاده عليه السلام

قالوا : فلما أتممت مريم ودنا تقاسمها أوحى الله تعالى إليها أن مسجد بيت للقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابزى إلى موضع تأوين فيه ، فتحوّلت مريم إن بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالترمتها ، فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلي قالت مريم وأنت أيضا شعرت أني حبلي ؟ قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى - مصداق بكلمة من الله - فلما وافت بيت خالتها أوحى الله إليها إنك إن ولدت بين أظهر قومك عيرون وقنفوك وقتلوك وولدك فاطن من عندهم أي فاخرجي . وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف إن مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبينه الا كاف شيء ، فانطلق بها يوسف حتى إذا كان قريبا من أرض مصر في متقطع بلاد قوما أدرك مريم النفاس فألقاها إلى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء .

قال الكلبي لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأثامه جبريل عليه السلام فقال له : إنه من روح القدس فلا تقتلها . واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام ، فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء ، وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يمش مولود لثمانية أشهر غير عيسى ، وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة . وقال ابن عباس : ما هو إلا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ إلا ساعة واحدة ، لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل - فحملته فانتبذت به مكانا قصيا - أي بعيدا من قومها . وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة ، وقد كانت حاضيت حيضين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها الحاض التجأت إلى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سنف ولا كرايف ولا غروي ، فاحتوشتها للامساك وكانوا صفوا محقين بها أي محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الأمر - يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا - أي جيفة ملقاة فنوديت - أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك

سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا - فذلك قوله تعالى - فناداها من تحتها أن لا تخزنى - من قرأ بكسر الهمزة والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الهمزة والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلها باذن الله تعالى . قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد إذا شربت منه وفاترا إذا استعملته فذلك قوله تعالى - قد جعل ربك تحتك سريا - وهو النهر الصغير . قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الأرض ، فظهر الماء وحيث تلك النخلة بعد يبسا فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لما هزى اليك بجذع النخلة أى حركه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا قال الريح بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ، وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأه إذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية . قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون . وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونهله الكبير ، قالوا ثم إن يوسف النجار عمدا الى حطب فجعله كالخطيرة حوالها بالقرب منها إذ قد أضر بها البرد ، ثم أشعل لها نارا لتبسطلى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمها إياها ، فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجووز .

قال وهب : فلما ولد عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤوسها ، ففرغت الشياطين ولم يدروا لم ذلك ، فساروا مسرعين حتى جاءوا إلى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتعمل بالعرش يوم كان على الماء ، فأثووه وقد خلت ست ساعة ، من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فرع من ذلك ولم يرم جميعا منذ فرقتهم قبل تلك الساعة ، وإنما كان يراهم أشتاتا فسألهم فأخبروه أنه حدث فى الأرض حدث فأصبحت الأصنام كلها منكوسة على رؤوسها ولم يكن شيء أعون على هلاك بنى آدم منها لأنهم كانوا يدخلون فى أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم ، فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدها بعد هذا . واعلم أنا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الأرض وقلبنا البحار وكل شيء فلم نزد بما أردنا إلا جهلا ، فقال لهم ابليس فما يكون إلا أمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمرّ فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه . قال فاذا رؤوس الملائكة ومناكبهم إلى السماء ، ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فاذا أقدام الملائكة راسية ، فأراد أن يدخل من بينهم فتمنوه عن ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم « كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد إلا عيسى بن مريم عليه السلام حبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب » . قال وهب فذهب ابليس

لعنه الله إلى أصحابه ، فقال لهم . ما جئكم حتى أحصيت الأرض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخالقين والجو الأعلى وكل هذا بلغت في ثلاث ساعات ، ثم أخبرهم بمولده عيسى وقال : ما شملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلى ولا وضعت إلا وأنا حاضرها وإني لأرجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به ، وما كان نبي أشد على وعليكم من هذا للولود ، ثم إنه خرج قوم في تلك الليلة يؤمنونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال ، فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والبر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال فما بال للبر والذهب واللبان أهديتهم هذه الأشياء ؟ قالوا تلك أمثاله لأن الذهب سيد للتاج كله وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولأن المرء يجبره الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشقى الله به كل سقيم ومريض ، ولأن اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره ، وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفضه الله إلى السماء ولا يرفضه أحد غيره ، فلما قالوا ذلك لذلك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فإذا علمتم بمكانه فأعلموني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبت فيه من أمره ، فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية إليها عليها السلام ، وأرادوا أن يرجعوا إلى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقبهم ملك وقال لهم لا ترجعوا إليه ولا تعلموه بمكانه فإنه إنسا أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر . وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدته فإذا شغلني عنه إنسان سبح في بطني وأنا أسمع والله أعلم .

باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها إليه إلى جماعة قومها من بيت لحم

قال ثم إن جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لأتمه مريم عليها السلام أمرها وبسر الله لها أسباب ولادتها ، قال كلئى يامريم من الرطب واشترى من الماء العذب وقرى عينا وطبى نفسها فلما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولى - إني نذرت للرحمن صوما - أى صمتا ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا إذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام - فلن أكل اليوم إنسيا فأنت به قومها تحمله - . قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نقاسها ، ثم جاء بها فأنت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يأماه أبررى فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا ، وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا - يامريم لقد جئت شيئا فريا - فطعما عظما - يا أخت هرون - قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخى موسى ، وذكروا أنه جمع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون . وقال وهب : كان هرون من أقسق بني اسرائيل وأظهرهم فسادا

فشيروها به - ما كان أبوك - عمران - امرأ سوء وما كانت أمك بغيا - : أى زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم إلى عيسى أن كلموه ، ففضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صيبا ، قال وهب : فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها ، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما - إني عبد الله آتاني الكتاب - الآية ، فأقر على نفسه ، سوديه أول ماتكلم تكذيبا للنصارى وإلزاما للحجة عليهم ، قال عمرو ابن ميمون إن مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرحسوها ، فلما تكلم عيسى تركوها ، قالوا ثم لم يتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم .

باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر

قال الله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين - قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنتين وأربعين سنة من ملك أغسطس واحد وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت للملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام وتواجها لمصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس ، فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا إلى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكا إلى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالانعام وأمه إلى مصر ، وأوحى الله إلى مريم أن الخلق بمصر فإن هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعي إلى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى - وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين - .

ذكر أبو إسحق الثعلبي في التفسير - ذات قرار ومعين - ، قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي أقرب الأرض إلى السماء وقال أبو زيد هي مصر ، وقال الضحاك هي عرصة دمشق وقال أبو العالية هي ايلياء وقال القزاز الأرض للمستوية والعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تمت لعيسى اثنتا عشرة سنة .

وروى عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قال : لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر ، فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته يده وجاءت به إلى الكتاب وأقامته بين يدي المؤدب ، فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى ، فقال المؤدب قل أعجد فرجع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أعجد فعلاه بالقضيب ليضربه ، فقال يا مؤدب لا تضربني إن كنت تدري وإلا فاسألني حتى أقسر لك ، فقال له المؤدب فسره لي ، فقال عيسى الألف لا إله

إلا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والبدال دين الله هو ز المهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل النار والزاي زفير أهل جهنم حطى حطت الخطايا عن المستغفرين كل من كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سفعى صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تهرشهم حين تخرهم أى تجمعهم ، فقال للؤدب لأمه أينما للراءة خذى ابنك فقد علم ولا حاجة له الى اللؤدب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المفسر بإسناده عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم ، فقال له المعلم قل باسم الله ، فقال عيسى وما باسم الله ؟ قال المعلم ما أدري . قال عيسى الباء بـاء الله والسين سناء الله والميم مملكة جل وعلا » والله أعلم .

باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام

قال كعب الأجار : كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض ماهو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى خافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا إلا قوت يومه وكان حينما غابت الشمس صف قدمية وصلّى حتى يصبح وكان يرى الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون لقد وكان يمشى على وجه الماء في البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الأرض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفضه الله إلى السماء والله أعلم .

باب في ذكر الآيات والعجرات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه الى أن نبى

قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر ، وكانت دار ذلك الدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزائنه فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيقتها . قال لها يا أماه أعجبين أن أدله على ماله ؟ قالت نعم يا بنى . قال لها قولى له يجمع لى المساكين في داره ، فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له قم به ، فقال الأعمى أنا أضعف عن ذلك ، فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة الخزانة ، فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لأن الأعمى استعان بقوته وللمقعد بعينه ، فقال الأعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذ الدهقان ووضع في خزانته . وقال يا مريم خذى نصفه ، فقالت إني لم أخلق لذلك . قال الدهقان فأعطيه لابنك ، قالت هو أعظم من شأنائهم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له ففعل له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عند

يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواحيها وهو يمشى فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

آية أخرى . قال السدي كان عيسى عليه السلام إذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آبائهم ويقول للبلاد انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله فيسكى عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا ؟ فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر ، فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم ؟ فقالوا له ليسوا ههنا ، فقال لهم فما في هذا البيت ؟ قالوا خنازير . قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في الناس فهتفت به بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر .

آية أخرى ، قال السدي لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسبحان في الأرض اذ تركا بنو إسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا ؟ قالت لها لا تسأليني ، قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي ، فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة ؟ قالت فتعزى له لا يهتم بشيء فانه قد أحسن الينا واني أمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ، ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلانسألي لأنه أحسن الينا وأكرمنا . قال عيسى فتعزى له إذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوايك ماء ثم أعلني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لماء ومرقا وماء الخواي خرا لم ير الناس مثله قط ، فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر ؟ قال له من أرض كذا وكذا . قال الملك فان خمرى قد أتى بها من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه ، قال أخبرني عن الحق . قال فأننا أخبرك عندي غلام ما سأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وإنه دعا الله تعالى فجعل الماء خرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه ، فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى حمل الماء خرا ليستجاب له حتى يحجى ابني فدعا عيسى وكفه في ذلك ، فقال له عيسى لا تفعل لأنه ان عاش وقع شر ، فقال الملك لا أبالي بعد ان أراه . قال عيسى ان أحبيته تركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء ؟ قال نعم ، فدعا الله تعالى فمات الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى إذا دعا موته يريد أن يستخلف ابنه علينا فيا أكلنا كما أكلنا أبوه فأتوا وذهب بجيسى وأمه .

آية أخرى . قال وهب بينا عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبي فوكزه برحله

بقتله فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فساله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه ؟ فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام ، فقال لهم اتوني بالغلام فقالوا له ما تريد منه ؟ قال أريد أن أسأله من قتله ، قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدماء فأحياء الله تعالى فقال له عيسى من قتلك ؟ قال قتلني فلان طي الذي قتله ، فقال بنو إسرائيل من هذا ؟ قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذي معه ؟ قال قاضي بني إسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس ، فقالت له أمه يا بني ألم أنك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين .

آيه أخرى . قال عطاء سلمات مريم عيسى بعد ما أخرجه من الكتاب الى أعمال شقي فكان آخر مادفته الى الصباغين فدفته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفات الألوان وقد علمت كل واحد منها طي اللون الذي يصنع به فأحب أن تكون لازما منها وقت قدومي ، ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا طي لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله تعالى طي ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت ؟ قال فرغت منها . قال أين هي ؟ قال في الجب فقال كلها ، قال نعم ؟ قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد أنسدت تلك الثياب ؟ قال قم فانظر فقام فأخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجه طي الألوان التي أرادها ، فجعل الصباغ يتجعد وعلم أن ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فأمن به هو واصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم .

باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام إلى بلادها بعد موت هردوس

قال وهب . لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم بخبرها بموت هردوس وبأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمهما عليهما السلام وسكنوا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى ، وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة ، فلما تم له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوى المرضى والزمنى والعبيان والمجانين ويقمع الشياطين ويذجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطلق منهم أن يمسي اليه يمسي اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان ،

ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى : اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض وإله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكيم من في السموات وحكيم من في الأرض لا حكم فيهما غيرك قدرك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك بأسمائك الكرام إنك على كل شيء قدير .

باب في قصة الخواريين عليهم السلام

قال الله تعالى - فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد أنا مسلمون - وقال الله عز وجل - وإذ أوحيت إلى الخواريين - أي ألهمتهم ووقعتهم - أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون - اعلم أن الخواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضيائه وأنصاره ووزرائه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماءهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندرواس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومقي العشار ويعقوب بن حلفا وليا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام .

واختلف العلماء فيهم لم سموا بذلك ؟ قال ابن عباس : كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ماتصنعون ؟ فقالوا نصطاد السمك . فقال لهم ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك ؟ قال ندعو إلى الله . قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله . قالوا فهل يكون أحد من الأنبياء فوقك ؟ قال نعم النبي العربي فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه . وقال السدي كانوا ملاجين . وقال ابن أرمطة : كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يحزرون الثياب : أي يبيضونها .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن مصعب قال : الخواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا إذا جاعوا قالوا ياروح الله جعنا فيضرب يده إلى الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان رغيفان فيأكلهما وإذا عطشوا قالوا ياروح الله عطشنا فيضرب الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون . فقالوا ياروح الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك ؟ قال أفضل منكم من يعمل يده ويأكل من كسبه . قال فصاروا يملكون الثياب بالكراء . قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس إليه ، وكان عيسى على قصة فكانت القصعة لا تنقص . فقال له الملك من أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم . قال الملك اني أترك ملكي وأتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الخواريون ، وقيل هو الصباغ وأصحابه ، وقد مضت القصة .

قال الضحاك : سموا حواريين لصفاء قلوبهم ، وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها . وأصل الحوار عند العرب شدة البياض ومنه الأحور والحوار . وقال الحسن : الحواريون الأنصار . وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحوارى خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « لكل نبي حوارى وحوارى الزبير » فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فأما حواريو هذه الأمة فأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى بإسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قرش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وطى وحزمة وجعفر وأبو عبيدة ابن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام رضى الله عنهم أجمعين .

ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد مبعثه

إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه

منها تأييد الله إياه بروح القدس . قال عز من قائل - وأيدناه بروح القدس - ونظيرها فى سورة المائدة - إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكري نعتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس - .

واختلفوا فيه فقال الريح بن أنس هو الروح الذى تنفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى - وروح منه - فنفخنا فيه من روحنا - ، وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة وسمى عيسى عليه السلام روحاً لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوائف إنما كان أمراً من الله تعالى . قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأيد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يمينه ويسير معه حينما سار إلى أن صعد به إلى السماء . وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك العجائب .

ومنها تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى - وإذ علمتك الكتاب - أى الخط ، قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والإنجيل . ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبراً عنه - أتى قد جئكم بآية من ربكم أتى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله - وقال تعالى - وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى - فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ولم يخلق غير الخفاش ، وأما خص بالخفاش لأنه أكل الطير خلقاً فيكون أبلغ فى القدرة لأن له نداياً وأساناً وولد ويحيض ويطير .

قال وهب : كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غلب عنهم سقط ميتا ليشتم فعل الخلق عن فعل الله تعالى ، ولعلم أن الكمال لله عز وجل .

ومنها ابراء الأكمه والأبرص كما قال الله - وتبرى الأكمه والأبرص باذنى - والأبرص الذى به وضع والأكمه الذى ولد أعمى ولم يرضوه قط ولم يكن فى الاسلام أكمه غير قتادة وإنما خص هذين لأنهما أعيا الأطباء ، وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك .

ويروى أن عيسى عليه السلام مرتبدر فيه عيمان . فقال ماهؤلاء ؟ قليل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطسوا أعينهم بأيديهم فقال لهم ماذاكم الى هذا ؟ قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأئسنا ما ترى . فقال أتم العلماء والحكماء والأخبار والأفاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا باسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون .

ومنها أحيائه الموتى باذن الله قال الله تعالى - وإذ أخرج الله باذنى - . وأحيائهم أمواتا منهم العاذر ، وكان صديقه قاله فأرسلت أخته الى عيسى أن أهلك العاذر يموت فأتته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتته هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لأخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة . فقال عيسى : اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني الى بنى اسرائيل أدعوم الى دينك وأخبرتني إني أحيى الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولده .

ومنها ابن العجوز ، وكانت القصة فيه أن عيسى مر فى سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان فى هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا ، فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب إلا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه ، فقالت له امرأة عجوز أمارضى أن أدعك لأذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعمونى فبينما عيسى بالباب إذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أضفى ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما انك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك ، فقال له الفتى إما أن تكون مجنونا وإما أن تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فأضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرِب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فأخبره الخبر ، فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطب ابنته فانه يتالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضرِب دون ذلك الضرب الأول فرجع الى عيسى فأخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا أزوجك إياها على حكمى وحكمى قصر من ذهب وفضة ومافيه من ذهب وفضة ويزرجد قفله أقبل ذلك فاذا بمت معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجدته فلا تحدث فيه شيئا ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمى . فقال وما حكمك ؟

فحكم بالذى سماه عيسى . فقال نعم رضىت : ابست من يقبض ذلك فبست معه رجلا فسلم اليهم
ماسأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال ياروح الله
تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة ، فقال له عيسى إني آثرت ما يبقى على مايفنى ، فقال الفتى
أنا أيضا أدعه وأصحبك ، فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى ، فأخذ عيسى ، بيده وآتى به أصحابه وقال
لهم هذا الكنز الذى قلت لكم فكان معه ابن انجوز إلى أن مات ومريته وهوميت على سرير
فدعا الله عيسى فجلس على سرير ، ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على
عقه ورجع إلى أهله فبقى وولده .

ومنها ابنة العشار رجل كان يأخذ العشر قيل له آتيتها وقد ماتت بالأمس ، فدعا الله عز وجل
فعاثت وبقيت وولده لها .

ومنها سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح . لو بشت لنا من شهد السفينة
فينمت لنا ذلك ، فقام وآتى تلا ف ضرب بيده وأخذ قبضة من تراب ، وقال هذا قبر سام بن نوح
إن شتمت أحبيته لكم ، قالوا نعم ، فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التل بصاء وقال احى باذن الله
فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه ، فقال أقد أقامت القيامة ؟ قال لا ، ولكنى
دعوتك باسم الله الأعظم . قال ولم يكونوا يشيرون فى ذلك الزمان ، وكان سام قد عاش
خمسة مائة سنة وهو شاب ، ثم أخبرهم بخبر السفينة ، فقال له عيسى مت ، قال بشرط أن يعيدنى الله من
سكرات الموت ، فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك ، وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح
عليه السلام .

ومنها عزيز عليه السلام ، قالوا لعيسى عليه السلام أحبه والا أحرقتك بالنار ، وجمعوا له حطباً
كثيراً من حطب الكرم ، وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى سناديق من حجارة مطبقة
فوجدوا قبر عزيز مكتوباً على ظهره اسمه ، فمالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يخرجوه من قبره ،
فرجوا إلى عيسى فأخبروه ، فتناولهم إناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح
الطبق فأتوا به عيسى وهو فى أكفائه والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ثم إنه نزع ثيابه عنه ،
ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ، ثم قال احى يا عزيز باذن الله تعالى فاذا هو حالى
وكل ذلك تراه أعينهم ، فقالوا يا عزيز ما تشهد لهذا الرجل ؟ ينون عيسى ، فقال أشهد أنه عبد الله
ورسوله ، فقالوا لعيسى ادع لنا ربك يبقه لنا . ليكون بين أظهرنا حياً ، فقال عيسى رددوه إلى قبره فردوه
إلى قبره ففاد ميتاً ، فأمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من طاند . قال السكبي كان عيسى يحى
للونى يا حى يا قيوم .

ومنها إخباره عليه السلام عن القيوب . قال الله عز وجل إخباراً عنه - وأنبئكم بما تأكلون
وما تدخرون فى بيوتكم - . قال السكبي لما أبرأ عيسى الأكمة والأبرص وأحيا اللونى ، قالوا هذا

ماحر ، ولكن أخبرنا بما نأكل وبما نذخر ، فكان يخبر الرجل بما يأكل في غدائه وبما يأكل في عشاءه .

ومنها مشبه عليه السلام على الماء . يروى أنه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى ، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال : باسم الله بصحة ويقين ، فثنى على وجه الماء ، فقال الرجل القصير : باسم الله بصحة ويقين ، فثنى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يثنى على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتنلوه عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت قصبك في غير الموضع الذي وضعتك الله فيه فثقتك الله على ما قلت فثب إلى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا ، وحدثنا الامام أبو منصور الخشراوي بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل ، وما يبلغ ذلك أحد قط . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا . قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مثنى على الماء . قال نعم : ولو ازدادخولا وقينا لمثنى على الهواء . قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل قصير . فقال إن الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شأنه » .

ذكر حديث جامع في هذا الباب

قال وهب : خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض فصعبه يهودى وكان مع ذلك اليهودى رغيفان ومع عيسى رغيف . فقال له عيسى تشاركني في طعامك . قال اليهودى نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم فقام عيسى إلى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان إلا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاؤا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى تصبح فقال أقبل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلحقا أعمى فقال له أرأيت إن أنا عاجلتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره ؟ قال نعم فس عيسى بصره ودعا الله له فإذا هو صحيح فقال عيسى لليهودى بالذي أراك الأعمى بصيرا كم كان معك من رغيف . فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فإذاهما بمقعد فقال له عيسى أرأيت إن عاجلتك فإني عاجلك الله فهل تشكره ؟ قال نعم ، قال فدعا الله تعالى عيسى فإذا هو صحيح قائم على رجله . فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط . فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى بصيرا والقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه إلا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا إلى نهر عجاج . فقال عيسى لأرى جسرا ولا سفينة فخذ بمجزئي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فشيئا على الماء . فقال له عيسى بالذي أراك أمر الأعمى والقعد وسخر لك الماء

من صاحب الرغيف الثالث . فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى ، ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبي فذبحه وشوى منه بضيا وأكله . ثم ضرب عيسى بقية الظبي بصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يعدو . فقال الرجل سبحان الله ، فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر ؟ . فقال ما كان إلا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذه عجلا . فقال ابث صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه . فقال عيسى كل ولا تكسر عظما . فلما فرغوا قذف بعظامه فى جلدته ثم ضربه بصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار . فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار . ثم فر منه ، فقال عيسى لصاحبه بالذى أحيا العجل كم كان معك من رغيف ، فقال ما كان معى إلا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى فى أسفلها واليهودى فى أعلاها فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال أنا الآن أبرئ المرضى وأحىي الموتى ، قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنا فانطلق اليهودى ونادى من يمتنى طيبيا حتى أتى باب الملك فأخبر بوجهه فقال أدخلونى عليه فأنا أبرئه ، وإن رأيتهم قدمات فأنا أحيه . فقبله إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك ، وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه إلا صلبه فقال أدخلونى عليه فأدخل عليه فضرب الملك بصاه فمات فجعل يضرب الملك بالصاه وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فأخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه ، وقد رفع على الحنطة فقال لهم عيسى أرايتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبي ؟ قالوا نعم فدعا الله عز وجل فأحياه وقام فأزله اليهودى من الحنطة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبدا . فقال له عيسى أنشدك الله الذى أحيا الظبي والعجل بعد ما أكلناها وأحيا هذا بعد مامات وأزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم كان معك من رغيف . قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معى إلا رغيف واحد ، فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لى وواحدة لك وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لتقلها عليه فقال له عيسى دعه فإن له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطلع الى المال ، ويكره أن يصحى عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فيينا هو كذلك إذ مر بالمال ثلاثة قمر فأبوا عليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق إلى بعض هذه القرى فأتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن تقتله إذا رجع ونهشم المال بيننا قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجل فى الطعام بها فاذا أكله ماتا وصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع اليهما ووصل

قتله ثم أكل الطعام الذي جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا إله الا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ، ثم ان عيسى أحيام باذن الله فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيئا قططلعت نفس اليهودى صاحب عيسى إلى المال فقال أعطنى المال فقال عيسى خذ له فهو حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الأرض فلانطلق عيسى عليه السلام .

ومنها نزول المائدة ، قال الله تعالى - إذ قال الجواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء - قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين - الآية .

واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنه قال : نزلت للمائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفذ قال: فقال لهم انى فاعل ذلك وانها مقيمة لكم ما لم تخبثوا أو تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فمضى يومهم حتى خانوا وخبثوا ، وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبدا فرفعت ومنسوخا قرعة وخنازير ، وقال ابن عباس قال عيسى لبنى اسرائيل صوبوا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما ، فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لأحد قمسينا عمله أطعمنا طعاما وانا إن صمنا وجنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء ، فلبس عيسى المسوح واقترب الزماد ثم دعا الله تعالى فقال - اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء - الآية ، فأقبلت اللاتكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم ، وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت المائدة إذا وضعت لبنى اسرائيل اختلفت عليها الأيدي فيها كل الطعام إلا اللحم ، وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء ، وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها تمر من نمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشبة حيث كانوا كالنم والسوى لبنى اسرائيل ، وقال وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيثانا فتيل لوهب ما كان ذلك ينفي عنهم من شيء . قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيى آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل ، وقال كعب الأحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها لللائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم . وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال إني منزلها عليكم كم سألتنى ، فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن بجلته مثالا ولنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا ، فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحواريين ، فقال هل معك طعام ؟ فقال معى مئكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال طي بها قطعها عيسى قطعاً صغيراً وقال اقصدوا في روضة وتراققوا رفاقا كل رقعة عشرة ، ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزاً صحاحاً ومكاً صحاحاً ، ثم قام عيسى بمشى فجعل يلقى في كل رقعة ما حملت أصابعه ، ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فذكروا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف

وتيف ، وقال الناس جميعا : شهدنا أنك عبد الله ورسوله . ثم سألوه مرة أخرى . فأنزل الله خمسة أرغفة وبكتين فصنع بها ما صنع في المرة الأولى ، فلما رجوا إلى قرام ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا بحكم أنما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرة ومن أراد فتنه رجع إلى كفره ففسخوا قرعة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة ، فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا وشربوا ، وكذلك كل مسموح . وروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال : والله ما تبع عيسى من المساوي ولا اتبرقيا ولا فقهه ضحكوا ولا ذبابا عن وجهه ولا أخذ على أنه مرتين شيئا قط ولا جبت قط . ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم اللواتي صنوا . قال - اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء - الآية وارزقنا عليها طعاما نأكل - وأنت خير الرازقين - فنزلت سفرة خمراء بين غمامتين غمامتين فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوى منقبضة حتى سقطت بين أيديهم فبكي عيسى وقال : اللهم اجعلني من الشياكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثقال عقوبة وهم ينظرون إليها فظفروا إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك . فقال عيسى لهم أعينكم عملا يكشف عنها ويدكر اسم الله يأكل منها . فقال سمعون الصغار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا ، فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ، ثم كشف للتدليل عنها وقال : باسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من السم ، وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل ، وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد ، فقال سمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى عليه السلام ليس ماترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افعله الله بالقدرة الغالبة كلوا إنما سألتكم بمددكم وزدكم من فضله ، قالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى ؟ فقال عيسى يا سمكة احيا باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ، ففرعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ، ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله ، فعادت السمكة مشوية كما كانت . قالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن ، فقال عيسى معاذ الله أن أكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها ، فدعا لها عيسى أهل القاعة والمرضى وأهل البرص والجذام والبلبين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهدى ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومرضى ومبتلى كلهم شعبان يتجشأ ، ثم نظر عيسى إلى السمكة ، فإذا هي كهيتها حين نزلت من السماء ، ثم طارت المائدة معدا وهم ينظرون إليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض إلا برى ولا زمن إلا صح ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات ، ونعم الحواريون ومن لم يأكل ، وكانت إذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها ، فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة

يؤكل منها حتى إذا فاء الفاء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم ، وكان من غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناية عن عدمه ، فأوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي للفقراء دون الأغنياء ، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها ، فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا ، فقال لهم عيسى هلكنم فتمسروا لعذاب الله فأوحى الله تعالى إلى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطين أن من كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، فقال عيسى عليه السلام - إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فإني أنت العزيز الحكيم - فسح منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على القروش مع نسائهم في ديارهم ، فأصبحوا خنازير يسمعون في الطرقات والكناسات ، وبأكلون القاذورات في الحشوش ، فلما رأى الناس ذلك فرعوا إلى عيسى بن مريم ، فبكوا وبكى على المسوخين أهلوم ، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكى وجعلت تطوف به ، فجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام ، فعاثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا .

ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر للرور به فيجده جالسا ، فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذه امرأة كان لي من جمالها ومواقبتها كبت وكبت ولي عندها وديعة ، قال أفتحب أن أدعو الله فيجيبها لك ؟ قال نعم فتوضا عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فإذا أسود قد خرج من القبر كأنه جنح عتري ، فقال له من أنت ؟ فقال يا رسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة ، فلما كنت في هذه الساعة قيل لي أجب فأجبت ، ثم قال يا رسول الله قد مررت على من أليم العذاب ما إن ردني الله إلى الدنيا أعطيته عهدا أن لأعصيه أبدا ، فادع الله لي ، فرق له قلب عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ، ثم قال له امض فمضى ، فقال صاحب القبر يا رسول الله لقد غلظت بالقبر إنما قبرها هنا ، فدعا الله عيسى عليه السلام ، فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتى ، فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فأخذ الرجل يدها حتى انتهى إلى شجرة ، فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها ، فمر بها ابن الملك فنظرها ونظرت إليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه ، فأشار إليها فوضعت رأس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فتفقدتها فلم يجدها ، فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتى ، فقال الفتى هي جاريتي ، فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى عليه السلام ، فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة ، فقال لما عيسى ما تقولين ؟ قالت - أنا جارية هذا ولا أعرف هذا ، قال لما عيسى : ردى علينا ما أعطيتك قالت قد فعلت ففعلت مكانها ميتة ، فقال عيسى هل رأيته أعجب من هذا الرجل أماته الله كافرا ثم بهت فآمن ، وهل رأيته امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحيها فكفرت .

ومنها رفته إلى السماء إذ قال الله - يا عيسى إن متوفيك ورافقتك إلى ومطهرتك من الدين

كفروا - الآية - وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله - وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبههم - إلى قوله تعالى - بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما - .

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة قذفوه وأمه ، فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال : اللهم أنت ربى وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقا . قسى اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسح الذين سيوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فرغ لذلك وخاف دعوته ، فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى ، فاحتموا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه ، فقال يامعاشر اليهود إن الله يفضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه ، فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فأدخله خوذة وواراه في سقفها ورفع الله تعالى من روضته ، فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوذة فيقتله ، فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى ، فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها ، فألقى الله عليه شبه عيسى ، فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه . وقال وهب : إن عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه ، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما ، وقال احضروني الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل غشاهم وقام بخدشهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بثيابه فهاظموا ذلك وتكاهوه ، فقال ألا من رد على شيئا مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال لهم : أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم يدي إلا ليكون لكم بي أسوة ، وانكم ترون آتى خيركم فلا يتعاطم بعضهم على بعض وليذلن بعضهم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم ، أما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أبلي ، فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يوقظهم ويقول . سبحان الله ماتصبرون في ليلة واحدة وتعبنوني فيها ، فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسهر فنسكر السهر وما نطبق الليلة سهرا وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه ، قال يذهب الراعى وتبقى الغنم وجعل يأتى بكلام مثل هذا يعني نفسه ، ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ثلاث مرات وليبني أحدكم بدراهم يسيرة ولأكلن غنمى فخرجوا وخرقوا وكانت اليهود تطلبه ، فأخلوا فعمون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ، ثم أخذ آخر فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك ، فلما أصبح آتى أحد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ماتجملون لي إن دلتكم عليه ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه ، وكان شبه لهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يوقدونه ويقولون أنت كنت تحبى الموتى وتبى الأكمه والأبرص أفلا تفك نفسك من

هذا الجبل ويصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم إنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به إلى الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض ، وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفي الله عيسى ثلاث ساعات ثم رذمه إلى السماء فذلك قوله تعالى - إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا - فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعاها وأبرأها من الجنون يكيان عند المصلوب فأتاها عيسى وقال على من تبكيان ؟ فقالتا عليك ، فقال إن الله تعالى رفعني فلم يصبنى إلا خير وإن هذا شخص شبه لهم .

وقال مقاتل : إن اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقبيا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل ، فجاءه الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم إني لست عيسى إني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه . قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول ، فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله قتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعته اليه ، وقيل إن الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيل يسمى أشيوع بن قديرا والله أعلم .

ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام

قال وهب وغيره من أهل الكتاب : لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له إن أعداءك اليهود أعجلوك عن العهد إلى أصحابك ، فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية ، فانه لم ييك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحوارين فتبشهم في الأرض دعاة إلى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بنى اسرائيل في قرية من قرى أنطاكية يقال لها مجدلان ، وكانت امرأة سالحة وكانت تستعاض فلا تطهر ، فخطبها أشرف بنى اسرائيل فامتعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت إخفاء علتها عنهم ، فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من الرضى الرضى أقبلت اليه رجاء الشفاء ، فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحييت وانصرفت إلى ورائه ووضعت يدها على ظهره ، فقال عيسى لقد مسني ذو طاعة بنية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاء وطهره بطهارتي فأذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت ، فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعة هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحوارين فبشهم في الأرض دعاة إلى الله ، ثم رفعه الله وكساه الریش وألبسه النور وقطع منه شهوة اللطعم والمشرب ، فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان إنسيا ملكيا أرضيا ساويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم ، فذلك اللية

التي أهبط فيها هي الليلة التي تزخر فيها النصارى . قالوا فوجه بطرس إلى رومية وأندراوس ومثي إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس وتوما ولينا إلى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا إلى القيروان وأفريقية ويحيى إلى أنفوس قرية أصحاب الكهف واليقويين إلى أورشليم وهي إيلياء أرض بيت المقدس وبرتولوماوس إلى الاعراية وهي أرض الحجاز وشمعون إلى أرض بربر ، فأصبح كل واحد من الحواريين الذين يسمون بلفظة من أرسله عيسى إليهم .

قال ابن اسحق : ثم عهد اليهود إلى بقية الحواريين أصحاب عيسى يسمونهم ويعذبونهم وطوفون بهم ، فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وزن قليل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عبدوا عليه قتلوه ، وكان يجرمهم أنه رسول الله وقد أحياهم الموت وأبرأ لهم الأسقام ، وخلق لهم من الطين كهيئة الطير وتمنع فيه فكان طائرا بأذن الله ، وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب ، فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لحليت بينه وبينهم ، ثم إنه بعث إلى الحواريين فأتوهم من أيديهم ، فلما أتوه سألهم عن عيسى فأخبروه خبره ، فبأمرهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب عليها فأكرمها وصانها لما مساهمته ، وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هناك كانت أصل النصارى في الروم .

وقال أهل التوراة : حملت مريم بيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وولدت عيسى بيت لحم من أرض أورشليم لخمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاجدي وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين وأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة ورفع من بيت المقدس إليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم .

ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام

قال وهب : لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام أخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لأحدهما شمعون الصفار والآخر يحيى أن يلتزما أمه ولا يفارقاها ، فانطلقا ومعهما مريم إلى ماروت ملك الروم يدعونه إلى الله تعالى وقد بعث الله تعالى إليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون وأندراوس قتلوا وصلبا من كسكين وهربت مريم ويحيى حتى إذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فانشقت لهما الأرض فتابعاها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك للوضع فلم يجدوا شيئا فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى ، فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم .

ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان

قال الله تعالى - وانه لعم للساعة فلا تمترن بها - الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن ؟ قال نعم . قوله - وكهلا - وهو لم يكن بكهلا في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد البهقي بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمي وخليفتي عليهم ، فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه قطر ولم يصبه بلل ينزل بين مخضرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويغيث السالك ويهل من الروحاء حاجا أو مضترا أو مليا بهما جميعا ويقاثل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه اللئال كلها غير الاسلام ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتفع الأسود مع الابل والفور مع البقر والدواب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ، ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بمحج عمر اقرءوا ان شتمتم - وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا - أى قبل موت عيسى يبعثها أبو هريرة ثلاث مرات .

وأخبرنا محمد بن القاسم الفارسي بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيى في هذه الأمة ما يعيى ثم يموت في مدينتى هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوي لأبي بكر وعمر وعشران بين نبين » .
وأخبرني أبي قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والهدى من أهل بيتي في وسطها » .

باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى أنطاكية

وذلك في أيام ملوك الطوائف

قال الله تعالى - واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها الرسلون - يعنى رسل عيسى عليه السلام - إذ أرسلنا اليهم اثنين - واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض وروماض وقال وهب يحيى ويونس ، وقال مقاتل يومان ومالوس ، وقال كعب صادق وصدوق - فكذبوها

فمزنا بثالث - آى ققونا، برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين فى قول أكثر
الفسرين ، وقال كعب اسمه شلوم ، وقال مقاتل سمعان .

قالت الطما بأخبار الأنبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى مدينة
أنطاكية ، فلما قربا من المدينة أتينا شيخا يرعى غنمات له وهو حبيب التجار صاحب يس
فسلما عليه فقال من أنتما ؟ قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة
الرحمن . قال أمعكا آية ؟ قالنا نعم نحن نبرى المريض ونشفى الأكمة والأبرص باذن الله ،
فقال الشيخ انلى ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين ، قالا فانطلق بنا إلى منزلك فنطلع على حاله
فأتى بهما إلى منزله ، فلما نظرا إلى ولد الشيخ وهو فى تلك الحالة قربا إليه ودعوا له ومسحا
ييديهما ، فقام فى الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على يديهما كثيرا من المرضى
وكان فى مدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الأصنام يقال له سلاحين .

وقال وهب : اسمه إبطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فاتى الخبر إلى الملك فدهما اليه
وقال لهما من أنتما ؟ قالا رسولا عيسى . قال وما آيتكما ؟ قالا نبرى الأكمة والأبرص ونشفى المرضى
باذن الله تعالى : قال وفيهم جتبا ؟ قالا جتاك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة
من يسمع ويبصر ، قال الملك أولنا إله يسوعى آلهتنا . قالنا نعم . قال من ؟ قال من أوجدك
بسد عديمك وآلهتك ، قال قوما حتى أنظر فى أمركما ، فقبهما الناس فأخذوها وضربوها
فى السوق .

وقال وهب : بعث عيسى بهذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطالت
مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله تعالى ، فغضب الملك فأمر بهما فحبسا
وجلد كل واحد منهما مائة جلدة ، قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين
شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخلا شمعون البلد متسكرا فجعل يناشر حاشية الملك
حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم
أيها الملك انه بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتبا حين دعواك إلى غير دينك فهل
كلمتهما وسمعت قولهما ؟ فقال حال الغضب بينى وبين ذلك . قال فان رأى الملك دعاها حتى
نطلع على ما عندهما ، فدعاها الملك فلما حضرا بين يديه ، قال لشمعون استخبرهما فقال
شمعون لهم من أرسلكما إلى ههنا ؟ قال الذى خلق كل شىء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا
فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال شمعون وما آيتكما ؟ قالا ماتمناه نبرى الأكمة
والأبرص ونشفى المرضى والزمنى باذن الله . قال فأمر الملك فجاء بسلام مطموس العينين موضع
عينيه كالجهة فمالا يدعو الله تعالى حتى انشق البصر فأخذبا بيندقتين من الطين
فوضعاها فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما ، فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت

سألت الملك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف والإمك ، قال الملك ليس لي عنك سر اعلم أن إلها الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، وكان سمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم ، فقال الملك للرسولين ان إلها الذي تعبدانه يقدر على إحياء الميت ؟ قالوا إلها يقدر على كل شيء . فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن النحقان وأنا آخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا ، فجاءوا بالميت وقد تغير وأرواح فجلا يدعوان ربهما علانية وجعل سمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم اني قدمت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذرکم ما أنتم فيه فأمنوا بالله ، ثم قال ان أبواب السماء فتحت لي فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة ، فقال الملك ومن الثلاثة فقال سمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه فتعجب الملك ، فلما علم سمعون أن قولهم قد أثر في الملك أخبر بالحال وطمأ فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون

وقال كعب وهوب : بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل ، فبلغ ذلك حبيب ابن مسرى صاحب يس .

وقال ابن عباس ومقاتل : اسمه حبيب بن اسرائيل النجار ، قال وهوب وكان سقيا قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة أنطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمضى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر ، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم إيمانه ويعد ربه في غار ، فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم إلى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله تعالى - وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى - إلى قوله - مهتدون - فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم ؟ فقال - وما لي لأعبد الذي فطرنى وإليه ترجعون - إلى قوله - اني آمننت بربكم فاسمعون - فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه ، وقال عبد الله بن مسعود وطئوا بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره ، وقال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه .

وقال الحسن : خرقوا خرقا في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سوق أنطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى - قيل ادخل الجنة - فلما أفضى إلى جنة الله وكرامته - قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين - قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النعمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فأتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى - وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين - على غيرهم من كفار الأمم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون - أي ميتون .

أخبرنا أبو بكر الخشاي بإسناده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ساق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزيل مؤمن آل فرعون وحيب النجار مؤمن آل يس وعلّى بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم »

قصة يونس بن متى عليه السلام

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه « لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » قال الله تعالى - وإذا النون إذ ذهب مغاضبا - الآيات ، قالت العلماء بأخبار القدماء : كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهي عن الكفر والأمر بالتوحيد ، وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع إلى قراءته الوحش كما كان لداود في زمانه ، وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه ، قال الله تعالى - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل - وقال تعالى - ولا تكن كصاحب الحوت - لأنه كان قليل الصبر على قومه والندرة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تمسخ تحتها فتمسخ الربيع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا » . واختلف العلماء في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته ، فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي

رواية الضحاك والوفى عن ابن عباس قال : كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثني عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى إلى شعيا النبي أن سر إلى حزقيا الملك وقل له بوجه نبييا قويا أمينا فأتى ألقى الحرف في قلوب أولئك الأسباط حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل ، فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الأنبياء ؟ فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله بأخراحي ؟ قال لا ، قال هل سألني لك قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء ، فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه ، فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان . وقال الحسن البصري إنما غضب ربه من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخص اليهم ، فقال له الأمر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعله يلبسها فقيل له نحو القول الأول وكان رجلا في خلقه ضيق ، فقال أعجبنى ربي أن آخذ نعلي فذهب مغاضبا ، وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال : أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا . قال له أتمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك فغضب وانطلق

إلى البحر فركب سفينة فكان من أمرهما كان فصلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من
 بطن الحوت ، قال ابن عباس إنما كانت رسالة يونس بعد أن نبذ الحوت ودليل هذا القول أن الله
 تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله - وأرسلناه إلى ماله ألف أو يزيدون -
 وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعاء قومه وتبليغه الرسالة وإنما ذهب عن قومه مناضبا
 لربه إذ كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه
 الكذب والخلف فيما أوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والمهلك فخرج مناضبا
 قال والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا أوعدهم العذاب في يوم ولم يأتهم ، وفي بعض الأخبار أن قومه
 كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي أوعدهم
 خشي أن يقتلوه فغضب ، وقال كيف أرجع إلى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم أعلم سبب صرف العذاب
 عنهم لأنه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب . قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :
 بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة ، فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثا
 وثلاثين سنة فلم يؤمن به إلا رجلا ن أحدهما زويل وكان طالما حكيا والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا .
 قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : لما أيس من إيمان قومه دعا عليهم قليل له ما أسرع
 مادعوت على قومك أرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فإن أجابوك ، إلا فاني أرسل عليهم
 العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال إني محذركم العذاب إلى
 ثلاثة أيام إن لم تؤمنوا ، ثم قال لهم إن آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم ،
 فقالوا لبعضهم قد نزل بك ما قال يونس وأنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم الليلة فآمنوا
 من العذاب وإن لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصحبكم ، فلما كان ليلة الأربعين ورأى يونس
 تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج بهم فخرج من بين أظهرهم ، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب
 قال سعيد بن جبير كما ينشئ التراب القبر إذا دخل فيه صاحبه ، وقال مقاتل كان العذاب فوق
 رؤوسهم قدر ميل ، وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل ، وقال وهب أغيمت السماء أسود هائلا تدخن
 دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم ، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالمهلك والعذاب
 فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فغذف الله في قلوبهم التوبة وألمهم الرجوع إليه فخرجوا إلى الصعيد
 بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح ، وأظهروا الإيمان والتوبة لله وأخلصوا النية
 وفرقوا بين كل والله وولبها من الناس والدواب والأنعام فحن بعضها إلى بعض ، وعلت أصواتهم
 واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا إلى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم
 وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلمهم وذلك يوم عاشوراء . وقيل كان يوم الأربعاء للنصف
 من شوال . قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى أن زادوا الظالم بينهم حتى إن الرجل ليأتي إلى
 الحبر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتله ويرده .

وروى صالح الرمي عن عمران الجوني عن أبي خال قال : لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقة علمائهم ، فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى ؟ قال قولوا يا حي حين لاحي يا حي حين يحيي الموتى لا إله إلا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومثوا الى حين كما قال تعالى - فلولا كانت قرية آمنت - أي فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض موضع النفي لأن فيه ضربا من الجحد - فنفعها إيمانها - في وقت اليأس عند معاناة العذاب - لإقوم يونس لما آمنوا - نفعمهم إيمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم - كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين - . قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والمهلك لقومه فلم ير شيئا وكان من كذب ولم يكن له بينه قتل . قال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق معاتباً ربه مغاضباً قومه فأثى البحر . كما قال تعالى - وذاللون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه - أي أن لن نقضى عليه العقوبة يقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديره وقدره يقدره قدرا وقدقري بهما جميعا في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وقوله تعالى - والذي قدر فهدى - هذا قولاً كثيراً للقرنين ، وقال عطاء معناه فظن أن لن نصيق عليه الحبس من قول الله تعالى - الله يمسك الرزق لمن يشاء ويقدر - أي ويضيق وقوله تعالى - ومن قدر عليه رزقه - .

قال ابن زيد : هو استفهام معناه أظن أن لن تهدر عليه ، وقال الحسن معناه فظن أن يجر ربه فلا يقدر عليه . قال وبلغني أن يونس لما أصاب الدب انطلق مغاضباً ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن تهدر عليه . وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما آتى يونس البحر إذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة ، فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت وانسفن تسير يمينا وشمالا فقال للملاحون ان فيها عبدا آتيا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آتيا لم تجر فاقترعوا فوكت القرعة على يونس فقال أنا الآتي فقالوا تلتقي في الماء ، فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى - فسام فكان من الدحسين - فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فابتلعه وأوحى الله تعالى إلى الحوت أني لم أجعله لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا فخذ له عظاما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوتا آخر فأهوى به الى مسكنه في البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأبله ثم مر به على دجلة ، ثم انطلق به الى نينوى ويقال ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر ، فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسيحه . فقالوا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة ؟ قال ذلك عبيد يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر ، فقالوا المبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال نعم ، قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله - فنأدى في الظلمات أن لا إله إلا أنت - . قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت - سبحانك إني كنت من الظالمين - .

وروى سعيد بن السيب عن سعد بن مالك . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اسم الله الذي اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى . قفلت يارسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى - فنادى في الظلمات - الى قوله - وكذلك تنجي المؤمنين - » فلما دعا به يونس وخففت له الملائكة أمر الله الحوت فقفذه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى - فنبذناه بالعراء - أى بوجه الأرض - وهو سقيم - أى عليل ضعيف كالقرخ الممط .

واختلقوا في مدة مكث يونس في بطن الحوت ، فقال مقاتل ثلاثة أيام ، وقال عطاء سبعة أيام ، وقال الضحاك عشرين يوما ، وقال السدي والكلبي أربعين يوما ، فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك قوله تعالى - وأنبتنا عليه - أى عنده - شجرة من يقطين - قالوا فيست الشجرة فبكى عليها ، فأوحى الله اليه أنبكى على شجرة ييست ولا تبكى على مائة ألف أوزيدون أردت أن أهلكهم ، ثم ذهب يونس فاذا هو بسلام يرعى غنما ، فقال من أين أنت يا غلام ؟ قال أنا من قوم يونس ، فقال له إذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس ، فقال الغلام ان كنت يونس فأنت تعلم أنه ان لم يكن لي بينة قتلت فمن يشهد لي ؟ فقال يونس تشهد لك هذه البقرة وهذه الشجرة وهذه الشاة ، وأشار الى شاة من غنمه ، فقال له الغلام فمرهم . قال لهم يونس إذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم ، فرجع الغلام الى قومه ، ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله ، وقال كذبت ، فقال ان لي بينة فأرسلوا معي أحدا يشهد فأرسلوا معه رجلا ، فأتى البقرة والشاة ، وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس ؟ قالوا نعم فرجع القوم مذعورين ، وقالوا للملك شهدت له الشجرة والأرض والشاة ، فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه ، وقال أنت أحق بهذا المكان منى . قال فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة . ثم إنهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم .

يروى أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل . وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار . فأوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات . فقال له يونس ذلك ، فلم سمع منه ذلك شتمه وقال ثيء عملته يدي أعيش منه وأتبع بئنه أنا وعيالى تأمرنى بكسره . فبكى يونس . فأوحى الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب خسه بكسره وأنت طبت خسا ووطنها على هلاك مائة ألف أوزيدون من عبادى ففنى يونس وهبط واديا .

قال فلما شهدت الشجرة والأرض والشاة للسلام . وكانت الشاة التي كانت مع التلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الوادي فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة . فقال لا حاجة لي في مدينتكم فبكوا وألحوا عليه فاجابهم للدخول فأتى بعجلة من فضة وأجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاتقا على سبابته وهو ينادي هذا مجلس الجبارين فوثب يونس عن العجلة وجعل يمشي حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير التلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزلوا سائحين يبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام . وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم .

باب في قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى - أم حسبك أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا - اختلف العلماء في الرقم . قال النعمان بن بشير الأنصاري . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقم . قال « إن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهلهم فيبنيهم يمشون إذ أصابهم السماء فأووا الى الكهف فاعطت سخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فأوصدته عليهم . فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فعمل الله يرحمنا ، فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة . كان لي أجراء يعملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرت به بغير أجره فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت على من الأكرام أن لا أقصه شيئا لما استأجرت به أصحابي لما اجتهد في عمله ، فقال رجل منهم أعطني هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا نصف النهار ؟ فقلت له : يا عبد الله لم أجحسك شيئا من شريك إنما هو مالي أحكم فيه . بما شئت . قال فنضب وذهب وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ماشاء الله ، ثم مررت بعد ذلك بقر فاشتريت به قميصه فبليت ماشاء الله فمررت بعد ذلك بشيخ ضعيف لا أعرفه ، فقال لي إن لي عندك حقا ، فقلت له أذكره لي حتى أعرفه ، قال فذكره ، فقلت له إياك أبني وهذا حقك وهرضنا عليه ، فقال يا عبد الله لا تسخرني ان لم تصدق على فأعطني حقي ، فقلت والله ما أسخر ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعته اليه . اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصنع الجبل حتى أبصروا الضوء ، وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءني امرأة تطلب مني مغروفا . فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت وذكر ذلك زوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك وأغني عيالك فرجعت الى تنشدني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك . فلما رأت ذلك أسلمت إلى نفسها فلما كشفتها وهمت بها ارتعدت من

تحتي قلت لها ما شأنك ؟ قالت إني أخاف الله رب العالمين ، قلت لها خفيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركته وأعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدح الجبل حتى تمارفنا ، وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي أبوان كبيران ، وكان لي غنم فسكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي . قال فأصابني يوم غيث فحبسني حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت علي فحلبت غنمي وتركته قائمة مكانها ومضيت إلى أبوي فوجدتهما قد ناما فشقي علي أن أوقظهما وشقي علي أن أترك غنمي فمارحت جالسا ومحلي في يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما . اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه . قال النعمان لكأنني أسمع من رسول الله ﷺ قال « كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم ففرجوا » .

وقال ابن عباس : الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف . قال كب هي قرنتهم ، وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الأخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف . ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال - إذ أوى القتيه إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة - . قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ : كان أمر أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

وأما قصتهم ، فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أتاه قوم من أبحار اليهود . فقالوا يا عمر : أنت ولي الأمر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وأنا نريد أن نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علنا أن الاسلام حق وأن محمدا كان نبيا وان لم نخبرنا علنا أن الاسلام باطل وأن محمدا لم يكن نبيا . فقال عمر سلوا عما بدالكم . قالوا أخبرونا عن أقوال السموات ماهي ، وعن مفاتيح السموات ماهي ، وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو ، وأخبرنا عمن أنذر قومه لاهو من الجن ولا هو من الانس ، وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ، وأخبرنا ما يقول الدراج في سياحه ، وما يقول الديك في صراخه ، وما يقول الفرس في سهيله ، وما يقول الضفدع في هيقه ، وما يقول الحمار في نهيقه ، وما يقول القنبر في صغيره ؟ قال فنكس حمز رأسه في الأرض ثم قال . لا عيب بعمر إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم ، فوثبت اليهود وقالوا تشهد أن محمدا لم يكن نبيا وأن الاسلام باطل ، فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا . ثم توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه . فقال يا أبا الحسن أغث الاسلام . فقال وماذا لك ؟ فأخبره الخبر ، فأقبل يرفل في بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل مضلة وعدة تدعى فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه : إن لي عليكم

عريطة إذا أخبرتمكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم . فقالوا نعم . فقال سلوا عن خصلة
 خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهي ؟ قال أقفال السموات الشراك بالله لأن العبد والأمة
 إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل . قالوا فأخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي ؟ قال شهادة أن
 لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . قال فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق النبي . قالوا
 فأخبرنا عن قبرسار بصاحبه ؟ فقال ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار
 السبعة . فقالوا أخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الحن ولا من الانس ؟ قال هي نعمة سليمان بن
 داود . قالت - يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - قالوا
 فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ؟ قال ذلك آدم وحواء وناقة صالح وكبش
 ابراهيم وعصا موسى ؟ . قالوا فأخبرنا ما يقول الدير في صياحه ؟ قال يقول الرحمن على العرش
 استوى قالوا فأخبرنا ما يقول الدير في صراخه ؟ قال يقول اذكروا الله يا غافلون . قالوا أخبرنا
 ما يقول القرس في صهيله ؟ قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك
 المؤمنين على الكافرين . قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار في نقيقه ؟ قال يقول . لعن الله العشار ،
 وينقي في عين الشياطين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه ؟ قال يقول سبحان ربي للعبود
 السبع في لجج البحار ، قالوا فأخبرنا ما يقول القنبر في صفيره ؟ قال يقول اللهم العن فنبسى محمد
 وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ووثب
 الخبر الثالث فقال : يا طي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقي خلة واحدة
 أسألك عنها فقال سل عما بدا لك ، فقال أخبرني عن قوم في أول الزمان ماتوا ثلاثمائة وتسع سنين ، ثم
 أحياهم الله فباكان من قصتهم ؟ قال على رضى الله عنه يهودى هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل
 الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان عشت قرأت عليك قصتهم ، فقال ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم
 ان كنت علما فأخبرني بأسمائهم وأسماء آباءهم وأسماء مدبتهم واسم ملكهم واسم كلهم واسم
 جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها ، فاحتج على كرم الله وجهه بيرة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أبا العرب حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بأرض رومية
 مدينة يقال لها أنسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أنسوس فلما جاء الاسلام
 سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك
 فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فأقبل في عساكره حتى دخل أنسوس فاتخذها دار
 ملكه وبني فيها قصرا ، فوثب اليهودى وقال ان كنت طالما نصف لى ذلك القصر ومجالسه فقال
 يا أبا اليهود ابقى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف أسطوانة
 من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تخرج في كل ليلة بالأدهان الطيبة
 واتخذ لشرق المجلس مائة وثمانين كوة وتزييه كذلك ، وكانت الشمس من حين تطلع الى

حين تيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجواهر ، ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيًا من الذهب فأجلس عليها بطارقه واتخذ أيضا ثمانين كرسيًا من الذهب عن يساره فأجلس عليها هراقلته ، ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى وقال : يا بلى ان كنت عالما فأخبرنى مم كان تاجه فقال يا أبا اليهود كان تاجه من الذهب السبك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤه تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق من الديباج الأحمر وسروهم بسر اويل القز الأخضر وتوجهم ودملجهم وخلقهم وأعطاهم عهد الذهب وأقامهم على رأسه ، واصطنع ستة غلطة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره ، فوثب اليهودى وقال : يا بلى ان كنت صادقا فأخبرنى ما كانت أسماء الستة ؟ فقال على كرم الله وجهه : حدثني جيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم عليشا ومكسلينا ومحسلمينا ، وأما الذين كانوا على يساره فمر طليوس وكشطوس وسادنيوس ، وكان يستشيرهم في جميع أموره ، وكان اذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاث غلطة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثانى جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع وفي جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه برشه وجناحيه ثم يصيح به الثانى فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه برشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفذ برشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمضت الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا ألعاب ولا بصاق ولا مخاط ، فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطفى ونجى واستمصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ، ودعا إليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وجاه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله ، فأجابوه بأجمعهم فأقاموا في ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى ، فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه إذ أتى بعض بطارقه فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيت يريدون قتاله فاعظم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره ، فنظر أحد فتيه الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان غافلا يقال له تميخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال : لو كان دقيانوس هذا إلها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الأنفال من صفات الاله ، وكانت الفتيه الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم ، وكان ذلك اليوم نوبة تميخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تميخا ولم يشرب ، فقالوا يا تميخا مالك لا تأكل ولا تشرب ؟ فقال يا إخوتي وقع في قلبى شيء منعنى عن الطعام والشراب والنم ، فقالوا وماله يا تميخا ؟ فقال أطلت فكرى في هذه السماء فقلت من رزقها سقفا محفوظا بلا علاقة من

فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ، ثم أطلت فكرى
 في هذه الأرض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا تميد
 ثم أطلت فكرى في نفسى ، فقلت من أخرجنى جنينا من بطن أمى ومن غذانى وربانى ان لهذا
 صانعا ومديرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقولونهما وقالوا يا عليخا لقد وقع
 في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا ، فقال يا إخوتى ما أجدنى ولكم حيلة الا الهرب من هذا
 الجبار الى ملك السموات والأرض ، فقالوا الراى ما رأيت فوثب عليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم
 وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم عليخا
 يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل
 الله يجعل لكم من أكرم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ حتى
 صارت أرجلهم تقطر دما لأنهم لم يعتادوا المشى على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع ، فقالوا أيها الراعى
 أعنذك شربة ماء أولين ؟ فقال عندى ما يحبون ولكنى أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أنظركم
 إلا هرابا فأخبروني بقصتكم ، فقالوا يا هذا إنا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق ؟
 قال نعم ، فأخبروه بقصتهم فانكب الراعى على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبى ما وقع في
 قلوبكم فقفوا لى هنا حتى أرد الأغنام الى أربابها وأعوذ اليكم فوققوا له فردها وأقبل يسمى
 فبمه كلب له فوثب اليهودى قائما ، وقال يا طى ان كنت عالما فأخبرنى ما كان لون الكلب واسمه ؟
 فقال يا أخا اليهود حدثنى حيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبيض بسواد وكان
 اسمه قطمير .

قال الأستاذ : اختلف الـ في لون كلب أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس كان أبيض ، وقال
 مقاتل كان أسفر ، وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرة وصفرة يضرب الى الحمرة ، وقال الكلبي
 لونه كالثلج وقيل لون الحمرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا ، فروى عن على كرم الله
 وجهه أن اسمه ريان ، وقال ابن عباس كان اسمه قطميرى وهى احدى الروايات عن على ، وقال شعيب
 الجبائى كان اسمه حمرا وقال الأوزاعى تنوى . وقال مجاهد قنطوريا . وقال عبد الله بن سلام بسيط
 وقال كعب كان أصهب واسمه نقي .

وأخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه أن اسم كلهم كان قطمور
 وقيل قنقير ، أخبرنى أبو على الزهرى بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى - ما يعلهم إلا قليل -
 قال أنا من أولئك القليل هم مكسلبينا وعليخا ومرطليوس وبينوس وساونوس ودانوس وكسطنوس
 وهو الراعى والكلب اسمه قطمير كلب أمير فوق القلطي ودون الكركمى . وقال محمد بن اسحق
 القلطي الكلب الصغير وقال ما بنى بنيسابور محدث إلا كتب عنى هذا الحديث وكتبه أبو عمرو
 الجببرى عنى .

رجعنا الى الحديث . قال : فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض اننا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيحه ، فألحوا عليه طردا بالحجارة . فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرده انتهى على رجله وتمطى وقال بلسان طلق ذلقى يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فسمد بهم الراعى جبلا وانحط بهم على كهف ، فوثب اليهودى وقال : يا على ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف ؟ قال أمير المؤمنين يا أخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم . رجعنا إلى الحديث . قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنم الليل فأووا إلى الكهف ورضى الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه . أمر الله ملك الله فضأرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقبلانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال ومن ذات الشمال إلى ذات اليمين .

قال ابن عباس : كانوا يقلبون في السنة مرة ثلاثاً كل الأرض لحومهم ، ويقال ان يوم عاشوراء كان . . . تقلبهم . قال أبو هريرة : كان لهم في كل سنة تقلبتان

رجعنا الى الحديث . قال : وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت - تزاور عن لهمم ذات اليمين - إذا طلعت - واذا غربت تعرضهم ذات الشمال - ، فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له إنهم اتخذوا إلها غيرك وخرجوا هارين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يغفلوا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضاجعين فظن أنهم نيام فقال لأصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشئ ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتوني بالبنائين فأتى بهم فرموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ، ثم قال لأصحابه قولوا لهم يقولوا لإلههم الذي في السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فلكوا ثلثمائة وتسع سنين فنفع الله فيهم الروح وهموا من رقتهم لما بزغت الشمس . فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى ، قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والأشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض إنا من أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الأشجار قد جفت في ليلة واحدة ، فألقى الله عليهم الجوع . فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه إلى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى - فابشوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أركى طعاما - أي أحل وأجود وأطيب ، فقال لهم تملينا يا إخوتي لا يأتيكم أحد بالطعام غيرى ولكن أيها الراعى ادفع إلى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعى ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتي ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أراني نائما ، فلما طال عليه ذلك دخل

للمدينة ثم بأقوام يقرءون الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى إلى السوق فإذا هو بجبار
فقال له يا جبار ما اسم مدينتكم هذه ؟ قال أفسوس . قال وما اسم ملككم ؟ قال عبد الرحمن
قال تملیخا ان كنت صليحا فان امری عجيب ادفع إلى هذه الدراهم وكانت دراهم ذلك
الزمان الأول تقالا كبيرا ، فعجب الجبار من تلك الدراهم ، فوثب اليهودی وقال يا على ان كنت
علما فأخبرني كم كان وزن الدرهم منها ؟ فقال يا أخا اليهود أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم
أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلاث دراهم ، فقال له الجبار يا هذا انك قد أصبت كترًا
فأعطني بعضه والا ذهبت بك إلى الملك فقال تملیخا ما أصبت كترًا وإنما هذا من ثمن عمر بسة
بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يبدون دقيانوس الملك ، فغضب
الجبار وقال ألا ترضى ان أصبت كترًا أن تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعى
الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسخرني ثم أمسكه واجتمع الناس ، ثم انهم أتوا به إلى الملك
وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى ؟ قالوا أصاب كترًا ، فقال له الملك لا تخف فان نيلنا
عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز إلا لحسها فادفع إلى خمس هذا الكنز وامض
سالمًا ، فقال أيها الملك ثبت في امری ما أصبت كترًا وإنما أنا من أهل هذه المدينة ، فقال له
أنت من أهلها ؟ قال نعم . قال أتعرف فيها أحدا ؟ قال نعم . قال فسم لنا فسمي له نحوًا
من رجل فم يعرفوا منهم رجلا واحد ، قالوا يا هذا ما نعرف هذه الأسماء وليست هي
من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار ؟ فقال نعم أيها الملك فابث معي أحدا
فيث معي الملك جماعة حتى آتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ، ثم قرع الباب
فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو قرع مرعوب مذعور فقال
أيها الناس ما بالكم ؟ فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ
والتفت إلى تملیخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تملیخا بن فلسطين فقال الشيخ أعيد على فأعاد
عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه قبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتيّة
الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار إلى جبار السموات والأرض ولقد كان عيسى عليه السلام
أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون ، فأنهى ذلك إلى الملك فركب للملك وآتى اليهم وحضرهم ، فلما رأى
الملك تملیخا نزل عن فرسه وحمل تملیخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له
يا تملیخا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف ، وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم
وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذوا تملیخا ، فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم تملیخا
يا قوم اني أخاف أن اخونكم يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون
أن دقيانوس قد غشهم فيموتون جميعا قفقوا قليلا حتى أدخل اليهم فأخبرهم ، فوقف الناس ودخل
عليهم تملیخا فوثب إليه الفتية واعتفقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس ، فقال دعوني

منكم ومن دقيانوس - كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم - قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس واخرس قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاءوكم فقالوا له يا معلم يا خيرنا أن نصيرنا فتنة للملأين قال فإذا تريدون ؟ قالوا ارفع يديك وازفع أيدينا فرجعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجايب في أنفسنا الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف ، وأقبل الملكان بطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فأيقنا حينئذ بلطف صنع الله الكريم وأن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله إياها ، فقال المسلم على ديني ماتوا أنا أبني على باب الكهف مسجدا . وقال النصراني بل ماتوا على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا ، فاقتل الملكان فقبل المسلم النصراني ، فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى - قال الذين غلبوا على أمرهم لتتخذن عليهم مسجدا - وذلك يا يهودى ما كان من قصتهم ، ثم قال على كرم الله وجهه لليهودى سألتك بالله يا يهودى أوافق هذا مافى توراتكم ، فقال اليهودى ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لا تسمنى يهوديا فأنى أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنتك أعلم هذه الأمة .

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى رى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يسبدونها من دون الله فعذف الله فى قلوبهم الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر بعضهم لبعض فخرج من بين أظهر هؤلاء القوم ثلثا يصيونا عقاب يجرهمهم ، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاءوا فجلسوا اليهم واجتمعوا ، فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ، ثم قالوا لبعضهم ليخرج كل فتين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره إلى صاحبه ، فخرج فتان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه ، فأقبلا وهما مستبشرين إلى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد وإذا هم جميعا على الايمان ، وإذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض - فآووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيى لكم من أمركم مرققا - فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم ، فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وقدم قومهم فطلبوهم فسمى الله عليهم آثارهم وكهفهم ، فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى يوم كذا فى شهر كذا من سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن .

وأخبرنا الحسن بن الحسين الثقفى بإسناده عن أبي جعفر النعماني قال : كان أصحاب الكهف صيارفة . وقال وهب بن منبه : جاء حوارى من أصحاب عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له أن على بابها صنبا لا يدخلها أحد إلا سجد له ، ففكره أن يدخلها فأتى إلى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمام وكان يمسك فيه ، فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق ، فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يضط على صاحب الحمام أن الليل لا ياحول بيني وبينه أحد فيصلى ، فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فغير بها الحوارى وقال له أنت بن الملك ويدخل مع هذه فاستجيا ابن الملك وذهب ثم رجع مره أخرى فقال له مثل ذلك فسه واتهره ولم يلتفت إليه ثم انهما دخلا معا فأتا جميعا في الحمام ، فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتقى فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا الفتية فالتقوا فخرجوا من المدينة فرروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم وبعده كلبه حتى أوام الليل إلى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أزعج فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف وأتركهم فيه يموتوا ؟ غطشا وجوعا ففعل ذلك . قال هب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان . بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه للطير عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت فيه غنمي من اللطير فلم يزل يبالغه حتى فتح الباب وورد الله إليهم أرواحهم من القدر حين أصبحوا . وقال محمد بن اسحق : مرج أهل الأنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطف فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متفككون بعبادة الله تعالى وتوجيه فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح ، وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا يدين دين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس ، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا في كل ناحية ، وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطاً من كفار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فمن القوم من يرغب في الحياة ومنه من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل . فلما رأى ذلك أهل الشدة

في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ماقطع من
أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على
أهل الايمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل ، فلما رأى ذلك الفتنه حزنوا
حزنا شديدا قاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتعبد والدعاء وكانوا من أشرف الروم وكانوا
نحانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون - ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه
إلهما لقد قلنا إذا شططا - ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنهم على
عبادك الذين آمنوا بك ، فينبأهم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم
فوجدوا سجودا على وجوههم يكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من
دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ماخلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم
خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا نجمع الجميع وهؤلاء الفتنه من أهل بيتك
يسخرون منك ويصونك ، فلما سمع ذلك أتى بهم فقبض أعينهم من السمع مغفرة وجوههم
في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي نعبد في الأرض وأن تجعلوا أنفسكم
كغيركم ، ثم انهم خيروا إما أن يذبحوا لآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس وإما أن يقتلهم للملك
فقال مكسلينا وكان أكبرهم ان لنا إلهاملا السموات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إله
أبدا ولن نفر بهذا الذي ندعو اليه أبدا ولكننا نعبد ربنا الذي له التعميد والتكبير والتسبيح
والتعبد من أنفسنا خالصا أبدا إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبد أبدا
فاصنع بنا مايدالك ثم قال أصحاب مكسلينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر
بهم فترج ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم إذا فعلتم ماقلتم فاني سأؤخركم
وأشرف لكم فأعجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما ينبغي أن أعجل لكم ذلك لأنني أراكم شبابا
حديثي أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ، ثم أمر
بجلية كانت معهم من ذهب وفضة فترعت عنهم ، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس
إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره ، فلما رأى الفتنه أن دقيانوس
قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأمروا أن يأخذ كل
رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا بها بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من
للمدينة في جبل يقال له باجلوس فيسكنون فيه ويبعدون الله تعالى حتى إذا قدم دقيانوس أتوه
فقاموا بين يديه فيصنع بهم مايشاء ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عجل كل قى منهم إلى بيت
أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وأنطلقوا بها بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لأحدهم حتى
أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه . وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا برام
معه كلب على دينهم ، وقال كلب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبسح عليهم ففعلوا ذلك مرارا ،

قال لهم الكلب ماتريدون مني لا تخشوا جاني فاني أحب أجاب الله فناموا حتى أجزسكم .

رجعنا إلى حديث ابن اسحق : فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم حمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا شققتهم إلى قبي منهم يقال له تلميذا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجدهم وأجملهم ، فكان تلميذا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسنا ويأخذ ثيابا كتياب المساكين الذين يستطعمون فيها ؛ ثم يأخذ درهما فينتقل إلى المدينة فيشتري طعاما وشربا ويقسم ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشيء ، ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ، ثم قدم دقيانوس للمدينة فأمر العطاء فذهبوا للطواغيت ، ففرغ من ذلك أهل الايمان ، وكان تلميذا بالمدينة يشتري طعاما فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام ، فأخبرهم أن دقيانوس دخل للمدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عطاء المدينة ليدبخوا للطواغيت ، فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ، ثم ان تلميذا قال لهم . يا اخوتاه ارفعوا رءوسكم فاطمئنا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رءوسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا ، فيبنونهم كذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد يباب الكهف فأصابه ما أصابهم ، فلما كان من الغد تفقد دقيانوس والتجسس فلم يجدهم ، فقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون أنني غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمرى ، فاني لا أغضب عليهم إن تابوا وعبدوا آلهتى ، فقال عطاء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا ، فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم للردة الذين عصوني ، فقالوا له أما نحن فلم نصك ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا إلى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية : فألقى الله في نفسه ان يأمر بالكهف فيسد عليهم ، وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم - أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبت من في القبور - فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم ، وقال دعوهم كما هم في الكهف يعمنون جوعا وعطشا ، ولكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أبقاظ يملكون ما يصنع بهم وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد يباب الكهف وقد غشيه ما غشيه يلبون ذات اليمين وذات الشمال . قال ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانها اسم أحدهما تددروس والآخر روباس اتفهما أن يكتبيا شأن الفتية وأسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعله في تابوت من نحاس ويجعل التابوت في البنيان ، وقال لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل

يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ، فقبل ذلك وبنيا عليه فيقي دقيانوس ما بقي ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة ، وخلفت للولك بعد الملوك ، ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس ، فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وعشرين سنة فتعزب الناس في ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ، ومنهم من يكذب بها ، فكبر ذلك على الملك الصالح ، فشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ، وانهم يقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وانما تمت الأرواح ولا تمت الأجساد ، وأما الجسد فأكله التراب ونسوا ما في الكتاب ، فجعل الملك تندوسيس يرسل إلى من كان يظن فيه خيرا ، وانهم كانوا آثمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحوّلوا الناس عن الحق وملة الحواريين ، فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحت رمادا ، فدأب إليه ونهاره يتضرع إلى الله تعالى ويكسى عما يرى فيه الناس ويقول أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء ؟ ثابت لهم آية ثم إن الرحمن الرحيم جل وعزّ الذى يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتنية أصحاب الكهف ، ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الإيمان الذى أعطاه ، وأن لا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئا ، وأن يجمع من كان تبعد من المؤمنين ، فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ، فيبنى به حظيرة لنعمة فاستأجر عاملين ، فجعل يترتان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزع ما على فم الكهف وفتح عليهم باب الكهف وحجبه الله عن الناس ، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم نائما . فلما نزع الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم . فلم يعضم على بعض حتى كانوا استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليثهم التي يبيتون بها . ثم انهم قاموا إلى الصلاة فصلا كالذى كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبقارهم ولا ألوانهم شيئا ينكرونه إنعام كهنتهم حين رقدوا يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم . فلما قضوا صلاتهم قالوا تلميذا صاحب نفقاتهم : بين لنا ما الذى قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كعص ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا بها حتى تسألوا بينهم ، فقال بعضهم لبعض - كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم - وكلّ ذلك في أنفسهم يسير ، فقال لهم تلميذا التمسّم في المدينة لتدبحوا للطواغيت أو قتلوا قالوا فما شاء الله بمذلك فعل ، فقال مكسملينا يا اخوتاه اعلّموا أنكم ملائكة

الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غدا ، ثم قالوا يا تلميذا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال هنا بما اليوم وتطف ولا تشعرك بك أحداً وابتع لنا طعاماً واتنا به . وزدنا على الطعام الذي جئتنا به أسس فانه كان قليلاً وقد أصبحنا جياعاً . ففعل تلميذاً كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتسكّر فيها . ثم أخذ ورقاً من حققتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع . فانطلق تلميذاً خارجاً . فلما مر يباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها . ثم مرّ حتى أتى باب المدينة مستخفياً بعيداً عن الطريق مخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار . ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة . فلما رأى تلميذاً باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لأهل الإيمان فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً فظهر مينا وشمالاً . ثم انه ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من ابوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتوكان يعرف ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشى وشعب ويخيل إليه أنه حيران ثم انه رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول : ليت شعري أما هذه عشية أسس كان المسلمون يحقون هذه العلامة ويستخفون بها ، وأما اليوم فانها ظاهرة لعل حام ثم يرى أنه لم يبق فآخذ كساءه وجعله على رأسه ، ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناساً يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسنداً ظهره إلى جدران المدينة وهو يقول في نفسه : والله ما أدرى مالهذا أما عشية أسس فليس على الأرض أحد يذكر عيسى الا قتل ؟ وأما العداة فأسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخفي ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرفها فاني أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحداً منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجهها ، ثم انه لقي فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ فقال افسوس فقال في نفسه لعل في مسا أو أمرا أذهب عقلى والله يحق لي أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبني شرّ فأهلك هذا ما يحدث به تلميذاً أصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه . ثم أفاق وقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يظن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام . ثم أخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلاً منهم وقال يا عبد الله بنى بهذه طعاماً فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق وشهشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ، ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد أصاب كنزاً في الأرض منذ زمان طويل ، فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديداً فجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس . قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه ، فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلا حاجة لي في طعامكم ، فقالوا يا فتى

من أنت وما شأنك ؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين فأنت تريد أن تخفيه منا انطلق
منا وأرنا مكانه وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت فانك إن لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه
فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا والله يافتي انك
لاستطيع أن تسكن ما وجدت ولا تظن في نفسك أن سنخفي عليك فتعير في نفسه وليس يدري
مايقول لهم وما يرجع اليهم وفرتي حتى ماخبرهم بشيء ، فلما رأوه لايتكلم أخذوا كساءه وطرقوه
في عنقه ثم جعلوا يقدونه في سكك المدينة مكبلا حتى صبح به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز ،
فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون : والله ما هذا الفتي من
أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تملixa مايدري مايقول لهم مع ما يسمع منهم .
فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يسكنهم ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا
أن أباه واخوته في المدينة وأن حبه في أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا
وقد استيقن أنه في عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وأنه لايعرف اليوم من أهلها أحدا
فبينما هو قائم كالخيران ينتظر متى يأتيه بعض اهله فيخلصه من أيديهم . فبينما هو كذلك إذ قد
اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم
الآخر اسطوبوس ، فلما انطلقوا به ظن تملixa أنهم انطلقوا به إلى دقيانوس الملك ، فجعل يلتفت
يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والخبيران فجعل تملixa يبكي ثم
رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السموات والأرض أفرغ طي اليوم صبرا وأولج معي روحا
منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه : فرقي بيني وبين اخوتي باليهيم
يطمون ماقيت فيأتوني فتقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد توافقنا لنكونن معالنا كفر
بالله ولا نترق في موت ولا في حياة أبدا ياليت شعري ماهو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا ؟ هذا ما حدث
به تملixa أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فأنهى به إلى الرجلين الصالحين أرموس واسطوبوس
فلما علم تملixa أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وسكن ما به فأخذ أرموس واسطوبوس الورق
ونظرا إليها وعجبا منها ، ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يافتي ، فقال ما وجدت كنزا وإنما
هذه الورق ورق آبائي وتقع هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول
لكم فقال أحدهما من أنت ؟ فقال له تملixa قال فبن أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأبأهم باسم أبيه
فلم يجدوا أحدا يعرفه ، فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا نثبتنا بالحق فلم يدري تملixa ما يقول
غير أنه نكس بصره إلى الأرض ، فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون ، وقال بعضهم ليس
بمجنون ولكنه يحق نفسه عمدا لكي يفلت منكم ، فقام أحدهما ونظر إليه نظرا شديدا وقال
له أنتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ولضرب هذه الورق وتقسها أكثر من ثلثمائة
سنة وأنت غلام شاب تظن أن تأمسكنا وتسخرتنا ونحن شطط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة

وولاء أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لأعذبك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفنى هذا الكنز الذى وجدت . فلما قال له ذلك قال له تلميذا : أنبئنى عن شيء أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عما عندى ، فقالوا سل لا نكتمك شيئا قال ما فعل بالملك دقيانوس ؟ قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة ، فقال له تلميذا فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقنى على ما أقول لقد كنا فتية وإن الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا ، فلما اثبتنا خرجت لأشترى لأصحابى طعاما وأنجس الأخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معى إلى الكهف الذى فى جبل ناجلوس أريكم أصحابى ، فلما سمع أرموس ما يقول تلميذا قال : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفق فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه ، فانطلق معه أرموس واسطوبوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكف لينظروا اليهم . وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تلميذا قد احتبس عنهم لأنه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم فى القبر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى دقيانوس . فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون إذ سمعوا الأموات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وأنه بعث اليهم ليؤتى بهم ، قاموا حين سمعوا ذلك إلى القلعة وسلم بعضهم على بعض . ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تلميذا فإنه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى تأتبه ، فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراى الكهف لم يشعروا إلا وأرموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تلميذا فدخل عليهم وهو ييكى . فلما رأوه ييكى بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بغيره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وانما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصدقا للبعث وليلعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ثم دخل على أثر تلميذا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مغطى بغطاء من فضة فقام يباب الكهف ، ثم دعا رجلا من عظماء أهل المدينة ففتحوا التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما إن مكسلبينا وتلميذا ومرطونس وكشطونس وداميوس وتكريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يقتلهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلن من بعدهم أن عثر عليهم فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم آية البعث فيهم ، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ، ثم دخلوا على الفتية الكف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبيل ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ، ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ، ثم إن أرموس وأصحابه بشوا إلى ملكهم الصالح تدوسيس فاعجل لملكك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها

الله في ملكك فاعجل الى فتية بشتم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة ، فلما أتى الخبر قام من السدة التي كان عليها وقال : أحمدهم رب السموات والأرض تطولت عليّ ورحمتي برحمتك فلم تطفي النور الذي جعلته لأبائي وللعبد الصالح فسطيطوس الملك . فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف . فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخرجوا سجدا لله على وجوههم ، وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جالس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه . ثم إن الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس ، فبينما الملك قائم إذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يحمل لكل رجل منهم تابوت من ذهب . فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا إننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ، ولكننا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوايت من ساج فجعلوا فيها وحجهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلي فيه وجعل لهم عيداعظما وأمر أن يؤتى كل سنة . وقيل إنهم لما أتوا باب الكهف . قال عليهما دعوني أدخل على أصحابي فأبشروهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر على بن أبي طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يراه . فقال إنك لن تراه في دار الدنيا ولكن ابث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبشهم ؟ قال ابسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثاني عمر وعلى الثالث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها أن تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام بما أمره به فحملتهم الريح ^(١) حتى انطلقت بهم الى باب الكهف ، فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين أبصر الضوء وهرّ وحمل عليهم ، فلما رآهم حرك رأسه وبصم بذيبه وأوماً برأسه ان ادخلوا الكهف ، فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فردّ الله عليهم أرواحهم ، فقاموا بأجمعهم ، وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فقالوا إن نبي الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام ، فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والأرض ، وعليكم بما يلقم ، ثم انهم جلسوا بأجمعهم

(١) قوله فحملتهم الريح الخ هذا معارض لقوله تعالى (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من

بعدي) فليتبّه .

يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا أقرئوا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ، ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ، ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء ، فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم ، فلما آتوا النبي ﷺ قال كيف وجدتموهم ، وما الذي أجابوكم ؟ فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام بأجمعهم وبلغناهم رسالتك ، فأجابوا وأنا بوا وشهدوا أنك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم به فخرجهم وتوجه رسلك انهم وهم يقرءون عليك السلام ، فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لاتفرق بيني وبين أسهاري وأحبائي واغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وأحب أمتي وأحب أصحابي .

مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه الجاني : قال كان في الموصل ملك يقال له زادانه ، وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها ، وكان جبارا عاتيا وكان يبعد صنعا يقال له أفلون ، وكان جرجيس عدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى هيسى بن مريم عليه السلام ، وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يقتلوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه لئلا يجمع لأحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز في مجلس له وأمر بضمنه أفلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يذب من خلفه بأنواع العذاب ، وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لأفلون ألقى في تلك النار ، فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فزع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بمجاهدة وألقى الله في نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلى ذلك بنفسه فأقبل عليه ، وقال له اعلم أنك عبد مملوك لأملاكك لنفسك شيئا ولا لغيرك وأن لك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفك ، وإذا قال شيء كن فيكون وأنت إنما عمدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يفني عنك شيئا من الله فزيتته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبده من دون الله ، فكان من جواب الملك له أن سألته عن حاله وأمره وبين هو ومن أين هو ؟ فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصر ، ويقال له الملك لو كان ربك الذي زعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى أثرى من حولي ومن هو في طاعتي فأجاب جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره ، ثم قال له أتعلم أفلون الأصم الأبكم الذي لا يفني عنك شيئا برب العالمين الذي

قامت السموات والأرض بأمره أم تعدل طوفليا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس
من ولاية الله تعالى فان إلياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فأكرمته
الله تعالى حتى أثبت له الريش وكساه النور فصار إنسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم
تعدل مخلطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله
تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين ، أم تعدل هذا الروح الطيبة التي اختارها
الله بكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله بأرييل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك
وعلى ملكك فأسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها فانهشت لحما وولفت
في دمها وقطعت الضباع أوصالها ، فقال له الملك انك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فائقنا بالرجلين
الذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فاني أنكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما
جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى ، وأما الرجلان فلن تراهما ولن يراك إلا أن تعمل
بعملهما فتزول منازلهما ، فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لأنك فخرت
بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ، ثم إن الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلون ،
فقال له جرجيس ان كان أفلون هو الذي رفع السماء ووضع الأرض فقد أصبت ونصحت لي
وإلا فأخسأ أيها النجس اللعون ، فلما سمعها الملك غضب وشمته وسب إلهه وأمر بخشبة فنصبت
له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه في
خلال ذلك بالحل والخردل فحفظه الله من ذلك الألم والمهلك ، فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر
بسته مسامير من حديد فأحيت حتى جعلت نارا ففسر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الألم
والمهلك ، فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى إذا جعله نارا أمر به
فادخل في جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حرقه . فلما رأى ذلك لم يقتله دعاه ، فقال له
يا جرجيس أما تجد ألم هذا العذاب تعذب به ؟ فقال ان ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب عني
ومسبرني لأحتج عليك ، فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على
أن يخلده في السجن ، فقال له لللائم من قومه إنك إن تركته طليقا في السجن يكلم الناس أو شك
أن يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب في السجن فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على
وجهه ثم أوثقه في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد في كل ركن منها وتد وأمر بأسطوانة من
رخام فوضعت على ظهره ، ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك
موتدا تحت الحجر ، فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى إليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى
بالملائكة وأول ما جاءه الوحي فقلع عنه الحجر ونزع الأوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره
بالنصر ، فلما أصبح أخرجهم من السجن ثم قال له الحق بمدوك فجاهده في الله حتى جهاده فان الله
يقول لك اصبر وأبصر فاني قد ابتليتك بمدوى هذا سبع سنين يذوبك ويقتلك فيهن أربع مرات

وفى كل ذلك أردّ اليك روحك فاذا كان في القنلة الرابعة قلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا إلا وقد وقف جرجيس على رءوسهم يدعوم الى الله تعالى ، فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن ؟ فقال أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانك ، فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا باصناف العذاب حتى لم يخل منها شيئا ، فلما رآها جرجيس أوجس في نفسه خيفة وجزعا ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون ، فلما فرغ من عتابه . قال لهم الملك مدّوه بين خشبتين قدّوه ، ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشروه حتى سقط من بين رجله وصار جزءين ، ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت له في جب وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بحسده اليها ، فلما هوى نحوها أمرها الله عزّ وجلّ فضضت برءوسها وأعناقها وقامت على يرائتها تقيه الألم فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موته ماتها ، فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه وضم بضه الى بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وأرسل الله له ملكا فأخرجه من قعر الجب فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر ، فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس قال ليك ، قال له اعلم أن القدرة التى خلق الله بها آدم هى التى أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده في الله حق جهاده وموت الصابرين ، فلم يشعر الملك وأصحابه الآخرون إلا وقد أقبل جرجيس وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس ، فلما نظروا الى جرجيس مقبلا . قال الملك ما أشبه هذا الرجل بمرجيس ؟ فقالوا كأنه هو ، فقال الملك ليس هو تحفا ألا ترون الى سكون ريحه وقلة هيئته ، فقال جرجيس بل هو أنا فبئس القوم أتم قتلتم ومثلتم فأحياني الله تعالى بقدرته فهلما الى الرب العظيم الذى أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ييلد الملك من السحرة . فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحر ك ما يسر عيني فقال ادع لى ثور من البقر . فلما آتى به نثف فى إحدى أذنيه فانثقت بإثنين . ثم نفخ فى الأذن الأخرى فاذا هو ثوران . ثم دعا يندر فحرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم داس ودرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك فى ساعة واحدة وهم يرون . فقال له الملك هل تقدر أن تمسخ لى جرجيس دابة . فقال الساحر أى دابة تطلب أمسخه لك كلبا ؟ فقال الساحر ادع لى بقدح من ماء . فلما آتى بالقدح نثف فيه الساحر . ثم قال للملك اعزم عليه أن يشربه فشربه جرجيس حتى آتى على آخره . فلما فرغ منه . قال له الساحر ماذا تجد ؟ قال ما أجد إلا خيرا كنت قد عطشت فعطف الله لى بهذا الشراب وقوانى به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم أيها الملك أنك لو كنت تقاس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقاس جبار السموات والأرض وهو الملك الذى لا يرام . وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بمرجيس وما يصنع من الأعاجيب فأتته وهو فى أشد ما فيه من البلاء . فقالت له يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لى مال الاثور ان كنت أحرث

عليهما فسانا فحشك لترحمي وتدعو الله أن يحيي بي ثوري فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيي لها ثوريها ثم إنه أعطاهما عصا وقال لها اذهبي إلى ثوريك فأقرعهما بهذه العصا وقولي لهما احيا باذن الله تعالى فقالت له يا جرجيس ان ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبينى وبينهما أيام فقال لها لو لم تجدى منهما إلا شيئا يسيرا وقرعته بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان أول شيء بدلهما من ثوريها ذفن أحدهما وشعر أذن الآخر فجمعت أحدهما إلى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك ، فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك إنكم قد وضعت أمر هذا الرجل على السحر وإنكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت أو أحيا ميتا قط فقالوا له إن كلامك لكلام رجل قد صبا إليه فلمه استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد أني بربى محبا تعقدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخارج فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بالوان العذاب حتى أفتانهم ، فلما فرغ منهم قال لجرجيس هل ادعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال جرجيس ما خلى بيني وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظامهم يقال له مغلطس إنك زعمت يا جرجيس أن إليك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنى سائلك أمرا إن فعلته آمنت بك وصدقك وكفيتك ، نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيًا وهذه مائدة بيننا عليها أقذاح وصحاف من أشجار شق فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والأواني كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها أنبوتة وورقه وزهره فقال له جرجيس : لقد سألت أمرا عزيزا على وعلى وأنه على الله ليهن فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والأواني كلها وساخت عروقها وتلبست باللحم وتشعبت وأورقت وأزهرت وآثرت فلما نظروا إلى ذلك انتدب لهم مغلطس الذى نعى عليه ما نعى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيد ، ثم انه عمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثوره جوف واسع ثم حشاها قطا ورمصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشوى جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها ، فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابة أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله أعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والأرض فمكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار ، وأرسل الله ميكائيل فاحتل الصورة التى فيها جرجيس حتى إذا أقلها ضرب بها الأرض ففزع من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم فاعاقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا . فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والأرض ورجعت اليهم أنفسهم ، فقال له رجل يقال له طوفليا لاندري يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الأعاجيب

أم ربك؟ فإن كان ربك هو الذى يصنع قادعه نجى لنا موتانا التى فى هذه القبور فإن فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه . فقال له جرجيس لقد علمت أن ما يصنع الله عنكم هذا الصنع ويرىكم هذه الأعاجيب إلا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ، ثم إنه أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من ، كأنهم حتى نظروا إلى سبعة عشر إنسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية وإذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك؟ فقال يا جرجيس اسمى توبيل قال متى مت قال فى زمان كذا وكذا فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعين سنة عام ، فلما نظر الملك وأصحابه إلى ما فعل قالوا ما بقى من أصناف العذاب بشيء إلا وقد عذبتموه به إلا الجوع والعطش فمذبوه بهما فمعدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصره فى بيتها وكانوا لا يواصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا ، فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب؟ قالت لا والذى يحلف به ماعهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج التمس لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم؟ قال إياه تعبدين قالت لا فدعها إلى الله فصدقته ، ثم أنها انطلقت تطلب لها شيئا وكان فى بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما أنبت اللوليا واللياز وهو مثل البردى يكون بالشام ، وظهر للدعامة فرع من فوق البيت اظله من فوقه ، فأقبلت العجوز وهو فيها شاء يأكل رغدا . فلما رأته التى حدث فى بيتها من بعدها ، قالت آمنت بالذى اطعمك فى بيت الجوع قادع هذا الرب العظيم أن يشفى ابنى فقال لها أدنيه منى فأدته فبصق فى عينيه فأبصر وثق فى أذنيه فسمع ، وقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله ، قال لها اخرجين فان له يوما عظيما ، وكان الملك قد خرج يوما يسير فى مدينته إذ وقع بصره على الشجرة فقال أنى أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به . فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لتلك الساحر الذى أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيها يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة أن تقطع . فلما هموا بقطعها أيسس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها ، وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر ببجل فأوقر أسطوانا وجعل فى أسفل البجل خنجر وشفارا . ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالبجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فأقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فألقيت فى النار حتى عادت رمادا فبث بذلك الرماد وبث معه رجالا فلقروه فى البحر فلما برحوا عن مكائهم حتى سمعوا صوتا من السماء : يا بحر ان الله يأمرك أن تحفظ ما فبك من هذا الجسد الطيب فأنى أريد أن أعيدته كما كان ، ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعت حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يندرى فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه والريح الذى جمعه ، فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيها هو خير لى ولك بما نحن فيه ولولا أن يقول

الناس انك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد لأفلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم انى أقبل لك ما يسرك ، فقال له نعم مهما شئت فعلت فادخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له أعزم عليك أن تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة إلا فى بيتى وعلى فراشى وفى كرامتى حتى تستريح وينهب عنك وصب الطباب ويرى الناس كرامتك على فأدخلنى له بيته فظل فيه جرجيس حتى إذا أدركه الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعت امرأة الملك استجابت له فلم يشعر إلا وهى خلفه تبكى فدعاها جرجيس الى الايمان فأمنته به وأمرها فسكرت لإيمانها ، فلما أن أصبح الصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها توجج جرجيس والناس مشتغلون عنها ، فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظروا وإذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما ، فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فطلق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقمتم عن عاتق أمه يمشى على رجله ولم يكن يمس الأرض قبل ذلك قدميه قط ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادفع لى هذه الأصنام وهى يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وم يبدونها ويبدون معها الشمس والقمر ، فقال له الغلام كيف أدعو الأصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذى خلقك إلا ما أحبته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج إلى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الأرض برجله فخسف بها وعنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الحسف . فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخنق له وكلم جرجيس ، فقال له جرجيس أخبرنى أيها الروح النجسة والخلق لللعون ما الذى يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ، فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بنى آدم وضلالته لا اخترت هلكته على ذلك كله وإنه ليقع لى من الشهوة واللذة فى ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ، ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه . قال فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فلما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فبا يذكرون أبدا . فقال الملك يا جرجيس غررتنى وخدعتنى وأهلكت آلهمى . فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنت منى فكيف تهتك وبلك بآلهة لم تمنع نفسها منى وانما أنا مخلوق ضعيف لأملاك إلا ما ملكنى ربى ، فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلهم وكشفت لهم عن إيمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعبر التى أراهم الله تعالى إياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فيخسف بكم الأرض كما خسف بأصنامكم ، الله الله أيها القوم فى أنفسكم . فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشئ ، فقالت له أما رأيت الله كيف يظفر بك ويسلطه

عليك فيكون له القلاح والحجة عليك في كل موطن . فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها وحملت عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس ، فلما ألماها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف عني فاني قد آلمني العذاب . فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكك . فقال لها الملك ما الذي يضحكك ؟ . قالت أرى ملكين فوقى معهما تاج من حل الجنة ينتظران به خروج روحي . فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على السماء وقال : اللهم أنت أكرمتمنى بهذا البلاء لتعطى منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا . اللهم إني أسألك أن لا تحبس روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء للتكبرين من سطواتك وتهتك مالا قبل لم به حتى تشفى به صدرى وتقر به عيني فانهم ظلموني وعذبوني فيك . اللهم وأسألك أن لا ينعو بمدى داء في بلاء وكرب فيذكرني وينشدك باسمي إلا فرجت عنه ورحمته وأجته وشفعتي فيه . فلما فرغ من هذا السماء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا إليه فضربوه بالسيف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ماوعده ، ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها ومارت رمادا فعملها الله من وجه الأرض وجعل عاليها سافلها فكثرت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منق لا يشمه أحد إلا سقم سقما شديدا ، وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة للالك . قال الأستاذ وكانت قصة جرجيس في أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

باب في قصة ثمسون النبي عليه السلام

قال الله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - إلى قوله تعالى - خير من ألف شهر - أخبرنا أبو عمرو والعمري بإسناده عن ابن أبي نجيح - أن النبي صلى الله عليه وسلم في كرم رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر - « التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى .

أخبرنا عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه : أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له ثمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الأنجيل ، وكانت أمه قد جعلته نذيرا ، وكان تومسه أهل أوثان يبدونها من دون الله ، وكان منزله منها على خمسة أميال ، وكان يزوم وحده ويجاهد في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الأموال ، وكان إذا قاتلهم قبيهم بالحجة لا يقيم بغيرها ، وكان إذا قاتلهم وقاتلوا نصب وعطش اشجرله من الحجر ماء عنب فيشرب منه حتى يروى ، وكان قد أعطى قوة في البطش ، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره . فجاهد

في الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدر أن منه على شيء فاحتالوا عليه وقالوا لآثية إلا من قبل امرأته فجعلوا لها جصلا على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أوتته لكم فأعطوها جصلا وثيقا ، وقالوا لها إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه حتى تأتية فنأخذنه . فلما نام أوثقت يديه إلى عنقه بذلك الحبل . فلما اتتبه من نومه جذبه بيده فوقع من عنقه . فقال لها لم فعلت ذلك ؟ فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط ، فأرسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يضر عنه شيئا فأرسلوا اليها بجاعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعلها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها . فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الأرض شيء يغلبك قال لا الا شيء وأخذ قالت وما هو ؟ قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك إن أمي كانت أخبرني أن لا يغلبني شيء أبدا ولا يظني الا شعري ، فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه فأوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاءوا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وقشوا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهري المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشراف عليها هو والناس لينظروا إلى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثوابه وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم ، فأمر أن يأخذ بممودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدماء وهلك أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

باب في قصة أصحاب الأخدود

قال الله تعالى - قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود - الآيات ، روى عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسبعين سنة وكان له ساحر حاذق ، فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فأبعث لي غلاما أعلمه السحر ، فبعث اليه غلاما يقال له عبدالله بن السامر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت ، فسمع الغلام عنده وسمع كلامه فأعجبه وكان يبطي عند الراهب ويأتى المعلم فيضربه ويقول له ما الذي حبسك ؟ واذا اقبل إلى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما أبطأك ؟ فشيكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال له الراهب إذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي ، واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم ، وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فمر بها السلام ورمهاها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رمهاها قتلها ، فأتى الراهب وأخبره فقال له الراهب أنت تلتها ،

قال نعم . قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل على ، فكان الغلام يرى الأكمة والأبرص ويعطى للرضى ، وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قال لا ، قال فمن قتلها قال الله تعالى . قال فمن الله قال رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة . قال ان كنت صادقا فدع الله أن يودع على بصرى ، فقال له الغلام أرايت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله ؟ قال نعم ، قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع إلى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك ، فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك ؟ فقال الله . قال ومن الله ؟ قال رب السموات والأرض ، فقال له الملك أخبرني من علمك هذا ، فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فيجىء بالغلام فقال له الملك يابى قد بلغ من سحره هذا ، فقال له الغلام انى لا أشفى أحدا وانما يشفى الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فيجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ووضع في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ، ثم جىء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ، ثم التفت إلى الغلام وقال له ارجع عن دينك فان رجعت عن دينه والا فاطرحوه ، فذهبوا به إلى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ، ثم جاء الغلام بمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله ، ففاظ الملك ذلك فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهى السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فان رجعت عن دينه والا فاقدفوه في البحر وأغرقوه فذهبوا به إلى البحر ، فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء بمشى إلى الملك ، فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فقال الملك اقلوه بالسيف فنبأ السيف عنه ، وفشا خبره في الأرض وعزفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو وأصحابه على الحق ، ثم إن الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلى إلا أن تفعل ما أمرك به ، فقال وما هو ؟ قال تجمع أهل مملكته وأنت على سريرك فتصلبى على جذع وترمى بهم وتقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال باسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن السامرى ولا دين الا دينه ، فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام ، قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أقواه السكك وخذ أخذودا وملاء نارا ، ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ، ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فاحترق ، وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع ، فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك في النار فأبى فأخذ ابنها الأكبر فألقى في النار ، ثم أخذ الأوسط وقال لها ارجعي

عن دينك فأبت فألقى أيضا في النار ، ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي ، فأبت فأمر بإلقائه في النار فهتت المرأة بالرجوع ، فقال لها الصبي الصغير يا أماء لا ترجعي عن الإسلام فانك على الحق ولا بأس عليك ، فألقى الصبي في النار وأمه على أثره ، وقد روى هذا بنحو ما ذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر الذكور بإسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه « وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام ، وابن ماضطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الأخدود » .

وقال سعيد بن السيب : كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك القلام بنجران وهو واضح يده على صدغه ، فكلما مدت يده عادت إلى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه ، وقال مقاتل كان أصحاب الأخاديد ثلاثة : واحد بنجران اليمن ، وآخر بالشام ، وآخر بفارس حرقوا بالنار ، أما الذي بالشام فانطياخوس الرومى أحرق قوما من المؤمنين ، وأما الذي بفارس فهو مختصر .

وكانت قصته ما أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن ابن اروي قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نعى عمر ، فاجتمعوا وقالوا أى شيء نجري على الجيوش من الأحكام فانهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركى العرب ، فقال على كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابتهم ، وكانت الحجرة قد أحلت لهم فقتلوا ملكا من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها ، فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه ، فقالت المخرج منه أنك تخطب الناس فتشول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الأخوات إذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمة عليهم ، فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الأخوات ، فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن تؤمن بهذا ماجاءنا بهذا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع إلى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا على ، فقالت أبسط فيهم السوط فأبوا أن يقرأوا فقال لها ان الناس قد أبوا ، قالت فجرد فيهم السيف فأبوا أن يقرأوا ، قالت فخذ لهم الأخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابك خل عنه ومن أبى فاقتفه في النار ، فخذ الأخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكتك على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خل سبيله فأنزل الله تعالى فيهم - قتل أصحاب الأخدود - إلى قوله تعالى - عذاب الحريق - وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحميري وقد ذكرنا قصته ، وذكر محمد بن اسحق بن بشار عن وهب بن منه أن رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع على نجران فطعام فأجابوه ، فخيرهم ذو نواس بين النار أو اليهودية فأبوا عليه ، فأحرق منهم

اثني عشر ألفا ، وقال مقاتل إنما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا ؟ وقال الكلبي
كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا ، فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار إلى أعلى شفير
الأخدود فأحرقهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر ذراعا ونجا ذو نواس ، فسلط الله عليهم
أرياطا الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاتحهم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن
معديكرب : أتوعدني كأنك نور عيني بأنعم عيشة أودونواس
وقدما كان قبلك في نعيم وملك ثابت في الناس راسي
قدتم عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجيروت قاسي
نامسى أهله بادوا وأمسى ينقل في أناس من أناس

باب في قصة أصحاب القيل ويان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد ﷺ

قال الله تعالى - ألم تركيف فعل ربك بأصحاب القيل - إلى آخر المسورة ، قال محمد بن اسحق
ابن بشار كان من حديث أصحاب القيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن
ابن عباس وعمن بقى من علماء اليمن وغيرهم ، أن ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس
كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك إلا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية
على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن السامر فدعاهم إلى اليهودية فأبوا ، فخيرهم
فاختاروا القتل فخذ لهم الأخدود وصنف لهم أصناف القتل ، فمنهم من قتل صبرا ، ومنهم من ألقى
في النار إلا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان ، فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم
في الرمل فألقى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك غنا ولكني أكتبك إلى
ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه
رجلا من الحبشة يقال له أرياط ، فلما بعثه قال له : إن دخلت اليمن فاقتل ثلث رجلا وأخرب ثلث
بلادها وابعث إلى ثلث سبائها ، فلما دخلها فاوشهم القتال ففترقوا عن ذي نواس واقتحم به
فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ، ودخلها أرياط ففعل بما أمره
النجاشي ، فقال ذو جند الحميري فيما أصاب أهل اليمن .

دعني لا أبالك لم تطيق	لحلك الله قد أنزت ريق
بدا عزف القيان إذا اتشيتا	إذا نسق من الحمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على طارا	إذا لم يشكفي فيها رفيق
وإن السوت لا ينهاء ناه	ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان	يناطح جلده ييض الأنوق
وعمدان الذي نبئت عنه	ينوء ممسكا في رأس نيق

لتهمة وأسفه حروث
مصابيح السليط يلحن فيه
وإذا يمسي كرمضان البروق
وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست اليه
يكاد البسر يهصر بالعذوق
وأسلم ذو نواس مستيئنا
وحذر قومه ضنك المضيق

قال : فأقام ارباط باليمن وكتب اليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك فأقام حينا ، ثم إن أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين ، فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تراخا ، فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى ارباط انك لا تصنع شيئا فلا تلق الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج إلى فأينا قتل صاحبه انضم اليه الجند ، فأرسل اليه أنك قد أنصفت ، ثم انهما خرجا وكان ارباط جسيما عظيما وسما في يده حربة ، وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا الحيا وكان ذا دين في الصراية وكان خلف أبرهة وزير يقال له عتودة ، فلما دنوا رفع ارباط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فصرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته ، فلذلك سمي أبرهة لأشرم ، فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارباط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة ، فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يحجز ناصيته ويطأ بلاده . ثم إنه كتب إلى أبرهة إنك عدوت على أميري فقتلته بغير أمري وكان أبرهة رجلا ماردا . فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وولأ جرابا من تراب أرضه وكتب إلى النجاشي أيها الملك انما كان ارباط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بامر الحبشة وأوسوس لها وكنت أردته أن يعتزل فأني قتلته . وقد بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلفت رأسي وبعت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضي وبنته اليك ليطأه الملك فير قسمه . فلما انتهى اليه ذلك رضى عنه وأقره على عمله وكتب اليه بأن اثبت بمن معك من الجند . ثم إن أبرهة بن كنيصة بصنعاء يقال لها القليس . ثم انه كتب الى النجاشي إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط . ولست منها حتى أصرف اليها حج العرب . فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج الى القليس . فدخلها ليلا فقدر فيها تهاونا بها وتغصبا للسكبة ، فبلغ ذلك أبرهة ويقال إنه أتاها ناظر اليها فدخلها فوجد العذرة فيها ، فقال من اجترأ على هذا ؟ فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذي قلت فصنع هذا ، فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى السكبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة إلى مكة وأخرج معه القيل ، فبلغ ذلك العرب فأعظموه وفضطعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم ، فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نهر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه وأخذ ذو نهر فأني به أبرهة ، فقال له أيها الملك لا تقتلني فإن استبقاؤك لي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حلما ، ثم خرج سائرا حتى إذا دنا من ديار خثم خرج اليه نيسل بن

حبيب الحثمي في قبلي خشم وهما شهران وناهش ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن قاتلوه
فهمهم وأخذ نفيل أسيرا ، فقال له أيها الملك إني ذليلك بأرض العرب فلا تقتلني ، وها أنا أنادي على
قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يده حتى إذا مر بالطائف فخرج اليه مسعود بن
مغيث الثقفي في رجال من قبيص وقال له أيها الملك : إنما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف ،
وليس بيننا هذا الذي تريد يعني به اللات إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه ،
فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى إذا كانوا بالتممس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب
وبعث أبرهة من النمس رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مفسود على مقدمة خيله فجمع اليه
أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ، ثم إن أبرهة بعث حنطة
الحيرى إلى أهل مكة سفيرا ، فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه أني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم هذا
البيت ، فانطلق حنطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له : إن الملك أرسلني اليك
لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه إنما آتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم ، فقال عبد
المطلب سنخلى بينه وبين ما جاءه له فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام ،
فإن يمنعه فهو بينه وحرمة ، وإن نخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فواته مالنا به قوة . قال فانطلق
منى إلى الملك ، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بئرة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بني
حتى قدم المسكر ، وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال له إذا نقر هل عندك من غناء فيما
نزل بنا ، فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو عشي ولكني سأبعث لك إلى أنيس
سألس القيل فانه صديق لى ، فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير ، وعظم
منزلك وحظك عنده . قال فأرسل إلى أنيس فأتاه ، فقال له إن هذا سيد قريش صاحب غير مكة
يعطى يطعم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رهوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي
بعير ، فإن استطعت أن تنفقه عنده فانفقه فانه صديق لى وإنى أحب ما يصل اليه من الخير ، ثم
إن أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له : أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب غير
مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والوحش والطير في رهوس الجبال ، وقد جاءنا غير ناصب
لك حربا ولا يخالف عليك يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فأذن له ، وكان عبد
المطلب رجلا جسيما وبيا ، فلما دخل عليه جلس بين يديه فأقامه وأجلسه معه على السرير ، ثم قال
لترجمانه قل له ما حاجتك ، فقال له الترجمان ذلك ، فقال له عبد المطلب : حاجتي أن يرد على مائتي
بعير أصابها لى ، فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن ،
فقال له ولم ؟ قال حيث جئت إلى بيت موديتك ودين آبائك لأهدمهم لم تكلمني فيه وتكلمني في
مائتي بعير أصبتها ، فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنه منك ،
قال ما كان ليمنه منى ؟ فقال له أنت وذاك ، ثم أمر له بإبله فردت عليه ، قال محمد بن اسحق

وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب إلى أبرهة بمعرو بن معدي كرب بن الدبل ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فمضوا على أبرهة تلك أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت ، فأبى أن يرجع . قال فلما ردت الابل على عبد المطلب ، رجع فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويحترزوا في ردوس الجبال تخوفا عليهم من مرة الجيش إذا دخل ، ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب إلى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول :

يأرب لا أرجو لهم سواكا	يأرب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا	فامنعهم أن يخربوا قراكا
لاهم إن المرء يـ	وقال أيضا
وانصر على آل الصلي	نع رجليه فامنع رحالك
لا يظلمن متليهم	ب وعابديه اليوم آلك
جروا جموع بلادهم	ومحالمهم أبدا محالك
عمدوا حماك بكيدهم	والفيل كى يسوا عيالكا
إن كنت تاركهم وكه	جهلا ومارقبوا جلالكا
	بتنا فأمر ما بدا لك

ثم إن عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة المنفوس وقد تهيأ لمخول مكة وعبي جيشه وهياً فيه ، وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه إلى أبرهة ؛ وكان فيلا لم يرمثه في الأرض عظما وقوة وجسا ، وقال الكلبي لم يكن عندهم إلا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى - ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل - . قال الضحاك كانت الفيلة كثيرة . ويقال كان معه اثنا عشر فيلا وانما وحد ^(١) على هذا التأويل لوفاق ردوس الآي ويقال نسبهم إلى الفيل الأعظم ؛ قال فأقبل فيل إلى الفيل الأعظم فأخذ بأذنه وقال : ابرك محمودا أوارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ؛ فبرك الفيل فبعثوه فأبى أن يقوم فضرروه بالمعول في رأسه فأبى ؛ فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومراقه ورفعه ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه إلى الشرق ففعل مثل ذلك ؛ فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ؛ ثم إن فيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأ مشال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في منقاره أمثال الحمص والعص والقم غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الاهلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى - طيرا أبابيل - أى متفرقة من ههنا وههنا ، قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور وأكف كأ كف الكلاب . وقال عكرمة كان لها

(١) (قوله وانما وحد الخ) المراد أن الافراد في الآية على هذا القول لوفاق ردوس الآي .

رموس كرموس السباع ولم ترقبل ذلك ولا بعده ، وقال ربيع لها أنياب كأنياب السباع ، وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها الله في الهواء في ذلك الوقت - ترميمهم بحجارة من سجيل - أى سنك كل (١) . قال ابن مسعود صاحت للطير ورمتم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الاخرج من الجانب الآخر ، وإذا وقع على رأس رجل خرج من دبره - فجعلهم كمصف مأكول - أى كزرع قد اكمل حبه وبقي تبنة ، فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هارين يتندرون الطريق الذى جاء وامنه ويسألون عن ثعلب بن حبيب ليدلم على الطريق ، فقال ثعلب بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من قهمة :

أين المفر والاله الطالب والأشبرم للغلوب غير الطلب
وقال أيضا في ذلك

ألا حيث عنا ياردينا	نعمتا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولم تربه	لدى جنب المحصب مارأينا
إذا لعنرتى وحمدت أمرى	ولم تأس على ماأفأت بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا	وبخت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسأل عن ثعلب	كأن على للحبشان ديننا

وذکر زياد عن عبد الله بن عمر أن طير الأبايل كانوا أقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميمهم بحجارة أصفرها مثل رموس الرجال وأكبرها كالابل البر لمارمت أصابت وما أصابت قتلت ، وثعلب ينظر اليهم من بعض تلك الجبال ، وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعها أنملة وقيح ودم فاتتهى الى صنماء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقى من أصحابه فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك ، وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذى جر حديث أصحاب الفيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشى فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفى سندها حقف من أحقادها يمة للنصارى تسميها قريش الهيكل وسميها النجاشى وأهل أرضه الماسر خسان فنزل القوم فى سندها فجمعوا حطباً وأججوا ناراً واشتوا الحما ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم صائف ففجأت الرياح فاضطرم الهيكل ناراً وانطلق الصريخ الى النجاشى فأخبروه فأسف عند ذلك غنبا لليمة فبث أبرهة لهدم الكعبة ، وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفى ، وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة ، وكان رجلاً نبها نبيلاً عاقلاً ، وكان لعبد المطلب خليلاً ، فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لانستغنى فيه عن

(١) (قوله أى سنك كل) لفظ فارسى معربه سجيل .

عن رأيك فما رأيك ؟ فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نملًا وأثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود : ان لهذا البيت ربا سيمنحه ، فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام . فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزرا . ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيئا ؟ فقال أرى طيرا ايضا نشأت من جانب البحر وحلفت على رؤوسنا . فقال له هل تعرفها ؟ قال عبد المطلب والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولاهامية ولاعربية ولاشامية وإنما طير بأرضنا غير مؤنسة ، قال ما قدرها قال أمثال العباسي في مناقيرها حتى كأنها حتى الحذف قد أقبلت كالليل الظلم يتبع بعضها بسوا أمام كل فرقة طير يقودها أحمر النصار أسود الراس طويل العنق فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركبت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلها بحياهم أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم إنها رجعت من حيث جاءت . فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم إنهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فأصبحوا نياما ، فلما دنوا من معسكر الفيل فاذا هم خامدون ، وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقطع في دماغه ويحرق الفيل والدابة وينيب الحجر في الأرض من شدة وقعه ، ثم إن عبد المطلب أخذ فأسا وحفر حتى أعرق في الأرض فلماها من الذهب الأحمر والجوهر الجيد ، ثم حفر لصاحبه حفرة فملاها ، ثم قال لأبي مسعود هات خاتمك وأخبرك فاختر فان شئت أخذت حفرتي وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهما لك معا . فقال له أبو مسعود اختلى على نفسك . فقال عبد المطلب انى جعلت أجود للناس في حفرتي فهو لك ؟ ثم جلس كل واحد منهما على حفرة ونادى عبد المطلب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذروعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرئاسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال إلى أن ماتا .

وقال الواقدي بأسانيده : غزا النجاشي ارباط في أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها فأكره الملوك واستنزل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل ارباط وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس ؟ فقليل يحجون بيت الله بمكة ؟ قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما أتى من ههنا من الوسائل . فقال والمسيح لأبين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها (٢٦ - قصص الأنبياء)

بالجواهر وجعل فيها يا قوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تقيب الجواهر وأمر الناس بحجبه فحجبه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعدون ويتنسكون ، فأمهل قيل الخثمي حتى كان ليلة من الليالي لم ير أحدا يتحرك فجاءه بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فأخبر أبرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لأجل بيتهم ؟ ثم انه قال لأتقضه حجرا حجرا . ثم انه كتب الى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث اليه بغيره محمود ، وكان فيه لم ير مثله في الأرض عظاما وجسا وقوة فبعثه اليه ففزا البيت كما ذكرنا إلى أن قال أقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار حبران في رجله وحجر في مفاره فقفزت الحجارة عليهم لا تصيب شيئا إلا هشمته ، وبعث الله سيلا آتى عليهم فذهب بهم إلى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل أبرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات وأما محمود فيل النجاشي فريض ولم يشجع على الحرم فجا ، وأما الفيلة الأخر فقتلته فصبت وهلكت وهو أول وقت روى عليه الجدرى والحسبة وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك

إن آيات ربنا بينات	ما يعجزون
حبس القليل بالتمس حتى	ظل محبوبا كأنه مغفور
حواله من رجال كندة فتيا	من مصاليت في الحروب صفور
فأدروه وقد تمولوا سراعا	كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي: لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبرهة الأشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم فما استتم كلامه حتى رماه طائر فسقط ميتا فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه .

وقال الواقدي : كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وآمن به .

واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال مقاتل : كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبي كان قبل مولده ثلاث وعشرين سنة ، وقال آخرون كانت قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزي قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت الزبير حدثنا بن موسى عن أبي الجوزاء قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لنيات بن أسيم الكنانى ياغيث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أسن منه وله رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بي أمى على روث الفيل . ويدل عليه أيضا ما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعنيين مقعدين يستطمان .

فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وإن الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل أعلم وأحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

فهرس

قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس

صفحة

- ٢ خطبة الكتاب باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تفصيله تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين
- ٣ مجلس في صفة خلق الأرض وفيه سبعة أبواب
- ٥ الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها
- ٥ الباب الثاني في حدود الأرض ومساقها وأطباقها وسكانها
- ٧ الباب الثالث في ذكر الأيام التي خلق الله تعالى فيها الأرض
- ٨ الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها
- ٨ الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الأرض
- ٩ الباب السادس في عاقبتها ومآلها وآخر حالها
- ٩ الباب السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن
- ١٠ مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به وفيه سبعة أبواب
- ١٠ الباب الأول في بدء خلق السموات
- ١٠ الباب الثاني في جواهرها وأجناسها
- ١٠ الباب الثالث في هيئتها وحدودها
- ١١ الباب الرابع في أسمائها وألقابها
- ١٢ الباب الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها
- ١٢ الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات
- ١٥ الباب السابع في ذكر مآلها وآخر حالها
- ١٥ مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادها
- ٢١ مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
- ٢١ الباب الأول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام
- ٢٢ الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
- ٢٤ الباب الثالث في صفة نفخ الروح فيه

- ٢٥ الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
٢٦ الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه السلام وما كان منه في ذلك
٣٠ الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الأرض وما كان منه
٣٥ الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله إلى الأرض وحاله فيها بعد اللعنة
٣٦ الباب الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراءى له إبليس فرآه عيانا وكلمه شفاها
٣٧ الباب التاسع في قصة قاييل وهابيل
٤١ الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام
٤٢ باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام
مجلس في ذكر النبي إدريس عليه السلام
٤٣ قصة هاروت وماروت ٤٦ مجلس في قصة نوح عليه السلام
٥٢ ذكر خصائص نوح عليه السلام ٥٣ مجلس في قصة هود عليه السلام
٥٧ مجلس في قصة صالح عليه السلام
٦٣ مجلس في قصة إبراهيم عليه السلام والخمرود وهو يشتمل على أبواب
الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام
٦٥ الباب الثاني في خروج إبراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه إلى قومه الخ
٦٩ الباب الثالث في ذكر مولد إسماعيل واسحق عليهما السلام ونزول إسماعيل وأمه هاجر الحرم
وقصة بئر زمزم ٧٣ الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم
٧٥ الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا
٨٠ الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده
٨٢ قصة الذبح وصفته وفعل سيدنا إبراهيم بابنه عليهما السلام
٨٤ الباب السابع في هلاك الخمرود بن كنعان وقصة بنائه الصرح
٨٥ الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده
الباب التاسع في ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام
٨٦ الباب العاشر في ذكر خصائص إبراهيم عليه السلام
٨٨ مجلس في ذكر بعض أخبار إسماعيل واسحق ابني إبراهيم عليهما السلام
٩٠ مجلس في قصة لوط عليه السلام
٩٤ مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وأخوته عليهم الصلاة والسلام وفيه بابان
الباب الأول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام

- ٩٥ الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته
- ٩٦ القول في القصة
- ١٢٦ مجلس في قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام
- مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد
- ١٣١ مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس ١٣٥ مجلس في قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام
- ١٤٤ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ١٤٥ مجلس في قصة شعيب النبي عليه السلام
- ١٤٧ مجلس في ذكر صفى الله ونبيه موسى بن عمران عليه السلام وهو شتم على أبواب
- الباب الأول في ذكر نسبه عليه السلام الباب الثاني في ذكر مولده عليه السلام
- ١٥٢ الباب الثالث في ذكر حلية موسى وهارون عليهما السلام
- الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ووروده مدين
- ١٥٤ الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزوج شعيب ابنته اياه
- ١٥٥ الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها
- ١٥٦ الباب السابع في صفة للمآرب التي كانت له فيها
- ١٥٧ الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله إلى فرعون واستعائه بأخيه هرون وكيفية ذهابهما إلى فرعون لتبليغ الرسالة
- ١٦١ الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهارون على فرعون
- ١٦٣ الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الخ
- ١٦٦ الباب الحادى عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامراته ومقتله وأولاده
- الباب الثانى عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
- ١٦٧ الباب الثالث عشر في بناء العبرج
- ١٦٨ الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه الخ
- ١٦٩ باب في صفة تنريل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها
- ١٧٠ فصل في بعض ماورد من الأخبار الغريبة في الجراد
- ١٧٣ الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام بيني اسرائيل وخبر فلق البحر لهم
- ١٧٧ الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى إلى الجبل لميقات ربه وصفة إيتاء الله تعالى له الألواح الخ
- ١٨٠ فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه الخ
- ١٨٤ باب في ذكر قصة بنى اسرائيل وهرون مع السامري حين أخذ لهم العجل
- ١٨٨ باب في قصة قارون حين عصى ربه الخ
- ١٩٢ باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب الخ

صفحة

١٩٤ فصل في ذكر جل من أخبار الحضرة عليه السلام وأحواله

١٩٥ فصل في بدء أمر الحضرة عليه السلام

٢٠٤ باب في ذكر قصة عاميل قتيل بن اسرائيل وقصة البقرة

٢٠٧ باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان الخ

٢٠٩ باب في ذكر مسير بن اسرائيل إلى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين الخ

فصل في فضل الشام وأهلها

ذكر قصة بلعام بن باعوراء

٢١٣ باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم الخ

فصل في ذكر جل من أخبار عروج بن هنق وأحواله

٢١٥ باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بن اسرائيل في التيه الخ

٢١٧ باب فتح أريحاء ونزول بن اسرائيل الشام

ذكر وفاة موسى عليه السلام

٢١٨ قصة وفاة هرون عليه السلام

٢٢١ مجلس في ذكر الأنبياء والملوك الذين قاموا بأمر بن اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام

ذكر خبر حزقيال عليه السلام

٢٢٩ قصة اليسع عليه السلام

٢٢٣ باب في قصة الياس عليه السلام

٢٣١ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام

٢٣٢ مجلس في قصة عيسى وشمويل وهي تشتمل على أبواب كثيرة الخ

فصل في سياق الآية ومقدمة القصة

٢٣٣ القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته الخ

٢٣٥ ذكر قصة الملك طالوت وإتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به .

٢٣٦ قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه

٢٣٨ باب في قصة شمويل حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت مع بن

اسرائيل وصفة نهر الابتلاء

٢٣٩ باب في ذكر أمر داود وخبر جالوت وصفة قتله

٢٤١ ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه إلى داود عليه السلام بعد قتل جالوت

٢٤٤ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها

باب في ذكر صفته وحليته

باب في ذكر نسبه

باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل الخ

- ٢٤٨ باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالحطيط وما يتصل بذلك
- ٢٥٤ باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما
- ٢٥٥ باب في قصة أصحاب السبت
- ٢٥٧ باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرب
- باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان وذكر بدء أمر الخاتم
- ٢٥٩ باب في ذكر وفاة داود عليه السلام
- ٢٦٠ مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به
- باب في صفة حليته عليه السلام
- باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع الناقب والواهب وغير ذلك
- ٢٧٠ حديث القبة
- ٢٧١ قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء
- ٢٧٢ صفة كرسى سليمان عليه السلام
- ٢٧٣ صفة نبيانه وبدء أمره
- ٢٧٦ باب قصة بلقيس ملكة سبأ والمهدد وما يتصل به
- ٢٧٩ صفة القصر الذي بنته بلقيس صفة عرشها
- ٢٨٧ باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه
- ٢٩١ باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام
- ٢٩٣ مجلس في قصة مختصر وما يتصل به
- قصة شعيب عليه السلام
- ٢٩٨ قصة أرميا عليه السلام ٣٠٢ قصة دانيال عليه الصلاة والسلام
- ٣٠٤ خبر وفاة دانيال عليه السلام
- ٣٠٧ باب في ذكر الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها
- ٣٠٩ باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع إلى قومه
- ٣١٠ مجلس في ذكر غزوة مختصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور
- ٣١٢ مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
- ٣١٣ باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن
- ٣١٥ مجلس في قصة بلوقيا

- ٣٢٢ مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام باب في نسبه ولقبه عليه السلام
- ٣٢٣ باب في قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه
- ٣٢٤ باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق
- ٣٢٧ باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به
- ٣٢٩ باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة
- ٣٣٣ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام
- نسب زكريا عليه السلام باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها
- ٣٣٦ باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام ٣٣٨ باب في صفته وحليته عليه السلام
- فصل في نبوته وسيرته وذكر زهد وجهده
- ٣٤٠ باب في مقتله عليه السلام ٣٤١ ذكر مقتل زكريا عليه السلام
- ٣٤٢ مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم به وما يتصل به
- ٣٤٤ باب في ذكر ميلاده عليه السلام
- ٣٤٦ باب في رجوع مريم بابنها عيسى عليه السلام بعد ولادتها إياه إلى جماعة قومها من بيت لحم
- ٣٤٧ باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر
- ٣٤٨ باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام
- باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه إلى أن نبى
- ٣٥٠ باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام إلى بلادها بعد موت هردوس
- ٣٥١ باب في قصة الحواريين عليهم السلام
- ٣٥٢ ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد بعثته إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه ٣٥٥ ذكر حديث جامع في هذا الباب
- ٣٦١ ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام ٣٦٢ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام
- ٣٦٣ ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان
- باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام إلى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف
- ٣٦٦ قصة يونس بن متى عليه السلام ٣٧٠ باب في قصة أصحاب الكهف
- ٣٨٦ مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام
- ٣٩٢ باب في قصة ثعالب النبي عليه السلام ٣٩٣ باب في قصة أصحاب الأخدود
- ٣٩٦ باب في قصة أصحاب القبلة ويان ما فيها من الفضل والشرف لسيدنا ونبينا محمد ﷺ
- (تمت)